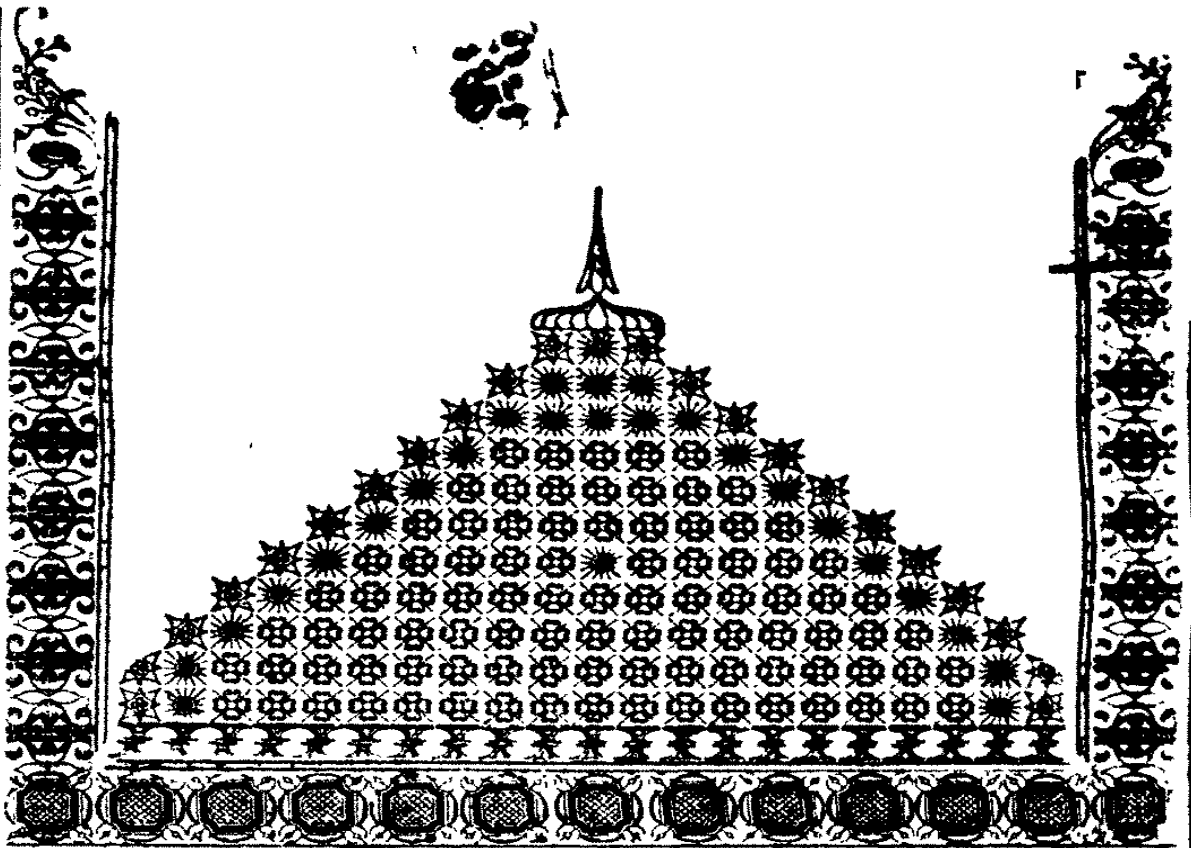


المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للشيخ
الامام والعلامة الهمام ضياء الدين
أبي الفتح نصر الله بن محمد بن
محمد بن عبد الكريم
الموصلى الشافعي
وجه افه
آمين

A 0927



بسم الله الرحمن الرحيم

سأل الله ربنا أن يبلغ بنانا من الحمد ما هو أهله وأن يعلمنا من البيان ما يقصر
عنه منزلة الفضل وأصله وحكمة الخطاب وفصله ونزغ اليه أي يوفقنا
للاصلاة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذي هو أفصح من نطق بالاضاد ونسخ هديه
شريعة كل هاد وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق وبدر ومنهم من صابرو صبر
ومنهم من آوى ونصر (وبعد) فإن علم البيان لتأليف النظم والمترنزة أصول
الفقه للاحكام وأدلة الاحكام وقد ألف الناس فيه كتباً وجلبوا ذهباً وخطبوا
وما من تأليف الا وقد تصفت شيبه وسينه وعلمت غنمه وسينه فلم أجد ما ينتفع
به في ذلك الا كتاب الموازنة لابي القاسم الحسن بن بشر الآمدي وكتاب سر
الفصاحة لابي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي غير أن كتاب الموازنة أجمع
أصولاً وأجدي محصولاً وكتاب سر الفصاحة وان به فيه على نكت منيرة
فانه قد أكثر ما قل به مدة دار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها
ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها بما لا حاجة الى أكثره ومن الكلام
في مواضع شذذ عنه الصواب فيها وسيرديان ذلك كما في مواضع من هذا

الكتاب ان شاء الله تعالى على أن كلا الكتابين قد أهملنا من هذا العلم أبوابا
 ولربما ذكرنا في بعض المواضع قسورا وتركنا بابا وكنت عذرت على ضروب كثيرة
 منه في غضون القرآن الكريم ولم أجدها أحدا ممن تقدمني تمرضا لذكر شيء منها
 وهي اذا عذرت كانت في هذا العلم قد اشرطه واذا نظر الى فوائدها وجدت
 محتوية عليه بأسره وقد أوردتها ههنا وشفعتها بضروب آخر مدونة في الكتب
 المتقدمة بعد أن حذفنا منها ما حذفته وأضفت اليها ما أضفته وهذا في الله
 لا ابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ومعنى درجة الاجتهاد التي لا تكون
 أقوالها تابعة وانما هي متبعة وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا وعلى
 غيره من الكتب (وقد بنيت) على مقدمة ومقالتين (فالمقدمة) تشمل على
 أصول علم البيان (والمقالتان) تشملان على فروعها فالأولى في الصناعة
 اللفظية والثانية في الصناعة المعنوية ولا أدعي فيها ألفتهم من ذلك فضيلة
 الاحسان ولا السلامة من سلق اللسان فان الفاضل من تعدد مقطاته
 وتحصى غلطاته ويسىء بالاحسان ظنا لا كنه هو يابنه وشعره مفتون واذا
 تركت الهوى قلت ان هذا الكتاب بديع في اغرابه وليس له صاحب في الكتب
 فيقال انه من أخذانه أو من اتراه مفردين أصحابه ومع هذا فاني أتيت بظاهر
 هذا العلم دون خافية وحسب حول حياه ولم أقع فيه اذا الغرض انما هو الحصول
 على تعليم الكلام التي به انتظام العقود وترصع وتحلب العقول فضع وذلك شيء
 تحيل عليه الخواطر لا تنطق به الدفاتر (واعلم) أي الناظر في كتابي أن مدار
 علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب
 وان كان فيما يليق به اليك أستاذ اذا ما ألت عما ينتفع به في فنه قبل لك هذا فان
 الدربة والادمان أجدى عليك نفعا وأهدى بصراوسها وهما يريانك الخبير
 عيانا ويجعلان عسر لك من القول امكنا وكل جارحة منك قلبا واسانا فخذ
 من هذا الكتاب ما أعطاك واستتب ما دامك ما أخطاك وما مثلي فيما هده لك
 من هذه الطريق الا كمن طبع سيفا ووضعها في عينك لتقاتل به وليس عليه
 أن يجتلي لك قلبا فان حمل النصال غير مباشرة القتال

وانما يبلغ الانسان غاية ما كل ماشية بالرحل شمال

وانرجع الى ما نحر بصدده فنقول أقام مقدمة الكتاب فاقم اشتمل على عشرة فصول

(الفصل الأول) في موضوع علم البيان موضوع كل علم هو الشيء الذي
يسئل فيه عن أحواله التي تعرض لذاته فموضوع الفقه هو أفعال المكلفين
والفقيه يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الفرض والنفل والحلال والحرام
والزبد والمباح وغير ذلك وموضوع الطب هو بدن الانسان والطبيب يسأل
عن أحواله التي تعرض له من صحته وسقته وموضوع الحساب هو الأعداد
والحاسب يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الضرب والقسمة والتسوية
وغير ذلك وموضوع التصو هو الالفاظ والمعاني والنحوي يسأل عن أحوالها
في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية وكذلك يجري الحكم في كل علم من العلوم
وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه ولم يحتلما بغيره وعلى هذا فرضوع علم البيان
هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية وهو
والنحوي يشتركان في أن النحوي يتطرق في دلالة الالفاظ على المعاني من جهة الوضع
اللاغوي وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان يتطرق في فضيلة تلك الدلالة وهي
دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء
التصو والاعراب ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم
مواقع اعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن ههنا
غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية
وتبيين مواضع الاعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة
(الفصل الثاني) في آلات علم البيان وأدواته اعلم أن صناعة تأليف
الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة وقد قيل ينبغي للكاتب أن
يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقول فلان
النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة
فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن وملاك هذا
كله الطبع فإنه إذا لم يكن ثم طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً وبمثل ذلك
كمثل النار الكامنة في الزناد والحديدية التي يقدح بها ألا ترى أنه إذا لم يكن
في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدية شيئاً وكثيراً ما رأينا من غير أرباب الطباع
في تعلم العلوم حتى إن بعض الناس يكون له تعلم علم مشكل الملك صعب
المأخذ فإذا كاف تعلم ما هو دونه من سهل العلوم تكس على عقبيه ولم يكن له فيه

نفاذ وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دون الهجاء
أو في الهجاء دون المديح أو يجيد في المراثي دون التهاني أو في التهاني دون
لمراثي وكذلك صاحب الطبع في المنثور هذا ابن الحريري صاحب المقامات قد
كان على ما ظهر عنه من تنقيح المقامات واحدا في فنه فلما حضر بغداد ووقف
على مقاماته قبل هذا استصلح لكتابة الانشاء في ديوان الخلافة ويحسن أثره فيه
فأحضر وكاف كتابة كتاب فأغرم ولم يجزأ منه في طويله ولا قسيرة فقال فيه بعضهم
شيخ لنا من ربيعة الفرس * يتف عشرونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد * أبلجه في بغداد بالخرس

وهذا مما يوجب منه وسملت عن ذلك فقلت لا يجب لأن المقامات مدارها
جميعها على حكاية تخرج إلى مخلص وأما المكاتبات فأنها بجزء لا ساحل له لأن
المعاني تتجدد فيها بتجدد حوادث الأيام وهي متجددة على عدد الانفاس
الآتري أنه إذا خطب الكاتب المنلق عن دولة من الدول الواسعة التي يكون
لسلطانها سيف مشهور وسعي مذكور ومكث على ذلك برهة يسيرة لا تبلغ
عشر سنين فإنه يدون عنه من المكاتبات ما يزيد على عشرة أجزاء كل جزء منها
أكبر من مقامات الحريري مجما لأنه إذا كتب في كل يوم كتابا واحدا
اجتمع من كتبه أكثر من هذه العدة المشار إليها وإذا فحلت وفربلت واختير
الاجود منها اذ تكون كلها جيدة فيخلص منها النصف وهو خمسة أجزاء والله يعلم
ما أشتمت عليه من الفرائب والهجمات وما حصل في ضمها من المعاني المتدعة
على أن الحريري قد كتب في أثناء مقاماته وقاعا في مواضع عدة فجاءه منحنطة
عن كلامه في حكاية المقامات لا بل جاء بالغث البارد الذي لا نسبة له إلى باقي كلامه
فيها وله أيضا كتابة أشياء خارجة عن المقامات وإذا وقف عليها أقسم أن قائل
هذه ليس قائل هذه مما يبينها من التفاوت البعيد وبلغني عن الشيخ أبي محمد أحمد
ابن الخشاب النحوي رحمه الله أنه كان يقول ابن الحريري رجل مقامات أي
انه لم يحسن من الكلام المنثور وسواها وان أتى بغيرها لا يقول شيئا فانظر رأيها
المتأمل إلى هذا التفاوت في الصناعة الواحدة من الكلام المنثور ومن أجل
ذلك قيل شيئا لأن نهاية لهما البيان والجمال * وعلى هذا فإذا ركب الله تعالى
في الإنسان طبعها قابلا لهذا الفن فيفتقر حينئذ إلى ثمانية أنواع من الآلات

(النوع الأول) معرفة علم العربية من النحو والتصريف (النوع الثاني) معرفة ما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ولا المستكبر المعيب (النوع الثالث) معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام فإن ذلك جرى مجرى الامثال أيضا (النوع الرابع) الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه (النوع الخامس) معرفة الاحكام السلطانية الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك (النوع السادس) حفظ القرآن الكريم والتدريب باستعماله وادراجه في مطاوي كلامه (النوع السابع) حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والسالون بهم ام ملك القرآن الكريم في الاستعمال (النوع الثامن) وهو مختص بالناظم دون النثر وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر ولنذكر بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الانواع ليعلم أن معرفته مما تمس الحاجة اليه فنقول أمّا علم النحو فإنه في علم البيان من المنظوم والمنثور ينزله أجد في تعليم الخط وهو أقول ما ينبغي اتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن من معزة اللعن ومع هذا فإنه وإن احتج اليه في بعض الكلام دون بعض اضرورة الافهام فإن الواضع لم يخص منه شيئا بالوضع بل جعل الوضع عامّا والا فاذ انظرنا الى ضرورته وأقسامه المدقّنة وجدنا أكثرها غير محتاج اليه في افهام المعاني ألا ترى أنك لو أمرت رجلا بالقيام فقلت له قوم باثبات الواو ولم تجزم لما اختل من فهم ذلك شيء وكذلك الشرط لو قلت ان تقوم أقوم ولم تجزم لكالمعنى مفهوم والفضلات كلها تجري هذا الجرى كالحال والتمييز والاستثناء فاذا قلت جاء زيد راكب وما في السماء قدر راحة صاحب وقام القوم الازيد فلزمت السكون في ذلك كله ولم تبين اعرابا لما توقفت الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زيد وهكذا يقال في الجرورات وفي المفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وفي المبتدأ والخبر وغير ذلك من أقسام أخر لا حاجة الى ذكرها لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يقهّم الا بقيد وتقيده وانما يقع ذلك في الذي تدل صيغته الواحدة على معاني مختلفة ولنضرب لذلك مثلا نوضحه فنقول اعلم أن من أقسام الفاعل

والمفعول ما لا يفهم الا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل فانه اذا لم يكن
 ثم علامة تبين أحدهما من الآخر والأشكلى الامر كقولك ضرب زيد عمرو
 ويكون زيد هو المضروب فانك اذا لم تنصب زيدا وترفع عمرا والالا يفهم ما أردت
 وعلى هذا ورد قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك لو قال قائل
 ما أحسن زيد ولم يبين الاعراب في ذلك لما علمنا غرضه منه اذ يحتمل أن يريد به
 التعجب من حسنه أو يريد به الاستفهام عن أى شئ منه أحسن ويحتمل أن
 يريد به الاخبار بنبي الاحسان عنه ولو بين الاعراب في ذلك فقال ما أحسن زيدا
 وما أحسن زيد وما أحسن زيد علمنا غرضه وفهمنا معزى كلامه لانفراد كل قسم
 من هذه الاقسام الثلاثة بما يعرف به من الاعراب فوجب حينئذ بذلك معرفة
 النحو اذا كان ضابضا المعاني الكلام حافظا له من الاختلاف وأول من تكلم
 في النحو أبو الاسود الدؤلى وبسبب ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا أبت
 ما أشد الحزمت شجبة ورفعت أشد فظننا ما استفهمه فقال شهر تاجر فقالت
 يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك فأتى على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال يا أمير
 المؤمنين ذهبت لغة العرب ويوشك ان تطاول عليها زمان أن تضحل فقال له
 وما ذالك فأخبره خبرا بنته فقال لهم صحيفة ثم أملى عليه الكلام لا يخرج عن اسم
 وفعل وحرف جاء المعنى ثم رسم له رسوما فنقلها النحويون في كتبهم وقيل ان
 أبا الاسود دخل على زياد بن أبيه بالبصرة فقال انى أرى العرب قد خالطت العجم
 وتغيرت ألسنتها أفأذن لى أن أصنع ما يقيمون به كلامهم فقال لا فقام من عنده
 ودخل عليه رجل فقال أيتها الاميرمات أبانا وخلف بنون فقال زياد مات أبانا
 وخلف بنون مه ردوا على أبا الاسود فردوه فقال له اصنع ما كنت نهيته عنه
 فوضع شياً ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه ثم جاء بعده عنبسة بن معدان
 المهرى فزاد عليه ثم جاء بعده عبد الله بن أبي اسحق الحضرمى وأبو عمرو
 ابن العلاء فزاد عليه ثم جاء بعده ما الخليل بن أحمد الازدى وتتابع الناس
 واختلف البصريون والكوفيون في بعض ذلك فهذا ما بلغنى من أمر النحو
 في أول وضعه وكذلك العلوم كلها يوضع منها في مبادئ أمرها شئ يسير ثم يزداد
 بالتدريج الى أن يستكمل آخرها (فان قيل) أتماء لم النحو فلم اليك أنه يجب
 معرفته لكن التصريف لا حاجة اليه لان التصريف انما هو معرفة أصل

الكامة وزيادتها وحذفها وابدالها وهذا الايضه جهله ولا تنفع معرفته ولنضرب
لذلك مثالا كيف اتفق فنقول اذا قال القائل رأيت سردا حالا يلزمه أن يعرف
الالف في هذه الكامة زائدة هي أم أصلية لان العرب لم تنطق بها الا كذلك
ولو قالت منرد حاب غير الف الساجلة لا بد أن يزيد الف فيهما من عهده فيقول
سردا حاف علم بهذا أنه انما ينطق بالالفاظ كما سمعت عن العرب من غير زيادة فيها ولا
نقص وليس يلزم بعد ذلك أن يعلم أصلها ولا زيادتها لان ذلك أمر خارج تقتضيه
صناعة تأليف الكلام (فالجواب) عن ذلك أنا نقول اعلم أنا لم نجد في معرفة
التصريف كمعرفة النحولان الكاتب أو الشاعر اذا كان عارفا بالمعاني مختارا
لها فادرا على اللفاظ مجيدا فيها ولم يكن عارفا بعلم الصوفانه يفسد ما يصوغه
من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني كما أرى في ذلك المثال المتقدم
وأما التصريف فانه اذا لم يكن عارفا به لم يفسد عليه معاني كلامه وانما يفسد
عليه الاوضاع وان كانت المعاني صحيحة وسليما في بيان ذلك في تحرير الجواب
فقول أما قولك ان التصريف لا حاجة اليه واستدللك بما ذكرته من المثال
المضروب فان ذلك لا يستعمل في الكلام فيه ألا ترى أنك مثبات كلامك في لفظة
سردا ح وقلت انه لا يحتاج الى معرفة الف زائدة هي أم أصلا لانها انما نقلت
عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص وهذا لا يطرد الا فيما هذا سبيله
من نقل اللفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال فأما اذا أريد تصغيرها
أو وجهها والنسبة اليها فانه اذا لم يعرف الاصل في حروف الكامة وزيادتها
وحذفها وابدالها يضل حينئذ عن السبيل وينشأ من ذلك مجال للعائب
والطاعن ألا ترى أنه اذا قيل للحموي وكان جاهلا به لم التصريف كيف تصغير لفظة
اضطراب فانه يقول ضطرب ولا يلام على جهله بذلك لان الذي تقتضيه صناعة
النحو قد أتى به وذلك أن النحاة يقولون اذا كانت الكامة على خمسة أحرف وفيها
حرف زائد أولم يكن حذفته نحو قواهم في منطلق مطباق وفي بحمرش بحيمر
فلفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم
زيدت فيها المعنى فلذلك لم تحذف وحذفت النون وأما لفظة بحمرش فخماسية
لاز زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا ولم يعلم الحموي أن علماء النحو انما قالوا
ذلك موهلاتا كالكلام منهم على تحقيقه من علم الصرف لانه لا يلزمهم أن يقولوا

في كتب النحو أكثر مما قالوا وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحوشياً
من التصريف لأن كلام من النحو والتصريف علم منفرد برأسه غير أن أحدهما
مرتبط بالآخر ومحتاج إليه وانما قلت ان النحوى اذا استل عن تصغير لفظه
اضطراب يقول ضطرب لانه لا يخلو وأما أن يحذف من لفظه اضطراب الالف
أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء وهذه الحروف المذكورة غير الالف ليست من
حروف الزيادة فلا تحذف بل الاولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الذي
ليس بزائد فلذلك قلنا ان النحوى يصغر لفظه اضطراب على ضطرب فيحذف
الالف التي هي حرف زائد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة وأما أن يعلم أن
الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وأنه اذا أريد تصغيرها تعاد الى الاصل الذي كانت
عليه وهو التاء فيقال ضطرب فان هذا لا يعلمه الا التصريفي وتكليف النحوى
الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كتكليفه علم ما لا يعلمه فنبت بما ذكرناه أنه يحتاج
الى علم التصريف اثلا يغلط في مثل هذا (ومن العجب) أن يقال انه لا يحتاج الى
معرفة التصريف ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدرا
وانغمهم شأنا قال في معاش معاش بالهمزة ولم يعلم الاصل في ذلك فأخذ عليه
وعيب من أجله ومن جملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف
ان ناعما لم يدروا العربية وكثيرا ما يقع أولو العلم في مثل هذه المواضع فكيف
الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها واذا علم حقيقة الامر في ذلك
لم يغلط فيما يوجب قدما ولا طعنا وهذه لفظه معاش لا يجوز همزها باجماع من
علماء العربية لان الياء فيها ليست مبدلة من همزة وانما الياء التي تبدل من الهمزة
في هذا الموضع تكون بهد الف الجميع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف
واحد ولا تكون عينا نحو سفاتن وفي هذا الموضع غلط نافع رحمة الله عليه لانه
لا شك اعتقد أن معيشة بوزن فعيلة وجمع فعيلة هو على فعائل ولم ينظر الى أن
الاصل في معيشة معيشة على وزن منغلة وذلك لان اصل هذه الكلمة من عاش
التي أصلها عيش على وزن فعل ويلزم مضارع فعل المعتل العينية هل تصح الياء
نحو يعيش ثم تنقل حركة العين الى الفاء فتصير يعيش ثم يبقى من يعيش مقبول
فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال معيش به كما
يقال مسير به ثم توث هذه اللفظة فتصير معيشة ومع هذا فلا ينبغي لصاحب هذه

قوله لان الياء ليست الخ الظاهر ان يقول لان المذني مفرد غير زائد كما قال ابن مالك والمذنيذ الثالث في الواحد همز يرى في مثل كالفلايداء

الصناعة من النظم والنثر أن يسهل من علم العربية ما يفتني عليه باعماله اللحن
الخطي فان اللحن الظاهر قد كثرت مفاوضات الناس فيه حتى صار يعلمه غير النحوي
ولاشك أن قلة المبالاة بالامر واستشمار القدرة عليه توقع صاحبه فيما لا يشعر أنه
وقع فيه فيجول بما يكون طالما به ألا ترى أن أبانواس كان معدودا في طبقات العلماء
مع تقدمه في طبقات الشعراء وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيقال في صفة الخمر
كان صفري وكبرى من فواقها • حسابا درة على أرض من الذهب

وهذا لا يفتني على مثل أبي نواس فانه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه
في شيء لانه أمر نقلي • يحمل ناقله فيه على النقل من غير تصرف وقول أبي
نواس صفري وكبرى غير جائز فان فعله لا يجوز حذف الالف واللام منها
وانما يجوز حذفه • ما من فعلي التي لا أفعل لها نحو جلي إلا أن تكون فعلية
أفعل مضافة وههنا قد عريت عن الاضافة وعن الالف واللام فانظر كيف وقع
أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وقد غلط أبو تمام في قوله
بالقائم الزمان المستخلف اطأدت • قواعد الملك تمتد الها الطول

ألا ترى أنه قال اطأدت والصواب اتطدت لان التاء تبدل من الواو في موضعين
أحدهما مقبس عليه كهذا الموضع لانك اذا بنيت افتعل من الوعد قلت افتعد
ومثله ما ورد في هذا البيت فانه من وطديطد كما يقال وعد بعد فاذا بنى منه افتعل
قبل اتطد ولا يقال اطأد وأما غير المقيس فقوله هم في وجاءت وجاءت
وأصله الواو لانه من وكل بكل فأبدلت الواو تاء للاستحسان فهذه الامثلة
قد أثرت اليها ليعلم مكان الفائدة في أمثالها وتتوقى على أني لم أجد أحدا من
الشعراء المخلصين • سلم من مثل ذلك فاما أن يكون لحن لينا يدل على جهله بمواقع
الاعراب واما أن يكون أخطأ في تصريف الكلمة ولا أعني بالشعراء من هو
قريب • هـ • بزمتا بل أعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله
كما لصتري ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس والمعصوم من
عصمه الله تعالى على أن الخطي في التصريف أندرو قوعا من الخطي في النحو لانه
قلبا يقع له كلمة يحتاج في استعمالها الى الابدال والنقل في حروفها واما النحو
فانه يقع الخطا فيه كثيرا حتى انه يشذ في ظاهره في بعض الاحوال فكيف تناهيه
كقول أبي نواس في الامين محمد ورجه الله

ياخير من كان ومن يكون • الا النبي الطاهر الميمون
 فرفع في الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافية في شيء
 وكذلك قال أبو الطيب المتنبى

أرأيت هـمة ناقتي في ناقة • نقلت يدا سرحا وخفا مجرا
 تركت دخان الرمث في أوطانها • طلبا القوم بوقد دون العنبرا
 وتكزمت ركبتها عن مبرك • تقعان فيه وليس مسكا ذفرا

فجمع في حال التثنية لان الناقاة ليس اهما الاركبتان فقال ركبات وهذا من
 أظهر ظواهر النحو وقد شئى على مثل المتنبى ومع هذا فينبغى لك أن تعلم أن الجهول
 بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه لانه رسوم
 قوم قواضع واعليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم والدليل على ذلك أن
 الشاعر لم يتظم شعره وخرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما
 وإنما خرضه اراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة
 والبلاغة ولهذا لم يكن اللحن قادحا في حسن الكلام لانه اذا قيل جاء زيد راكب
 ان لم يكن حسنا الابان يقال جاء راكبا بالنصب لكان النحو شرطاً في حسن
 الكلام وليس كذلك قسرين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب
 كلماته وإنما الغرض أمر وراء ذلك وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل
 من الكلام المنشور وأما الادغام فلا حاجة اليه لكاتب لكن الشاعر ربما
 احتاج اليه لانه قد يضطر في بعض الاحوال الى ادغام حرف والى فلك ادغام من
 أجل اقامة الميزان الشعري (النوع الثاني) وهو قولنا انه يحتاج الى معرفة
 اللغة مما تداول استعماله فيريد يانه عند ذكر اللفظة الواحدة والكلام على
 جيدها ووردتها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية ويفتقر ايضا مؤلف الكلام
 الى معرفة عدة أسماء ما يقع استعماله في النظم والتلحين اذا ضاق به موضع
 في كلامه باراد بعض اللفاظ فيه العدول عنه الى غيره ومما هو في معناه وهذه
 الاسماء تسمى المترادفة وهي اتحاد المسمى واختلاف أسمائه كقوانا الخمر
 والراح والمدام فليكن المسمى بهذه الاسماء شيئاً واحداً واسماؤه كثيرة وكذلك يحتاج
 الى معرفة الاسماء المشتركة ليستعين بها على استعمال التعيين في كلامه وهي
 اتحاد الاسم واختلاف المسميات كالعين فانها تطلق على العين الناطقة وعلى

ينبوع الماء وعلى المطر وغيره إلا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال إلى قرينة
تخصها كي لا تكون مبهمة لأنها إذا قلنا عين ثم سكتنا وقع ذلك على محتملات
كثيرة من العين الناظرة والعين النابعة والمطر وغيره مما هو موضوع بأزاء هذا
الاسم وإذا قرنا إليه قرينة تخصه زال ذلك الإبهام بأن تقول عين حسناء أو عين
نضاجة أو مملثة أو غير ذلك وهذا موضع للعلماء فيه مجاذبات جدلية (فهم)
من يشكر أن يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ويقول إن ذلك
يخل بفائدة وضع اللفظة لأن اللغة انما هي وضع اللفاظ في دلالتها على المعاني
أي وضع الاسماء على السميات لتكون منبثة عنها عند اطلاق اللفظ والاشتراك
لا بيان فيه وانما هو ضد البيان لكن طريق البيان أن يجعل أحد المعنيين
في اللفظ المشترك حقيقة والآخر مجازا فإذا قلنا هذه كلمة وأطلقنا القول فهم
منه اللفظة الواحدة وإذا قلنا اللفظ قلنا هذه كلمة شاعرة فهم منه القصيدة
المقصودة من الشعر وهي مجموع كلمات كثيرة ولو أطلقنا من غير تقييد وأردنا
القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا البتة هذا خلاصة ما ذهب إليه من يشكر
وقوع اللفظ المشترك في المعنيين حقيقة وفي ذلك ما فيه وسأبين ما يدخله من
الخلل فأقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكري ولم يكن لاحد قبله
قول من قبلي وهو أما قولك إن فائدة وضع اللغة انما هو البيان عند اطلاق اللفظ
واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم بل فائدة وضع اللغة هو البيان
والتعيين (أما البيان) فقد وفي الاسماء المتباينة التي هي كل اسم واحد دل على
مسمى واحد فإذا أطلق اللفظ في هذه الاسماء كان بينا مفهوما لا يحتاج إلى
قرينة ولو لم يضع الواضع من الاسماء شيئا غيرها لكان كافيا في البيان
(وأما التعيين) فإن الواضع لهذه اللغة العربية التي هي أحسن اللغات قطرا إلى
ما يحتاج إليه أرباب القصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأي أن
من مهمات ذلك التبيين ولا يقوم به إلا الاسماء المشتركة التي هي كل اسم واحد
دل على مسمى فصاعدا فوضعها من أجل ذلك وهذا الموضع يجاذبه جانبان
يترجح أحدهما على الآخر وبيانه أن التعيين يقتضي بوضع الاسماء المشتركة
ووضعها يذهب بفائدة البيان عند اطلاق اللفظ وعلى هذا فإن وضعها الواضع
ذهب بفائدة البيان وإن لم يضع ذهب بفائدة التعيين لئلا يكتفه ان وضع

استدرك ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة وان لم يضع لم يستدرك ما ذهب
من فائدة التصيين فترجع حينئذ بجانب الوضع فوضع (قلن قبل) فلم لا تنسب
الاسماء المشتركة الى اختلاف القبائل لالاى واضع واحد (قلت) في الجواب
هذا تعسف لا حاجة اليه وهو مدعوع من وجهين أحدهما ما قدمت القول فيه
من الترجيح الذي سوغ للواضع أن يضع الآخر أن يرى أنه قد ورد من الجملوع
ما يقع على مسعين اثنين كقولهم كعاب جمع كعب الذي هو كعب الرجل وجمع
كعبة وهي البنية المعروفة واذا أطلقنا اللفظ قلنا كعاب من غير قرينة لا يدري
ما المراد بذلك أ كعب الرجل أم البنية المعروفة وكذلك ورد واحد وجمع على وزن
واحد كقوله هم راح اسم للخمر وراح جمع راحة وهي الكف وكقوله هم عقاب
وهو الجزاء على الذنب وجمع عقبة أيضا وفي اللغة من هذا نبي كثير وهو
بالاجماع من علماء العربية أنه لم يجر فيه خلاف بين القبائل فأتضح بهذا أن
الاسماء المشتركة من واضع واحد (فان قلت) ان الواضع انما وضع المفرد
من الالفاظ والجمع وضعه غيره (قلت) في الجواب ان الذي وضع المفرد هو
الذي وضع الجمع لان من قواعد وضع اللغة أن يوضع المفرد والجمع والمذكر
والمؤنث والمصغر والمكبر والمصادر واسماء الفاعلين وما جرى هذا المجرى واذا
أخل بشئ من ذلك كان قد أخل بقاعدة من قواعد وضع اللغة ثم لو سلمت اليك
أن واضع الجمع غير واضع المفرد كان ذلك قد خافى الواضع الثاني اذ جاء بالابهام
عند لطلاق اللفظ لانه جمع كعبة التي هي البنية وكعب الرجل على كعاب وهذا
لفظ مشترك مبهم عند الاطلاق ولا فرق بين أن يضعه الواضع الاول أو واضع ثان
فان الابهام حاصل منه • وكان فاضلي بعض الفقهاء في قوله تعالى في سورة
البقرة صفرا فاقع لونم انسر الناظرين وقال ان لون البقرة كان أسود والاصفر
هو الاسود فأنكرت عليه هذا القول فأخذ يجادل مجادلة غير عارفة ويهزو
ذلك الى تفسير النقاش وتفسير البلاذري فقلت له اعلم أن هذا الاسم الذي هو
الاصفر لا يخالف في دلالة على الاسود من وجهين اما أنه من الاسماء المتباينة
التي يدل كل اسم منها على معنى واحد كالانسان والاسد والفرس وغير ذلك
واما أنه من الاسماء المشتركة التي يدل الاسم منها على معنيين فصاعدا ولا يجوز
أن يكون من الاسماء المتباينة لانراة متباينين لونين أحدهما هذا اللون

الزعفراني الشكل والآخر اللون المظلم الشكل وعلى هذا فانه يكون من الاسماء
 المشتركة واذا كان من الاسماء المشتركة فلا بد له من قرينة تخصه باللون
 الزعفراني دون اللون المظلم لان الله تعالى قال صفراء فاقع لونها والفاقع من
 صفات اللون الزعفراني خاصة لانه قد ورد للوان صفات متعددة لكل لون منها
 صفة فقبل ابيض يقق واسود حالك واحمر قان واصفر فاقع ولم يقل اسود فاقع
 ولا اصفر حالك فعلم حينئذ ان لون البقرة لم يكن اسود وانما كان اصفر فلما تحقق
 عند ذلك الفقيه ما اشرت اليه اذ عن التسليم (واما النوع الثالث) فهو
 معرفة امثال العرب واما هم ومعرفة الوقائع التي وردت في حوادث خاصة
 بأقوام وقولي هذا لا يقتضي كل الامثال الواردة عنهم فان منها ما لا يحسن
 استعماله كما ان من الفاظهم ايضا ما لا يحسن استعماله وكنت جردت من
 كتاب الامثال للميداني او رافا خفيفة تشقل على الحسنة من الامثال الذي
 يدخل في باب الاستعمال وسيل المتصدي لهذا الفن ان يسلك ما سلكته وليعلم
 ان الحاجة اليها شديدة وذلك ان العرب لم تضع الامثال الا لاسباب اوجبتها
 وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لامر من الامور عندهم كالعلامة التي
 يعرف بها الشيء وايس في كلامهم اوجز منها ولا أشد اختصارا وبسبب ذلك
 ما ذكره لتسكون من معرفته على يقين (فأقول) قد جاء عن العرب من جعله
 أمثالهم ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر وهو مثل يضرب للامر الظاهر
 المشهور والاصل فيه كما قال المفضل بن محمد انه بلغنا ان بن زعلية بن سعد بن ضبة
 في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر فقالت
 طائفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل ان تطلع الشمس
 فراضوا برجل جعلوه حكما فقالوا احد منهم ان قومي يبيعون على فقال الحكم
 ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر فذهبت مثلا ومن المعلوم ان قول
 القائل ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر اذا اخذ على حقيقة من غير
 نظر الى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيل من اجلها لا يعطى من المعنى ما قد
 اعطاه المثل وذلك ان المثل له مقدمات واسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين
 الناس معلومة عندهم وحيث كان الامر كذلك جازا يراد هذه الالفاظ
 في التعبير عن المعنى المراد ولو لولا تلك المقدمات المألوفة والاسباب المعروفة المألوفة

من قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ما ذكرناه من المعنى
 المقصود بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد لائق البقي هو الظلم والقهر
 ليس من شأنه أن يظلم أحدا فكان يصير معنى المثل ان كان يظلمك قومك لا يظلمك
 القمر وهذا كلام محتمل المعنى ليس يستقيم فلما كانت الامثال كل رموز
 والاشارات التي ياتوح بها على المعاني تلويحا صارت من أوجز الكلام وأكثفه
 اختصارا ومن أجل ذلك قيل في حد المثل انه القول الوجيز المرسل ليعمل
 عليه وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الاخلال بعرفتها (وأما أيام العرب) فلها
 تنوع وتتشعب فتم أيام نهار ومنها أيام محاربة ومنها أيام مناصرة ومنها غير
 ذلك ولا يخلو الناطم والنائر من الانتصاب لوصف يوم يمر به في بعض الاحوال
 شيئا يوم من تلك الايام ومما ثلله فاذا جاء به ~~ك~~ بعض تلك الايام المناسبة
 لمراة الموافقة له وقاس عليه يومه فانه يكون في غاية الحسن والرواق هذا
 لاخفامه (وأما الوقائع) التي وردت في حوادث خاصة بأقوام فانها كالامثال
 في الاشتهاد بها وسأبين لك نسبة من احق تعلم مقدار الفائدة بها فن ذلك
 انه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث بيعة المدينة تحت الشجرة وكان
 أرسل عثمان رضي الله تعالى عنه الى مكة في حاجة عرضت له ولم يحضر البيعة
 فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان
 وشمال خير من يمينه وقد استعملت أنا هذا في جملة كتاب فقلت ولا يهـ قد البر
 بره حتى يلقى الغيث بالحصور ويصل من لم يصله بجزاء ولا شكور فزنة الغائب
 بالشاهد من كرم الاحسان ولهذا ثابت شمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 عيين عثمان ومن ذلك انه ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استدهى
 أيام موسى الأشعري ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثي
 فضى الى يرفأ مولى عمر وسأله عما يروح عنده ويثفق عليه فأشار الى خشونة العيش
 فضى ولبس جبسة صوف وعمامة دسما وخفما مطابقا وحضر بين يديه في جملة
 العمال فحرب عمر نظره وصعدته فلم يقع الا عليه فأدناه وسأله عن حاله ثم أوصى أبا
 موسى الأشعري به وقد استعملت أنا هذا في جملة تقليد لبعض الملوك من ديوان
 الخلافة فقلت واذا استعنت بأحد على عملك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترص
 بعارفته من مسدإ حاله فان الاحوال تتقل بتقل الاجساد واياك أن تخدع

برقا كمنع كل في القاموس

صلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد فانظر كيف فعلت في هاتين
 القصتين وكيف أوردتهما في الغرض الذي قصدته وامض أنت على هذا التهج
 فانه من محاسن هذه الصنعة وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي
 الشيباني رحمه الله عن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان
 الخلافة ببغداد في سنة احدى وسبعين وخمسة مائة ورضي عنه ما أبلاه في خدمة الدولة
 من فتح الديار المصرية ومحور الدولة العلوية واقامة الدعوة العباسية وشرح فيه
 ما فاساه في الفتح من الاحوال ولما تأملته وجدته كتابا حسنا قد وفي فيه
 الخطابة حقا الا أنه أدخل بشئ واحدا وهو أن مصر لم تفتح الا بعد أن قصدت من
 الشام ثلاث مرات وكان الفتح في المرة الثالثة وهذا له نظير في فتح النبي صلى الله
 عليه وسلم مكة فانه قصد حيا عام الحديبية ثم سار اليها في عمرة القضاء ثم سار اليها
 عام الفتح ففتحها وقد سألني بعض الاخوان أن أنشئ في ذلك كتابا الى ديوان
 الخلافة معارض للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي رحمه الله فأجبتة الى
 سؤاله وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فقلت ومن جعلتها
 ما فعله الخادم في الدولة المصرية وقد قام بها منبر وسرير وقالت من أمر ومنكم
 أمير فرد الدعوة العباسية الى معادها وأذكر المنابر ما نسيت به من زهو أهواها
 وكانت أخرجت منها اخراج النبي صلى الله عليه وسلم من قريته وقذف الشيطان
 على حقه ما يظله وعلى صدقه ما يقويه ثم طوتها اللبالي طي السجل للكتاب وكثر
 عاينها صرورا الدهر حتى نسي لها عدد السنين والحساب ولم يعدها الى وطنها حتى
 تغربت لها الارواح عن أوطانها ومهت لها أجنان السيوف مبر العيون عن
 اجفانها وتطاردت الآراء في تسهيل أمرها قيل مطاردة اقرانها وحق
 تقدمتها غربات ثلاث كاه اذوات غروب وكل خطاب من خطوبها ذو خطوب
 الى أن تمحض ليلها عن صبه وأصبحت في الاسلام كعام حديبية وعمرة قضائه
 وعام قصه وفي ذكر أخبارها ما يطبع الاسنة في رؤس الاقلام ويرهب سامعها
 ولم يزل شئ من مكر وهوا سوى الكلام ويومها للدولة هو اليوم الذي ارتخ فيه
 معادنصرها وميعاد بشرها فاذا عدت ليلها اليها الساقة كانت كسائر اللبالي وهذه
 ليلة قدورها فهذا فصل من فصول الكتاب فانظر كيف ماثلت بين الفتح المصري
 وفتح مكة وذكرت أيضا حديث الحباب بن المنذر الانصاري حيث قال بعد وفاة

النبي صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير وذلك لما حضر أبو بكر وعمر
 وأبو عبيدة بن الجراح رضی الله عنهم في سقيفة بني ساعدة والقصة مشهورة
 فقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر رضی الله عنه بل نحن
 الامراء وأنتم الوزراء وهذا الذي ذكرته هو نكتة هذا الفتح التي عليها المعول
 ومركزه الذي عليه يدور (وعجبت) من عبد الرحيم بن علي البيهقي مع تقدمه
 في فن الكتابة كيف فاته أن يأتي به في الكتاب الذي كتبه وكذلك وجدت لابن
 زياد البغدادي كتابا كتبه الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقتدم
 ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضعته فصولا تشتمل على أمور أنكرت
 عليه من ديوان الخلافة فمن تلك الامور التي أنكرت عليه أنه تلقب بالملك
 الناصر وذلك لقب هو لا مير المؤمنين خاصة فانه الامام الناصر لدين الله فلما
 وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتابا حسنا قد أجاد فيه كل الاجادة ولم أجده فيه
 مغمزا الا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب فانه لم يأت بكلام يناسب
 باقي الفصول المذكورة بل أتى فيه بكلام فيه عنائة ككقوله ما يستصلطه
 المولى فهو على عبده حرام وشيأ من هذا النسق وكان الايتق والاحسن أن يحجج
 بحجة فيها روح ويذكر كلاما فيه ذلاقة ورشاقة وحضر عندي في بعض الايام
 بعض اخواني وجرى حديث ذلك فسألني عما كان ينبغي أن يكتب في هذا
 الفصل فذكرت ما عندي وهو قد علم أن الانبياء والخلفاء خصائص يختصون
 بها على سائر افراد وليس لاحد من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة
 الانداد وقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أشياء نص عليها بحكمه
 ومن جلتها أنه نهى غيره أن يجمع بين كنيته وبين اسمه وهذا ما سوغ لامير
 المؤمنين أن يختص بأمر يكون به مشهورا وعلى غيره محظورا وقدوسم نفسه
 بسمة نزلت عليه من السماء وتميزت به من بين المسميات والاسماء ثم استمرت عليها
 الايام حتى خوطب بها من الحاضر والباد ورفعها الخطباء على المنابر في أيام
 الجمع ومواسم الاعياد وقد شاركته أنت فيها غير مراقب لمزية التعظيم
 ولا فارق بين فسحة التحليل ووجع التحريم والشرع والادب يحكم أن عليك
 بأن تلتقي ما فرط منك بالمتاب ولا تحوج فيه الى التقرير الذي هو أشد العتاب
 ومثلك من عرف الحق فأمسكه بيده ونسخ اغفال أمسه باستئناف التيقظ في غده

والله قد رفع الواحدة عن أذى الشئ خطأ لعمداً وقبل التوبة عن أخذ على
 نفسه بالاختصاص عهداً * فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوي وجعلته
 شاهداً على هذا الموضع ولا يمكن أن يحتج في مثل ذلك إلا بمثل هذا الاحتجاج
 وما أعلم كيف شد عن ابن زياد أن يأتي به مع أنه كان كاتباً مطلقاً أرتضى كتابته ولم
 أجد في متأخرى العراقيين من يمثله في هذا الفن (وأما النوع الرابع) وهو
 الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فإن في ذلك فوائد دججة لأنه
 يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم
 وإلى أين ترامت به صنعة في ذلك فإن هذه الأشياء مما تشهد القريحة وتذكر
 القطنة وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفاً بتصير المعاني التي ذكرت وتعب
 في استخراجها كالشئ الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد وأيضاً
 فإنه إذا كان مطلعاً على المعاني المسبوق إليها قد يتقدح له من بينهما معنى غير يبلم
 يسبق إليه ومن المعلوم أن خواطر الناس وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة
 فإن بعضها لا يكون عالياً على بعض أو مختطاً عنه إلا بشئ يسير وكثيراً ما تتساوى
 القرائح والأفكار في الأتيان بالمعاني حتى أن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع
 يلفظ ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينه مما من غير علم منه بما جاء به الأول
 وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر وسبب أن ذلك
 باب مفرد في آخر كتابنا هذا إن شاء الله تعالى (وأما النوع الخامس) وهو
 معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك فأنما
 أوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج إليه الكتاب في تقليدات الملوك والأمراء
 والقضاء والمحتسبين ومن يجري مجراهم وأيضاً فإنه قد يحدث في الإمامة
 حادث في بعض الاوقات بأن يموت الامام القائم بأمر المسلمين ثم يتولى من بعده
 من لم تكمل فيه شرائط الإمامة أو يكون كامل الشرائط غير أن الامام الذي
 كان قبله عهد به إلى آخر غيره وهو ناقص الشرائط أو يكون قد تنازع
 الامامة اثنان أو يكون أرباب الحل والعقد قد اختاروا اماماً وهم غير كامل
 الشرائط التي تجب أن توجد فيهم أو يكون أمر غير ما ذكرناه فختلف الاطراف
 في ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالامام الذي قد قام للمسلمين في أمر كاتبه
 أن يكتب كتاباً في أمره إلى الاطراف المخالفة له وإذا لم يكن الكتاب

عند ذلك عارفا بالحكم في هذه الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها وما هو
 رخصة في ذلك وما ليس برخصة لا يكتب كتابا ينتفع به ولسانه في هذا القول
 أن يكون الكتاب مقصورا على نفسه محض فقط لئلا لو أردنا ذلك لما كنا محتاج
 فيه إلى كتب كتاب بلاغي بل كنا اقتصر على ارسال مصنف من مصنفات الفقه
 عوضا عن الكتاب وإنما قصدنا أن يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى
 مشتملا على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع والمهاققة في موضع مشهورنا
 ذلك بالنسبة الشرعية المبرزة في قوالب البلاغة والفصاحة كما فعل الكتاب
 الصائبي في الكتاب الذي كتبه عن عزالدولة بختيار بن محمد عزالدولة بن بويه
 إلى الامام الطائع لما خلع المطيع فانه من محاسن الكتب التي تكتب في هذا
 الفن (وأما النوع السادس) وهو حفظ القرآن الكريم فان صاحب هذه
 الصناعة ينبغي له أن يكون عارفا بذلك لان فيه فوائد كثيرة منها أنه يضمن كلامه
 بالآيات في أمما كنها اللاتقة بها ومواضعها المناسبة لها ولا شبهة فيما يصير للكلام
 بذلك من الغضامة والجزالة والروثق ومنها أنه اذا عرف مواقع البلاغة
 وأمرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذ بهجرا يسخر منه الدرر
 والجواهر ويودعها مطاوى كلامه كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات
 وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام فعليك أيها
 المتوشح هذه الصناعة بحفظه والقصص عن سره وغامض رموزه وإشاراته فانه
 تجارة لن تبور ومنبع لا ينفور وكثير يرجع اليه وذخر يعول عليه (وأما النوع
 السابع) وهو حفظ الاخبار النبوية مما يحتاج إلى استعماله فان الامر في ذلك
 يجري مجرى القرآن الكريم وقد تقدم القول عليه فاعرفه (وأما النوع
 الثامن) وهو ما يختص بالناظم دون الناثر وذلك معرفة العروض وما يجوز
 فيه من الزخاف وما لا يجوز فان الشاعر محتاج اليه ولسانا فوجب عليه المعرفة
 بذلك لينظم بعلمه فان النظم مبنى على الذوق ولو نظم بقطع الأفاعيل لجاء شعره
 متكلفا غير مرضي وإنما يريد الشاعر معرفة العروض لان الذوق قد ينبوعن
 بعض الزخافات ويكون ذلك جائزا في العروض وقد ورد للعرب مثله فاذا كان
 الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز وكذلك أيضا يحتاج
 الشاعر إلى العلم بالقوافي والحركات ليعلم الروي والردف وما يصح من ذلك

وما لا يصح فاذا أكل صاحب هذه الصناعة معرفة هذه الآلات وكان ذا طبع
 عجيب وقريحة مواتية فعليه بالنظر في كتابنا هذا والتصفح لما أودعناه
 من حقائق علم البيان ونبهتنا عليه من أصول ذلك وفروعه على أن الذي ذكرناه
 من هذه الآلات الثمان هو كالأصل لما يحتاج إليه الخطيب والشاعر ومعرفة
 ضرورية لا بد منها وههنا أشياء أخرى كالتواضع والروادف وبالجملة فإن
 صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التثبيت بكل فن من الفنون حتى أنه يحتاج
 إلى معرفة ما تقوله المنادية بين النساء والمناشدة عند جلوة العروس وإلى ما يقوله
 المنادي في السوق على السلعة فما ظنك بما فوق هذا والسبب في ذلك أنه مؤهل
 لأن يهيم في كل واحد فيحتاج أن يتعلق بكل فن

(الفصل الثالث في الحكم على المعاني) وقائدة هذا الفصل الاحاطة
 بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة مفتقر إلى هذا
 الفصل والذي يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة لاسيما مفسري
 الأشعار فانهم به أعمى * واعلم أن الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر اللفظ
 ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كقوله تعالى وثيابك فطهر فالظاهر من
 لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس وهذا
 لا بد له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ وكذلك ورد عن عيسى بن مريم
 عليه السلام أنه قال إذا أردت أن تصلي فادخل بيتك وأغلق بابك فالظاهر من
 هذا هو البيت والباب ومن تأول ذهب إلى أنه أراد أنك تجمع عليك هم قلبك
 وتنع أن يخطر به سوى أمر الصلاة فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي
 تخطر له بإغلاق الباب وهذا يحتاج إلى دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ فالله في
 المحول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره إلى
 التأويل يقع فيه الخلاف اذ باب التأويل غير محصور والعلماء متفاوتون في هذا
 فانه قد يأخذ بعضهم وجهها ضعيفا من التأويل فيكسوه بعبارة قوة تميزه على غيره
 من الوجوه القوية فان السيف يضاربه

ان السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهم إذا التقى الجمعان

تلقى الحسام على جراءة حده * مثل الجبان يكف كل جبان

وذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتأويل إلى شيء غير مرضي فقال التفسير

بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتأويل اظهار باطن اللفظ
 كقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فتفسيره من الرصد يقال رصدته اذا رقبته
 وتأويله تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره والذي عندي في ذلك
 أنه أصاب في الآخر ولم يصب في الاول لان قوله التفسير بيان وضع اللفظ
 حقيقة لاستند لجوازه بل التفسير يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازا
 لانه من الفسر وهو الكشف كتفسير الرصد في الآية المشار اليها بالرقبة وتفسيره
 بالتحذير من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره وأما التأويل فانه أحد قسمي
 التفسير وذلك أنه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الاول وهو الرجوع
 يقال آل يؤل اذا رجع وعلى هذا فان التأويل خاص والتفسير عام فكل تأويل
 تفسير وليس كل تفسير تأويل وهذا يقال تفسيرو القرآن ومن تفسيره ظاهر
 وباطن وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذكره ههنا يرجع أكثره الى التأويل لانه
 أدق ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام أما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل
 غيره وأما أن يفهم منه الشيء وغيره وتلك الغيرة أما أن تكون ضداً أو لا تكون
 ضداً وليس لنا قسم رابع فالاول يقع عليه أكثر الاشعار ولا يجرى في الدقة
 والطلاقة مجرى القسمين الآخرين وأما القسم الثاني فانه قليل الوقوع جداً
 وهو من أطرف التأويلات المعنوية لان دلالة اللفظ على المعنى وضده أعرب من
 دلالة على المعنى وغيره مما ليس بضده فمما جاء منه قول النبي صلى الله عليه وسلم
 صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد
 الحرام فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المسجد
 الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر أن مسجد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من المسجد الحرام أي ان صلاة واحدة
 فيه لا تفضل ألف صلاة في المسجد الحرام بل تفضل ما دوتها بخلاف المساجد
 الباقية فان ألف صلاة فيها تقصر عن صلاة واحدة فيه وكذلك جاء قول النبي
 صلى الله عليه وسلم أيضاً من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت
 وهذا يشمل على معنيين ضدّين أحدهما أن المراد به اذا لم تفعل فعلا تستحي منه
 فافعل ما شئت والاخر أن المراد به اذا لم يكن لك حياء نزعك عن فعل ما يستحي
 منه فافعل ما شئت وهذا معنيان ضدان أحدهما مدح والاخر ذم ومثله

ورد في الحديث النبوي أيضا وذلك أنه ذكر شريح الحضرمي عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يتوسد القرآن وهذا يحتمل مدحا وذكما أما المدح فالمراد به أنه لا ينسب الليل عن القرآن فيكون القرآن متوسدا معه لم يتجدد به وأما الذم فالمراد به أنه لا يحفظ من القرآن شيئا فإذا نام لم يتوسد معه القرآن وهذا التاويلان من الاضداد وكثيرا ما يرد أمثال ذلك في الاحاديث النبوية ويجرى على هذا المنهج من الشعر قول أبي الطيب في قصيدة يدح بها كافورا

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا • لمن بات في نعماته يتقلب

وهذا البيت يستخرج منه عنيان ضدان أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم والآخر أن المنعم يحسد المنعم عليه وكذلك ورد قوله أيضا من قصيدة يدح به

فان نلت ما أملت منك فرجما • شربت بناء بهجز الطير ورده

فان هذا البيت يحتمل مدحا وذكما وإذا أخذ بقوله من غير نظر الى ما قبله فانه يكون بالذم أولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ وصدر

البيت مفتوح بان الشرطية وقد أجب بلفظة رب التي معناها التقليل أي است من نوالك على يقين فان نلته فرجما وصلت الى مورد لا يصل اليه الطير لبعده

وإذا نظر الى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذي قبله وكثيرا ما كان يقصد المتنبي هذا القسم في شعره كقوله من قصيدة أولها

هدوك مذموم بكل لسان • ولو كان من أعدائك القمران

ولله سر في عسلاك وانما • كلام العدا ضرب من الهديان

ثم قال

تخالك تعنى بالاسنة والقنا • وجدك طعان بغير سنان

فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح لانه يقول لم تبلغ ما بلغت بسعيك واحكامك بل بجيد وسعادة وهذا الافضل فيه لان السعادة تنال الخامل والجاهد ومن لا يستحقها

وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده الكافوريات (وحكى) أبو الفتح بن جني قال قرأت على أبي الطيب ديوانه الى أن وصلت الى قصيدته التي

أولها • أغالب فيك الشوق والشوق أغلب • فأيت منها على هذا البيت وهو

وما طرب لي لما رأيتك بدعة • لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فقلت له يا أبا الطيب لم تزد على أن جعلته أبارنة فضحك لقولي وهذا القسم

من الكلام يسمى الموجه أى له وجهان وهو ما يدل على براعة الشاعر وحسن
تأنيته * وأما القسم الثالث فإنه يكون أكثر وقوعاً من القسم الثاني وهو واسطة
بين طرفين لأن القسم الأول كثير الوقوع والقسم الثاني قليل الوقوع وهذا
القسم الثالث وسط بينهما فمما جاء منه قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم
فإن هذا وجهان من التأويل أحدهما القتل الحقيقي الذي هو معروف
والآخر هو القتل المجازي وهو الأكل على المعاصي فإن الإنسان إذا أكل
على المعاصي قتل نفسه في الآخرة ومن ذلك ما ورد في قصة إبراهيم وذبح
ولده عليهما السلام فقال الله تعالى حكايه عنه وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين
رب هب لى من الصالحين فبشرناه بسلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى
انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى
ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين ونادى ناه أن يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وقد نناه بذبح عظيم
وتركنا عليه فى الآخرة من سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين قد يكون بشارة ينبؤته بعد البشارة بميلاده وقد يكون استئنافا
بذكره بعد ذكر اسمعيل عليه السلام وذبحه والتأويل متجاذب بين هذين
الامرئين ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ولم يرد فى القرآن ما يدل على أن
الذبح اسمعيل ولا اسحق عليهما السلام وكذلك لم يرد فى الاخبار التى صحت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما يروى عنه أنه قال أنا ابن الذبيحين
نخارج عن الاخبار الصحيحة وفى التوراة ان اسحق عليه السلام هو الذبيح
ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لم لا زواجه أطول كنى يدا أسرع كنى
لحوقا بى فلما مات صلوات الله عليه جعلن يطاولن بين أيديهن حتى ينظرن
أيتهن أطول يدايم كانت زينب أسرعهن لحوقا به وكانت كثيرة الصدقة فعلمن
حينئذ أنه لم يرد الجارحة وانما أراد الصدقة فهذا القول يدل على المعنيين
المشار إليهما ومن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء
لم أفعله لم لا فعلته وهذا القول يحتمل وجهين من التأويل أحدهما وصف

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على خلق من يحبه والاخراته وصف
نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الاعمال كأنه متفطن لما في نفس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيفعله من غير حاجة الى استئذانه ومن ذلك ما ورد
في الادعية النبوية فانه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم
اقطع أثره وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التاويل الاول أنه دعا عليه بالزمانه لانه
اذا زمن لا يستطيع أن يعيش على الارض فينقطع حيثئذ أثره الوجه الثاني أنه
دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب الوجه الثالث أنه دعا عليه بأن
لا يكون له أثر من الاثر مطلقا وهو أن لا يفعل فعله لا يبق أثره من بعده كأننا
ما كان من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك ونظرت الحرورية برجل فقالوا له
ابن أمي وعلي وعثمان فقال انما من علي ومن عثمان أبرأ فهذا يدل على معنيين
أحدهما أنه برئ من عثمان وحده والاخر أنه برئ منهما جميعا والرجل لم يرد
الا الوجه الاول ومن ذلك ما يحكي عن عبد المسيح بن بقبيلة لما نزل بهم خالد
ابن الوليد على الحيرة وذلك أنه خرج اليه عبد المسيح بن بقبيلة فلما مثل بين يديه
قال أنعم صبا حاياهم الملك فقال له خالد قد أغنانا الله عن تحيتك هذه بسلام
عليكم ثم قال له من أين أقصى أثرك قال من ظهر رأبي قال فن أين خرجت قال
من بطن أمي قال فعلام أنت قال على الارض قال فقيم أنت قال في ثيابي قال
ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط أنا سأله عن الشيء
وهو يخوف غيره وهذا من توجيه الكلام على غلط حسن وهو يصلح أن يكون
جوابا لخالد عما سأله ويصلح أن يكون جوابا لغيره مما ذكره عبد المسيح بن بقبيلة
وقد ورد في التوراة أن لا يؤكل الجدي بلبن أمته وهذا يحتمل التحريم في وجهين
أحدهما ما دل عليه ظاهر لفظه وهو تحريم لحم الجدي بلبن أمته خاصة واذا أكل
بلبن غير ابن أمته جاز ذلك ولم يكن حراما وهذا لا يأخذه أحد من اليهود
والوجه الاخر وهو الذي يؤخذه عند اليهود جميعهم أن أكل اللحم باللبن حرام
كأننا ما كان من اللحوم الاطائة منهم يسمون القرابين فانهم تأولوا فأكلوا
لحم الطير باللبن وقالوا انما حرم اللحم باللبن من اللحوم ذوات الالبان والطيور
من ذوات البيض لا من ذوات الالبان وما يجري على هذا النهج ما يحكي
عن افلاطون أنه قال ترك الدواء دواء فذهب بعض اطباء أنه أراد ان لطف

المزاج وانتهى الى غاية لا يحتمل الدواء فتركه حيث تذوالا ضربا عنه دواء وذهب
آخرون الى أنه أراد بالترك الوضع أى وضع الدواء على الداء دواء يشير بذلك
الى مذاق الطبيب في أوقات علاجه ومثله في الشعر قول الفرزدق

اذا جعفر مرتت على هضبة الحى • فقد أخذت الأحياء منها قبورها

وهذا يدل على معنيين أحدهما ذم الأحياء والاخر ذم الاموات أما ذم
الأحياء فهو أنهم خذلوا الاموات يريد أنهم تلاقوا قتالهم وقوما آخرين
فقتل الأحياء منهم وأسطروهم أو أنهم استجيدوهم فلم ينجدوهم وأما ذم الاموات
فهو أن لهم محازي وفضائح توجب عارا وشنارا فهم يعدون بها الأحياء
ويلصقون بها جرم وعلى هذا ورد قول أبي تمام

بالشعر طول اذا اصطكت قمانده • في معشروبه عن معشر قصر

فهذا البيت يحتمل تأويلين أحدهما أن الشعر يتسع مجاهله بمدحك ويضيق بمدح
غيرك يريد بذلك ان ما اثره كثيرة وما اثر غيره قليلة والاخر أن الشعر يكون
ذا نغف ونباهة بمدحك وذا نخول بمدح غيرك فلفظة الطول يفهم منها ضد القصر
ويفهم منها النخول من قولنا طال فلان على فلان أى نخر عليه (وعا) ينظم بهذا
الملك قول أبي كبير الهذلي

عجبت لسمى الدهريتي وبينها • فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وهذا يحتمل وجهين من التأويل أحدهما أنه أراد بسمى الدهر سرعة تقضى
الاقوات مدة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حالته في السكون والبطء
الاخر أنه أراد بسمى الدهر سسمى أهل الدهر بالفاسم والوشايات فلما انقضى
ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية وهذا من باب وضع المضاف
اليه مكان المضاف كقوله تعالى واسأل القرية أى أهل القرية • ومن الدقيق
المعنى في هذا الباب قول أبي الطيب المتنبى في عضد الدولة من جملة قصيدته
التي آواها آوه بديل من قواقي وآها فقال

لوقطنت خيلا لنا لله • لم يرضها أن ترام يرضاهها

وهذا يستنبط منه معنيان غيران أحدهما أن خيله لو علمت مدة عطاياه
النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه لان عطاياه أنفس منها الاخر
أن خيله لو علمت أنه يهبها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك اذ تذكره خروجها

من ملكه وهذان الوجهان أناذ كرتها وانما المذكور منهما أحدهما وهذا
الذي أشرت إليه من الكلام على المعاني وتأويلاتها كاف إن عنده ذوق وله
قوة على حملها على أشباهها وتطائرها

(الفصل الرابع) في الترجيح بين المعاني وهذا الفصل هو ميزان الخواطر
الذي يوزن به نقد درهمها ودينارها بل المحك الذي يعلم منه مقدار عيارها
ولا يزن به إلا ذوق فكرة متقدمة ولحمة منتقدة فليس كل من حمل ميزاناً سمى صرافاً
ولا كل من وزن به سمى صرافاً والفرق بين هذا الترجيح والترجح الفقهي
أن هنالك يرجح بين دليلي الخصمين في حكم شرعي وههنا يرجح بين جانبي فصاحة
وبلاغة في الفاظ ومعان خطائية وبيان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهي
يرجع بين خبر التواتر مثلا وبين خبر الآحاد أو بين المسند والمرسل أو ما جرى هذا
الجرى وهذا لا يعرض إليه صاحب علم البيان لأنه ليس من شأنه ولكن الذي هو
من شأنه أن يرجح بين حقيقة ومجاز أو بين حقيقتين أو بين مجازين ويكون ناظراً
في ذلك كله إلى الصناعة الخطائية ولربما اتفق هو وصاحب الترجيح الفقهي
في بعض المواضع كالترجح بين عام وخاص أو ما شابه ذلك وكذا قد قدمنا القول
في الحكم على المعاني وانقسامها وتبيين في هذا الفصل مواضع الترجيح بين
وجوه تأويلاتها فنقول (أما القسم الأول) من المعاني فلا تعلق للترجح به
إذ ما دل عليه ظاهر لفظه ولا يحتمل الأوجه واحداً فليس من هذا الباب في شيء
والترجح إنما يقع بين معنيين يدل عليهما لفظ واحد ولا يخلو الترجيح بينهما من
ثلاثة أقسام أما أن يكون اللفظ حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر
أو حقيقة فيهما جميعاً أو مجازاً فيهما جميعاً وليس لنا قسم رابع والترجح
بين الحقيقةين أو بين المجازين يحتاج إلى نظر وأما الترجيح بين الحقيقة والمجاز
فانه يعلم بيديه النظر لكان الاختلاف بينهما والشبان المختلفان يظهر الفرق
بينهما بخلاف ما يظهر بين الشيتين المشبهين فمثال الحقيقة والمجاز قوله تعالى
ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤا شهد عليهم سمعهم
وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فالجلود ههنا تفسر حقيقة ومجازاً أما
الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقاً وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا
هو المانع البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكتابة

عن المكفي عنه وقديس آل ههنا في الترجيح بين الحقيقة والمجاز عن غير الجانب
 البلاغي ويقال ما بيان هذا الترجيح فيقال طريقه افظ الجلود عام فلا يخلو
 اما أن يراد به الجلود مطلقا أو يراد به الجوارح التي هي أدوات الاعمال خاصة
 ولا يجوز أن يراد به الجلود على الاطلاق لان شهادة غير الجوارح التي هي الفاعلة
 شهادة باطلة اذ هي شهادة غير شاهد والشهادة هنا يراد بها الاقرار بقول اليد
 انما فعلت كذا وكذا وتقول الرجل انما شيت الى كذا وكذا وكذلك الجوارح
 الباقية تنطق مقرة بأعمالها فتخرج بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح
 واذا أریده الجوارح فلا يخلو اما أن يراد به الكل أو البعض فان أریده الكل
 دخل تحته السمع والبصر ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة وان أریده البعض
 فهو بالفرج أخص منه بتفسيره من الجوارح لأمري أحدهما أن الجوارح كلها
 قد ذكرت في القرآن الكريم شهادة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج فكان
 هل الجلد عليه أولى ليستكمل ذكر الجميع الا أن أنه ليس في الجوارح ما يكره
 التصريح بذكره الا الفرج فكفى عنه بالجلد لانه موضع بذكره التصريح فيه
 بالمسمى على حقيقته (فان قيل) ان تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب
 التفصيل كقوله تعالى فاكهة ونخل ورمان والنخل والرمان من الفاكهة (قلت)
 في الجواب هذا القول عليه كذلك لان النخل والرمان انما ذكر لتفصيل لهما
 في الشكل أو في الطعم والفضيلة ههنا في ذكر الشهادة انما هي تعظيم لأمري
 المعصية وغير السمع والبصر أعظم في المعصية لان معصية السمع انما تكون
 في سماع غيبة أو في سماع صوت من مار أو وتر أو ما جرى هذا الجري ومعصية
 البصر انما تكون في النظر الى محرم وكلتا المعصيتين لا حد فيها واما المعاصي
 التي توجد من غير السمع والبصر فأعظم لان معصية اليد توجد في القطع ومعصية
 الفرج توجد في جلد مائة أو الرجم وهذا أعظم فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون
 السمع والبصر واذا ثبت فساد ما ذهبت اليه فلم يكن المراد بالجلود الا الفروج
 خاصة (وأما مثال المعنيين) اذا كانوا حقيقيين فقول النبي صلى الله عليه وسلم
 التمسوا الرزق في خبايا الارض واخلبوا جمع خبيثة وهو كل ما يخبأ كاتنا ما كان
 وهذا يدل على معنيين حقيقيين أحدهما الكنوز الخبوة في بطون الارض
 والاخر الحرث والغرام وجانب الحرث والغرام أرجح لان مواضع الكنوز

لا تعلم حتى تلتبس والنبى صلى الله عليه وسلم لا يأمر بذلك لانه شئ مجهول غير
 معلوم فبقى المراد بجنبا يا الارض ما يحرث ويغرس وكذلك ورد قوله صلى الله عليه
 وسلم اذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال وهذا الحديث مرخص في ترك صلاة
 الجماعة بسبب المطر وله تأويلان أحدهما أنه أراد نعال الارض وهو ما غلظ منها
 والآخر أنه أراد الاحذية والوجه هو الثانى لظهوره في الدلالة على المعنى وأكثر
 العلماء عليه ولو كان المراد به ما غلظ من الارض لخرج عن هذا الحكم كل بلد
 تكون أرضه سهلة لا غلظ فيها (وأما مثال المعنيين الجازيين) فقول أبي تمام
 قد بلونا أباسعيد حديثا * وبلونا أباسعيد قديما
 ووردناه ساحلا وقليبا * ورهيناه بأرضا وحميا
 فعلنا ان ليس الا بشق الا نفس صار الكرم يدعى كرميا
 فالساحل والقليب يستخرج منهما تأويلان مجازيان أحدهما أنه أراد بهما
 الكثير والقليل بالنسبة الى الساحل والقليب والآخر أنه أراد بهما السبب
 وغير السبب فان الساحل لا يحتاج في ورده الى سبب والقليب يحتاج في ورده
 الى سبب وكلا هذين المعنيين مجاز فان حقيقة الساحل والقليب غيرهما والوجه
 هو الثانى لانه أدل على بلاغة القائل ومدح المقول فيه أما بلاغة القائل
 فالسلامة من هجسة التكرير بالمخالفة بين صدر البيت وعجزه فان عجزه يدل
 على القليل والكثير لان البارض هو أول التبت حين يبدا فإذا كثرت بكائف
 سمى جميعا فكانه قال أخذنا منه تبرعا ومستهلة وقليل وكثيرا وأما مدح المقول
 فيه فله عدد حالاته الاربع في تبرعه وسؤاله واكثره واقله وما فى معاناة
 هذه الاحوال من المشاق فهذا ما يتعلق بالترجيح البلاغى بين الحقيقة والحقيقة
 وبين الجواز والجواز بين الحقيقة والجواز (وهما) ترجيح آخر لا يتعلق بما أشرنا
 اليه اذ هو خارج عما تقتضيه المعانى الخطائية من جهة الفصاحة والبلاغة وذلك
 أن يرجح بين معنيين أحدهما تام والآخر مقدر أو يكون أحدهما مناسبا
 لمعنى تقدمه أو تاخر عنه والآخر غير مناسب أو بأن يتظر في الترجيح بينهما
 الى شئ خارج عن اللفظ فمثال المعنيين المشار اليهما أن المعنى التام هو الذى يدل
 عليه لفظه ولا يتعداه وأما المقدر فهو الذى لا يدل عليه لفظه بل يستدل عليه
 بقريضة أخرى وتلك القريضة قد تكون من قواعده وقد لا تكون (فما) جاء

من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في سائمة الغنم زكاة فهذا اللفظ يستخرج منه معنيان أحدهما اتام والآخرة تذرف التام دلالة على وجوب الزكاة في السائمة لا غير والمقدرة دلالة على سقوط الزكاة عن المعالوفة إلا أنه ليس مة هو ما من نفس اللفظ بل من قرينة أخرى هي كالتابعة له وهي أنه لما خصت السائمة بالذكر دون المعالوفة علم من مفهوم ذلك أن المعالوفة لا زكاة فيها وللفقهاء في ذلك مجازيات جدلية يطول الكلام فيها وليس هذا موضعها والذي يترجح عندي هو القول بفحوى المعنى المقدر وهو الذي يسميه الفقهاء مفهوم الخطاب وله في الشعر أشباه ونظائر (فما) ورد من ذلك شعرا قول جري بن كعب الفقعسي من شعراء الحماسة وقد خطب إليه ابن كوزا بنته فرده

تبني ابن كوز والسفاهة كاسمها * ليستاد منا ان سنونا لياليا
فلا تطلبنها يا ابن كوزفانه * غذا الناس مذاق النبي الجواريا

وهذا البيت الثاني يشتمل على المعنيين التام والمقدر أما التام فأن ابن كوز سأل أيا هذه الجارية أن يزوجها في سنة والسنة الجذب فرده وقال قد غذا الناس البنات مذاق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أيضا أغذو هذه ولولا ذلك لو أدتها كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجه آخر وهو أنهم كانوا يثدنون البنات قبل الإسلام فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقوله غذا الناس مذاق النبي الجواريا أي في النساء كثيرة فتزوج بعضهم ونحل ابنتي وهذان المعنيان هما اللذان دل عليهما ظاهر اللفظ وأما المعنى المقدر الذي يعلم من مفهوم الكلام فإنه يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإحياء البنات ونهى عن الوأد ولو أنكحتكها لكنت قد وأدتها إذ لا فرق بين أنكاحتك أياها وبين وأدتها وهذا ذم للمخاطب وهو معنى دقيق ومجيب المعاني المستخرجة من المفهوم قليل في الشعر (وأما) ما يستدل عليه بقرينة آتت من توابعه فإن ذلك أدق من الأول وألطف مأخذاً فمما ورد منه قول النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين فهذا يستخرج منه المعنيان المشار إليهما فالتام منهما يدل على أنه من جعل قاضيا فقد عرّض نفسه لخطر عظيم كالذبح بغير سكين وأما المقدر فإنه يدل على أنه من جعل قاضيا فقد أمر بمفارقة هواه وهذا لا يدل عليه اللفظ بنفسه بل يستدل عليه بقرينة أخرى ولكنها آتت من توابعه

ووجه ذلك أن لفظ الحديث عام يشمل القضاة على الإطلاق ولا يخلو وأما أن يراد
 به عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا ولا يجوز أن يكون المراد به عذاب الآخرة
 لأنه ليس كل قاض معذبا في الآخرة بل المعذب منهم قضاة السوء فوضح به هذا أن
 المراد بالحديث عذاب الدنيا وعلى هذا فلا يخلو وأما أن يكون العذاب صورة
 أو معنى ولا يجوز أن يكون صورة لأن ترى الإنسان إذا جعل قاضيا لا يذبح
 ولا يناله شيء من ذلك فسق أن يكون المراد به عذابا معنويا وهو الذبح المجازي
 غير الحقيقي وحقوى ذلك أن نفس الإنسان مركبة على حبها فإذا جعل
 قاضيا فقد أمر بترك ما جبل على حبه من الامتناع عن الرشوة والحكم الصديقه
 على مدقوه ورفع الطيب بينه وبين الناس والجلوس للحكم في أوقات راحته
 وغير ذلك من الأشياء المكروهة التي تشق على النفس وتجدد لها المأمور بها
 والذبح هو قطع الخلقوم والالم حاصل به وهو كالذبح الحقيقي بل أشد منه لأن الم
 الذبح الحقيقي يكون لحظة واحدة ثم ينقض ويذول وألم قطع النفس عن هواها
 يدوم ولا ينقضى وهو أشد العذاب قال الله تعالى في عذاب أهل النار وحيل بينهم
 وبين ما يشتهون وقال في نعيم أهل الجنة وفيها ما تشتهى النفس وتذو الأعين
 وكثيرا ما رأينا من منعه على حب الشيء على اتلاف نفسه في طلبه وركوب
 الأهوال من أجله فإذا امتنع عنه مع حبه أياه فقد ذبح نفسه أي قطعها عنه
 كما يقطع الذابح حلق الذبيحة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقنا عن
 الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر فسمى جهاد الكفار الجهاد الأصغر وجهاد
 النفس الجهاد الأكبر فكأن مجاهدة النفس عن هواها قتال بغير سيف فكذلك
 قطعها عن هواها ذبح بغير سكين وهذا موضع غامض والترجيح فيه مختص
 بالوجه الآخر لاشتماله على المعنى المقصود وهو المراد من القضاة على الإطلاق
 (وأما) مثال المعنيين إذا كان أحدهما مناسبا للمعنى تقدمه أو المعنى تأخر عنه
 والآخر غير مناسب فالأول وهو ما كان مناسبا للمعنى تقدمه كقوله تعالى لا تجعلوا
 دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فالدعاء ههنا يدل على معنيين أحدهما
 النهي أن يدعى الرسول باسمه فيقال يا محمد كما يدعو بعضهم بعضا بأسمائهم
 وإنما يقال له يا رسول الله أو يا نبي الله الآخر النهي أن يجعلوا حضورهم عنده
 إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض بل يتأدون معه بأن

لا يفارقوا مجلده الا باذنه وهذا الوجه هو المراد لمناسبة معنى الآية التي قبله
وهو قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر
جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه واما الثاني وهو ما كان مناسبا للمعنى تاخر عنه
كقوله تعالى والذين والذين والذين والذين والذين والذين والذين والذين والذين
المعروف وهما سماجا جبلين أيضا وتأويلهما بالجبلين أولى للمناسبة بينهما وبين
ما أتى بعدهما من ذكر الجبل الذي هو الطور وعلى هذا ورد قول الشاعر
في أبيات الحامسة

ولو كنت مولى قيس عيلان لم تجبد * على لانسان من الناس درهما
واككتنى مولى قضاة كلها * فلست أبالي أن أدين وتغير ما
فاذا نظرنا الى البيت الاول وجدناه يحتمل مدحا وذلما أى أنهم كانوا يغنونه
بعطائهم أن يدين أو أنه كان يخاف الدين حذرا أن لا يقوم واعنه بوفائه لكن البيت
الثاني حقق أن الاول ذم وليس بمدح فهذا المعنى لا يتحقق فهذه الاباخره
وأما الذى يكون الترجيح فيه بسبب شئ خارج عن مفهوم اللفظ فقوله تعالى
وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فهذا مستنبط منه معنيان
أحدهما أن الله يعلم السر والجهر فى السموات والارض وفى ذلك تقديم
وتأخير أى يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض الاخر أنه فى السموات
وأنة يعلم السر والجهر فى الارض من بنى آدم لان الوقت يكون على السموات
ثم يستأنف الكلام فيقول يعلم سركم وجهركم فى الارض الا أن هذا يمنع منه
اعتماد التخصيم وذلك شئ خارج عن مفهوم اللفظ

(الفصل الخامس فى جوامع الكلم) قال النبي صلى الله عليه وسلم
أوتيت جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة والجوامع جمع جامعة والجامعة اسم
فاعلة من جمعت فهى جامعة كما يقال فى المذكور جمع فهو جامع والمراد بذلك أنه
صلى الله عليه وسلم أوتى الكلم الجوامع للمعاني وهو عندى يتقسم قسمين
القسم الاول منها هو ما استخرجته ونبئت عليه ولم يكن لآحاد قومه قول سابق
وهو أن لنا ألفاظا تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها مما يجوز أن يستعمل
فى مكانها (فمن ذلك) ما يأتي على حكم المجاز ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة
أما ما يأتي على حكم المجاز فقوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين الآن حى الوطيس

وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أتينا بما جاز غير ذلك
 في معناه فقلنا استعرت الحرب لما كان مؤديا من المعنى ما يؤديه حتى الوطيس
 والفرق بينهما أن الوطيس هو التنوير وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك
 يخيل إلى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في غيرها وتوقدها وهذا لا يوجد
 في قولنا استعرت الحرب أو ما جرى مجراه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت
 في نفس الساعة فقوله نفس الساعة من العبارة العجيبة التي لا يقوم غيرها
 مقامها لأن المراد بذلك أنه بعث والساعة قريبة منه لكن قريباً منه لا يدل على
 ما دل عليه النفس وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما
 يحس الإنسان بنفس من هو إلى جانبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في موضع آخر
 بعثت أنا والساعة كهاتين وجع بين أصبعيه السبابة والوسطى ولو قال بعثت على
 قرب من الساعة أو والساعة قريبة مني لمادل ذلك على ما دل عليه نفس الساعة
 وهذا لا يحتاج إلى الإطالة في بيانه لانه بين واضح وقد وردت من ذلك في أقوال
 الشعراء المفلحين ولقد تصفحت الأشعار قد عجزت عنها وحفظت ما حفظت
 منها وكننت إذا مررت بنطري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه
 الألفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطرباً كطرب الأطلح وكثير من الناظمين
 والتأثرين يترجم على ذلك ولا يتقن له سوى أنه يستحسنه من غير نظر فيما نظرت أنا
 فيه ويظنه كغيره من الألفاظ المستحسنة (فما) جاء من ذلك قول أبي تمام
 كم صارم غضب أناف على قفا * منهم لأعبا الوغى حال
 سبق المشيب إليه حتى ابتزه * وطن النوى من مفرق وقدال
 فقوله وطن النوى من الكلمات الجامعة وهي عبارة عن الرأس ولا يجاء بمثلاً
 في معناها مما يستمدتها وكذلك ورد قول الجعفي
 قلب يطل على أفكاره ويد * تمضي الأمور ونفس لهوها التعب
 فقوله قلب يطل على أفكاره من الكلمات الجوامع ومراده بذلك أن قلبه لا تملؤه
 الأفكار ولا تحيط به وإنما هو عال عليها يصف بذلك عدم احتفاله بالواقع وقلة
 مبالاته بالخطوب التي تحدث أفكاراً تستغرق القلوب وهذه عبارة عجيبة لا يؤتى
 بمثلاً مما يستمدتها (وأما) ما يأتي على حكم الحقيقة فكقول ابن الرومي
 سقى الله أوطار النوا وما ربا * تقطع من أقرانها ما تقطعا

ليال تسيبني الليالي حاسبها • بلهنية أقضى بها الحول أجمعها
سوى عزة لأعرف اليوم باسمه • وأعمل فيه اللهم رأي ومسمعا

فقوله لأعرف اليوم باسمه من الكلمات الجامعة أي التي قد شغلت بالذات
عن معرفة الليالي والأيام ولو وصف اشتغاله بالذات مهما وصف لم يأت بمثل قوله
لأعرف اليوم باسمه (وأما القسم الثاني) من جوامع الكلام فالمراد به الإيجاز
الذي يدل به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة أي أن ألفاظه صلوات الله عليه
جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها ووجلت كلامه جارها هذا المجرى
فلا يحتاج إلى ضرب الأمثلة به وسـيأتي في باب الإيجاز منه ما فيه كفاية ومقنع
(فان قيل) فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتمـ ما فأنمـ ما في النظر سواء
(قلت) في الجواب أن الإيجاز هو أن يوتي بالفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد
على ذلك المعنى ولا يشترط في تلك الألفاظ أن لا تظهر لها فأنم تكون قد انصفت
بوصف آخر خارج عن وصف الإيجاز وحيث يكثر الإيجاز زيادة (وأما هذا
القسم الآخر فإنه الفاظ أفراد في حسن النظر لها فتارة تكون موجزة وتارة
لا تكون موجزة وليس الغرض منها الإيجاز وإنما الغرض مكانها من الحسن
الذي لا تظهر لها فيه ألا ترى إلى قول أبي تمام وطن النهى فان ذلك عبارة عن
الرأس ولا شك أن الرأس أوجزلان الرأس لفظة واحدة ووطن النهى لفظتان
الآن وطن النهى أحسن في التعبير عن الرأس من الرأس في بيان بهـ ذا أن أحد
هذين القسمين غير الآخر

(الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن) قال النبي صلى الله
عليه وسلم الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها إذا وجدها والمراد بذلك
أن الحكمة قديسة فيدها أهلها من غير أهلها كما يقال رب رمية من غير رام
وهذا لا يخص علماء أحد من العلوم بل يقع في كل علم والمطالوب منه ههنا هو
ما يخص علم البيان من فصاحة والبلاغة دون غيره ومدحمت هذا الخبر
النبوي جعلت كذا في تتبع أقوال الناس في مقاصدهم ومحاوراتهم فانه
قد تصدر الأقوال البليغة والحكم والأمثال عن لا يعلم مقدار ما يقوله فاستفدت
بذلك فوائد كثيرة لا أحصرها عددا وأنا أذكر منها طرقا يستدل بها على أشباهه
ونظائره فن ذلك أني سرت في بعض الطارق وفي صحبتي رجل يدوي من الأبياط

لا يعتد بقوله فكان يقول غدا تدخل البلد وتستغل عنى وكان الامر كما قال
فدخلت مدينة حلب وشغلت عنه أياما ثم اتيته فقال لي من ترؤى قوت عظامه
وهذا القول من الاقوال البليغة وهى من الحكمة التى هى الضالة المطلوبة عند
مؤء فى الفصاحة والبلاغة ثم انى سمعت منه بعد ذلك شيئا يناسب قوله الاقل فانى
سفرت له الى صاحب فى حلب فى ثنى أخذته منه فاستقله وقال الماء أروى لشدوق
النبي وهذا أيضا من الحكمة فى بابها وسافرت مرة أخرى على طريق المناظر
وكان فى صحبى رجل بدوى فسألته عن مسافة ما بين تدمر وأرك فقال اذا خرج
مرحاهما تلاقيا فمبر عن قرب المسافة بينهما بأبواب وعبارات وأبلغها ثم سألته ليله
من الليالى عن الصبح لترتحل من موضعنا فقبال قد ظهر الصبح الا أنه لم يملك
الانسان بصره وهذا القول من الحكمة أيضا وكان تزوج غلام من غلمانى
بدمشق فوقعت المرأة منه بموقع وشغف بها ثم انى سافرت عن دمشق لمهم عرض لى
وسافر ذلك الغلام فى صحبى فلما عدنا من السفر شغل بامرأته والمقام عندها
فسألته عن حاله فقال انما قد طالت وحسنت وهى كذا وكذا وأخذ يصفها
فقال أخ له ~~كان~~ حاضر ايام مولاي هى تلك لم تزد شيئا وانما هى فى عينه جبار من
الجبارة وكذا القول قد ورد فى بعض آيات الحماسة وهو معدود من آيات
المعاني

أهابك اجلالا وما بك قدرة • على ولكن مل عين حبيبها

فكثيرا ما يصدر مثل هذه الاقوال من السنة الجهال • وسمعت ما يجرى هذا
الجرى من بعض العبيد الاحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صبيغ الالفاظ
فضلا عما وراء ذلك وذلك أنه رأى صبيبا فى يده طاقة ربحان فقال هذه طاقة
آس تحمل طاقة ربحان فلما سمعت ذلك منه أخذتني هزة التعجب وذكرت شعرا بى
نواس الذى توأصفه الناس فى هذا المعنى وهو قوله

ووردة جاء بها شادن • فى كفه المعنى غيانا

سجت ربي حين أبصرتها • ربحانة تحمل ربحانا

وحضر عندي فى بعض الايام رجل نصرانى موسوم بالطيب وكان لا يحسن ان
يقول كلمة واحدة وهو ألقاب اللسان يسي العبارة فسألته عن زيارة شخص وهل
يتردد اليه أم لا فقال

ظلام الليل يهدي الى باب من أودته وضوء النهار يضل بي عن باب من لا أودته
وهذا من أطف المعاني وأحسنها وهو من الحكمة المطلوبة • وكنت قصدت زيارة
بعض الاخوان من الاجناد وهو من الاغتمام الاعجاب فسألتهم عن حاله وكان
توالت عليه نكبات طالت أيامها وعظمت آلامها فقال لي في الجواب ما معناه انه
لم يبق عندي ارتجاع لوقوع غائبة من النواتب وهذا معنى لو أتى به شاعر مطلق
أو كاتب بليغ لاستحسن منه غاية الاستحسان • وكنت في سنة ثمان وثمانين
وخمسة مائة بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو والكافر من الفريخ لعنهم
الله وتقابل الفريقان على مدينة ياقا وكان الى جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين
فتعاقدوا على الحملة الى نحو العدو فلاحوا وصدق منهم اثنان وتلكا واحدا فقيل
له في ذلك فقال الموت طعام لا تجشبه المعدة فلما سمعت هذه الكلمة استحسنتها
واذا هي صادرة عن رجل من أهل بصرى قدم من الافدام ولو أخذت في ذكر
ما سمعته من هذا الاطلت وانما دللت بسير ما ذكرته على المراد وهو أنه يجب على
المصدي للشعر والخطابة أن يتبع أقوال الناس في محاوراتهم فإنه لا يقدم عما
يسمعه منهم حكما كثيرة ولو أراد استخراج ذلك بفكره لا يجزئه ويحكى عن أبي تمام
أنه لما نظم قصيدته البيانية التي أولها

على مثلها من أدب مع ولاعب • انتهى منها الى قوله

يرى أقبح الاشياء أوبة آمل • كسته يد المأمول حلة خائب

ثم قال وأحسن من نور يقفه الصبا • ووقف عند صدر هذا البيت يردده وإذا
سأئل يسأل على الباب وهو يقول من يياض عطاياكم في سواد مطا البنا فقال
أبو تمام • يياض العطايا في سواد المطالب • فأتم صدر البيت الذي كان يردده من
كلام السائل وسمعت امرأة قد توفي لها ولد وهو بكرها الذي هو أول أولادها
فقال كيف لا أحزن لذهابه وهو أول درهم وقع في الكيس فأخذت أنا هذا المعنى
وأودعته كتابا من كتبى في التمازي وهو كتاب كتبه الى بعض الاخوان وقد توفي
بكره من الاولاد فقلت وهو أول درهم ادخرته في كيس الاتخار وأعددت
لحوادث الليل والنهار ويلفتني عن الشيخ أبي محمد أحمد بن أحمد المعروف بابن
الكتاب البغدادي وكان اماما في علم العربية وغيره فقيل انه كان كثيرا ما يقف على
حلق القصاص والشعبيذ فاذا أتاه طلبة العلم لا يجدونه في أكثر أوقاته الا هناك

نليم على ذلك وقيل له أنت امام الناس في العلم وما الذي يبعثك على الوقوف بهذه
لمواقف الرذيلة فقال لو علمتم ما أعلم للماتم واطالماسه تفقدت من هؤلاء الجهال
قوائد كثيرة تجرى في ضمن هذيانهم معاني غريبة لطيفة ولو أردت أنا وغيري أن
أقرب مثلها لاسه تطعنا ذلك ولا شك أن هذا الرجل رأى ما رأيته وتطرا الى
ما نظرت اليه

(الفصل السابع في الحقيقة والجهاز) وهذا الفصل مهم كبير من مهمات علم
البيان لا بل هو علم البيان بأجمعه فان في تصريف العبارات على الاسلوب الجهازي
قوائد كثيرة وسيرديانها في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد تبيننا
في هذا الموضع على جملتها دون تفصيلها فاما الحقيقة فهي اللفظ الدال على
موضوعه الاصلى واما الجهاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة
وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع الى هذا الموضع اذا تخطاه اليه فالجهاز اذا سم
لامكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههم او حقيقة هي الانتقال من
مكان الى مكان بفعل ذلك لنقل الالفاظ من محل الى محل كقولنا زيد أسد فان زيدا
نسان والاسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جرتنا من الانسانية الى الاسدية
أى عبرنا من هذه الى هذه لوصلة بينهما وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة وقد يكون
العبور لغير وصلة وذلك هو الاتساع كقواهم في كتاب كليله ودمنه قال الاسد
وقال النعلب فان القول لا وصلة بينه وبين هذين بهما من الاحوال وانما أجرى
عليهما اتساعا محضالا غير ولهذا امثال في الجهاز الحقيقي الذي هو المكان الجهاز
فيه فانه لا يخلو واما أن يجاز من سهل الى سهل أو من وعرا الى وعرا أو من سهل الى
وعر فالجواز من سهل الى سهل أو من وعرا الى وعر هو كقولنا زيد أسد فالمتشابهة
حاصلة في ذات بينهما كالمتشابهة الحاصلة في المكان والجواز من سهل الى وعر
كقواهم قال الاسد وقال النعلب فكأنه لا متشابهة بين القول وبين هذين
فكذلك لا متشابهة بين السهل والوعر وسأق كشاف الغطاء عن ذلك واشباع القول
في تحقيقه في باب الاستعارة فليؤخذ من هناك وقد ذهب قوم الى أن الكلام كله
حقيقة لا يجاز فيه وذهب آخرون الى انه كله مجاز لا حقيقة فيه وكلا هذين
المذهبين فاسد عندي وسأجيب الخصم عما ادعاه فيهما فأقول محل النزاع هو
أن اللفظة كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز ولا فرق عندي بين قولك انها كلها حقيقة

أو أنها كلها مجاز فان كلا الطرفين عندي سواء لان منكرهما غير مسلم لهما وأنا
 بصد أن أبين أن في اللغة حقيقة ومجازا والحقيقة اللغوية هي حقيقة اللفاظ
 في دلالتها على المعاني وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء أي نفسه وعينه
 فالحقيقة اللفظية إذا هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة والمجاز
 هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره وتقرير ذلك بأن أقول
 المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها بالعرف كل منها باسمه من أجل
 التفاهم بين الناس وهذا يقع ضرورة لا بد منها فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو
 حقيقة له فإذا نقل إلى غيره صار مجازا ومثال ذلك أنا إذا قلنا شمس أردنا به هذا
 الكوكب العظيم الكثير الضوء وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بإزائه وكذلك إذا
 قلنا بجر أردنا به هذا الماء العظيم المجمع الذي طعمه ملح وهذا الاسم له حقيقة لانه
 وضع بإزائه فإذا قلنا الشمس إلى الوجه الملمح استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة
 وكذلك إذا قلنا البحر إلى الرجل الجواد استهارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة
 (فان قيل) ان الوجه الملمح يقال له شمس وهو حقيقة فيه وكذلك البحر يقال
 للرجل الجواد وهو حقيقة فيه (فالجواب) عن ذلك من وجهين أحدهما نظري
 والاخر وضحى أما النظري فهو أن الالفاظ انما جعلت أدلة على افهام المعاني
 ولو كان ما ذهبت اليه صحيحا لكان البحر يطلق على هذا الماء العظيم الملمح وعلى
 الرجل الجواد بالاشتراك وكذلك الشمس أيضا فانها كانت تطلق على هذا
 الكوكب العظيم الكثير الضوء وعلى الوجه الملمح بالاشتراك وحينئذ فاذا ورد
 أحد هذين اللفظين مطلقا بغير قرينة تخصصه فلا يفهم المراد به ما هو من أحد
 المعنيين المشتركين المندرجين تحته ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فانا إذا قلنا
 شمس أو بجر وأطلقنا القول لا يفهم من ذلك وجه ملح ولا رجل جواد وانما يفهم
 منه ذلك الكوكب المعلوم وذلك الماء المعلوم لا غير فبطل إذا ما ذهبت اليه بما
 يناء وأوضحناء (فان قلت) ان العرف يخالف ما ذهبت اليه فان من الالفاظ ما إذا
 أطلق لم يذهب الفهم منه الا إلى المجاز دون الحقيقة كقولهم الغائط فان العرف
 خص ذلك بقضاء الحاجة دون غيره من الماطن من الارض (قلت) في
 الجواب هذا شيء ذهب اليه الفقهاء وليس الامر كما ذهبوا اليه لانه ان كان اطلاق
 اللفظ فيه بين عامة الناس من اسكاف وحداد ونجار وخباز ومن جرى مجراهم

اعتراض على الفقهاء في تخصيصهم الغائط بقضاء الحاجة

فهو لا لا يفهمون من الغائط الا قضاء الحاجة لانهم لم يعلموا أصل وضع هذه
الكلمة وأنها مطمئن من الارض وأما خاصة الناس الذين يعلمون أصل الوضع
فانهم لا يفهمون عند اطلاق اللفظ الا الحقيقة لا غير الأثرى أن هذه اللفظة
لما وردت في القرآن الكريم وأريد بها قضاء الحاجة قرنت بألفاظ تدل على ذلك
كقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط فان قوله أو جاء أحد منكم من الغائط
دليل على أنه أراد قضاء الحاجة دون الماطن من الارض فالكلام في هذا وأمثاله
انما هو مع علم أصل الوضع حقيقة والنقل عنه مجازا وأما الجهال فلا اعتبار
بهم ولا اعتداد بأقوالهم والجهل عندي من الفقهاء الذين دونوا ذلك على
مادق ونوه وذهبوا الى ما ذهبوا اليه وأما الوجه الوضعي فهو أن المرجع في هذا
وما يجري مجراه الى أصل اللغة التي هي وضع الاسماء على المسمايات ولم يوجد فيها
أن الوجه الملمح يسمى شمسا ولا أن الرجل الجواد يسمى بهرا وإنما أهل الخطابة
والشعر توسعوا في الاساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة الى المجاز ولم يكن ذلك من
واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص شكل منهم بشئ اخترعه في
التوسعات المجازية هذا امر والقيس قد اخترع شيئا لم يكن قبله فن ذلك أنه
أول من عبر عن الفرس بقوله قيد الاوابد ولم يسمع ذلك لاحد من قبله وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم حنين الا أتى حتى الوطيس وأراد بذلك
شدة الحرب فان الوطيس في أصل الوضع هو التنوير فنقل الى الحرب استعارة
ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي صلى الله عليه وسلم وواضع
اللغة ما ذكر شيئا من ذلك فعلنا حيث نذ أن من اللغة حقيقة بوضعه ومجازا
بتوسعات أهل الخطابة والشعر وفي زماتنا هذا قد يهتروا أشياء من المجاز
على حكم الاستعارة لم تكن من قبل ولو كان هذا موقوفا من جهة واضع
اللغة لما اخترعه أحد من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه وأما الفرق بينه وبين
الحقيقة فهو أن الحقيقة جارية على العموم في تطاير الأثرى أنا اذا قلنا قلان
عالم صدق على كل ذي علم بخصلاف واسأل القرية لانه لا يصح الا في بعض
المجادات دون بعض اذا المراد أهل القرية لانهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز
أن يقال واسأل الجبر والتراب وقد يحسن أن يقال واسأل الربيع والطلل (واهل)
أن كل مجاز فله حقيقة لانه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز الا نقله عن حقيقة

موضوعه اذا المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من الحقيقة الى غيرها واذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها الى حالته المجازية فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز فان من الاسماء ما لا مجاز له كاسماء الاملام لانها وضعت للفرق بين الذوات لا لالفرق بين الصفات وكذلك فاعلم أن المجاز اولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة لانه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الاصل اولى منه حيث هو فرع عليها وليس الامر كذلك لانه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عيانا ألا ترى أن حقيقة قوائيد الأسد هي قولنا زيد شجاع لكن فرق بين القوائيد في التصوير والتخييل واثبات الغرض المقصود في نفس السامع لان قولنا زيد شجاع لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجل جري مقدم فاذا قلنا زيد أسد يتخيل عند ذلك صورة الاسد وهيبته وما عنده من البطش والقوة وودق الفرائس وهذا النزاع فيه وأجيب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الاحوال حتى أنه يسمح بها بالتخييل ويشجع بها الجبان ويحكم بها الطائش المتسرع ويجد الخطاب بها عند معانها نشوة كشوة الخرس حتى اذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك حقوبة أو اقدم على أمر مهول وهذا هو فخوى السحر الحلال المستغنى من القاء العصا والحيال (واعلم) أنه اذا ورد عليك كلام يجوز أن يحتمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لا مزية لعناه في عمله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحتمل الاعمال على طريق الحقيقة لانها هي الاصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الاصل الى الفرع الا لفائدة مثال ذلك قول البصري

مهيب كذا السيف لو ضربت به • ذرى أجاظلت واعلامها وهد
 ويروي أيضا لو ضربت به طلي أجا جمع طلبة وهي العنق فهذا البيت لا يجوز حله على المجاز لان الحقيقة اولى به ألا ترى أن الذرى جمع ذرورة وهو أعلى الشيء يقال ذرورة الجبل أعلاه والاطلي جمع طلبة وهي العنق والعنق أعلى الجسد ولا فرق بينهما في صفة العلو هنا فلا يعدل اذ المجاز اذ لا مزية له على الحقيقة فهو كذلك

ما يعنى من الكلام الجارى هذا الجارى فانه ان لم يكن فى الجمار زيادة فائدة على الحقيقة لا يعدل اليه

(الفصل الثامن فى الفصاحة والبلاغة) اعلم أن هذا باب متحذر على الواجح ومسلات متوهر على الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ولم أجد من ذلك ما يعول عليه الا القليل وغاية ما يقال فى هذا الباب ان الفصاحة هى الظهور والبيان فى أصل الوضع اللغوى يقال أفصح الصبح اذا ظهر ثم انهم يققون عند ذلك ولا يكتفون عن السرفيه وبهذا القول لاثنتين حقيقة الفصاحة لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات أحدها أنه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحاً ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحاً الوجه الآخر انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الأشخاص فان اللفظ قد يكون ظاهراً زليلاً ولا يكون ظاهراً العرو فهو اذا فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا وايس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال لانه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ما هو لم يبق فى اللفظ الذى يختص به خلاف الوجه الآخر انه اذا جىء باقظ قبج ينبوعه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغى أن يكون فصيحاً وليس كذلك لان الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل وما واقفت على أقوال الناس فى هذا الباب ملكتفى الحيرة فيها ولم يثبت عندى منها ما أعول عليه وكثيرة ما لابتى هذا الفن ومعاركتى آياه انكشفتلى السرفيه وسأوضحه فى كتابى هذا وأحقق القول فيه فأقول ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين وأحق بالظاهر البين أن تكون الفاظه مفهومة لا يحتاج فى فهمها الى استخراج من كتاب لغة وانما كانت بهذه المفة لانها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة فى كلامهم وانما كانت مألوفة الاستعمال دائرة فى الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك أن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار الفاظها وسبروا وقسموا فاختروا والحسن من الالفاظ فاستعملوه ونقوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح اذا من الالفاظ هو الحسن (فان قيل)

ن أى وجهه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ حتى استعملوه وعلموا
 لقبج منها حتى نفوه ولم يستعملوه (قات في الجواب) ان هذا من الامور المحسوسة
 لقي شاهد هان نفسها لان الالفاظ داخله في ميز الاصوات فالذي يستلذه
 لسمع منها ويعيل اليه هو الحسن والذي يكرهه ويتفر عنه هو القبيح الاترى أن
 لسمع يستلذ صوت البلبل من الطير وصوت الشعرور ويعيل اليهما ويكره صوت
 لغراب ويتفر عنه وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجذب ذلك في صهيل الفرس
 والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لاخلاف في أن لفظة المزنة والديعة حسنة يستلذها
 لسمع وأن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع وهذه اللفظتات الثلاثة من صفة
 المطروهي تدل على معنى واحد ومع هذا فانك ترى لفظي المزنة والديعة وما جرى
 مجراهما لوفرة الاستعمال وترى لفظ البعاق وما جرى مجراهما متروكا لا يستعمل
 وان استعمل فانما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من ذوقه غير ذوق سليم
 لا يجرم أنه ذم وقدح فيه ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضاً من الجاهلية
 الاقدمين فان حقيقة الشيء اذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على
 ما خرج عنها واذن ثبت أن الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين وانما كان ظاهرا
 بينا لانه مألوف الاستعمال وانما كان مألوف الاستعمال لما كان حسنه وحسنه
 مدرك بالسمع والذي يدرك بالسمع انما هو الالفاظ لانه صوت يأتلف عن مخارج
 الحروف فبالاستلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو
 الموصوف بالفصاحة والقبيح غير موصوف بفصاحة لانه ضدها لما كان قبيحه
 وقد مثلت ذلك في المثال المتقدم بلفظة المزنة والديعة وانظرة البعاق ولو كانت
 الفصاحة لا يرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ايسر
 منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص الانظادون المعنى وليس
 لقائل ههنا أن يقول لا لفظ الابعنى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى قائل لم
 أفصل بينهما وانما خصصت اللفظ بصفة هي له والماء في يجي فيه ضمنا وتبعاً (الوجه
 الثاني) ان وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل يقع القاء وضم العين فهو كرم فهو
 كريم وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا ما طرد في بابيه وعلى هـ اذا فان
 اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل للابانة من
 المعنى فكانت الفصاحة مختصة به (فان قيل) انك قلت ان الفصيح من الالفاظ

هو الظاهر البين أى المفهوم ونرى من آيات القرآن ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى
 الا باستنباط وتفسير وتلك الآيات فصيحة لا محالة وهـذا بخلاف ما ذكرته (قلت)
 لان الآيات التى تستنبط وتحتاج الى تفسير ليس شئ منها الا ومفردات ألفاظه
 كلها ظاهرة واضحة وانما التفسير يقع فى غرض المعنى من جهة التركيب لامن
 جهة ألفاظه المفردة لان معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة تخصه
 وهذا ليس قدحاً فى فصاحة تلك الالفاظ لانها اذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت كلها
 فصيحة أى ظاهرة واضحة وأجيب ما فى ذلك أن تكون الالفاظ المفردة التى
 تركيب منها المركبة واضحة كلها واذا نظر اليها مع التركيب احتاجت الى استنباط
 وتفسير وهذا لا يختص به القرآن وحده بل فى الاخبار النبوية والاشعار والخطب
 والمكاتبات كثير من ذلك (وسأورد ههنا منه شيئاً أقول) قد ورد عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضماكم يوم
 تفصون وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه لان الصوم والنظر والاضحى
 مفهومة كله واذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قيل علماء أن صومنا يوم نصوم وفطرننا
 يوم نفطرو واضمانا يوم نضحي فما الذى أعلم به مما لم نعلم واذا أمعن الناظر نظره فيه
 علم أن معناه يحتاج الى استنباط والمراد به أنه اذا اجتمع الناس على أن أول شهر
 رمضان يوم كذا ولم يكن ذلك اليوم أوله فان الصوم صحيح وأوله هو ذلك اليوم
 الذى اجتمع الناس عليه وكذا يقال فى يوم الفطر ويوم الاضحى وهـذا الخبر
 المشار اليه أشباه كثيرة تفهم معانى ألفاظها المفردة واذا تركت تحتها
 فى فهمها الى استنباط (وأما) ما ورد من ذلك شعراً فقول أبي تمام

ولهت فأظلم كل شئ دونها * وأضاء منها كل شئ مظلم

فان الوله والظلمة والاضاءة كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بجملة يحتاج
 فى فهمه الى استنباط والمراد به أنه اولهت فأظلم ما بينى وبينها الما نالنى من الجزع
 لو اهما كما يقول الجازع أظلمت الارض على أى انى صرت كالاعشى الذى
 لا يبصر وأما قوله وأضاء منها كل شئ مظلم أى وضع لى منها ما كان مستترا عنى
 من جهات الأيى وكذلك ورد قول أبي عبادة الجعترى فى منزه

اذا سار بهباً عا ظهراً عدوه * وكان الصديق بكرة ذلك السهب

فان السير والسهب والظهور والعدو والصديق كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت

بحجوه وعه يحتاج معناها الى استنباط والمراد أن هذا المنزوم يرى ما بين يديه
 محبوا اليه وما خلفه من كروها عنده لانه يطلب النجاء فيؤثر البعد عما خلفه
 والقرب مما أمامه فاذا قطع سهبا وخلفه وراءه صار عنده كالعقد وقيل أن يقطعه
 كان له صديقا أي يطلب اقصاه ويحب الدوام منه فانظر رأي المتأتمل الى ما ذكرته
 من هذه الامثلة حتى يثبت عندك ما أردت بيانه (وأما البلاغة) فان أصلها في
 وضع اللفظة من الوصول والانتهاه يقال بلغت المكان اذا التهمت اليه ومبلغ الشيء
 منتهاه وسمى الكلام بليغا من ذلك أي أنه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية
 والبلاغة شاملة لذلك المعاني وهي أخص من الفصاحة كالإنسان من
 الحيوان فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنسانا وكذلك يقال كل
 كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغا ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه
 آخر غير الخاس والعام وهو أنها لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب
 فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة
 اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا
 يوجد فيها الخلوها من المعنى المقيد الذي يتقطع كلاما (مسئلة تتعلق بهذا الفصل)
 هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب
 أم بالنظر وقضية العقل (الجواب) عن ذلك أنا نقول لم يؤخذ علم البيان
 بالاستقراء فان العرب الذين ألفوا الشعر والخطب لا يخلو أمرهم من حالين أما
 أنهم ابتدعوا ما أتوا به من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل أو
 أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فان كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على
 أسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديتها وحينها من قبيلها فكذلك هو الذي
 أذهب اليه وان كانوا أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فهذا يتسلسل الى أول
 من ابتدعه ولم يستقره فان كل لغة من اللغات لا تخلو من وصفي الفصاحة
 والبلاغة المختصين بالانفاظ والمعاني الا أن اللغة العربية منية على غيرها لما فيها
 من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها (مسئلة أخرى تتعلق بهذا
 الفصل أيضا) هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو أم لا
 (الجواب) عن ذلك أنا نقول الفرق بينهما ظاهر وذلك أن أقسام النحو أخذت
 من واضعها بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لم يزل ذلك وما كان

العقل يأباه ولا يشكره فانه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا قلدي ذلك كما قلدي رفع الفاعل ونصب المفعول وأما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك لانه استنبطت بالنظر وقضية العقل من غير واضح اللغة ولم يقتصر فيه الى التوقيف منه بل أخذت ألفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بجزية من الحسن لا يشاركها فيها غيرها فان كل عارف بأسرار الكلام من أى لغة كانت من اللغات يعلم أن اخراج المعاني فى الفاظ حسنة راتقة يلذها السمع ولا يذو عنها الطبع خير من اخراجها فى ألفاظ قبيحة مستكرهة يذو عنها السمع ولو أراد واضح اللغة خلاف ذلك لما قلدها (فان قيل) لو أخذت أقسام النحويات تقليد من واضعها لما أقيمت الأدلة عليها وعلم بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا (فالجواب) عن ذلك أنما نقول هذه الأدلة واهية لا تثبت على محك الجدل فان هؤلاء الذين تصدوا لاقامتها معروا عن واضح اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل ابداء لهم فاستخرجوا ذلك أدلة وعلا ولا يفتن أين علم هؤلاء أن الحكمة التي دعت الواضع الى رفع الفاعل ونصب المفعول هي التي ذكرها

(الفصل التاسع فى أركان الكتابة) اعلم أن لكتابة شرائط وأركان (أما) شرائطها فكثيرة وهذا التأليف موضوع لمجموعها وللقسم الآخر من الكلام المنظوم وایس يلزم الكاتب أن يأتي بالجميع فى كتاب واحد بل يأتي بكل نوع من أنواعها فى موضعه الذى يليق به كما أرىناه فيما يأتي من هذا التأليف (وأما) الأركان التي لا بد من ابداءها فى ~~كل~~ كتاب بلاغى ذى شأن فخمسة (الأول) أن يكون مطلع الكتاب عليه حدة ورشاقة فان الكاتب من أجاد المطلع والمقطع أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب ولهذا باب يسمى باب المبادئ والافتتاحات فليحذ حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الثانى) أن يكون الدعاء المودع فى صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذى بنى عليه الكتاب وقد نبهنا على طرف من ذلك فى باب يحمه أيضا فليطلب من هناك وهو مما يدل على حذاقة الكاتب وفتانته وكثيرا ما تجده فى ~~م~~ كتاباتى التي أنشأتها فاني قصدته فيها وتوخيته بخلاف غيرى من الكتاب لانه ربما يوجد فى كتابة غيرى قليلا وتجدده فى كتابتى كثيرا (الركن الثالث) أن يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى

برابطة لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة ولذلك باب مفرد أيضا يسمى باب التخليص والاقضاب وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكتاب والشاعر (الركن الرابع) أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلوقة بكثرة الاستعمال ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظ غريبة فان ذلك عيب فاحس بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غير بايظن السامع أنها غير مألوفة أي يدى الناس وهي مألوفة للناس وهناك معتك الفصاحة التي تظهر في بعض الخواطر براءتها والاقلام شجاعتها كما قال الجعزي

باللفظ يقرب فهمه في بعده • هنا ويعد نيسله في قربه

وهذا الموضوع بعيد المنال كثير الاشكال يحتاج الى لطف ذوق وشهامة خاطر وهو شبيه بالشيء الذي يقال انه لا داخل العالم ولا خارج العالم فلفظه هو الذي يستعمل وليس بالذي يستعمل أي أن مفردات ألفاظه هي المستعملة المألوفة ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب واذا سموت أي الكتاب الى هذه الدرجة واستطعت طم هذا الكلام المشار اليه علمت حينئذ أنه كالروح الساكنة في بدنك التي قال الله فيها قل الروح من أمر ربي وليس كل خاطر يراق الى هذه الدرجة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومع هذا فلا تظن أيها الناظر في كتابي أنني أردت بهذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ولا يكون فهمه من المعنى ما عياله ويساويه فانه اذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسنها الا أن صاحبها بليد أبله والمراد أن تكون هذه الألفاظ المشار اليها جسم المعنى شريف على أن تحصليل المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت اليه أيسر من تحصليل الألفاظ المشار اليها (ويحكي) عن المبرد رحمه الله تعالى أنه قال ليس أحد في زمانى الا وهو يسألنى عن مشكل من معانى القرآن أو مشكل من معانى الحديث النبوى أو غير ذلك من مشكلات علم العربية فأنا امام الناس في زمانى هذا واذا عرضت لى حاجة الى بعض اخوانى وأردت أن أكتب اليه شيئا فى أمرها أجهم عن ذلك لاني أرتب المعنى فى نفسى ثم أحاول ان أصوغه بألفاظ مرضية فلا أستطيع ذلك ولا قد صدق فى قوله هذا وأتصف غاية الانصاف ولقد رأيت كثيرا من الجهال الذين هم من السوقه أرباب الحرف والصنائع ومأمونهم الامن يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره

المعنى الدقيق والمكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظين فالعبارة عن المعاني
 هي التي تخاب بها العقول وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني
 فإنه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علما من العلوم أن يكون ذكيا بالفطرة واستخراج
 المعاني انما هو بالذكاء لا بتعلم العلم وبلغنى أن قوم مايقصداد من رعاغ العامة
 يطوفون بالليل في شهر رمضان على الحارات وينادون بالصهور ويخرجون ذلك
 في كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من بجمار الشعر المنقولة عن العرب
 وسعت شيأ منه فوجدت فيه معاني حسنة مليحة ومعاني غريبة وان لم تكن
 الالفاظ التي صيغت به صيغة وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكتاب والشاعر
 (الركن الخامس) أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم
 والاخبار النبوية فانها معدن الفصاحة والبلاغة ويرا ذلك على الوجه الذي
 أشرت اليه في الفصل الذي يلي هذا الفصل من حل معاني القرآن الكريم
 والاخبار النبوية أحسن من ايراده على وجه التضمن وتوخى ذلك في كل كتاب
 عسرتا وأنا انفردت بذلك دون غيري من الكتاب فاني استعملته في كل
 كتاب حتى انه ليأتى في الكتاب الواحد في عدة مواضع منه ولقد أنشأت تقليدا
 ببعض الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة ثم انى اعتبر ماورد فيه من معاني
 الآيات والاخبار النبوية فكان مايزيد على الخمسين وهذا الأتكلفة تكلفا وانما
 يأتي على حسب ما يقتضيه الموضع الذي يذكر فيه وقد عرفتك أيها الكتاب كيف
 نستعمل ما نستعمله من ذلك في الفصل الذي يأتي بعد هذا الفصل نخذه من هناك
 وهذا الركن يختص بالكتاب دون الشاعر لان الشاعر لا يلزمه ذلك اذا شعر
 اكثره مدائح وأيضا فإنه لا يتمكن من صوغ معاني القرآن والاخبار في المنطوق
 كما يتمكن منه في المنثور ولما ~~ممكن~~ ذلك في الشئ اليسير في بعض الاحيان
 (واذا) استكملت معرفة هذه الاركان الخمسة وأتيت بها في كل كتاب بلاننى ذى
 شأن فقد استصتقت حينئذ فضيلة التقدم ووجب لك أن تسمى نفسك كاتباً
 (الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة) هذا الفصل هو كذا الكتابة ومتبوعها
 بما رأيت أحدا تكلم فيه بشئ والساحبت الى هذه الفضيلة وبلغنى الله منها
 ما بلغنى وجدت الطريق يتقسم فيها الى ثلاث شعب (الاولى) أن يتصفح
 لكتاب كتابة المتقدمين ويطلع على أوضاعهم في استعمال الالفاظ والمعاني

ثم يحدوحدوهم وهذه أدنى الطبقات عندي (الثانية) أن يعزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة إما في تحسين ألفاظ أو في تحسين معاني وهذه هي الطبقة الوسطى وهي أعلى من التي قبلها (الثالثة) أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شيء منها بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء من غلب على شعره الإجابة في المعاني والألفاظ ثم يأخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة أعنى القرآن والأخبار النبوية والأشعار فيقوم ويوقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدي حتى يستقيم على طريقة يفتحصها لنفسه وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعتاد ما ما في فن الكتابة كما يعتاد الشافعي وأبو حنيفة ومالك رضي الله تعالى عنهم وغيرهم من الأئمة المجتهدين في علم الفقه إلا أنهم استوعروا جرداً ولا يستطيعونها إلا من رزقه الله تعالى لساناً هجاساً وخطاراً قاسماً وقد سهلت لك معالمها ودلت بحاجتها وكنت أشح بانظها رذل ذلك لما عاينت من نيلها من العناء فاني سلكت إليه كل طريق حتى بلغت آخراً وانما تكون نفاسة الأشياء اعزتها حصواها ومشقة وصوالها

ليس حلوا وجودك الشيء تبغيه * طالباً حتى يعز طلابه

واقدمارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها وأظفرتني بكنوز جواهرها إذا نظف غيري بأبحارها فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الآيات الشعرية وقد قصرت هذا الفصل على ذكر وجوهها وتقسيمها وتهديد الطريق إلى تعلمها فمن وقف على ما ذكرته علم أني لم أت شيئاً فرياً وإن الله قد جعل تحت خواطري من نبات الافكار سريراً وهذه الطريق يجعلها كثير من متعاطي هذه الصناعة والذي يعلمها منهم يرضى بالحواشي والأطراف ويقنع من لاكتها بعرفة ما في الاصداف ولو استخرج منها ما استخرجت واستخرج ما استخرجت إلهام بها في كل واد وتزود إلى سلوك طريقها كل زاد

لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا اعززة ركعاً وعبوداً

ولا أريد بهذه الطريق أن يكون الكاتب مرتبطاً في كتابته بما يستخرج من القرآن الكريم والأخبار النبوية والشعر بحيث أنه لا ينشئ كتاباً إلا من ذلك بل

أريد أنه إذا حفظ القرآن الكريم وأكثر من حفظ الاخبار النبوية والاشعار ثم
نقب عن ذلك تنقيب مطاع على معانيه مقتس عن دقائقه وقلبه نظرا البطن عرف
حيثئذ من أين توكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ
على الغريزة الطبيعية ألا ترى أن صاحب الاجتهاد من الفقهاء يفتقر الى معرفة
آيات الاحكام واخبار الاحكام والى معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة
والى معرفة علم العربية والى معرفة الفرائض والحساب من المعلوم والمجهول من
أجل مسائل الدور والوصايا وغيرها والى معرفة اجماع الصحابة فهذه أدوات
الاجتهاد فاذا عرفها استخراج بفكرته حيثئذ ما يؤذيه اليه اجتهاده كما فعل أبو
حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من أئمة الاجتهاد وكذلك يجري الحكم في
الكتاب إذا أحب الترقى الى درجة الاجتهاد في الكتابة فانه يحتاج الى أشياء
كثيرة قد ذكرتها في صدر كتابي هذا الآن رأسها وودها وذروة سنانها ثلاثة
أشياء هي حفظ القرآن الكريم والاكتنا من حفظ الاخبار النبوية والاشعار
وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع فأقول ما أبدأ به على عقب ذلك أن أقول
حل الايات الشعرية ينقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) منها وهو أذناها مرتبة
أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة وهو ذاعيب فاحسن
ومثاله كن أخذت قد اقد اتقن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاهم وبتده وكان يقوم
عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله أو أحسن منه
وأضافه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهورا لسرقة قيمه قال هذا شعر
فلان بعينه ~~الكون~~ الفاظه باقية لم يتغير معناها وقد سلك هذا المسلك بعض
العراقيين فجاء مستهجننا لاستهنا كقوله في بعض آيات الحامسة

والتذى حنق على كائنا • تغلى عداوة صدره في مرجل

أرجيته عني فأبصر قعدة • وكويته فوق الناظر من حل

(فقال) في نثر هذين البيتين فكلم لى التذى حنق كأنه ينظر الى الكواكب
من حل وتغلى عداوة صدره في مرجل فكواه فوق ناظره وأكبه لقمه
ويديه فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير ومن
هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيا
لا يمكن تغيير لفظه فيتم ذيعذر ناثره اذا أتى بذلك اللفظ ومثاله قول الشاعر في

أول الحماسة

لو كنت من مازن لم تستج ابلي • بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان
 (وقد) نثرت ذلك فقلت است عن تسيح ابلي بنو اللقيطة ولا الذي اذاهم بأمر
 كانت الآمال اليه وسطة وليكني أحمل الهمل وأقرب الأمل وأقول سبق
 السيف العذل فذكر بنى اللقيطة ههنا لا يتمنه على حسب ما ذكره الشاعر
 وكذلك الامثال السائرة فانه لا يتم من ذكرها على ما جاءت في الشعر (وأما
 القسم الثاني) وهو وسط بين الاول والثالث في المرتبة وهو أن يترا المعنى المنظوم
 ببعض ألفاظه ويعزم عن البعض بالفاظ آخر وهناك تظهر الصنعة في المماثلة
 والمشابهة ومواخاة الفاظ الباقية بالفاظ المرجلة فانه اذا أخذنا الشاعر
 مجيد قد نقصه وصحبه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين اولوة وصاة ولا خفاء بما
 في ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف لاطعن والطريق المسلول الى هذا
 القسم أن تأخذ بعض بيت من الايات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تعاقبه
 وسأورد ههنا مثالا واحدا ليكون قدوة لامة تعلم (فأقول) قد ورد هذا البيت من
 شعر أبي تمام في وصف قصيدته

وحداة تلاء كل أذن حكمة • وبلاغة وتدر كل ورید

فقوله تلاء كل أذن حكمة من الكلام الحسن وهو أحسن ما في البيت فاذا
 أردت أن تنثر هذا المعنى فلا يتم استعمال لفظه بعينه لانه في الغاية
 التصوي من الساحة والبلاغة فعليك حينئذ أن توأخيه بمثله وهذا عسر جدا
 وهو عندي أصعب مثالا من نثر الشعر بغير لفظه لانه ملك مضيق لما فيه من
 التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك
 يصرف فيه نائره على حسب ما يراه ولا يصحكون مقيدافيه بمثال يضطر الى
 مواخاته وقد نثرت هذه الكلمات المشار اليها وأتيت بها في جملة كتاب فقلت
 وكلامي قد عرف بين الناس واشتهر وفاق مسير الشمس والقمر واذا عرف
 الكلام صارت المعرفة له علامة وأمن من سرقة اذ لو سرق لدلت عليه
 الوسامة ومن خصائص صفاته أن يلاء كل أذن حكمة ويجعل فصاحة كل
 لسان محجمة واذا جرت نقضاته في الافهام قالت أهذه بنت ففكرة أم بنت كرمه
 فانظر كيف فعلت في هذا الموضع فاني لما أخذت تلك الكلمات من البيت

الشعري التزمت بأن أو أخيهما بما هو مثلها أو أحسن منها جثت به هذا الفصل
 كما تراه وكذلك ينبغي أن يفعل فيما هذا سيده (وأما القسم الثالث) وهو أعلى من
 القسمين الاولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه ويتم يتبين
 حذق الصانع في صياغته ويعلم مقدار تصرفه في صناعته فان استطاع الزيادة
 على المعنى فتللك الدرجة العالية والأحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون
 أولى بذلك المعنى من صاحبه الاوّل (واعلم) أن من آيات الشعر ما يتسع المجال
 لثلاثة فيورده بضروب من العبارات وذلك عندي شبيه بالمسائل السبالية في
 الحساب التي يجاب عنها بعدة من الاجوبة ومن الابيات ما يضيّق فيه المجال
 حتى يكاد الماهر في هذه الصنعة ان لا يخرج عن ذلك اللفظ وانما يكون هذا
 لعدم انتظيره فأما ما يتسع المجال في ثمره فذكر قول أبي الطيب المتنبي
 لاتعزل المشتاق في اشواقه * حتى يكون حشاك في أحشائه

وقد نثرت هذا المعنى فن ذلك قولى لاتعزل المحب فيما يرام حتى تطوى القلب
 على ما طواه ومن ذلك وجه آخر وهو اذا اختلفت العينان في النظر فالعذل
 ضرب من الهذر ومن هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي أيضا
 ان القليل مضر جابده وعه * مثل القليل مضر جابده مائه
 أخذت هذا المعنى فثمرته فن ذلك قولى القليل بسيف العميون كالقتيل
 بسيف المنون غير أن ذلك لا يجرد من غمده ولا يقاد صاحبه به مده فزدت على
 المعنى الذي تضمنه البيت وغيرت اللفظ ومن ذلك وجه آخر وهو دمع المحب
 ودم القليل متفقان في التشبيه والتثليل ولا تجدي بينهما ابونا الا أنهم يختلفان
 لونا وهذا أحسن من الاوّل * وأما ما يضيّق فيه المجال فيه سر على الناثر
 تبديل ألفاظه فذكر قول أبي تمام

تردى ثياب الموت حرافأتى * لها الليل الاوهى من سندس خضر

وقول أبي الطيب المتنبي

وكان بها مثل الجنون فأصحت * ومن جثت القتلى عليها قائم

وأما هذا الاتى الا قليلا وسببه أن المعنى ينحصر في مقصد من المقاصد حتى
 لا يكاد يأتى الا قدا كهذين البيتين ألا ترى أن أبا تمام قصد المواخاة في ذكر لوني
 الثياب من الاحمر والاخضر وجاء ذلك واقعا على المعنى الذي أراد من لون ثياب

القتلى وثياب الجنة فاذا فك نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير انطه لا يمكن ذلك
 وبيت أبي الطيب جار هذا المجرى فانه بناء على واقعة من الوقائع وذلك أن حصنا
 من حصون سيف الدولة قصدته الروم وانتزعوه وأخربوه فهدم سيف الدولة اليه
 واسترجعه وبعثه ببناءه وهزم الروم ونصب من جثث القتلى على السور فنظم
 المتنبي في هذا قصيدته الأولى * على قدر أهل العزم تأتي العزائم * فلما انتهى الى ذكر
 الحصن جاء به هذا البيت في جملة أبيات فشرح صورة الحال في ازعاج الحصن
 باقتبال وتعليق القتلى عليه وأبرز ذلك في معنى التمثيل بالجنون والتمائم وهذا
 لا يمكن تبديل لفظه وهو وأمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة في ذلك
 نظامه لانه يصدى لثمره بالفاظه فان كان عنده قوة تصرف وبسطة عبارة فانه
 يأتي به حسنا وراقا وقد نثرت هذين البيتين أما بيت أبي تمام فاني قلت في ثمره لم
 تكسه المنيا نسيج شفاها حتى كسسته الجنة نسيج شفاها فبديل أحرثوبه
 بأخضره وكأس جامه بكأس كثره وهذا من الحسن على غاية يكون كمد
 حسودها من جملة شهودها وأما بيت أبي الطيب المتنبي فاني قلت في ثمره سرى
 الى حصن كذا مستعمدا منه سبية نزعها العذوق اختلاسا وأخذها مخادعا
 لا افتراسا فانزلها حتى استقادها ولا نزلها حتى استعادها وكانما كان بها
 جنون فبعث اهلها من عزائمهم عزائم وعلق عليها من رؤس القتلى تمائم وفي هذا
 من الحسن ما لا يخفى به فمن شاء أن ينثر شعره فليثر هكذا والاقليترك وقد جئت
 بهذا المعنى على وجه آخر وأبرزته في صورة أخرى وذلك اني أضفت الى هذا البيت
 البيت الذي قبله وهو

بناها فأعلى والقنات قرع القننا * وموج المنيا حواها متلاطم
 ولما نثرت هذين البيتين قلت في ثمرهما ما أذكره وهو بناها والاسنة في بنائها
 متخاصمة وأمواج المنيا فوق أيدي البانين متلاطمة وما أملت الحرب منها
 حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد وأصيبت بمثل الجنون فعلق عليها تمائم من
 الرؤس والاجساد ولا شك أن الحرب تغرد عن عز جانبيه وتقول الا هكذا
 فليكتب المجد كاسبه وهذا أحسن من الاقول وأتم معنى * وقد تصرفت في هذا
 الموضوع بزيادة في معناه ونثرته على أسلوب أحسن من هذا الأسلوب فقلت بناها
 ودون ذلك البناء شوك الاسل وطوقان المنيا الذي لا يقال ساوى منه الى جبل

ولم يكن بناؤها الا بعد ان هدمت رؤس عن اعناق وكانما أصيبت بجهنون فعلمت
القتلى عليها كان التمام أو ثبتت بعطل فعلمت مكان الاطواق وهذا الفصل
فيه زيادة على الفصل الذي قبله * واذا انتهى بنا الكلام الى ههنا في التنبيه على
نثر الشعر وكيفية نثره وذكر ما يسهل منه وما يعسر فانتبه ذلك بقول كل في هذا
الباب فنقول من أ- ب أن يكون ~~ك~~ كما تبيأ أو كان عنده طبع مجيب فعليه
بمفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ثم يأخذ في نثر الشعر من
محفوظاته وطريقه أن يتدبى فأخذ قصيداً من القصائد في نثره بيتاً بيتاً على
التوالي ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فإنه
لا يستطیع الا ذلك واذا مرت نفسه وتدرّب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة
وصارياً أخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضرباً
من العبارات المختلفة وحينئذ يحصل لخطره بمباشرة المعاني لقاح فيستخرج منها
معاني غير تلك المعاني وسبيله أن يكتب كثيراً ليلاً ونهاراً ولا يزال على ذلك مدة
طويلة حتى يديره ملكة فاذا كتب كتاباً أو خطب خطبة تدفقت المعاني في أثناء
كلامه وجاءت ألفاظه معسولة لا معسولة وكان عليها حدة حتى تسكاد ترقص
رقصاً وهو ذاتي خبرته بالتجربة ولا يثبتك مثل خبير (فان قيل) الكلام قسمان
منظوم ومنثور فلم حضضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمنثور وهلا كان
الامر بالعكس (قلت) في الجواب ان الاشعاراً كثر والمعاني فيها أغزر وسبب
ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة كل جمل كلامهم شعرو ولا تنجز الكلام
المنثور في كلامهم الا يسيراً ولو كثر فإنه لم ينقل عنهم بل المنقول عنهم هو الشعر
فأودعوا أشعارهم كل المعاني كما قال الله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ثم جاء
الطراز الاقل من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ثم استمرت الحال على ذلك فكان
الشعر هو الاكثر والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر وهذا صارت المعاني
كأها مودعة في الاشعار وحيث كانت بهذه الصورة فكانت على حفظها
واستعمال معانيها في الخطب والمكاتبات لهذا السبب وقد نثرت في هذا الموضوع
أبياتاً تكون قدوة لآئمتهم لم * فن ذلك قولي في فصل من فصول الكلام يتضمن
ذكر السيادة وهو الشريف من شرف بنفسه لا بما دفن مع أبيه في ربه
فان تلك مكارم أنت قبحه ل الزمان بما أتاهما ثم مات أرباباً فدفنت مع موتاهما

ولو ساد الناس بآبائهم لكانت السيادة للطينة الاولى واقد خلق الابناء من
 الآباء مجبولا وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر
 وما الفخر بالعظم الرميم وانما * نغار الذي يبغى الفخار بنفسه
 غير أن الفصل الذي ذكرته يتضمن من المعنى زيادة على ما تضمنه هذا البيت (ومن
 ذلك) ما كتبه في فصل من كتاب يتضمن معاتبة أخ لآخوته وتنص له اليهم فقلت
 برحوا قلبي ورحمهم يذهب بألم الجراحة وطرفوا عيني وهم يزيدون في نظرها
 ملاحاة واذا صدرت الاساءة عن الاحباب لم يكن وقرها وقرأ وأصبحت
 وهي منسوبة اذا تجددت الاساءة بالذكورى وما منهم الامن سيطدى بدمه
 ولحى بدمه ولولا أن الاسماء معارف الاشخاص لكان اسى واردا على اسم
 وكيف أحسن عليهم وقد جاني الله اهم على اللين أم كيف اذود النفس عنهم
 وهي مشقة منهم وآدم بين الماء والطين ومتى أو مل من شجرى أغصانا كهذه
 الاغصان وقد أصيبت برئوسها بالجداد ولهذا قيل ان الآخوة يتعذر
 الاعتياض عنهم ولا يتعذر الاعتياض عن الاولاد آخر هذا الفصل مأخوذ
 من شعر ابن الرومى وهو قوله

تعزيت عن أمة ترك حياته * ووشك التعزى عن غمارك أجدر
 تغدر أن نعتاض عن أمهاتنا * وأبنائنا والنسل لا يتعذر

غير أن ابن الرومى ذكر ذلك في تعزية انسان بابنه فتصرفت أنا في هذا المعنى ونقلته
 الى هذا النصل في تضمنه معاتبة أخ لآخوته (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من
 كتاب يتضمن ذم المشيب فقلت والعيش كل العيش فى سن الحدائة وما يأتى
 بعدها فلا يدعى الابن الغنائة وليس بعد الاربعين من مصيف للذة ولا مريع
 وهى نهاية القوة الصالحة من الطبائع الاربع فاذا تجاوزها المرء أشفت غمار عمره
 على حرصها وصارت زيادته كزيادة التصغير التى هى زيادة تدل على نقصها
 واصبح بعد ذلك يدعى أبابعدان كان يدعى ابنا وتقمص ثوبان المشيب لا يجزئونه
 خيلا ولا يزهى به حسنا وان قيل ان أحسن الثياب شعارا البياض قيل الا هذا
 الثوب فانه مستثنى ويكفيه من القضاة أن ينظر الاحباب اليه نظر القتال
 ولولا أن الخلود بعده لما استعير له لفظة الاشتعال ومن الناس من يدلس لونه
 بصبغة الخضاب وليس ذلك الاحداد على فقد الشباب وهو فى فعله هذا

كاذب ولا يخفى أنس الصادق من وحشة الكذاب وخداع النفس ان تسأل عن
بئر المعطلة وقصر المشيد ويحسن لها الخروج في ثوب مرقع وهي تراه بعين
النوب الجديد وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله

رأيت خضاب المره بعد مشيبه * حداد اعنى شرح الشبيبة يابس

غير أن في هذا الفصل معاني كثيرة لطيفة لا توجد في كلام آخر (ومن ذلك) قولى
في وصف الجود والسخاء وهذا الفصل يشتمل على معان متعددة فمنها قولى في
الاعطاء وهو شافهتى أسباب الفنى برؤيته حتى كادت تنطق واخضرت أكان
منزلى بعطائه حتى كادت تورق ومن فضيلة بره أنه لا يأتي به على أعين الناس وإذا
غرسه عند انسان رب ذلك الغراس فلا يستكثر ما جادت به سبحانه يده ولا
يتمعه عطاء يومه عن عطاء غيره وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا * لم يهدموا البناهم أسسا

ومن هذا المعنى أيضا قولى وهو أخذ المكارم من سماتها وأرضها وقام بتغلها
في الناس وفرضها وتحلى ببعض أسماء الشهور حتى أصبح بعضها حاسدا لبعضها
فالمحترم للعائد بحرمه وصغر للطامع في سعادة قدمه وبيع لاندنواله ورجب
لاقوال عداله وهذا مأخوذ من قول القرزدي

يداليد يبيع الناس فيها * وفي الاخرى الشهور من المحرم

وقد قال الشعراء في ذلك كثيرا إلا أنى أما تصرفت في هذا المعنى تصرفا لم يتصرف
فيه أحد غيرى (ومن هذا المعنى) ما ذكرته في فصل من كتاب وهو واقف
سوى بين أعدائه في البغض وبين أمواله فهذه مغنية بوقع نصاله وهذه مغنية
بصنائع نواله ولو أحب المال لكان أحبه اليه ما يبذله كما أن أحب الناس اليه
من يساله ومن أحسن ما سئله من الكرم أنه جاد حتى بدل رغب المعارفين زهدا
ورأى الحد عوضا من الصدقة فأبى أن يعترض من صنائعه جدا وبعض هذا
المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس وهو

ليت أعدائى كانوا * لا بى انصق مالا

(ومن ذلك) قولى في وصف القتال وموطن الحرب ووصف الشجاعة والانتجاد
وما يتعلق بذلك ويجرى معه وهذا الفصل يشتمل على معان مختلفة (فمن ذلك)
ما ذكرته في وصف العسكر وهو فسرنا في غمامة من الكتاب تظللها غمامة

من الطيور الاشائب فهذه يعضها بحجر من حديد وهذه يعضها بقر من صعيد
 وما مرت يبد الازالا أرضه من سمائه وأبست نهاره ثوب ظلماته وبدت
 احاراه بعبيده وحراره بامائه وكذلك فعلت بمدينة فلانة وقد ضرب الامن عليها
 أسوارا وبعد عدها بالنواب فلم تدخلها ديارا فهي تخبر عن بلهنية الخفض
 ولم ترع عنه بالانتقال ولا رأت السيف وقد ألقى لونه في ذوات الاطفال فما
 شعر أهلها الا وقد رجها الجيثر بكاهله وربما يوابله قبل طله وطل السحاب
 قبل وابله وبرزت خيل القوم ولهazy فرسانها وهي مستبقة الى طرادها
 كاستباقها الى ميدانها وما منهم الامن تتأود القنائة من يده بين اهذمين وتستقل
 السرج منه ومن جواده بين مطهمين فجرت المغاوير الى المغاوير وتلاقت
 الرياح بالاعاصير وكان الطعن بينهم عناقا واللبث وقافا وسبق ألم الموت ألم
 الجراح ونفذت غير مختصة اسرعتها سنة الرماح وحصل القوم القبضة
 وذموا عقبى النهضة وجمى بالاسرى مقرنين في الاصفاد موقنين أن رؤسهم
 عوارى على تلك الاجساد ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لانكره
 ولا يؤدوه والمعظم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره وتصرفت أيدي المسلمين
 في القتل والنهاب وكان للسيف رقاب وللسي رقاب في هذا الفصل معان
 كثيرة مستحسنة ومنها ما أخذ من شعر المتنبى كقوله

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه
 وكقوله

واستعار الحديد لونا وألقى * لونه في ذوات الاطفال
 (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المسلوبين في فصل من جملة كتاب يتضمن البشرى
 بهزيمة الكفار وهو فلبوا واعاضت لهم الدماء عن اللباس فهم في صورة عار
 وزيمهم زى كاس وما أسرع ما خبط لهم لباسها المحمر غير أنه لم يجب عليهم
 ولم يرزوا وباليسوه حتى لبس الاسلام شعار النصر الباقي على الدهر وهو شعار
 نسجه السنان الخارق لا الصنع الحلاق ولم يغيب عن لابسها الاريمات
 البيض في الطلى والهيام وألف الطعن بين ألف الخط واللام وهذه معان
 حسنة راقية ومنها معنى واحد ما خوذ من شعر البحري وهو
 سلبوا وأشرقت الدماء عليهم * محمزة فسكانهم لم يسلبوا

(ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن قبحا وهو أصدر هذا الكتاب
والفتح غرض طرى لم تتصل حمرة يومه ولا أنعمت سيوف قومه فسطوره
مترية بنار بجاجة مملئة بخطط ضربه واجحام زجاجه وهذا المعنى يتظر الى
قول أبي تمام

كبت أوجههم مشقا ونعمة * ضربا وطعنا يقات الهام والصلفا
كتابة ماتني مقروءة أبدا * وما خطت به الأما ولا ألدا

الأن ابتمام مثل آثار الضرب والطعن في الوجود بالكتابة وأنا مثلت الكتابة
واجحامه بالضرب والطعن فكأنني عكست المعنى الذي ذكره أبو تمام وهذا مقصد
في حل الايات الشعرية حسن فان استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراج
من نفسه وقد نبت على ذلك في مواضع اخر من هذا الباب (ومن ذلك) ما ذكرته
في فصل من كتاب يتضمن قبحا من فتوح الكفار وهو وأقبلت احزاب الكفر
وهي معتصمة بصليبيها ورفعته على أعواد عالية كهيئة خطيبيها ولم تعلم أن الله
كتب عليه الهوان بعد تلك الكرامة وأنه ذو شعب أربع والتربيع فحس
في حكم النجامة وكيف تريبو بكفرها ظهروا ولها منه معنى الاختفاء وللإسلام
معنى السلامة ولما اتى الجمعان اصطفقت عين وشمال وزحفت جبال الى
جبال وكثرت النجوم على المناسيا حتى كادت لا تبق بالآجال وأقدمت الخيل
اقدام فرسانها وأظلم النقع فلم تبصر الا بالآذانها ونالت النور نارها من
كعوب الرماح واشتكت الاسنة فلا طريق بين المهب الرياح واستوصلت
شجرة الكافرين بالقطع لا بالجداد وحال حد السيف دون حديد الاصفاد
ونقلوا الى جهنم يصلونها بئس المهاد وانتاب المسلمون وقدموا الاغصان نصرا
والصنائف أجرا والايدي وقرا والقلوب جذلا والاسنة شكرا وكان ذلك
اليوم في الايام علما وفي الاقسام قسما ولم يره الزمان منسوبا اليه الا راجع شيئا
بعد أن نماه زهرما في هذا الفصل شئ من معاني الشعر وذلك من قول أبي الطيب

المتنبى

اتاهم بأوسع من أرضهم * طوال السبيب قصار العيب
تغيب الشواحق في جيشه * وتبدوا صفارا اذا لم تغيب
ولا تعب الرياح في جـوءه * اذا لم تخط القنا أو تذب

(ومن قوله أيضا)

في جفلسر العيون غباره * فكأنما يصرن بالآذان
(ومن ذلك) ما ذكرته في الانجاء واجابة الصريح وهو اذا استصرخ أصرخ به زم
غذته صحبة الجيش عن لذة العيش فهو يستعذب حر الثغور على برد الثغور
ويلهو بالبيض الذكور عن بيض الخدور ولا طيب عنده الا ريح العجاج
ولا عناق الأطراف الزجاج ولا أربله في الرقاد الاعلى صهوات الجياد
فعاكر قلبه أمضى في الوغى من عسكر ونجدة بأسه تأبى لقاء الاقران في درع
أو مغفر وهذا المعاني مأخوذة من أبيات الحماسة ومن شعر مسلم بن الوليد
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المخبر دون المنظر وهو اذا سموت لامر فكن
واحدا في مكانك ولا ترض بـ كثرة الشركاء فيقال فلان من أقرانك ألم تر
الى الحرباء الذي هو دويبة حقيرة الشان ضعيفة الاركان فانه ارتفع في هواء
عن الارض وأنسها الى السماء وشمسها وقال لا أحب من تفسد الايام من
حسنه ولا من أحد بسمة خله ولا خدته والهيم ليست منوطة بجهارة المناظر
والتعويل على الخير المستتر في الاقتدة الباطنة لاعلى الظواهر ومن ههنا قيل
ان رضاء النفوس أنضر من رضاء الاجساد ورقم الشيم أحسن من رقم
الابراد وآخر هذا الفصل ينظر الى قول سهيم عبد بنى الجساس

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق

الا أن الفصل يتضمن معنى غريباً لم يسبقنى اليه أحد (ومن ذلك) ما ذكرته
في الحسد في فصل من كتاب وهو حاسد سيدنا ينظر الى زهرة دنياه ولا ينظر
الى استحقاقه وهو كالناظر الى الاطواق الموضوعه في الجيد ولا يدري
أن الجيد أحسن من أطواقه ولو قاس الدنيا بالاستحقاق لذهب الحسد
من صدره وقال مالى أحسد من لم ينته قدر دنياه الى معشار قدره (ومن ذلك)
ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن الاعذار عن تواتر المكاتبات وهو اذا اعتذر
من انقطاع الكتب اعتذرا الخادم من اتصالها ولو كانت واردة على غير ذلك
الباب الكريم لخاف من املاها وقد عد احتمال ثقلها من جملة الايادى
التي أثقلتته وأراد أن يجرى معها بسوابق شكره فأعجلته وما أمهاته وهو
الآن مرتين بين قديم وجديد وأصبح كخراس اذا تكاثرت عليه الطباة فلم يدر

لكثرتهم ما يصيد فان أمسك سيدنا من أياديه والافلية فضل على الشكر بالانظار
 وابعلم أن ذمة وقائه كذمة ديوان المال في الاعسار هذا فصل في هذا المعنى
 قلما يوتى بمثله وفيه معنى واحد من قول الشاعر

تكاثرت الطباء على خراش * فما يدري خراش ما يصيد

(ومن ذلك) ما ذكرته في استصلاح مودة فقلت كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها
 ما أجنبيه فصرت أخاف ما لم أجنه وكان لا يقبل عليّ شهادة عينه فأصبح الآن
 يقبل عليّ شهادة أذنه لكن لم يجعل الله القلوب بين اصبعين من أصابعه
 الا ليذهب بها كل واد ومن ههنا كانت تتقل من واد الى قلى ومن قلى الى واد
 ولا شك أن لها بين الحالتين عمر انتهى اليه كما انتهى أعمار الاجساد والصبوخير
 ما استعمل في جنات الاخوات والماء اذا جرى في مكان ثم انصرف عنه فلا بد
 أن يعود الى ذلك المكان وبهض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي
 عهدتك لا تعتد بالعين شاهدا * على فلم أصبحت تعتد بالاذن

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الملوكة على يد بعض العفاة وهو
 الشيم الكريمة للانسان بمنزلة الملك في سرر الفزان غير أن طيب هذه يعبق
 بالانوف وطيب هذه يعبق بالاذان وقد جعل تفاوت المزية بين هذين الطيبين
 فرقا فأحدهما يبقى دائما ولا يذهب والاخر يذهب ولا يبقى وتصيب مولانا
 من الطيب الباقي نصيب زكت معادنه وكثرت خرائنه وسارت في الارض
 محاسنه ورقعه الله به الى محل يبعثه شأوه على الطالب ولا يرى الا في اسان شاعر
 أو اسان خاطب وهو مما استثنى من خلق الناس الذي هو من طين لازب
 ومن أجل ذلك يرون أشباهها ماعداه ومامنهم الامن يقتر بفضلها ولو كان من
 حساده أو عداه وقد أصبحوا وهم يقولون لديه حين يكثرون ويقول كل منهم
 لصاحبه أفسر هذا أم أنتم لا تبصرون هذا الفصل وان تضمن شيئا من القرآن
 الكريم فليس المراد ههنا القرآن الكريم بل منه شيء مأخوذ من الشعر وهو
 قول المتنبي

الناس ما لم يروك أشباه * والدهر لفظ وأنت معناه

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الخرو وهو الخمر لا تقي لذة اسكارها بتنغيص
 خمارها فهي خرقاء البيان بذية اللسان وتأنيها يدلك أنهم امن ناقصات العقول

والاديان وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها ولولا ذلك لما استأثرت من
الرؤس بجنابة اقدامها. وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وأطغ لانه قال
ذكرت حقايدها القديمة إذ غدت * وهناتداس بأرجل العصار
لانتاهم حتى اتشوا فحكمت * فيهم فنادت فيهم بالشار
وكذلك قات في وصفها أيضا وهو مدامة تنقي خواطر الهموم وتسرى مسرى
الارواح في الجسوم وتشهد بأن الكرم - تقدم ماء الكروم وتمثل حبها
نجوما الا أنها مضلة والهداية للنجوم وبعض هذا مأخوذ من قول أبي نواس
إذا هي حلت في اللهاة من التي * دعي همة من صدره برحيل
وما زال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى صحح الكن الذي ذكرته بعد
هذا المعنى من محاسن المعاني في وصفها وكذلك ما ذكرته في وصفها وهو الخمر
كالعذراء في نفورها وملازمة خدورها واهذا تشتمز من نكاح المزاج
وتصحب لمس الماء صخب اليبكار اس الازواج ومن شأنها أن تلبس عند
الزفاف ا كايلا على راسها وكذلك شأن العرائس عند زفافها الى أعراسها
وهذه المماثلة بين الخمر وبين البكر على هذا النسق لم يأت بها أحد غيري وانما
وصفت بانها بكر كقول أبي نواس

فقلت لشيخ منهم متكلم * له دين قسيس وفي نطقه كفر
أعندك بكر مرة الطعم قرقف * صنيعه دهقان تراخى له العمر
فقال هروس كان كسرى ربيها * معتقة من دونها الباب والستر

(ووصفت) بالنكاح والزواج كقوله أيضا

وقهوة كالعقيق صافية * يطير من كآسها لها شرر
زوجتها الماء كى تذله * فامتعضت حين مسها الذكر

(ومن ذلك) ما ذكرته في الحزم وهو لا ينبغي للعازم أن يساور المورد المؤذن
بضيقه وان أفضى الصدر الى رحيبه فان فوقي الداء خير من التعرض له
مع وجود طبيبه ولندع قول من يقعد على تل السلامة ثم يلبس الكتاب
بالكتاب ويقول ليس للعزم الا تمام الصدور وليس له تمام العواقب بعض
هذا مأخوذ من شعر أبي تمام

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياها به

لأمر عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الرأى والكيد وهو أخفى على العدو كيدته حتى لم
يدع كائدا وأعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه حائدا فسبوقه تسطوع على بعدها
ولا تتطوع الاوهى في غمدها وبعض هذا المعنى أخذته من شعرا أبي تمام وهو
سكن الكيد فيهم ان من أعظم كيد أن لا يسمي أريبا

(وكذلك) قولى في هذا المعنى وهو أخذ يسمع العدو وبصره وسد مطلع ورده
وصدوره فيداه مغلوله مع أنها مطلقه السراح ومقاتله بادية على أنها شاكبة
لسلاح وهذا المعنى يتظر الى المعنى الذى قبله وكذلك قولى أيضا وهو
بيت برأيه العدو وقيل جيشه وتلقاه يطيش قلبه الذى كل الحلم فى طيشه فاذا
أطلت وجوه الآراء كان رأيه لها صبياحا واذا جهزت الخفافل للحرب كان قلبه اها
سلاحا وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الجحترى

وهو المرء ما غزا بلدا بالرأى الا كفاه غزوا الجنود

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف السير والركاب والليل والقفار وما يتعلق بها
(فمنه) ما يتعلق بالسير وهو ركب ظهر الليل يبارى سيره شبهه بسير أشبهه
ويستتقرب بعد المدى فى نيل مطلبه غير أن تلك تقرى أديم الغياهب وهذا
يقرى أديم السباب وهذا مأخوذ من قول المتنبي

يبارى نجوم القذف فى كل ليلة * بنجوم له منهن ورد وأدهم

(ومن هذا المعنى) أيضا قولى وهو اتخذ الليل ظهرا واستلان خشونة المسرى
فلم يزل يذف صبغة سواده بصبغة جواده حتى بدت فى أديم الليل شبكات
صباحه وشابه الأدهم فى غزته وأوضاحه فعند ذلك أخذ أحدهما فى رحيله
وأخذ الآخر فى نزوله وهذا المعنى يتظر الى الذى قبله وفيه من شرف الصنعة
ملاخفاه به (ومن ذلك) ما ذكرته أيضا فى فصل من كتاب وهو سرف وتحتى بنت
قفرة لا يذهب السرى بجماحها ولا تستزيد الحادى من مراحها فهى طموح
بائشاء الزمام واذا سارت بين الآكام قيل هذه واحدة من الآكام ولم تسم
جسرة الا لأنها تقطع عرض الفلاة كما يقطع الجسر عرض الماء ولا سميت حرقا
الا لأنها جاءت لمعنى فى العزائم للمعنى فى الأفعال والأسماء وخالفها جنيب من
الليل يقبل بجذع ويدبر بصره وينظر من عين لحظة ويسمع بأذن حشره

ويجري مع الريح الزعزع فيبذرهما وقد ظهر فيها أثر القتره وما قيد خلفها الا
وهو يهتدي بها في المسالك المضلة ويطأ على اثرها فيرقم وجوه البدور باشكال
الاهله هذا والليل قد ألقى جرائه فلم يبرح والكواكب قد ركبت فيه فلم تسبح
وانا أودلوزاد طوله ولم تظهر غرة أدهمه ولا جوله فقد قيل انه أدنى للبعد
وأكثره للامرار ودل عليه القول النبوي بأن الارض تطوى فيه ما لا تطوى
في النهار وما زلت أسير بربدها تنوء به حتى كاد ينضولون السواد وظهرون
السرطان فأغار على سرح السماء كما يغير السرطان على سرح النقاد فعند ذلك
نمت العين من الكرى ثم لمة الطائر ولم يكن ذلك على ظهر الارض المطمئنة
وانما كان على الظهر السائر في هذا الفصل كل مليحة من المعاني ولو لم يكن
في هذا الكتاب سوا ما كان كافيا وبعضه مأخوذ من الشعر كقول أبي تمام
طموح بائشاء الزمام كأنما * يخال به من عدوها طيف جنة
وكتوبه

بالشذقيات العتاق كأنما * أشياحها بين الاكام اكام
(ومن ذلك) ما ذكرته في النسب في فصل من كتاب وهو اهم نسب لا تدخله لام
التعريف وهو موضوع لا يجري على سنن التوقيف فاذا ذكر أوله وقفت من
عرفانه على طلال ووجدته مهملا في جملة الهمل وان قيل انه من نجوم السماء
قلت لكنه لا يخرج عن الثور أو الحمل فما أرفه لوصفه لسان الانبا ولا
اقتدح له زناد خاطر الا بكاهم منه كما ترى الذي يرى الناس له ابنا ولا يرون
لابنه أبا وهذا من أغرب ما يوثق به في ذم النسب وهو من باب توليد المعاني
الذي يسمى الكيمياء وبعضه مستولد من قول أبي نواس في هجاء الخصب
وما خبره الا كما يرى ابنه * ولم ير آوى في حزون ولا سهل
فأبو نواس ذم خبر الخصب في عدم رؤيته وأنا نقلت ذلك الى النسب فجاء اللفظ
وأحسن وأليق وأدخل في باب الصنعة واذا حقق النظر فيما ذكره أبو نواس
في هذا المعنى لم يوجد مناسبا فان الخبر في عدم رؤيته لا يحمل على ابن آوى
وانما المناسبة تقع في النسب من أجل ذكر الابن والاب (ومن ذلك) ما ذكرته
في ذم قوم وهو فصل من كتاب فقلت تركت قوما لم يتقوا صدى ولم يجرؤا
الى مدى فأعراضهم نكرة العارف وأموالهم منظاره الناقد لا تطر سعيهم

على كثرة ما فيها ولا تركوا الزريعة بأرضهم على غنائها وبعض هذا المعنى
 مأخوذ من شعر الشريف الرضي

تركت أناسا لم يشوا المنية * ولم ينقوا غلظ الطماء الخوامس
 على القرب فيهم اتنى غير طامع * ومنك على بعد المدى غير آيس
 ومن هذا الباب أيضا قولى وهو تركت قوما يسألون الحبيب ويعلمون القريب
 ولا يراعون من يراعهم ولا يدركون اللبن على مرعاهم فنوالهم تحايا واعراضهم
 ضحايا ومن أحسن من صقاتهم -م أنهم يعاقبون على الظننة ولا يرتاحون لمننة
 فالذرائع لديهم مدفونة والصنائع غير مسنونة وبعض هذه المعاني مأخوذ
 من شعر أبي الطيب المتنبي

رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدرك على مرعاهم اللب
 جزاء كل قريب منكم ملال * وحظ كل محب منكم ضعف
 (ومن ذلك) ما ذكرته على الحث على الاعتدال وهو لولا التفرب لما ارتقت نبات
 الاصداف الى شرف الاعناق ولا ارتقى تراب الاجار الى نور الاحداق
 (وكذلك) قولى فى هذا المعنى وهو فى الانتقال تنويه لحامل الاقدار ولولا
 ذلك لم يكسر الهلال حلة الابدان والمندل الرطب حطب فى أوطانه والمسك
 دم فى سرر غزلانه ولولا فراق السهم وتره لم يحفظ بفضل الاصابة ولولا فراق
 الوشاح منيته لم يتحل بعز السنان ولا شرف الذوابة وهذا الفصل فصل من
 القول فى معناه وما لم ينش للخواطر ابتداء مناه فنه ما هو مأخوذ من الشعر
 ومنه ما سخ به الخاطر على غير مثال وهو يشهد لنفسه (ومن ذلك) ما ذكرته
 فى وصف الايام وهو أيام تهديبا عوام لقصراعها وشهور لا يشعربانصافها
 ولا سرارها فالأوقات بها أصائل والمحاسن فيها شمائل والمآرب فى ساعاتها
 رياض فى شمائل فما أدري أهى خيالات أحلام عزت أم أحاديث أمان
 مرتت وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة

شهور ينقضين وما شعرنا * بانصاف لهن ولا سرار

(ومن ذلك) ما ذكرته فى وصف الاخوان وهو ليس الصديق من عدس قطات
 قرينه وجازاه بغنه وسعيه بل الصديق من ماشى أخاه على عرجه واستقام
 له على عوجه فذلك الذى ان رأى سيئة وطئها بالقدم وان رأى حسنة رفعها

على

على علم وبعض هذا المعنى مأخوذ من آيات الحماسة
 ان يسعوا رية طاروا بها فرط * عنى وما سعموا من صالح دفنوا
 الا ان الذى ذكرته ضده هذا المعنى وقد يستخرج المعنى من ضده وهو احسن
 مما يستخرج من نفسه (ومن هذا) قولى ايضا وهو ليس الصديق من صرتى
 اخلاف وده وعثر فى صفقة عهد به بل الصديق من لا ترد سلعة وده باقالة
 ولا عيب ولا تحص محافظه اخائه بشهادة دون غيب فذلك اخى من غير نسب
 وكزى من غير نسب وهذا مأخوذ من الفقه فى تصرية ضرع الشاة عند البيع
 وذلك يوجب الرذ (وما) ينتظم بهذا السلك قولى وهو الانتقال عن خلة الوداد
 كالانتقال عن نسب الميلاد وكما يحرم هذا فى نص الحكم المشروع فكذا
 يحرم هذا فى خلق الكرم المطبوع على ان نسب الخلة الذى ينجمه القلب الى القلب
 اوصل من نسب الرحم الذى ينجمه الابن الى الاب ولهذا كانت موودة سلمان
 قري ونسب ابي لهب سباوتيا وبعض هذا مأخوذ من شعر ابي نواس وهو
 كانت موودة سلمان له نسبا * ولم يكن بين نوح وابنه رحم
 (ومن ذلك) ما ذكرته فى وصف الديار وهو دار كانت مقاصر جنة فأصبحت
 وهى ملاعب جنة ولقد دعيت اخبار قطانها وأنشاز اوطانها حتى شابهت
 احدهما فى اللقاء الاخرى فى العفاء وكنت أظن أنها الاتسقى بعدهم بغمام
 ولا يرفع عنها جناب ظلام غير أن السحاب بكاهم فجرت بهما سوافع دموعه
 والليل شق عليهم ثوبه فظهروا الصباح من خلال صدوعه وهذه معان لطيفة جدا
 وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضى رحمه الله تعالى

أمر ابع الغزلان غيرك البلا * حتى غدت مراتع الغزلان
 (وما) يلتئم بهذا المعنى قولى ايضا وهو دار أصبحت مراتع اذواد بعد أن كانت
 مناجع رواد فلو تصورت الآمال التى مثلت بفنائها كما تصورت الآثار المائلة
 من بنائها لرأيت رسومها مع رسوم القباب وعلمت كم غار بها من بحر ونضب من
 سحاب وهذا معنى حسن له من نفسه مثنى وحامد ومن سامعه عين وشاهد وهو
 من معانى المستخرجة (ومن ذلك) قولى ايضا وهو النقص موكل بكال النعماء
 ولذلك كان الوخم مة تترنا بالمرعى والماء وقلما ترى ثمرة الاومعها زنبور
 ولالذة الاوالى جانبها شئ محذور (وكذلك) قولى ايضا وهو لا يظفر الرجل

عطال به شفعا ولا تؤتبه من كل جهة نفعا بل يرى مرعى بالاماء وماه بالامرعى
ولذلك كانت النحلة مع الشمدة والشوكة مع الوردة وبعض هذه المعاني
مأخوذ من قول أبي تمام

أرض به اعشب زالدوايس بها • ما وأخرى به اماء ولا عشب
الآن في الكلام المنشور زيادة على ما تضمنه الشعر وكأنه ينظر اليه نظرا بعيدا
ومن سبيل المتصدي اهـ هذا الفن أن يأخذ المعنى من الشعر فيجعله مثل الاكبر
في صناعة الكيمياء ثم يخرج منه ألوانا مختلفة من جوهر وذهب وفضة كما فعلت
في هذا الموضع فاني أخذت معنى هذا البيت من الشعر فاستخرجت منه
ما ليس منه رها أعلى الدرجات في نثر المعاني الشعرية وقد بسطت القول
في هذا الموضع وكشفت عن دقائقه في الكتاب الذي سمته بالوشى المرقوم
في حل المنظوم وهو كتاب مفرد هذا الفن خاصة ومن هذا الضرب الذي هو
الكيمياء في توليد المعاني ما ذكرته في وصف الربيع فقلت فصل الربيع هو أحد
ميراثي عامه والمستقيم دلسامه من حامه وقد وصف بأنه ميعاد نطق الاطيار
وميلاد أجنة الازهار والذي تستوفى به حواها سلافة العنقار فاذا سادت
السحب فيه سيوفها كان ذلك للارض اللغضب واذا خلعت على الارض غلالها
الدكاء ابست منها ديباجة منسوجة بالذهب وهذا المعنى مستول من قول أبي
تمام في وصف السحاب

سلبته الجنوب والدين والدنيا واصفا في الحياة في سلبه
الآن في الذي ذكرته معنيين غريبين اذا لمعنا الناظر تطوره فهمهما (ومن ذلك)
ما ذكرته في لين القول واعادته وما يجري مجراه كقولي في فصل من كتاب وهو
لم أعد عليه القول لانه لا يبلغ مدى ميدانه الا بتحرك سوطه وعنانه بل
أخذنا بأدب الله في أذكار القرآن واتساع السنة نبيه صلى الله عليه وسلم
في تشويب الاذان وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي تمام

لورأينا التأكيد خطة عجز • ماشفعا الاذان بالتشويب
(وكذلك) قولي أيضا وهو وقد علم أن لين القول انجبع قبولا وهو من
أدب كليم الله اذ بعثه الى فرعون رسولا ألا ترى أن الحدا يبلغ من المطايا باطفه
مالا يبلغه السوط على عنقه وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي تمام

وتذهب بالرقى ان المهارى * يجيها على السير الحدا
(ومن ذلك) ما ذكرته في ذم الدنيا وهو أنكاد الدنيا مشوية بالاشياء التي
جيات النفوس على حبها وكل ما تستلذه الابدان من ما كاهها فانه يضرتها من
جهة طبها وهذا يذم من منفعة الهليلج ومضرة اللوزينج وأعجب من ذلك
أنه لا ينتفع الانسان بشئ من لذاتها الا ضرته من جهة ثوابه وهو كالذي ينتفع
باصطلاه النار وهي محروقة لا ثوابه وقد ضرب لذلك مثل من الامثال وقيل ان
كل ما ينتفع الكبد مضرت بالطعام وهذا مأخوذ من الامثال العربية والمولدة
(ومن ذلك) ما ذكرته في الزهد وهو الناس في الدنيا أبناء الساعة الراهنة
وكما أن النفوس ليست فيها بقاطنة فكذلك الاحوال ليست بقاطنة ولهذا
كانت المآتم بها كالأعراس يتفرق ندى جمعها فهذه تنسى ماضى من لذة
سرورها وهذه تنسى ماضى من ألم جمعها ولاشبيهه اعلى ذلك الا الاحلام
التي يتلانى خيالها عاجلا وتجعل اليقظة حقا باطلا وما ينبغي حينئذ ان
يفرح بها مقبلة ولا يؤسى عليها مدبرة وكل ما تراه العين منها ثم يذهب فكأنها
لم تره وغاية مطلوب الانسان منها أن يتقله في مدة عمره وعلى له في امتداد كثره
أما تعميره فيعرضه المشيب الذي هو عدم في وجود وهو أخو الموت في كل شئ
الافى سكنى العود فالجوارح التي يدرك بها الشهوات ترى وكل منها قد تحوّل
وأصبح كالطلل الدارس الذي ليس عنده من معول فلا يلبى بل يلبى ولا النوار
بالنوار ولا سمع أسمع ولا الابصار ابصار وأما ما له فان أمسك فهو
عرضة لو ارتيا كاه أو لحادث يستأصله وان أنفقته كان عليه في الحلال
حسابا وفي الحرام عقابا فهذه زهرة الدنيا الناضرة وهذه عقباها الخاسرة
وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر صالح بن عبد القدوس

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا * ألفت جمعا كاه يتفرق

ومن قول أبي العتاهية

انما أنت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي أنت فيها

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو كيف يظلم ذلك اللحد
وبه من أعماله كنه أنوار أم كيف يجذب وبه من فيض عينه صاحب مدارج
أم كيف توحيش أقداره والملائكة داخله عليه من تلك الاقطار أم كيف يخفيه

طول العهد على زواره وطيب ترابه هاد للزوار وما أعلم ما أقوله في هذا الخطب
 الجليل الذي دق فيه الحزن الجليل وسمحت له النفوس بالفدية على حب
 الحياة وذلك من الفداء القليل وقد قيل انه لم يخلق الدمع الا انذارا بأن نواب
 الزمان ستنوب وقد جعله الله ذخرا للقائموا وانما يذخر السـلاح للقاء الحروب
 والذي ذخرت منه لم يغن عني في هذه النائية وأي جنة تقوم في وجه سهامها
 الصائبة لاجرم أتى أصبحت بين يديها هدا للرماء ولم يبق منى الاذماء الحشاشة
 ون العجب بقاء الذماء وشئ من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي
 لم يخلق الدمع لامرئ عينا * الله أدري بلوعة الحزن

(وكذلك) ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية وهو فيا ويخ أيد أسلمته
 الى الثرى وما كان يسلمها الى الاعداء وأبسته ظلمة اللعد و طال ما جـلاعنها
 غيابة نظلم والاضلام وغادرت بوحده مستوحشا وقد كان يؤنسها بنوافل
 الانعام ومثل لا يوارى القبر منه الا صورة يدركها النقاد وتبلى كما يبلى غيرها
 من الاجساد ولكنه لا يستطيع مواراة الذكر الخالد الذي يذهب بشماتة الحساد
 وتمثل في السماء بصورة الكواكب وفي الارض بصورة الاطواد وبعض هذا
 مأخوذ من قول بعض شعراء الحماسة

فان تدقنوا البكري لاتدقنوا اسمه * ولاتدقنوا معروفه في القبائل
 (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كلام بالفصاحة وهو فصل من كتاب فقلت
 وله البيان الذي يغض منه نسق القريد ولا يخلق نضرة لباسه الجديد وهو
 فوق كلام المجيد ودون القرآن المجيد واذا اختصر واصفه قال انه يستميل سمع
 الطروب ويستحق وقار القلوب ويتمثل آيات بيضاء من غير ضم الى الطيوب
 ويرى في الارض غير لاغب اذا مس غيره فترة للغوب ولا تزال الناس في عشق
 عانيه ضربا واحدا والعاشقون ضروب ولما وقفت عليه قلت سبحان
 من أعطى سيدنا فلم يبخل وخصه بنبوّة البيان الا أنه لم يرسل ولولا أن الوحي
 قد سد بابة لقبيل هذا كتاب منزل ولقد خارا لله لا ولي الفصاحة اذ لم يحبوا
 الى عصره ولم يبتلوا فيه بداء الحساد الذي يصلبهم بتوقد جره واثن سلوا
 من ذلك فما سلت أقوالهم من أقواله التي محتها محو المسداد وقد كانت باقية
 بعدهم فلما أتى صارت كما صاروا الى الالحاد في هذا الفصل شئ من المعاني

الشعرية كتول البحري

مستحيل سمع الطروب المعنى * عن أغاني معبد وعقيد

وقول الشريف الرضي رحمه الله

عشقت وما لي يعلم الله حاجتي * سوى نظري والماشقون ضروب
وفيه أيضا شيء من معاني القرآن الكريم إلا أنها جاءت ضمنا وتبعاً وموضعها يأتي
بعد الآيات الشعرية (وكذلك) ذكرت فصلاً آخر من هذا الأسلوب وهو وان
للكتابة طعماً يعرف مذاقه من بين الكلام وخفة الأرواح معلومة من بين نقل
الأجسام فالولم نعرفه بطعمه عرفناه بوسمه والصباح لا يتبارى في اسقاره ولا
يفتقر إلى دليل على اشراق أنواره وقد علم أن العرق يعرف بفضنه وأن القول
يعرف بلحنه ونفائس هذه العقود لا يبرزها إلا أنفاسه فدررها لفظه وسلوكها
قرطاسه (ومن) هذا الباب قول أيضاً وهو ألقاظ كخفق البنود أوزار الأسود
ومعان تدل بارها فها أنها هي السيف وان قلوباً غمها هي الغمود فيضالها
المتأمل حومة طعان أو جليلة رهان وبعض هذا ما أخذ من شعر البحري
يقظان ينتخب الكلام كأنه * جيش لديه يريد أن يلقى به
(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان من أهل الكتابة كان
اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وأيس من أهلها فانتقلت وقد نيت بسميدنا قلما
الخط اللذان ينسب أحدهما إلى المداد وينسب الآخر إلى الصعاد فهو يدبر
هذا في معركة المقال وهذا في معركة الطراد وربما سهل أحد قلبه من فوق
صفحات الدروج كما تصهل الجياد من تحت أعواد السروج فله احتفال
المواطن والجماس واليه غناء أصحاب العمائم والقلائس لا يكن لا يجاوزهم
طرفي ردائه وإذا نودي لفضله قيل انما يسمع الحى بشدائه وكفى الناس
من صور لا تجبدا معناها أترا وإذا رأيتها قلت أرى خالاً ولا أرى مطراً وأى
جمال عند من ليس له الأجمال ثيابه وهل يتفع السيف الكهام أن يجعل من
الذهب حلية قرابه وكل من هؤلاء ذنب يسعى بغير راس ولا لهم إلا في عيشة
الطاعم الكاس وإذا اعتبر حاله وجد من البهائم وان كان منسوبا إلى الناس
والسيادة ليست في وثى الثياب ولا في طيب الطعام والشراب وانما هي
في شئيين أما شهامة قلم تفرق لها قلوب الغمود أو شهامة ربح تفرق لها قلوب

الاسود وكانى يقوم يسعون هذا وكانهم يتعض امتعاض المغضب وتتابع
نفسه تتابع المتعب ويعترض الشهي في حلقه حتى يغص من غير أن يشرب
ولم يزل بالحساد من سيد ناداه يورثهم أرقا ويوسعهم شرقا وكثيرا مات عرق له
جياهم وكذا الميت تندى جبينه عرقا وما أرى لهؤلاء دواء إلا أن يطرحوا
عن مناكبهم ثقل المساجلة والحساد انما يكون من يجرى مع صاحبه
في مضممار المماثلة وكنت أحب أن يقام على الكتابة محتسب حتى يتسلسل منها
خلق كثير وتستريح جياذ كثيرة من ركوب حير وفي مثل هذا السوق يظهر
أهل الخلابه والنجس وما منهم الامن هو في الحضيض الاسفل وقد أجاس
نفسه فائمة العرش وناار الآلة العمرية تميز خالص النقود من زيفها ولا حيف
في هذا المقام على من أسرفت دعواه الكاذبة في حتمها وبعض هذا الفصل
مأخوذ من شعر عبد السلام بن رعيان عرف بديك الجلق

ترهسى به القلمان الا أن ذا * لدن المحس وأن ذاب ~~كعوب~~

عودان يقضب ذا الطلى بلعابه * ويجوب ذا المهجات بالتركيب

ويكفيك أيهم المتوشح لثرا الشعر أن تنظر الى هذا الفصل وتتأمل الموضع الذي
أخذت معنى هذين البيتين ووضعته فيه فان فيه غناء ومقنعا (وأما) حل آيات
القرآن العزيز فليس كثر المعانى الشعرية لان ألفاظه ينبغى أن يحافظ عليها
لمكان فصاحتها الا أنه لا ينبغى أن يؤخذ لفظ الآية بجملة فان ذلك من باب
التضمين وانما يؤخذ بعضه فاما أن يجعل أول الكلام أو آخره على حسب
ما يقتضيه موضعه وكذلك تفعل بالاخبار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى الآية
والخبر فيكسب لفظا غير لفظه وليس لذلك من الحسن ما لا قسم الا قول للفائدة التي
أشرفنا اليها وقد سلكت في ذلك طريقا اخترتها وكنت أنا ابن عذرتها وعند تأمل
ما أوردته منها في هذا الكتاب يظهر للمتأمل صحة دعاوى واتى كان من تقدم في آتى
بشيء من ذلك فاني ركبت فيه جوادا وركب بجلا ونال من مورده نهلة واحدة
ونلت منه نهلا وعللا ومن آتاه الله في القرآن بصيرة فانه يبيك ألفاظه ومعانيه
في كلامه ويستغنى به عن غيره الا أنه ينبغى أن يكون فيه صوتا يخرج منه
ضروب المصوغات أو صراقا يتجهبذ في نقوده المختلفة من الذهب المختلف الالوان
ولا أقول من الفضة فانه ليس فيه من الفضة شيء وهو أعلى من ذلك أو يكون فيه

تاجر ايديره على يده ويتصرف في ارباحه ويخرج من الامتعة المجلوبة من مناسبه
 كل غريبة عجيبة وكل هذا يفهمه من عرف فلزم وحكم بما علم
 وما كل من قال القريض بشاعر * ولا كل من عانى الهوى بعتم
 (واعلم) ان المتصدي حل معاني القرآن يحتاج الى كثرة الدرس فانه كلما ديم على
 درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل وهذا شئ جريته وخبرته فاني كنت آخذ
 سورة من السور وانلواها وكلما مر بي معنى أثبتته في ورقة مفردة حتى أنتهي الى
 آخرها ثم آخذ في حل تلك المعاني التي أثبتتها واحدا بعد واحد ولا أقنع بذلك حتى
 أعاد تلاوة تلك السورة وأقفل مثل ما فعلته أولا وكلمة تلاوتها مرة بعد مرة
 ظهر في كل مرة من المعاني ما لم يظهر في المرة التي قبلها وسأورد في هذا الموضوع
 سورة من السور ثم أردفها بآيات أخرى من سور متفرقة حتى يتبين لك أيها المتعلم
 ما فعلته فتحذو حذوه وقد بدأت بالسورة أولا وهي سورة يوسف عليه السلام
 لانه قصة مفردة برأسها وفيها معان كثيرة * فالاول ما ذكرته في دعاء كتاب من
 الكتب وهو وصل كتاب الحضرة السامية أحسن الله أثرها وأعلا خطرها
 وقضى من العلياء وطرها وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها وأسجد لها
 كواكب السيادة وشمسها وقرها وهذا أول معنى في السورة وقد نقلته عن قصة
 المنام الى الدعاء ثم أبرزت هذا المعنى في صورة أخرى وهو أكرم النعم ما كان فيها
 ذكرى للعابدين وتقدمه اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي
 ساجدين فهذه النعمة هي التي تأتي بتيسير العسير وتجاو ظلمة اللطب بالصباح
 المنير فانظر اني أترحمه الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك للحى المرقى وهو
 على كل شئ قدير ثم تصرف في هذا المعنى فأخرجته في معرض آخر وهو فصل من
 جملة تقليد يكتب من ديوان الخلافة ليعرض الوزراء فقرات وقد علمه أمير المؤمنين
 فادنى مجلسه من سمائه وأنسه على وحدة الانفراد بجفل نعمائه ورفعته حتى
 ودت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من ندمائه وذلك مقام لا يستطيع
 الحدود أن ترقى الى رتبته ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ولا الشقاء
 أن تتصرف بتقبيل تربته فلينظر اني أزيد اعجابا بما ناله من موافق أقدامه ولينظر الى
 جهود الكواكب له في نقطة لاني منامه (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم جليل وهو
 لم أركوا هب فلان ملأت أملي بطامع وعودها وفرخت يدي من نيل جودها

فلم آخذ الا بلا مع سرابها وكانت كدم القميص في كذاها (ومن ذلك)
 ما ذكرته في تزكية انسان عمارى به وهو لم ترم بذنب الانابت البراءة له مناب
 اليهود ورجى من أهلها بشهادة القميص المقدود (ومن ذلك) ما ذكرته
 في عذرا الهوى وهو لم يوحيدا الا كان لأهل التقي فيه اسوة ولاليم من
 أجله الا اعتذر عذرا امرأة العزيز الى النسوة (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من
 جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو ان كان الكلام كما قيل ذكر او الجواب أتى
 بخوابي هذا عروس تجلى في حلالها المحبره وعقودها المشذرة وتزهي بما آتاها الله
 من الحسن الذي ايس بالجلوب ولا ترضى بتقطع الايدي دون تقطيع القلوب
 وما قد أرسلتها الى سيدنا حتى يعلم أن تسأج خاطر على الفطرة وأنها معشوقة
 الصورة لكل الناس في هواها بتو عذرة في هذا الفصل معنى الآية والخبر النبوي
 والبيت من الشعر (ومن ذلك) ما ذكرت في قلب الايام وهو لقينا أياما ضاحكات
 وليتها أيام عابسات فكانت كسبع سنبلات خضروا خرباسات (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كريم وهو ليس بمن يرقب بحرف الزمان في ذر الحلب في سنبله
 ولكنه يستأنف الصبر في آخره ويستهلك المال في أوله فلا يبقى من يومه لغده
 ولا يتهم ربه فيما بيده (ومن ذلك) ما ذكرته في حب الرشوة وهو الرشوة تحل عقد
 القلوب وتمون قران المحبوب الا ترى أن رد البضاعة حكم على أخى يوسف
 بالاضاعة (ومن ذلك) ما ذكرته في الاستسلام لحكم الاقدار وهو لا تحترس
 من جنود الاقدار بالآراء المتعمقة وسواء عندها الباب الواحد والابواب
 المتفرقة (ومن ذلك) ما ذكرته في تتابع الاساءة وهو لم يزل يرشقني بقوارصه
 حتى تكاثرت البيل واستحكمت التبل ولم يكفه الاقضاء في غمابة الحب حتى قال
 ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل (ومن ذلك) ما ذكرته في التوكل وهو اذا طلب
 أمر الاجل في المطلوب ووكاه الى الذي بيده مفااتيح الغيوب وتأسى في حاجته
 منه بالماجحة التي كانت في نفس يعقوب (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الكيد
 وهو لم يأت امر الاخي أسبابا واخيه وبدأ فيه بالآوعية قبل وعاء أخيه
 وهذه ثلاثة عشر معنى من سورة يوسف عليه السلام (وأما) الآيات التي هي
 من سورة متفرقة فأولها ما كتبه في صدر كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه
 هو ورد كتابه عشية يوم كذا فعرض على عرض الجياد على سليمان

وتساوي في الاشتغال منه ومنها بالاستقصان غير أن الجياد وان حسنت فانها
لا تبلغ في الحسن مبلغ الكتاب لكن قلت كما قال اني احببت حب الخير عن ذكر
ربي حتى توارت بالجباب وان قضى الاشتغال هناك بمسح سوق وأعناق فانه
لم يقض ههنا بمسح سطور ولا أوراق وانما اشتغلت عن عبادة بعبادة ولو شئت
لقلت عن افادة بافادة وهذا اخوذي من قصة سليمان عليه السلام في سورة ص
وهي قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أقرب اذ عرض عليه بالعشي
الصافيات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالجباب
ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق فانظر كيف أخذت هذه القصة
وقايات بينها وبين الكتاب ثم اني تصرفت فيها بالموافقة بينهما مارة والمخالفة
بينهما أخرى وهكذا ينبغي أن يفعل فيما هذا سبيله (ومن ذلك) ما كتبه
عن الملك الافضل علي بن يوسف الى الديوان العزيز النبوي ببغداد في فصل من
كتاب وهو وقد علم أن المال الذي يحتزن كالماء الذي يحتقن فكأن هذا بأجن
بتعطيل الايدي عن امتياح مشاربه فكذلك بأجن هذا بتعطيل الايدي عن
امتياح مواهبه وأي فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تلك به القلوب وتقل به
الخطوب ويركب به ظهر العزم الذي ايسر بركوب ومن بسط الله يده فيه
ثم قبضها بحبله فانه يقف دون الرجال مغرورا ويقعد عن نيل المعالي ماوما
محسورا وذا أدركته منية مفضى وكأنت لم يكن شيأ مذكورا ومذناط الله بيد
الخدادم مانا طه من أمر بلاده لم يدخر منها الا مربط أشقره ومر كزأمره
وما عداها فانه مصروف الى قوة الاسلام في سد تغوره وتكثير جنوده وايقاد
حرب عدوه بعد خودها واسه تباحة جرها عند وقوده وما يفضل عن ذلك فانه
للناس يشتركون في وشله ونعمه والمسلم أخو المسلم يساويه في حقه من بيت المال
وان خالفه في منزلة قدره ولا سبيل على الخادم وهو يفعل ما يفعله أن يدلس من
هذا المال بتبعية المطلوب أو يلتمس بالقوم الذين يكثرونه فيجزى عليه بكي
الجباه والظهور والجنوب ولم يات به الله على قرة من مثله الا ليمحو به سمات
الدين ويعيده الاسلام الى وطنه بعد أن طال عهد بمسارقة الوطن ولا يكون
حسنة من حسنات أمير المؤمنين ترقيها الدنيا في ديوانه وتثقل بها في الآخرة
كفة ميزانه في هذا الفصل مع في آيتين احدهما في سورة هل أتى والاخرى

في سورة براءة (ومن ذلك) ما كتبه عنه الى همه الملك العادل أبي بكر بن أيوب
 من كتاب يتضمن استعطافه والتوصل اليه وهو من شعبة الاقدار أن تذهب
 يصائر ذوى الالباب ويمثل اهم الخطأ في مثال الصواب ولولا ذلك لما زل الحكيم
 واعوج المستقيم والمملوك يقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العادلة
 لزال عرفها أموالا واحسانها عند الله مقبولا وفعالها في المكرمات مبتدعا
 اذا كان فعل الايادي مفعولا ونسبت اليها الى عفوها الذي يكفي فيه لفظ
 الاعتذار ولا يتقدموا ظبية الاصرار ولوعرف ذنبه باديا لقرع له سن الندامة
 وعاد على نفسه بالملامة ولما كان عجيبا أن يكون مليما وأن يكون مولانا
 كريما لكنه حمل اصرة الذنب وهو يرى من حملها وخاف أن تكون هذه
 كاخواتها التي سلفت من قبلها والامور المتشابهة يقاس البعض منها على
 البعض والموسع لا يستطيع أن يرى مجزئ حبل على الارض ولم يحترم المملوك
 الا أن جريمة سوى ان قرأ الى الاعتصام والتي بيده الى أقوام لم يكونوا له بأقوام
 واذا ضاق على المرء أقربيه كان الابعده من ذوى الارحام وليس بأقرب من ذهب
 هذا المذهب ولا بأقرب من حمل نفسه على ركوب هذا المركب ولئن قال بعض
 الناس انه يحمل في اعتصامه وفراره وان لو صبر لجد مغيبة اصطباره فهذا قول
 من لم يعرف حال المملوك فيقيم له عذرا ولا ابتلى بما ابتلى به من قوارض مولانا
 مرة بعد أخرى واقد تكاثرت عليه هذه الاقوال المؤتبية حتى ملأت طرفه كل
 السهاد وجنبه شوك الاقتاد وأصبح وهو يرى أنه زاق في خطيئته زلقا وغص
 بندمه من أجلها شرقا وبدت له سواته حتى طفق يخصف عاياه اورقا ومع هذا
 فانه واثق أن حلمه ولانا لا يؤقنى من الزال وأن حصة الذنوب لا تخف بوزن ذلك
 الجبل وها هو قد جاء نازعا وللنازع العتيبي وعاد مستشفعا ولا شفيع أكرم من
 القربى ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب وفي الذي أوردته من هذا
 الفصل معنى آية من القرآن في سورة الاعراف وهي قوله تعالى فبدت لهما
 سواتهما وطفقا يخسفان عليهما من ورق الجنة (ومن ذلك) ما كتبه عن الملك
 القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان بن مسعود صاحب الموصل الى الديوان
 العزيز ببغداد بعد وفاة والده يسأل في التقليد وكان عمره اذ ذلست عشرة سنة
 لما جاء في صدر الكتاب بعد الدعاء قولي وهو اذا توفي ولي من أولياء الدولة فمن

السنة أن يعزى بفقده ويستخرج اذنها في سلبه القاتم من يده حتى لا تخلو
أرضها من رواسي الجبال ولا سماؤها من مطالع الكواكب التي تجلو ظلمة الليال
وقدمضى والد العبد الى رحمة الله وهو مقزود من الطاعة خير زاد غير خائف
من احصاء الرقيب العتيد اذا جعلها له من العتاد وما عليه وقد ثقلت كفة ميزانه
ما كان في الكفة الاخرى من السجلات الكثيرة الاعداد ومضمون وصيته التي
هدتها أن تمشي في الطاعة على اثره ونهتدى بالاوامر الشريفة في مورد الامر
ومصدره وقد جعلها العبد نجي فكره اذا قام واذا قعد وسجته صلاته اذا ركع
واذا سجد وهو يرى أنه لم يمض والده حتى أبقى للدولة من يثبت قدمه ووضع قدمه
وعند ذلك يقال ان ضمن الشجرة كالشجرة في ثبات أصله وقوة مجمره وهذا
مقام لا يمتاز فيه الاباء عن الابناء وليست المزية لا كنهال السن انما هي اشبية
الغناء وقد أوتي يحيى الحكم قبل أن يجري القلم في كتابه وهدله بالتركيز قبل
أن يقتصب في صحابه وكذلك قد أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على
فتاه عمره وشهد أنه خليف بما أسند اليه من أمره والعبد وان بسط الاستحقاق
لسانه فان الادب يحكم بانقباضه ويريه أن التفويض الى انعام الديوان العزيز
أسرع في نجب أفراضه ولا شك أن منتهى الآمال لا يبلغ أدنى تلك المواهب
ولو جمعت في صحبه واحد ثم سألت مطالبها الميات قصت خزائن العطايا من تلك
المطالب وهذا الفصل من أول الكتاب وفيه معنى آيتين من سورة صريح عليها
السلام أما الاولى فقوله تعالى عند ذكر يحيى عليه السلام وآتيناها الحكم صبيا
وأما الثانية فقوله تعالى وحنا نأمن لداوز كاة وكان تقيا وفي هذا الفصل أيضا
معان ثلاثة من الاخبار النبوية وليس هذا موضعها وانما جاءت ضمنا وتبعها
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الفبار في الحرب وهو وعقد الهجاج شققا فان فقد
وأرانا كيف رفع السماء بغير عمد غير أنها سماه بنيت بسنايك الجياد وزينت
بنجوم الصعاد ففيها ما يوعد من المنايا لا ما يوعد من الارزاق ومنها تذف
شياطين الحرب لاشياطين الاستراق وهذه المعاني مأخوذة من سورة الرعد
وسورة الصافات وسورة الذاريات (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف طعام وهو فصل
من كتاب فقلت طعام لا يعل اذا شئت الاطعمة بملها وكانها تواته يد الخلة ولم
تباشره الايدي بعمها فهو من بقايا المائدة التي نزلت من السماء وقد طاب

حتى لا يحتاج من بعده الى استعمال الماء ومارآه ذو شبع الا رأى تركه غينا
 وود لو زيد الى بطنه بطنا وبعض هذا مأخوذ من سورة المائدة (ومن ذلك)
 ما ذكرته في فصل من كتاب الديوان انطلافة وهو قد تكاثرت وسائل الخادم
 -ق لا يدري ما يجعله لطلبه سفيرا ومأمنا الامايقال انه أول وليس فيها ما يجعل
 اخيرا غير أنه لا يذكر منها الا ما هو توأم ايمانه والذي لا ينظر الله من ابن آدم
 الا الى مكانه وفي ذلك كاف عن الوسائل التليدة والطريفة وقول لا اله الا الله
 لا بعده شيء من الحسنة المودعة في العصيفة وقد تجدد الآن للخادم مطلب
 هو بالنسبة الى مواهب الديوان العزيز يسير ولو قامت مطالب الناس في صعيد
 واحد لا على كلامها مرامه ولم يقل ذلك كثير ~~وهو~~ كتابه هذا ساثر الى تلك
 المواهب التي يتيق عن مصدر الارض بانساعه وليس الذي يدأله عن مافعال
 على النظر الى الجبل في امتناعه وكما أن عبيد الديوان العزيز أطوار فكذلك
 مطالبهم أطوار وقد جعل الله الاشياء متفاوتة في مراتبها وكل شيء عنده بمقدار
 وهذا الفصل من أحسن ما يكتب في استخراج مطلوب وفيه معان ثلاثة أخبار
 نبوية ومعنى آيتين من القرآن الكريم وليس هذا موضع الاخبار وانما جاء ضمنا
 وتبعا لآية الاولى في سورة الاعراف والآية الثانية في سورة الرعد (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كاتب وهو اذا دجال قلبه وطلعت فيه لهجوم كله لم يقعد
 لها شيطان بلافة مقعدا الا وجد له منها ما مرصدا فاسرارها مصونة عن كل
 خاطف مطوية عن كل قائف وهذا المعنى مأخوذ من سورة الجن (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كاتب أيضا فقلت له بنت ~~فك~~ر ما تخضت جمع في الا انصته
 من غير ماتم له وأنت به قومها تهمله ولم يعرض على ملا من اللفاء الا ألقوا
 أقلامهم أيهم يستعيره لا أيهم يكفله في هذين السطرين آيتان من القرآن
 لكريم الاولى في سورة مريم وقصتها ولدها عليه ما السلام وهي قوله
 تعالى فأتت به قومها تهمله والثانية في سورة آل عمران في قوله اذ يلقون
 أقلامهم أيهم يكفل مريم (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن وصف
 القلم فقلت وقد أوحى الله تعالى الى قلبه ما أوحاه الى النحل غير أنها تاوى الى
 المكان الوعر وهو يأوى الى البيان السهل ومن شأنه أن يجتني من ثمرات ذات
 أرواح لا ذات اكمام ويخرج من نفثاته شراب مختلف طعمه فيه شفاء للانفهام

وابن ما تفتته كثافة الخشب مما تنبته لطافة المعنى ولا تستوى تضارته - هذا الخمر
 وهذا الخمر ولا طيب هذا الخمر وهذا الخمر وقد أرخص الله ما يكثرو وجوده
 فذهب في لهوات الافواه وأغلى ما يعز وجوده فيبقى خالد على السنة الرواء
 وكل هذه الاوصاف لاتصح الا في قلم سيدنا الذي اذا خيلنا بطرما امتلات
 بهديته المحافل واذا حلا كتابه وجدت الكتب الحالية من قبله وهي حواطل
 فلا حينئذ ان ينظر الى ضربه بعين الاحتقار ولو اصفه ان يسهب وهو قائم مقام
 الاختصار هذا الفصل غريب عجيب وقد جمع بين الاضداد فغناه بعيد وفهوه
 قريب وهو مأخوذ من سورة الفحل (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم بختيار وهو
 له شجرة في الجود لا يشام ثابها واذا هزها سائلها قال انها كلمة هو قائلها
 وهذا مأخوذ من سورة المؤمنين (ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب وهو
 وصل كتابه فوق منه على اللفظ الرخيم والمعنى الذي هو في كل واحد بهم وقال
 يا ايها الملا اني القى الى كتاب كريم ثم اخذ في اعلا قدره وتنويه ذكره ولم
 يستفت الملا في الاذعان لامره ولا اهدى في قبالة سوى هدية لسانه وصدره
 لاجرم انها تقبل ولا ترد ويعتد بها ولا تعد فانها مال لا يتقده الاتفاق وجوه
 تهلي به الاخذ لاق الا اتفاق وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام
 في كتابه الى بلقيس وهي مذكورة في سورة الفل وفي هذا من شرف الصنعة انه
 خواف بين معانيه ومعاني ما أتى به القرآن الكريم (ومن ذلك) ما ذكرته في صدر
 كتاب يتضمن ذكر معركة حروب بين المسلمين والكفار وهو اذا خطب القلم عن الرمح
 الذي هو نديده قام محتفلا وأسهب مترقيا ومرتبلا حتى بأق في خطابه
 بالمعاني الاخر وأصدق القول ما صدر عن شهادة الضرائر للضرائر وكتابنا
 هذا يصف معركة اجرت ضبايتها وضافت بالاسود غابتها فالطمع بها محتضر
 والموت محتر والنصر من كلا الفريقين مقتسر وكلن الاسلام هنالك زجر
 السنج وقور القدح المنج وليس الذي يرقب المعونة من الله الذي هو رب المسيح
 كن يرقبها من المسيح ولقد تغذت الرماح في اعداء الله تعالى حتى اعتدلت من
 جانبي السدور والظهور وترك الناجي منهم وهو لا ينظر الى الصليب الا انظر
 الخائف المذعور فليس لهم من بعد حاجيش يجمع ولا لوا يرفع وقد كانت
 بلادهم من قبل مانعة وهي الآن لا تذب عنها ولا تقنع وهذه معركة قلت بها

الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القرايين التي تأكلها النار
 لانتها مقبولة ومعنى الآية في هذا الفصل. أخوذ من سورة آل عمران لأنها
 تخالفه وذلك أن القريان كان يقبل فتنزل النار تأكله واجساد هؤلاء الكفار
 قريان تأكل النار لكنم الآتاء كانه مقبول وباقى الفصل يتضمن معنى حسنا
 رقيقا (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من ~~كتاب~~ يتضمن الشكوى من خلق
 بعض الاخوان وهو واقدم صيرت على اخلاقه العائنة وعاملته بالطلاقه الرائنة
 وعاملته بضروب المعاملات فلم تنفع فيه رقى الراقية ولا نقت النافقة ولما اعيا
 على اصلاحه أخذت بمقالة الخضر اوسى في المرة الثالثة وهذا ما أخوذ من
 قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر في سورة الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته
 في فصل من كتاب وهو تجمعه وانى نار الندم يعرضون عليهم اغدا ووعشيا وصار
 الامر الذي كانوا يرجونه محشيا واضموا كاهل النار الذين صاروا اعداء وكانوا
 شيئا وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا وهذا ما أخوذ من سورة
 حم المؤمن ومن سورة سبأ (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم غلام ابله كنت اتاى
 من بلهه نكدا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخواني كتابا وقرئت فيه
 بذكره فقلت واقدم عليك النسيان حتى كأنه يقظ في صورة نائم وحتى حتى قول
 التماسخ في نقل ارواح الاناس الى البهائم فما أرسل في حاجة الا ذهبت من قلبه
 عينة ويسرة ولا طاب منه ما استهنته الاتقال ارايت اذا وينا الى العصرة وهذا
 فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو مأخوذ من القميران الكريم عن سورة
 الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته في تقليد قاض وهو فصل منه فقلت والفضائل
 ما بقيت موجودة ولم تفقد وهى حية وان اودى اربابها ولا يموت من لم يولد
 ومن اكرم ما اوتيه منها فضيلة التقوى التي الكرم من شعارها والعاقبة
 والحسنى كلاه. ما من آثارها وما نقول الا أنه اتخذها حارسا يمنع الخصر من
 تسور محرابه ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن الله
 له هذه الفضيلة بالعلم الذي اعلمه بهلامته ووسمه بوسامته وقذف في روجه
 ما لا يبأل معه عن السفينة وخرقها والغلام وقتله والجدار واقامته وعلى ما
 بلغه منه فانه فيه أحد المومنين الذين لا يشبعان واذا كان لغيره فيه نظر واحد
 وصحيح فله فيه نظران ومسمعان في هذا الفصل المختصر معاني عدة آيات وخبر

من الاخبار النبوية أما الآية الاولى فقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
 وأما الآية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للمتقوى وأما الثالثة فقوله تعالى وهل
 اتانا نبأ الخضم اذ تسوروا المحراب وأما الآية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا
 ركبا في السفينة خرقها وكذلك الى آخر القصة وهذا من احسن ما يأتي في هذا
 الباب (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن نهاية ببعض الفقهاء فقات بعد
 الابتداء بصدر الكتاب وقد علم منه أنه يريد اطالب فضله فضلا ويرى التبرع
 بعروفه فرضا اذا رآه غيره مع المساواة تفضلا وما ذاك الا لمزية خالق فوحد بطيب
 الثرية وشرف الرتبة وأوفى من كثر الكرم ما ان مضاهجه لتنوه بالعصبة
 وله هذا خرج على قومه من الاخلاق في زينته وفضل الخلق بطينة غير طينته
 ومن فضله أنه يسأل عن السائلين ويصتال في استنباط أمل الآملين ثم مضيت
 على هذا النهج حتى انتهيت الكتاب والغرض أن تعلم أيها المتعلم كيف تضع يدك
 في اخذ ما تأخذه من بعض الآية ثم نضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مسجوعا
 كما قد فعلت أنا في هذا الموضع الا ترى أني أخذت بعض هذه الآية في قصة من
 سورة القصص وهي قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبقي عليهم وآتينا
 من الكنوز ما انقاه لهم لتنوه بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
 لا يحب الفرحين فهذه الآية أخذت بعضها وأضفت اليه كلاما من عندي حتى
 جاء كما تراه مسجوعا وكذلك فعلت بالآية الاخرى من هذه السورة أيضا وهي قوله
 تخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي
 قارون انه لذو حظ عظيم وهذا يقيني لك اذا أردت أن تسلك هذه الطريق وقدرت
 على سلوكها وهي من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو
 أعلى درجة منها لانها مزوجة بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به
 واقه يخصص بها من يشاء من عباد الله وفيما ذكرته من تنويع هذه الآيات كفاية
 للتعلم (وأما) الاخبار النبوية فكما القرآن العزيز في حل معانيها (فان قلت) ان
 الاخبار النبوية لا يجرى فيها الامر مجرى القرآن اذ القرآن له حاصر وضابط
 وكل آياته تدخل في الاستعمال كما قال بعضهم لوضاع مني مقال لوجدته
 في القرآن الكريم وأما الاخبار فليست كذلك لانها كثيرة لا تنحصر ولوا انحصرت
 لكان منها ما يدخل في الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان ~~بعض~~

الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القربان التي تأكلها النار
 لالانها مقبولة ومعنى الآية في هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران الا أنها
 تخالفه وذلك أن القربان كان يقبل فتزل النار تأكله واجساد هؤلاء الكفار
 قربان تأكل النار لكنهم الا تأكله لانه مقبول وباقي الفصل يتضمن معنى حسنا
 رقيقا (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق
 بعض الاخوان وهو واقدم صبرت على اخلاقه العاتية وعاملته بالخليفة الراضة
 وعاملته بضروب المعالجات فلم تنفع فيه رقى الراقية ولا نفث النافثة ولما اعيا
 على اصلاحه أخذت بمقالة الخضر اوسى في المرة الثالثة وهذا مأخوذ من
 قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر في سورة الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته
 في فصل من كتاب وهو قبحه وافي نار الندم بعرضون عليها غدوا وعشيا وصار
 الامر الذي كانوا يرجونه محشيا واضموا كاهل النار الذين صاروا اعداء وكانوا
 شيما وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كالكلم نبعما وهذا مأخوذ من سورة
 حم المؤمن ومن سورة سبأ (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم غلام ابله كنت افاى
 من بله نكدا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخواني كتابا وقرضت فيه
 بذكره فقلت واقدم اليك النسيان حتى كأنه يقطف في صورة قائم وحتى حتى قول
 التماسخ في نقل ارواح الاناس الى البهائم فما أرسل في حاجة الا ذهبت من قلبه
 عينه وبسرة ولا طالب منه ما استعظمه الا قال ارايت اذا وينا الى العصرة وهذا
 فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو مأخوذ من القرآن الكريم عن سورة
 الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته في تقليد قاض وهو فصل منه نقلت والفضائل
 ما بقيت موجودة ولم تفقد وهي حبيبة وان اودى اربابها ولا يموت من لم يولد
 ومن اكرم ما اوتيه منها فضيلة التقوى التي الكرم من شعارها والعاقبة
 والحسنى كلاءه امن آثارها وما نقول الا أنه اخذها حارسا يمنع الخصب من
 تسور محرابه ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن الله
 له هذه الفضيلة بالعالم الذي اعله بهلامته ووسمه بوسامته وقذف في روجه
 ما لا يبأل معه عن السقينة وخرقها والغلام وقتله والجدار واطاعته وعلى ما
 بلغه منه فانه فيه أحد المنومين الذين لا يشبعان واذا كان لغيره فيه نظر واحد
 ومسمع فله فيه نظران ومسمعان في هذا الفصل المختصر معاني عدة آيات وخبر

من الاخبار النبوية أما الآية الاولى فقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وأما الآية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للمتقوى وأما الثالثة فقوله تعالى وهل
أتانا نيا الخضم اذ تسوروا الهراب وأما الآية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا
ركبنا في السفينة خرقها وكذلك الى آخر القصة وهذا من احسن ما يأتي في هذا
الباب (ومن ذلك) ما ذكرته في جملته كتاب يتضمن عناية ببعض الفقراء فقات بعد
الابتداء بصدر الكتاب وقد علم منه أنه يعدد اطالب فضله فضلا ويرى التبرع
معروفه فرضا اذا رآه غيره مع المساواة تنفلا وما ذاك الا لازمة خاق توحد بطبيب
الترية وشرف الرتبة وأولى من كوز الكرم ما ان مضاهمه لتنوه بالعصبة
ولهذا خرج على قومه من الاخلاق في زينته وفضل الخلق بطينة غير طينته
ومن فضله أنه يسأل عن السائلين ويهتال في استنباط أمل الآملين ثم مضيت
على هذا النهج حتى انتهت الكتاب والفرض أن تعلم أيها المتعلم كيف تضع يدك
في اخذ ما تأخذه من بعض الآية ثم تضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مسجوعا
كما قد فعلت أنا في هذا الموضع ألا ترى أنني أخذت بعض هذه الآية في قصة من
سورة القصص وهي قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتينا
من الكوز ما ان مضاهمه لتنوه بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين فهذه الآية أخذت بعضها وأضفت اليه كلاما من هندي حتى
جاء كما تراهم مسجوعا وكذلك فعلت بالآية الاخرى من هذه السورة أيضا وهي قوله
تخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي
قارون انه لذو حظ عظيم وهذا ينبغي لك اذا أردت أن تسلك هذه الطريق وقدرت
على سلوكها وهي من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو
أعلى درجة منها لانها مزوجة بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به
والله يخصص بها من يشاء من عباده وفيما ذكرته من نثر هذه الآيات كناية
للمتعلم (وأما) الاخبار النبوية فكما قرآن العزيز في حل معانيها (فان قلت) ان
الاخبار النبوية لا يجرى فيها الامر مجرى القرآن اذ القرآن له حاصروضا بط
وكل آياته تدخل في الاستعمال كما قال بعضهم لوضاع مني مقال لوجدته
في القرآن الكريم وأما الاخبار فقلت كذلك لانها كثيرة لا تنحصر ولو انحصرت
لكان منها ما يدخل في الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان ~~يكون~~

الاطاعة به والوقوف عنده (قلت) في الجواب عن هذا انك اول ما تحفظه من
 الاخبار هو كتاب الشهاب فانه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لانه يتضمن
 حكما وادبا فاذا حفظته وتدرت باستعماله كما اريدت ههنا حصل عندك قوة على
 التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل وعند ذلك تتصفح كتاب
 صحيح البخاري ومسلم والموطا والترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وغيرها
 من كتب الحديث وتأخذ ما تحتاج اليه وأهل مكة أخبرني بها من عابها والذي تأخذه
 ان أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد لان ما لا تحفظه فليست منه على ثقة
 وان كان لك محفوظات كثيرة كآلة قرآن الكريم ودواوين كثيرة من الشعر
 وما ورد من الامثال السائرة وغير ذلك مما أشرفنا اليه فعليك بدوامه المطالعة
 للاخبار والاكتناز من استعمالها في كلامك حتى ترقم على خاطرك فتكون اذا
 احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك أن تأتي به ارتجالا فتأمل ما أوردته
 عليك واهل به وكنت جردت من الاخبار النبوية كتابا يشغل على ثلاثة آلاف
 خبر كما تدخل في الاستعمال وما زلت أو اطلب مطالعته مدة تزيد على عشرين
 سنة فكنت انهمى مطالعته في كل أسبوع مرة حتى داره على ناظري وخطري ما يزيد
 على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ عن منه شيء وهذا الذي أوردته ههنا
 في حل معاني الاخبار هو من هناك وسأذكر ما دار بيني وبين بعض علماء الادب
 في هذا الاسلوب الذي أتاه بصدده ههنا وذلك انه استوعبه وانكره وقال هذا
 لا يتيمأ الا في الشيء اليسير من الاخبار النبوية فقلت لا بل يتيمأ في الاكثر منها
 فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اختص اليه في جنين فقضى على
 من أسقطه بفترة عبدا أو أمة فأين يستعمل هذا فافكرت فيما ذكره ثم أنشأت هذا
 الفصل من الكلام وأودعته فيه قد كثرا لجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان
 جاهل وضرب المثل يياقل وكم في هذه الصور المثلة من باقل ولو عرف كل انسان
 قدره لما مشى بين الاتحت رأسه ولا اتعصب رأس الاعلى بدنه وليكان صاحب
 العمامة بهمامته وصاحب الرمن أحق برسته وكنت سمعت بكاتب من المكاتب
 كلمه الى غثائفة وقله بغثائفة لا يستنسر وأي بطش لبغثائفة واذا وجب الوضوء
 على غيره بانطمارج من السبيلين وجب عليه من سبيل ثلاثة هذا وهو يدعى أنه
 في الفصاحة أمة وحده ومن قرأ ايا دوسه حيان وائل عنده واذا كشف عن

خاطره وجد بلايد الا يخرج عن العمه والكفه وان رام أن يستنجه في حين من
 الاحيان قضى عليه بغرة عبيد أو أمه وكثيرا ما يتقدم وتقبضه هذه على
 الافاضل من العلماء وقد صار الناس الى زمان يهلاؤ فيه حضيض الارض على
 هام السماء فلما أوردته عليه ظهرت امارة الحمد على صفحات وجهه
 وقلبات لسانه مع اجهابه واستغرابه اياه ثم قال وقد ورد عن النبي صلى الله
 عليه وسلم هذا الحديث وهو لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال فهذا
 أين يستعمل من المكتاتيات قرويت في قوله تزويبا سيراثم قلت هذا يستعمل
 في كتاب الى ديوان الخلافة وأملت عليه الكتاب فجاه هذا الحديث في فصل
 منه وهو اذا فاض الحادم في وصف ولا تهنكصت همم الاولياء عن مقامه
 وعلوا أنه اخذ الامر بزمامه فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والايمان
 فهذا يظهر أثره في طاعة السر وهذا في طاعة الاعلان وما عداهما فان دخوله
 الى قلبه من الاشياء المحظورة والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة
 عليه قول الديوان العزيز على سيف من سيف الله يقوى بلاضارب ويسرى
 بلا حامل ولا يسل الا ييدحق ولا يغمدا الا في ظهر باطل ويعلم أنه ككرشه
 وعييته في تغيب الاسرار وأنه أحد سعيه اذا عادت مواقف الانصار فلما
 رأى هذا الفصل بهت له وأجيب منه ثم انى لم أقنع بايراد ذلك الحديث حتى قرنت
 به حديثا آخر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم انصار كرشى وعييتى
 وحيث عرفتك أيها المتعلم ما تقدمت به في هذا الموضع فقد ذكرت لك أمثلة
 كثيرة قد درت بها (فمن ذلك) ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب وهو اعاد الله
 أيامه من الغير وبين بخطر مجده نقص كل خطر وجعل ذكره زاد الكل ركب
 وأنس الكل هم ومنه من فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر وهذا المعنى مأخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة فنقلته الى الدعاء
 (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الحلم وهو تركته حتى جال في الميدان وامتد
 في الاشطان ولم اتصرخو فامن قيام الملك وقعود الشيطان والحليم لا يظهر أثر
 حله الا عند تلذده والكظيم هو أشد ما يخاف من تبدده وهذا المعنى أخذته من
 قصة أبي بكر رضى الله عنه في خصامه فانه بنى عليه ثلاث مرات وهو ما كتفتي
 الثالثة انتصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الملك جالسا الى جانب أبي بكر

يكذب خصمه بما يقول فلما اتصرف امام الملك وقعد الشيطان (ومن ذلك) ما ذكرته
في النصر على العدو في موطن القتال وهو أخذ نابتة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في النصر الذي ترجوه ونبذنا في وجه العدو وكفنا من التراب وقلنا شامت
الوجوه فثبت الله ما نزل من أقدامنا وأقدم حيزوم فأغنى عن أقدامنا
وهذان المعنيان أحدهما مأخوذ من حديث غزوة حنين وما فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم في أخذه قبضة من التراب وألقاها في وجوه الكفار وقوله شامت
الوجوه والمعنى الآخر مأخوذ من حديث غزوة بدر وذلك أن رجلا من المسلمين
لاقي رجلا من الكفار وأراد أن يضربه فخر على الأرض ميتا قبل أن يصل إليه
وسمع الرجل المسلم صوتا من فوقه وهو يقول أقدم حيزوم فجاءه النبي صلى
الله عليه وسلم وأخبره فقال ذلك من مدد السماء الثالثة (ومن ذلك) ما ذكرته
في ضيق مجال الحرب وهو وضيق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع
البيض الذكور وتصلحت القور بالفور والصدور بالصدور واستظل حينئذ
بالسيوف لاشتباك مجالها وتبوتت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها وهو
مأخوذ من الحديث النبوي وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم الجنة تحت
ظلال السيوف (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب آدم فيه الزمان فقات
ولكنها الأيام تبدي لسان جوهرها كل غريبة وتسوسنا سياسة العبد المجدع
الذي كان رأسه زيبه وليس لامره فيما يلقاه من أحداثها نعمى كانت أو بؤسى إلا
أن يكمل الأمور إلى وإياها فيقول حاج آدم موسى وهذا مأخوذ من الخبر النبوي
في قوله صلى الله عليه وسلم حاج آدم موسى فقال له موسى أنت أخرجت الناس
بخطيئتك من الجنة وأشقيتهم فقال له آدم أنت الذي اصطفا لك الله تعالى برسالته
وكلامه أتلو مني على أمر كتبه الله تعالى علي قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحج آدم موسى (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف بعض الكتاب وهو
فصل من كتاب كتبه إليه فقات وأقد سردت عليه أحاديث البلاغة فاستغنى
عن بطردائه وهدى إلى جوامع كل ما فاقدى الناس باعتدائه فإذا اشتبهت
عنده مسالك طرقها لم يملكه سلطان الحيرة وإن أعرب في أساليبها لم يقل فيه
ما قيل في رواية أبي هريرة وهذا الفصل من أحسن ما يوثق به في صناعة تثر المعاني
وهو مأخوذ من حديث أبي هريرة قال قلت يا رسول الله أسمع منك أشياء

فلا أحفظها فقال ايسر رداها لقسمة فحدث حديثا كثيرا فأنسيت شيئا
 حدثني به (وأما) رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتهم وقد اجتمع في هذا الفصل
 معنى الحديث النبوي وغيره ومثل هذا لا يتفطن له عند الوقوف عليه الا من تجر
 في الوقوف على الاخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركنا من أركان الكتابة
 في الفصل التاسع (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوخيمة فقلت
 ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينة مجموع لها بين حرمة ولاؤها المدينة
 الأخرى بأمن حرمتها في الخطفة ولا نقلت حياها الى الخطفة في هذه الكلمات
 التصار آية من القرآن الكريم وخبران من الاخبار النبوية فالآية من سورة
 العنكبوت وهي قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آتنا ويتخطف الناس من
 حولهم وهذا موضع يختص بالاخبار والآيات غير أن الآية جاءت ضمنا وتبعها
 وأما الخبران فالأول منها قول النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حرمة مكة
 ولاؤها المدينة ضمنت له على الله الجنة وأما الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم
 في دعائه للمدينة اللهم حبيبها الينا كما حبيت الينا مكة وانقل حياها الى الخطفة
 فانظر أيها المتأمل الى هذه الكلمات حتى تعلم أن عدتها موصوفة من الآية
 والخبرين سواء بسواء وهذا طريق لو ادعت الانفراد بسواك لما اختلف على
 في الاعتراف به اثنان (ومن ذلك) ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان
 جوابا عن كتاب ورد منه وكان كتابه تأخر عن زماننا طويلا فقلت ولما تأملته
 ضمنت له الى التزمت ثم استأتمته والتتمته وعلمت أن المعارف وان قدمت أيامها
 انساب وشيخه وتأسيت بالطلاق النبوي في الهجوز التي كانت تأتي في زمن خديجة
 وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها وهو أنها قالت كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة فيعضها اعضاء ويقسمها في أصدقاء
 خديجة وكانت تأتيه هجوز فيكرمها وييسر لها رداء فساءلته عن ذلك فقال
 هذه كانت تأتينا في زمن خديجة وحسن العهد من الايمان (ومن ذلك) ما ذكرته
 في وصف كتاب وهو كل سطر منه روضة غير أنها ليل في صباح وكل معنى منه
 دمية غير أن ليس على مصورها من جناح وهذا مأخوذ من الحديث في تحريم
 الصور (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كريم وهو فأغنى بجوده اغناء المطر
 وسما الى المعالي سموا الشمس وسار في منازلها مسير القمر ونتج من ابتكار

فضائله ما اذا الدعاء غيره قيل للعاهرا الجبر وهذا المعنى من قول النبي صلى
الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الجبر (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف
الفصاحة فقلت افكار الخواطر لاتستولد على انفرادها وغايتها ان يتناكح
في استنتاج اولادها وانما أنكح فكري لذكري نكاح الانساب ولا أخاف
ان أضوي فأميل الى الاعترا ب وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه
وسلم في الامر بنكاح البعيدة النسب فقال غرتوا لاتضوا يريد بذلك ان
الانسان اذا نكح المرأة القريبة اليه حصل بينهما ما حيا به يمنع من قضاء الشهوة
كما يذبح في حبس الولد ضا ويا أي هز بلا وهذا مع في غريب لي استخرجته من
الحديث النبوي (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان
جوابا عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من شخص جرت بينه وبينه مخالفة
فقلت وصل كتابه وهو كتاب من أكثر الشكوى وطاب العدوى ونزل
من التظلم بالعدوة الدنيا وأنزل خصمه بالعدوة القصوى والقاضي لا يحكم
لاحد الخصمين حتى يحضر صاحبه وان فقت عين أحدهما فربما فقت عين
الآخر وهشم حاجبه على أنه قد اعترف أن كليهما كان للحم أخيه آكلا
وعليه في حال محضه جاهلا وسباب المؤمن معدود من فسوقه واطراقه عن
تورده هذا المقام أولى من طروقه ولولا تغليظ التكريم لما جعل اللسان واليد
سواء فيما جرحا ولما أقر الله المغفرة عن الخائضين فيها حتى يصطلها فكن أنت
من أطاع تقواه لاهواه واتبع من علم الحق فرآه أو سمعه فرواه واعلم أن
تم ابر الاخوان فوق الثلاث من منيات الحرام وان القاتل يبالا جرمها هو
البادئ بالسلام ودفع البيعة بالحنسنة يجعل العدو وليا حيا وقد جعل الله
المخلاق بهذا الخلق صابرا وجعل له نطا عظيما والشيطان انما يحوم على آثاره
مواقع الشنآن ولا يصح من اعمال بنيه شيئا الا ما زيل بين الاخوان في هذا
الفصل معاني آيات وأخبار وهذا الموضوع مختص بذكر الاخبار دون الآيات
فأقول المعاني المأخوذة من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاك أحد
الخصمين وقد فقت عينه فلا تحكّم له فربما أتى خصمه وقد فقت عيناه وأما
المعنى الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأما
المعنى الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم ان الاعمال تعرض على الله يوم الاثنين

ويوم الخميس فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً الا امرأ كانت بينه وبين أخيه
شخصاء فيقول اتركوا هذين - حتى يصطلحا وأما المعنى الرابع فقوله صلى الله عليه
وسلم لا يجعل لله مؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث وأما المعنى الخامس فقوله صلى
الله عليه وسلم اذا التقى المتهاجران فأعرض هذا وأعرض هذا فغيرهما الذي
يبدأ بالسلام وأما المعنى السادس فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابليس له عرش
على الجرف بيت بنيه في آفاق الارض فيأتى أحدهم فيقول فعلت كذا وفعلت كذا
فيقول ما فعلت شيئاً ويأتى أحدهم فيقول زيلت بينه وبين أخيه أو بينه وبين
زوجته فيقول نعم الولد أنت فانظر كم في هذه الاسطر اليسيرة من معنى خبر نبوي
هذا سوى ما فيها من معاني الآيات واذا عددت هذه الكلمات المذكورة
في هذه الاسطر وجدتها جميعها منتظمة من الآية والخبر وهذا ما يدل على
الاكثار من المحفوظ واستحضاره عند الحاجة اليه على الفور (ومن ذلك)
ما ذكرته في صدر كتاب وهو جواب عن كتاب يتضمن تمهيدا وتخويفاً فافتات
ورد الكتاب مضمناً من الوعد والوعيد ما أنس نفس المملوك وأوحشها وتقع
ضلوعه وأعطشها وأقام له من الظنون السيئة جنود اتقاتله وتأخذ عليه
شعب الافكار فلا تراوله وكانت كلماته طوالاً وأوراقه ثقلاً وما أفلت سطر
من سطوره الا كان الاخر له عقلاً ولما استكمل الوقوف عليه ثقلت
أطوار الخوف والرجاء من أطواره وعرضت عليه الجنة والنار في قرطاسه
كما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرض جداره ولولا وتوقه باناة
مولانا لذهبت نفسه فرقا وابتنى في السماء سلمات في الارض نفقا لكنه قد
نوسم في كرمه مخايل الصنع الوسيم وغرم منه ما غرته من ربه الكريم وعلم أن
خلق حله يغلب خلق غضبه اذ هذا حادث وذلك قديم في هذا الفصل معنى خبر
من الاخبار النبوية وهو أنه كان صلوات الله عليه يخطب فقال يده الى الجدار
وقال عرضت على الجنة والنار في عرض هذا الجدار فلم أركل يوم في الخبير والشر
(ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب الى بعض الاخوان وهو اللطام يواصل
بالدعاء الذي لا يزال لقلبه زميلاً وللسانه رسيلاً واذا رفع أدنته الملائكة قريبا
اذ تباعدت عن غيره ميلاً ولاعتداد بالدعاء الا اذا صدر عن أكرم مصدر
ووجد له فوق السماء مظهر او ان لم يكن هناك من مظهر ووصف باطنه بأنه

الايض الناصع الذي هو خير من ظاهرا لاشعث الاغبر ولا يعامل الخادم اهل
 وده الابه - هذه المعاملة ومن خلقه المجازفة في بذل المودة اذا اخذ الناس نسبة
 المكابلة في هذا معنى خبيرين أحدهما قول النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا
 كذب الكاذب تباعد الملك عنه ميلانين كذبه والاخر قوله صلى الله عليه
 وسلم رب أشعث أغبر مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره (ومن هذا
 الباب) ما ذكرته في كتاب يتضمن خطبة مودة فاتبدأت الكلام فيه بعد
 تصدريه بالدعاء فقلت لولا العادة لرفع الخادم كتابه هذا أن يسطر في ورقة وليس
 ذلك الا لرساله في خطبة مودة رأى صورتها في سرقة ولما تأملها قال ان يكن
 ذلك من عند الله يحضه وأبديها صفة الرضا وان كانت كل مودة لم ترضه
 وخير المودات ما ليس لها ضرة تشاركها في وسامتها ولا تضاهيها في درجة
 كرامتها فتلک التي تزدهي ذالهمة أبوة وجمالا ولم يغله مهرها ولو بذل فيه نفسا
 لا مالا وما يظن الخادم الا هذه المودة التي خطبها وقد علمت أن تكون راغبة
 ولكن هو الذي أرغبها على أنه لم يترشح لها الا من هو من أكفائها وليست
 الكفاءة ههنا الا ما تبذله الضمائر من صفاتها وقد أتاح الله لها كفووا يكثر من
 ايتاسها ويضعها من البر في محلة ناسها ويجعل كل يوم من ايامها عرسا حتى
 تتصل مواسم أعراسها ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب والمعنى
 المأخوذ فيه من الخبر النبوي في موضعين الاقول أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لعائشة رضي الله عنها ان جبريل عليه السلام عرض علي صورتك في سرقة
 والسرقة حريرة بيضاء وقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة فقلت ان يكن
 ذلك من عند الله يحضه فأخذت انا هذا المعنى ونقلته الى خطبة مودة ولا يأتي في
 خطبة المودات شيء أحسن منه ولا أطف ولا أشد مقصدا الخبر النبوي الثاني
 قول النبي صلى الله عليه وسلم انما تنكح المرأة لاربعة لحبها أو لدينها أو لمالها أو
 لجمالها فقلت أنا فتلک التي تزدهي الهمة أبوة وجمالا أي قد جعلت الحسب
 والجمال (ومن ذلك) ما ذكرته في سبب حب المال وهو بين المال علاقة وكيدة
 وبين القلوب وهي له بمنزلة الحب وهو لها بمنزلة المحبوب وليس ذلك الا لان الله
 قبض قبضة من جميع الارض فخلق آدم من تلك القبضة ويوشك حينئذ أن
 صورة قلبه تكونت من معدن الذهب والفضة ولولا أن يكون منهما عنصر ابداه

لما جعلها ما الاطباء دواءه من دائه فلا تستغرب اذن أن تكون على حبهما
 مطبوعا اذ كان منهما مصنوعا وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الله خلق آدم من قبضة قبضتها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض
 منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحزن والسهل والخبيث والطيب غير
 أنى استنبطت أنا حب المال من هذا الحديث وهو معنى غريب لم أسبق اليه
 (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كلام وهو ليس السحر ما أودع في جف طاعة بل
 ما أودع في صوغ معنى أو نظم جمعة ولذلك لبس في شعره أسحر من لبس في سحره
 وكلا صنعهما من الغريب العجيب غير أن ما يستنبط من القلب أعجب مما ينفن
 في القلب وهذا المعنى مأخوذ من قصة لبس الأعمش في شعره النبي صلى
 الله عليه وسلم ومن عرف القصة وصورتها علم ما قد ذكرته في نثر هذه الكلمات
 البديعة (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المنجنيق من جملة كتاب فقلت ونصب
 المنجنيق فحتم بين يدي السور مناصيا وبسط كفه اليه مؤاتيا ثم تولى عقوبته
 بعصاه التي تفتك بأججاره واذ اعصى عليه بالبلد أخذت في تأديب أسواره فما
 كان إلا أن أسمرت عقوبته عليه حتى صار قائمه حصيدا وعاصيه مستقيدا
 وقال ألم يكن نهى عن المدة والتجريد فما لي لا أرى الامتداد وتجريدا وعند ذلك
 أذن لفتح الابواب وتلا قوله تعالى لكل أجل كتاب وكذلك لم نأت
 صعبا الا تسهل ولا حثنا مطيا الا استجبل واطالم ما وقف غيرنا على هذا
 البلد فشفه طول الانتظار ولم يحظ منه الا بمسألة المنصب اججار الديار في هذا
 الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم في النهي
 عن ضرب الحدود ولا تجريد أي لا يمد على الارض ولا يجرد عنه ثوبه (ومن
 ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب الى الديوان العزيز النبوي وهو خلد الله دولة
 الديوان العزيز النبوي ولا زالت اكافها وادعة وعلياؤها جامعة وجدودها
 كالنجوم التي ترى في كل حين طالعة وأيامها كالليالي ساكنة ولياليها كالايام
 ناصعة وأبوابها كابواب الجنة التي يقال فيها ثامن وثامنة اذا قيل في أبواب
 غيرها سابع وسابعه وهذا الدعاء قد استجاب له الله قبل أن ترفع اليه يد أو ينطق
 به ضمير فاذا دعاه الخادم وجد صنع الله قدس بته أولا وجاءه هو في الزمن
 الاخير فليس له حينئذ الا أن يدعو لما خوله الديوان العزيز بالدوام وأن يعينه

من النقص بعد التمام ثم يستهدى ما يؤهل له من الخدم التي يعتد بها من لطائف
الاحسان واذا ندب لتكليف أو امرها قال والحمد والشكر يسجدان
ولاشك أن درجات الاولياء تتفاوت في الصفات والاسماء فمنها ما يكون ببطان
الارض ومنها ما يرى كالكوكب في أفق السماء ولولا النهي عن تركية المرء نفسه
لادعى الخادم أن له اعلاها وجاء بالاولياء من بعده فقال والشمس وضحاها
والقمر اذا تلاها لكنه لا يمتدحها عند الله من ذخره وسر الولا في هذا
المقام أكرم من جهره وليس الذي يمتدح بصلاته وصيامه كالذي يمتدح بسر وقرفي
صدره والله لا ينظر الى الاعمال وانما ينظر الى القلوب وفرق بين المطيع
بعضر الشهادة وبين المطيع بظهر الغيوب ولو اطلع الديوان العزيز على ضمير
الخادم في الطاعة لسره وعلم أن الاشعث الاغب الذي لو أقسم على الله لأبره
في هذا الفصل من الآيات والاشعار عدة واضحة وهذا الموضوع مختص بالاشعار
فلذا كرهادون الآيات أما الاقول منها فقول النبي صلى الله عليه وسلم انكم
ترون أهل الدرجات العلى في الجنة كما ترون الكواكب في أفق السماء وأما
الخبير الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام ولكن
فضلكم بسر وقرفي صدره وأما الخبير الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم رب
أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وفيما أوردته من حل المعاني
الشعرية وحل آيات القرآن والاشعار النبوية طريق واضح بان يقوى على سلوكه
والله الموفق للصواب

(المقالة الاولى في الصناعة اللفظية)

وهي تنقسم قسمين (القسم الاول في اللفظة المفردة) اعلم أنه يحتاج صاحب هذه
الصناعة في تأليفه الى ثلاثة أشياء الاول منها اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك
حكم اللآئى المبددة فانها تتغير وتتبدل قبل النظم الثاني نظم كل كلمة مع اختها
في المشاكاة لها لا يجيء الكلام قلاقا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم
العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكاة لها الثالث الغرض
المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وحكم ذلك حكم الموضوع الذي
يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة
في العنق وتارة يجعل شنتفا في الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من

الحسن تخصه فهذه ثلاثة أشباه لا بد للخطيب والشاعر من العناية بهم وهي
 الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر فالأول والثاني من هذه
 الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملة انتهى المراد بالبلاغة
 وهذا الموضع يضل في سائر طريقته العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر
 فكيف البهال الذين لم تنفعهم راحة ومن الذي يؤتبه الله فطرة باصحة يكاد
 زيتها يبضي ولولم قسمه نار حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الالفاظ فيضعها
 في مواضعها ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين يدلان على معنى واحد وكلاهما
 حسن في الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة إلا أنه لا يحسن
 استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في مواضع السبك
 وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجعل نظره فن ذلك قوله تعالى ما جعل
 الله لرجل من قلبين في جوفه وقوله تعالى رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا
 فاستعمل الجوف فى الأولى والبطن فى الثانية ولم يستعمل الجوف موضع
 البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء فى الدلالة وهما اثنتان
 فى عدد واحد ووزنهما واحد أيضا فانظر الى سبك الالفاظ كيف تفعل
 وما يجرى هذا الجبرى قوله تعالى ما كذب القواد ما رأى وقوله ان فى ذلك
 لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فالقلب والقواد سواء فى الدلالة
 وان كانا مختلفين فى الوزن ولم يستعمل فى القرآن أحدهما فى موضع الآخر
 وعلى هذا ورد قول الأعرج من آيات الحماسة

نحن بنو الموت اذا الموت نزل • لا عار بالموت اذا هم الاجل

• الموت أحلى عندنا من العسل •

وقال أبو الطيب المتنبي

اذى مشت حفت على كل سابع • رجال كان الموت فى فمها شهد

فهاتان لفظتان هما العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل لا يشك فى حسنه
 واستعماله وقد وردت لفظة العسل فى القرآن دون لفظة الشهد لانها أحسن
 منها ومع هذا فان لفظة الشهد وردت فى بيت أبي الطيب فجاءت أحسن من
 لفظة العسل فى بيت الأعرج وكثيرا ما نجد أمثال ذلك فى أقوال الشعراء
 المقلقين وغيرهم ومن بلغاء الكتاب ومصعبى الخطباء وتحتة دقاتى ورسوزاذا

علمت وقيس عليها الشباهها وتطائرهما كان صاحب الكلام في النظم والنثر قد انتهى الى الغاية القصوى في اختيار الالفاظ ووضعها في مواضعها اللاتقة بها واعلم أن تساوت التفاضل يقع في تركيب الالفاظ اكثر مما يقع في مفرداتها لان التركيب اعسر واشق الا ترى الالفاظ القران الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك الا لفضيلة التركيب وهل تشك أيها المتأمل لكنا بنا هذا اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلبي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد الاقوام الظالمين أنك لم تجد ما وجدته لهذه الالفاظ من المزية الظاهرة الا لامر يرجع الى تركيبها وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الا من حيث لاقت الاولى بالنسبة والثالثة بالرابعة وكذلك الى آخرها فان ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى اللفظة منها لو أخذت من مكانها وأفردت من بين اخواتها كانت لابسة من الحسن ما لبسته في موضعها من الآية وما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تزوكت في كلام ثم تراها في كلام آخر فتسكرها فهذا ينكره من لم يذوق طعم الفصاحة ولا عرف أسرار الالفاظ في تركيبها وانفرادها وسأضرب لك مثالا يشهد بحجة ما ذكرته وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القران وبيت من الشعر فجاءت في القران جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين أما الآية فهي قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وأما بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي

تلذله المرواة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذله الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة الا أن لفظة تؤذي قد جاءت فيه وفي الآية من القران فخطت من قدر البيت لضعف تركيبها وحسن موقعها في تركيب الآية فأنصف أيها المتأمل لما ذكرناه واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم صحته وهذا موضع غامض يحتاج الى فضل ففكرة وامعان نظر وما تعترض للنبي عليه أحد قبلي وهذه اللفظة التي هي تؤذي اذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة الا ترى أنه قال تلذله المرواة

وهي تؤذى ثم قال ومن يعشق يلذذ الغرام فجاء بكلام مستأنف وقد جاءت
 هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي وأضيف إليها كاف الخطاب فأزال ما بها
 من الضعف والركه وذلك انه اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه
 السلام ورفاه فقال بسم الله أرقبك من كل داء يؤذيك فانظر الى السر
 في استعمال اللفظة الواحدة فانه لما زيد على هذه اللفظة حرف واحد أصلها
 وحسنها ومن ههنا تزايد الهاء في بعض المواضع كقوله تعالى فأتانا من أوتى
 كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابه اني ظننت اني ملاق حسابه ثم قال
 ما أغنى عنى ما به هلك عنى سلطانيه فان الاصل في هذه الألفاظ كتابي
 وحسابي ومالي وسلطاني فلما أضيفت الهاء إليها وتسمى هاء السكت أضافت
 إليها حسنا زائدا على حسنها وكسرت الطافة ولباقة وكذلك ورد في القرآن
 الكريم ان هذا أخي له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة فلفظة لي أيضا مثل
 لفظة تؤذى وقد جاءت في الآية مندرجة متعلقة بما بعدها واذا جاءت منقطعة
 لا تجيء لاثقة كقول أبي الطيب أيضا

تسمى الاماني صرعى دون بلغه • فما يقول لشيء ليت ذلك لي
 وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقول
 أبي الطيب

ما أجدر الايام والليالي • بان تقول ماله ومالي

فان لفظة لي ههنا قد وردت بعدما وقبها ماله ثم قال ومالي فجاء الكلام على نسق
 واحد ولو جاءت لفظة لي ههنا كما جاءت في البيت الاول لكانت منقطعة عن النظر
 والشبيه فكان يعالوها الضعف والركه وبين ورودها ههنا وورودها في البيت
 الاول فرق يحكم فيه الذوق السليم وههنا من هذا النوع لفظة أخرى قد
 وردت في آية من القرآن الكريم وفي بيت من شعر الفرزدق فجاءت في القرآن
 حسنة وفي البيت الشعر غير حسنة وتلك اللفظة هي لفظة القمل أما الآية فقوله
 تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
 وأما البيت الشعر فقول الفرزدق

من عزه احتجرت كليب عنده • زريا كأنهم لديه القمل

وانما حسنت هذه اللفظة في الآية دون هذا البيت من الشعر لانها جاءت في الآية

ردي على من قال ان كل الالفاظ حسن والواضع لم يضع الاحسن

مندرجة في ضمن كلام ولم ينقطع الكلام عندها وجاءت في الشعر قافية أي آخر
انقطع الكلام عندها واذا نظرنا الى حكمة أمرار الفصاحة في القرآن الكريم
غصنامته في بحر عميق لا قرار له فمن ذلك هذه الآية المشار اليها فانها قد تضمنت
خمسة الالفاظ هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وأحسن هذه
الالفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الالفاظ الخمسة
بجملتها قدم منها النظم الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخر اوجعلت لفظة
القمل والضفادع في الوسط لطرق السمع أو لا الحسن من الالفاظ الخمسة وينتهي
اليه آخر ثم ان لفظة الدم أحسن من لفظي الطوفان والجراد وأخف
في الاستعمال ومن أجل ذلك جئنا بها آخرًا ومراعاة مثل هذه الأبرار والدقائق
في استعمال الالفاظ ليس من القدرة البشرية (وقد ذكر) من تقدمتني من علماء
البيان للالفاظ المفردة خصائص وهيئات تتصف بها واختلفوا في ذلك
وأحسن أحدهم شيئاً نغوا في فيه وكذلك استقبح الأخر شيئاً نغوا في فيه
ولو حقهوا النظر ووقفوا على السر في اتصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها
بالقبح لما كان بينهم خلاف في شيء منها وقد أشرت الى ذلك في الفصل الثامن
من مقدمة كتابي هذا الذي يشتمل على ذكر الفصاحة وفي الوقوف عليه
والاحاطة به غنى عن غيره لكن لا بد أن نذكر ههنا تفصيلاً لما أجلناه هناك لأننا
ذكرنا في ذلك الفصل أن الالفاظ داخلية في حيز الاصوات لانها مركبة من مخارج
الحروف فما استلذه السمع منها فهو الحسن وما كرهه ونبأ عنه فهو القبيح
واذا ثبت ذلك فلا حاجة الى ما ذكر من تلك الخصائص والهيئات التي أوردها علماء
البيان في كتبهم لانه اذا كان الالفاظ لذيذا في السمع كان حسناً واذا كان حسناً
دخلت تلك الخصائص والهيئات في ضمن حسنه (وقد رأيت) جماعة من الجهال
اذا قيل لا أحدهم ان هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكروا ذلك وقال كل الالفاظ
حسن والواضع لم يضع الاحسن ومن يبلغ جهله الى أن لا يترق بين لفظة الغصن
ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفند وبين لفظة السيف ولفظة
الخنزير وبين لفظة الاسد ولفظة القدو كسر فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب
ولا يجاب بجواب بل يترك وشأنه كما قيل اتركوا الجاهل بجهله ولوألقى الجعر
في رحله وما مثاله في هذا المقام الا كزبيبي بين صورة زنجية سوداء مظلمة

السواد شوها الخلق ذات عين محجرة وشفة غليظة كأنها كلوة وشعر قطط كأنه
 زيبية وبين صورة رومية يضاء مشربة بجمرة ذات خذ أسيل وطرف كحيل
 ومبسم كأنها ظم من آفاح وطررة كأنها ايل على صباح فإذا كان بانسان
 من سقم النظر أن يسوى بين هذه الصورة وهذه فلا يعد أن يكون به من سقم
 الفكر أن يسوى بين هذه الالفاظ وهذه ولا فرق بين النظر والسمع في هذا
 المقام فإن هذا حاسة وهذا حاسة وقياس حاسة على حاسة مناسب فإن عاند معاند
 في هذا وقال أغراض الناس مختلفة فيما يختارونه من هذه الاشياء وقد يعشق
 الانسان صورة الزنجية التي ذمها ويفضلها على صورة الرومية التي وصفها
 قلت في الجواب نحن لا نحكم على الشاذ التادرا الخارج عن الاعتدال بل نحكم
 على الكثير الغالب وكذلك اذا رأينا شخصا يحب أكل الفحم مثلا أو أكل الجص
 والتراب ويختار ذلك على ملاذ الاطعمة فهل نستجيد هذه الشهوة أو نحكم عليه
 بأنه مريض قد فسدت معدته وهو محتاج الى علاج ومداواة ومن له أدنى
 بصيرة يعلم أن للالفاظ في الاذن نعمة لنذبة كنغمة أوتار وصوتها منكر كصوت
 حمار وأن لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الخنظل وهي
 على ذلك تجرى مجرى النعمات والطعوم ولا يسبق وهمك أيها المتأمل الى قول
 القائل الذي غلب عليه غلظ الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل
 من الالفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن بن يذبحي أن تعلم أن الذي
 نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسننا والذي
 نستفجه هو الذي كان عندهم مستقبحا والاستعمال ليس بدليل على الحسن
 فانا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وانما نستعمله لضرورة
 فليس استعمال الحسن بممكن في كل الاحوال وهذا طريق يضل بغير العارف
 بما الكه ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة
 في صوغ الالفاظ واختيارها فإنه معدور في أن يقول ما قال

لا يعرف الشوق الا من يكابده • ولا الصباية الا من يعانيتها

ومع هذا فإن قول القائل بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا
 وهذا دليل على أنه حسن قول فاسد لا يصدر الا عن جاهل فإن استحسن الالفاظ
 واستعياها الا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه شيء ليس للتقليد فيه مجال وانما هو

شيء له خصائص وهيآت وعلامات اذا وجدت علم حسنه من قبضه وقد تقدم
 الكلام على ذلك في باب الفصاحة والبلاغة وأما الذي نقله العرب فيه من
 اللفاظ فانما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها والاختداباقوالها
 في الاوضاع النحوية في رفع الفاعل ونصب المفعول وجزء المضاف اليه وجزء
 الشرط وأشياء ذلك وما عداها فلا وحسن اللفاظ وقبحها ليس اضافيا الى زيد
 دون عمرو أو الى عمرو دون زيد لانه وصف ذوى لا يتغير بالاضافة ألا ترى أن
 لفظة المزنفة مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم وهلم جرا لا يختلف
 أحد في حسنها وكذلك لفظة البعاق فانها قبيحة عند الناس كافة من العرب
 وغيرهم فاذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم اياها مخروجا لها عن القبح
 ولا يلتفت اذن الى استعمالهم اياها بل يعاب مستعملها ويغظ له النكير حيث
 استعملها (وقد ذكر) ابن سنان الخفاجي ما يتعلق باللفظة الواحدة من الاوصاف
 وقسمها الى عدة أقسام كتباعد مخارج الحروف وأن تكون الكلمة جارية على
 العرف العربي غير شاذة وأن تكون مصغرة في موضع يعبر به عن شيء لطيف
 أو خفي أو ما جرى مجراه وأن لا تكون مبتدلة بين العامة وغير ذلك من
 الاوصاف وفي الذي ذكره ما لا حاجة اليه أما تباعد المخارج فان معظم اللغة
 العربية دائر عليه لان الواضع قسمها في وضعه ثلاثة أقسام ثلاثيا ورباعيا
 وخماسيا والثلاثي من اللفاظ هو الاكثر ولا يوجد فيه ما يكره استعماله الا
 الشاذ النادر وأما الرباعي فانه وسط بين الثلاثي والخماسي في الكثرة عددا
 واستعمالا وأما الخماسي فانه الاقل ولا يوجد فيه ما يستعمل الا الشاذ النادر
 وعلى هذا التقدير فان أكثر اللفظة مستعمل على غير مكره ولا تقتضي حكمة
 هذه اللغة الطريقة التي هي سيدة اللغات الا ذلك ولهذا أسقط الواضع حروفا
 كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استئقالا واستكراها فلم يوافق بين حروف
 الحلق كالحاء والحاء والعين وكذلك لم يوافق بين الجيم والقاف ولا بين اللام
 والراء ولا بين الزاء والسين وكل هذا دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج
 دون المتقارب ومن العجب أنه كان يخل بمثل هذا الاصل الكلي
 في تحسين اللغة وقد اعترف بأمر آخر جزئية كما نلته بين حركات الفعل
 في الوجود وبين حركات المصدر في النطق كالغليان والضربان والنفدان

رد على ابن سنان الخفاجي

والزوان وغير ذلك مما جرى مجراه فان حروفه جميعها متحركات وليس فيها
حرف ساكن وهي مماثلة لحركات الفعول في الوجود ومن تظرف في حكمة
وضع هذه اللغة الى هذه الدقائق التي هي كالأطراف والحواسي فكيف كان يخل
بالاصل المعول عليه في تأليف الحروف بعضها الى بعض على أنه لو أراد الناظم
أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الالفاظ وهل هي متباعدة
أو متقاربة لطال الخطب في ذلك وعسر وإنما كان الشاعر ينظم قصيدا
ولا الكتاب ينشئ كتابا الا في مدة طويلة تمنحى عليها أيام وليال ذوات عدد كثير
ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فان حاسة السمع هي الحاسة في هذا
المقام بحسن ما يحسن من الالفاظ وقبح ما يقبح وسأضرب لك في هذا مثلا
فأقول اذا سمعت عن لفظ من الالفاظ وقيل لك مات قول في هذه اللفظة
أحسنة هي أم قبيحة فاني لا أرا ذلك الاتفي بحسنها أو قبحها على الفور
ولو كنت لا تفني بذلك حتى تقول للسائل اصبر الى أن اعتبر مخارج حروفها
ثم أفتيك بعد ذلك بما فيها من حسن أو قبح اصح لابن سنان ما ذهب اليه من جعل
مخارج الحروف المتباعدة شرط في اختيار الالفاظ وانما أشد منه الاصل
في ذلك وهو أن الحسن من الالفاظ يكون متباعد المخارج فحسن الالفاظ اذن
ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع
الى حاسة السمع فاذا استحسن لفظا أو استقبحته وجد ما تستحسنه متباعد
المخارج وما تستقبحه متقارب المخارج واستحسنها واستقبحها انما هو قبل
اعتبار المخارج لا بعده على أن هذه قاعدة قد شذعننا شواذ كثيرة لانه قد ينجي
في المتقارب المخارج ما هو حسن رائق ألا ترى أن الجيم والشين والياء مخارج
متقاربة وهي من وسط اللسان بين الحنك وتسمى ثلاثها الشهيرة واذا
تركب منها شيء من الالفاظ جاء حسنا رائقا فان قيل جيش كانت لفظة محمودة
أو قدمت الشين على الجيم فقيل نجي كانت أيضا لفظة محمودة ومما هو أقرب
مخرج من ذلك الباء والميم والقاه وثلاثها من الشفة وتسمى الشفهية فاذا نظم
منها شيء من الالفاظ كان جميلا حسنا وكقولنا فم هذه اللفظة من حرفين هما
القاه والميم وكقولنا ذقته بضمي وهذه اللفظة مؤلفة من الثلاثة بجمها وكلاهما
حسن لا عيب فيه (وقد ورد) من المتباعد المخارج شيء قبيح أيضا ولو كان التباعده

سبب الحسن لما كان سبب القبح اذ هما ضدان لا يجتمعان (فمن ذلك) انه يقال
 ملع اذا عدا فالميم من الشفة والعين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان
 وكل ذلك متباعد ومع هذا فان هذه اللفظة كروحة الاستعمال ينبوعها الذوق
 السليم ولا يستعملها من عنده معرفة بفتح الفصاحة (وههنا نكتة غريبة) وهو
 ان اذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت علم وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد
 على حسنها وما ندري كيف صار القبح حسنا لانه لم يتغير من مخارجها شيئا وذلك
 ان اللام لم تزل وسطا والميم والعين يكتسبانها من جانبيها ولو كان مخارج الحروف
 معتبرا في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة في ملع وعلم (فان قيل) ان اخراج
 الحروف من الحلق الى الشفة ايسر من ادخالها من الشفة الى الحلق فان ذلك
 انحدار وهذا صعود والانحدار ايسر (فالجواب) عن ذلك اني اقول لو اشتهرت
 هذا الصبح ما ذهبت اليه الكثيرون من الالفاظ ما اذا عكسنا حروفه من الشفة الى
 الحلق او من وسط اللسان او من آخره الى الحلق لا يتغير كقولنا غلب فان العين
 من حروف الحلق واللام من وسط اللسان والياء من الشفة واذا عكسنا ذلك صار
 بلع وكلاهما حسن مليح وكذلك تقول حلم من الحلم وهو الائمة واذا عكسنا
 هذه الكلمة صارت ملح على وزن فعل بفتح الفاء وضم العين وكلاهما ايضا حسن
 مليح وكذلك تقول عقر ورقع وعرف وفرع وحلف وفلم وقلم وملك وكلم وملك
 ولو شئت لا ورددت من ذلك شيئا كثيرا تضيق عنه هذه الاوراق ولو كان ما ذكرته
 مطردا لكنا اذا عكسنا هذه الالفاظ صار حسنها قبحا وليس الامر كذلك واما
 ما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربي فليس ذلك مما يوجب لها
 حسنا ولا قبحا وانما قدح في معرفة مسماها بما ينقله من الالفاظ فكيف
 به ذلك من جملة الاوصاف الحسنة واما تصغير اللفظة فيما يعبر به عن شيء
 لطيف او خفي او ما جرى مجراه فهو هذا مما لا حاجة الى ذكره فان المعنى يسوق
 اليه وليت معاني التصغير من الاشياء الغامضة التي يقتصر الى التنبية عليها
 فانها مدقونة في كتب النحو وما من كتاب نحو الا والتصغير باب من ابوابه ومع هذا
 فان صاحب هذه الصناعة مخير في ذلك ان شاء ان يورده بلانظ التصغير وان شاء

بمعناه كقول بعضهم

لو كان يخفي على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو ابد

فهل كان يمكن هذا الشاعر أن يصغر من هؤلاء القوم ويحقر من شأنهم باللفاظ
 التصغير ويجي هكذا كما جاء بيته هذا فالوصية به اذن ملغاة لاحاجة اليها (وأما
 الاوصاف الباقية التي ذكرت فهي التي ينبغي أن ينبه عليها) فمنها أن لا تكون
 الكناية وحشية وقد خفي الوحشي على جماعة من المنقذين الى صناعة العظم
 والثر وظنوه المستقيم من الالفاظ وليس كذلك بل الوحشي ينقسم قسمين
 أحدهما غريب حسن والاخر غريب قبيح وذلك أنه منسوب الى اسم
 الوحش الذي يمكن القنار وليس بأبيض وكذلك الالفاظ التي لم تكن مأنوسة
 الاستعمال وليس من شرط الوحش أن يكون مستقيماً بل أن يكون ناقراً
 لا يألف الا نسا فتارة يكون حسناً وتارة يكون قبيحاً وعلى هذا فان أحد قسمي
 الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات وأما
 القسم الاخر من الوحشي الذي هو قبيح فان الناس في استنباحه سواء
 ولا يختلف فيه عربي بادل ولا قروي متحضر وأحسن الالفاظ ما كان مألوفاً
 متداولاً لانه لم يكن مألوفاً متداولاً الا لما كان حسناً وقد تقدم الكلام
 على ذلك في باب الفصاحة فان أرباب الخطابة والشعر نظروا الى الالفاظ ونقبوا
 عنها ثم عدلوا الى الاحسن منها فاستعملوه وتركوها مساوياً وهو أيضاً تفاوت
 في درجات حسنة فالالفاظ اذن تنقسم ثلاثة أقسام قسمان حسنان وقسم قبيح
 فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الاوّل والاخر من الزمن
 القديم الى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي والاخر ما تداول استعماله
 الاوّل دون الاخر ويختلف في استعماله بالنسبة الى الزمن وأهله وهذا هو الذي
 لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي
 وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهي التي يطلق عليها غريب
 القرآن وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيئاً وهو الذي يطلق عليه غريب
 الحديث (وحضر عندي في بعض الايام رجل متفلسف) فجري ذكر القرآن
 الكريم فأخذت في وصفه وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من
 الفصاحة والبلاغة فقال ذلك الرجل وأي فصاحة هناك وهو يقول تلك
 اذا قسمة ضـ يزي فهل في لفظة ضـ يزي من الحسن ما يوصف فقلت له اعلم
 أن لاسـ استعمال الالفاظ أمراراً لم تقف عليها أنت ولا أئمتك مثل ابن سينا

رد على متفلسف اعترض على قوله نعم الى قسمه ضـ يزي

والفارابي ولا من أضلهم مثل ارسطاميس وافلاطون وهذه اللفظة التي أنكرتها
في القرآن وهي لفظة ضيزى فانها في موضعها لا يستغيرها مستدها ألا ترى أن
السورة كلها التي هي سورة النجم مسجوعة على حرف الياء فقال تعالى والنجم
اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وكذلك الى آخر السورة فلما ذكر الاصنام
وقسمة الاولاد وما كان يزعمه الكفار قال ألكم الذكر وله الاثني تلك اذا قسمة
ضيزى فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة بجمعها عليه
وغيرها لا يستدها في مكانها واذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا ان
غيره هذه اللفظة أحسن منها ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها
ولا مناسبة لانها تكون خارجة عن حرف السورة وسأبين ذلك فأقول اذا جئنا
بالنظرة في معنى هذه اللفظة قلنا قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أن جائرة أو ظالمة
أحسن من ضيزى الا اذا نظرنا الكلام قلنا ألكم الذكر وله الاثني تلك اذا
قسمة ظالمة لم يكن النظم كالنظم الا في الاصل وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج
الى تمام وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام فلما سمع ذلك الرجل
ما أوردته عليه وباللسان في نفسه الخماما ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد
الذي مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشهيا ويقولون ما يقولونه
جهلا واذا حوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم وحيث انتهى القول
الى ههنا فاني أرجع الى ما كنت بصدد ذكره فأقول وأما القبيح من الالفاظ
الذي يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشي الغليظ وسماي
ذكره واذا نظرنا الى كتاب الله تعالى الذي هو أفصح الكلام وجدناه سهلا
سلسا وما تضمنه من الكلمات القرية يسير جدا هذا وقد أنزل في زمن العرب
العرباء والفاظه كلها من أسهل الالفاظ وأقرب الاستعمالا وكفى به قدوة في هذا
الباب قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل
أم القرآن وهي السبع المثاني يريد بذلك فاتحة الكتاب واذا نظرنا الى ما اشتملت
عليه من الالفاظ وجدناها سهلة قريبة المأخذ يفهمها كل أحد حتى صبيان
المكاتب وعوام السوق وان لم يفهموا ما تحتمل من أسرار النصاحة والبلاغة
فان أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن
الالفاظ المستعملة في سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بالفاظ القرآن

يكتب في بها عن غيرها من جميع الالفاظ المنثورة والمنظومة * وأما ما ورد من الالفاظ
 الوحشي في الاخبار النبوية فن جملة ذلك حديث طهفة بن أبي زهير الندي
 وذلك أنه لما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي
 زهير فقال أتينا لئلا نرسول الله من غوري تهامة على أكوار الميس ترمي بنا
 العيس تستجلب الصبير وتستجلب الخبير ونستعضد البرير ونستجلب الرهام
 ونستجلب الجهام في أرض غائلة الغطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن
 ويس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى وقاد الودى
 برئت اليك يا رسول الله من الوثن والفتن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام
 وشريعة الاسلام ما طمى البحر وقام تعار وانام حمل اعقال ما تبص
 يلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتنا سنية حراء مؤزلة ليس لها عليل
 ولا نهل فتعال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك اللهم في محضها ومحضها
 ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدرر بيناع الثمر واجرله التمد وبارك له في
 المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن
 شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك
 لا تملط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتناقل عن الصلاة (وكتب) معه
 كتابا الى بني نهد من محمد رسول الله الى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله
 لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة واكم الشارض والفريش وذوال العنان
 الركوب والفلوا الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طمحكم ولا يجبس دركم ولا
 يؤكل أكاكم مالم تضرروا والاماني وتأكلوا الرباق من أقر بما في هذا الكتاب
 فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبي فعليه الربوة * وقصاحة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لا تقتضي استعمال هذه الالفاظ ولا تكاد توجد
 في كلامه الاجواب لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على
 أنه قد كان في زمنه متداولا بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله
 الا بسيرا لانه أعلم بالفصح والاقصح وهذا الكلام هو الذي نعتنه نحن في زماننا
 وحشيا لعدم الاستعمال فلا تظن أن الوحشي من الالفاظ ما يكرهه سمعك
 ويثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على
 سمعك ولا تجده بمرهارة وتارة يثقل على سمعك وتجده منه الكراهة وذلك في الالفاظ

عيان أحدهما أنه غريب الاستعمال والآخر أنه ثقيل على السمع كربه على الذوق وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى أيضا المتوعر وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يختر بياله شيء من معرفة هذا الفن أصلا (فإن قيل) فما هذا النوع من الالفاظ (قلت) قد ثبت لك أنه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك النطق به وسأضرب لك في ذلك مثلا فقه ماورد لتأبط شرافى كتاب الحماسة

يظل بمومة ويمسى بغيرها * بجيشا ويعرورى ظهورا المسالك
فإن لفظة بجيش من الالفاظ المنكرة القبيحة وبالله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريدانظة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع بجيش لما اختلف شيء من وزنه فتأبط شراملوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها وبما هو أقبح منها ماورد لابى تمام قوله

قد قلت اما الطخيم الامر وانبعث * عواء تالية غيبا دهاريسا
فاللفظة الطخيم من الالفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنهما غريبة وأنهما غليظة في السمع كربه على الذوق وكذلك لفظة دهاريس أيضا وعلى هذا ورد قوله من أبيات يصف فرسا من جملتها

نعم متاع الدنيا حباله * أروع لاجيد رولا جيس

لفظة جيدر غليظة وأغلظ منها قول أبي الطيب المتنبي

جفنت وهم لا يجفخون بها بهم * شيم على الحسب الاغتر دلائل

فإن لفظة جفخ مرة الطعم وإذا مرت على السمع اقشعرت منها وأبو الطيب في استعمالها كما استعمال تأبط شراملوم بجيش فإن تأبط شراملوم كانت له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة كما أشيرنا إليه فيما تقدم وكذلك أبو الطيب في استعمال هذه اللفظة التي هي جفنت فإن معناها نفرت والجفخ الفخر يقال جفخ فلان إذا نفروا واستعمل عوضا عن جفنت نفرت لاستقام وزن البيت وحظي في استعماله بالأحسن وما أعلم كيف يذهب هذا وأمثاله على مثل هؤلاء الفحول من الشعراء وهذا الذي ذكرته وما يجرى مجراه من الالفاظ هو الوحشي اللفظ الغليظ الذي

ليس له ما يدانيه في قبحه وكرهته وهذه الامثلة دليل على ما أردناه والعرب اذن لا تلام على استعمال الغريب الحسن من الالفاظ وانما تلام على الغريب القبيح وأما الحضري فانه يلام على استعمال القسمن دعا وهو في أحدهما أشد ملامة من الآخر على أن هذا الموضوع يحتاج الى قيد آخر وذلك شئ استخرجته أنا دون غيري فاني وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ولا يسوغ في الخطب والمكاتبات وهذا ينكره من يسعه حتى ينتهي الى ما أورده من الامثلة وربما أنكره بعد ذلك اما عناد اوتاما جهل لعدم الذوق السليم عنده (فمن ذلك) قول الفرزدق

ولولا حياء زدت رأسك شجة * اذا سبرت ظلت جوانبها تغلي

شربنة شمطاء من يرعى بها * يشبه ولوبين الخماسي والطفل

فقوله شربنة من الالفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر وهي ههنا غير مستكرهة الا أنها لو وردت في كلام منشور من كتاب أو خطبة لعبت على استعمالها وكذلك وردت لفظه مشخراً فان بسرا قد استعمالها في آياته التي يصف فيها القاء الاسد فقال

وأطلقت المهند عن يميني * فقدله من الاضلاع عشرًا

نخر مضر جابدم كاني * هدمت به بناء مشخرا

وعلى هذا ورد قول البحري في قصيدته التي يصف فيها ايوان كسرى فقال

مشخراً تعلو له شرفات * رفعت في رؤس رضوى وقدس

فان لفظه مشخراً لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات ولا باس بها ههنا في الشعر وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب بن نباتة كقوله في خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة فقال اقطرو بهاها واشمخز نكالها فاطابت ولا ساغت ومن هذا الاسلوب لفظه الكنهور في وصف السحاب كقول أبي الطيب

بالت باكية شجاني دمعها * نظرت اليك كما نظرت قتعندرا

وترى القضيلة لا ترد فضيلة * الشمس تشرق والسحاب كنهورا

فلفظه الكنهور لا تعاب نظما وتعاب نثرا وكذلك يجري الامر في لفظه العرمس وهي اسم الناقة الشديدة فان هذه الالفاظ يسوغ استعمالها في الشعر ولا يعاب استعمالها كقول أبي الطيب أيضا

ومهمه جيبته على قدي * تعجز عنه العرامس الذال
فانه جمع هذه اللفظة ولا بأس به ولو استعمت في الكلام المنثور لمطابقت
ولاساغت وقد جاءت موحدة في شعر أبي تمام كقوله
هي العرمس الوجناء وابن ملة * وحاش على ما يحدث الدهر خائض
وكذلك ورد قوله أيضا * يا موضع الشدنية الوجباء * فان الشدنية لا تعاب شعرا
وتعاب لو وردت في كتاب أو خطبة وهي كذا يجري الحكم في أمثال هذه
الانفاط المشار إليها وعلى هذا فاعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام
المنثور من اللفاظ يسوغ استعماله في الكلام المنظوم وليس كل ما يسوغ
استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنثور وذلك شئ
استبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستي لهذا الفن ولان الذوق الذي عندي دلتني
عليه فمن شاء أن يقلدني فيه والافليد من النظر حتى يطلع على ما اطلعت عليه
والاذهان في مثل هذا المقام تتفاوت (وقدر أيت) جماعة من مدعي هذه
الصناعة يعتقدون أن الكلام النصح هو الذي يعزفه منه ويعد تناوله واذا
رأوا كلاما وحشا يا غامض اللفاظ يعجبون به ويصفونه بالنصاحة وهو بالضد
من ذلك لان النصاحة هي الظهور والبيان لا الغموض والخفاء * وسأبين لك
ما تعة عليه في هذا الموضع (نأقول) الانفاط تنقسم في الاستعمال الى جزلة
ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل في وصف
مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك وأما الرقيق منها
فانه يستعمل في وصف الاشواق وذكر أيام البعد وفي استجلاب المودات
وملايين الاستعطاف وأشباه ذلك واستأعني بالجزل من اللفاظ أن يكون
وحشا يامتوعر عليه عنجھية البداوة بل أعني بالجزل أن يكون متيناعا على
عذوبته في القم ولذا ذته في السمع وكذلك استأعني بالرقيق أن يكون ركيكا
سفسفا وانما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبي تمام
ناعمت الاطراف لو أنما تلبس أغنت عن الملاء الرقاق
وسأضرب لك مثالا للجزل من اللفاظ والرقيق فأقول انظر الى قوارع القرآن
عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا
وما جرى هذا الجرى فانك لا ترى شيئا من ذلك وحشى اللفاظ ولا متوعرا ثم انظر

الى ذكر الرحمة والرافقة والمغفرة والملاطفات في خطاب الانبياء وخطاب المنبيين
 والتائبين من العباد وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيئاً من ذلك ضعيف
 الالفاظ ولا سفسفاً (فمثال الاقول) وهو الجزل من الالفاظ قوله تعالى وتنفخ في
 الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى
 فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجى بالنبيين
 والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ورفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم
 بما يفعلون وسبق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال
 لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
 هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم
 خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى
 اذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
 وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعدوه وأورثنا الارض تنبوا من الجنة حيث نشاء فنعم
 أجر العاملين فتأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفصيل أحواله وذكر
 النار والجنة وانظر هل فيها النظرة الا وهي سهلة مستعذبة على ما به من الجزالة
 وكذلك ورد قوله تعالى واقعد جنتنا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم
 ما خلقناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد
 قطع بينكم وفضل عنكم ما كنتم تزعمون (وأما مثال الثاني) وهو الرقيق من
 الالفاظ فتقوله تعالى في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والضحي والليل اذا سجي
 ما ودعك ربك وما قلى الى آخر السورة وكذلك قوله تعالى في ترغيب المسئلة
 واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وهكذا ترى سبيل
 القرآن الكريم في كلاهذين الخالين من الجزالة والرقعة وكذلك كلام العرب
 الاول في الزمن القديم مما ورد عنها اثراً ويكفي من ذلك كلام قبيصة بن نعيم لما قدم
 على امرئ القيس في أشياخ بنى أسديسألونه العفوع عن دم أبيه فقال له انك في
 المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر ما تحدثه أيامه وتنتقل به أحواله
 بحيث لا يحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من محترّب ولك من سودد من نصبك
 وشرف اعراقك وكرم أصلك في العرب محتمد محتمل ما حل عليه من اقالة العثرة
 ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوز اللهم الى غاية الاربعات اليك فوجدت عندك

كلام قبيصة لامرئ القيس يسأله العفوع عن دم أبيه

من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفيح ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها
وقد كان الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا واليمن ولم تخصص
بذلك كندة دوتما للشرف البارح كان حجر ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية
بعده لما بخلت كرائمها على مثله ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على
أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فأجد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك
في احدي خلال ثلاث اما ان اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا وأعلاها في بناء
المكرمات صوتا فقد ناه اليك بنعه تذهب مع شفرات حسامك يياقي قصرته
فدعول رجل امتحن به المالك عزيز فلم يستل سخيتمه الا يمكنته من الانتقام أو
فداء بما يروح على بنى أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسة فكان ذلك فداء
رجعت به النضب الى أجدانهم الم تردها بسليط الاحن على النزاء واما ان
وادعتنا الى أن تضع الحوامل فتسدل الازر وتعدد النجر فوق الرايات قال
فبكي ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أنه لا كفو لجرج في دم واني ان
أعماض جلا ولا ناقة فاكتسب به سببة الابد وقت العضد واما النظرة فقد
أوجبتها الاجنسة في بطون أمتهاتها وان أكون لعطيها سببا وستعرفون طلائع
كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا

اذا جالت الحرب في مارق * تصافح فيه المنيا بالنفوسا

أنتقيمون أم تنصرفون قالوا بل تنصرف بأسول الاختيار وابل الاجترار بمكروه
وأذية وحرب وبلية ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل

لعلك أن تستوخم الوردان عدت * كاتبتنا في مارق الحرب عطر

فقال امرؤ القيس لا والله ولكن أسست عذبه فرويدا يتفرج لك دجاها من فرسان
كندة وكاتب حير ولقد كان ذكر غير هذا بي أولى اذ كنت نازلا بربعي ولكنك
قلت فواوجبت فقال امرؤ القيس هو ذلك * فلتمنظر الى هذا الكلام من
الرجلين قبيصة وامرئ القيس حتى يدع المتعمقون تعمقهم في اسستعمال
الوحشي من الانفاظ فان هذا الكلام قد كان في الزمن القديم قبل الاسلام بما
شاء الله وكذلك كلام كل فصيح من العرب مشهور وما عداه فليس بشيء وهذا
المشار اليه ههنا هو من جزل كلامهم وعلى ما تراهم من السلاسة والعدوية واذا
تصفحت أشعارهم أيضا وجدت الوحشي من الانفاظ قليلا بالنسبة الى المسلسل

قوله واكثر ذوات الخ كذا في النسخ والطاهر ان يقول فقال قبيصة واكثر ذوات الخ اه

في القوم والسبع ألا ترى الى هذه الايات الواردة للسموأل بن عاديا وهي
 اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه * فمك كل ردا ميرتديه جبيل
 وان هولم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل
 تعيرنا آنا قليل عد يدنا * فتلث لها ان الكرام قليل
 وما ضـرنا آنا قليل وجارنا * عزيز وجار الا كثيرين ذليل
 يقرب حب الموت آجاننا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
 وما مات مناسيد حنف أنفسه * ولا ظل منا حيث كان قتيل
 علونا الى خير الظهور وروحنا * لوقت الى خير البطون نزول
 فحين كماء المزن ما في نصابنا * كهام ولا قينا يعتد بجبيل
 اذا سيد منا خلا قام سيد * قزول لما قال الكرام فعول
 وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غر مشهورة وحجول
 وأسياقنا في كل غرب ومشرق * بها من قراع الدارعين فلول
 معودة الابـسـل نصالها * فتعمد حتى يستباح قتيل
 فاذا نظرنا الى ما تضمنه من الجزالة خلناها زبران الحديد وهي مع ذلك سهلة
 مستعذبة غير قظة ولا غليظة وكذلك قد ورد للعرب في جانب الرقة من الاشعار
 ما يكاد يذوب لرقة كقول عروة بن أذينة

ان التي زعت فوادك ملها * خلقت هوالك كما خلقت هوى لها
 بيضاء باكرها النعيم فصاعها * يلباقية فادقها وأجلها
 بجيت تحيتم افقلت اصاحي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
 واذا وجدت لها وساوس ساوة * شقع الضمير الى الفواد فسلها
 (وكذلك ورد قول الآخر)

أقول لصاحي والعيس تهوى * ينابين المتيفة فالضمير
 تمتع من شميم عرار نجد * فابعد العشيبة من عرار
 ألا يا حبيذا نفحات نجد * ورياروضة غب القطار
 وأهـلاك اذ يحيل الحى نجد * وأنت هلى زمانك غير زار
 شهور يتقضين وما شعرنا * بأنصاف لهـن ولا سرار
 فاما ليهـن نـفـسـيـر لـيـل * وأطيب ما يكون من النهار

ومما ترقص الاسماع له ويرت على صفحات القلوب قول يزيد بن الطثرية في محبوبته
من برم

بنفسى من لومز بردبناه * على كبدى كانت شفاء أنا له
ومن هابنى فى كل شى وهبته * فلا هو يعطينى ولا أنا سائله
واذا كان هذا قول ساكن فى القلاة لا يرى الاشيجة أو قيصودة ولا يأكل الاضبا
أو يربو عاقبال قوم ~~س~~ والحضر ووجد وارقة العيش يتعاطون وحشى
الاتفاظ وشطف العبارات ولا يخلد الى ذلك الا ما جاهل بأسرار الفصاحة واما
عاجز عن سلوك طريقها فان كل أحد ممن شدا شيأ من علم الادب يمكنه أن يأتي
بالوحشى من الكلام وذلك أنه يلتقطه من كتب اللغة أو يتلقفه من أربابها
وأما الفصح المتصف بصفة الملاحه فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما علم أين
يضع يده فى تأليفه وسبده فان ما رى فى ذلك مما رى فليتنظر الى أشعار علماء الادب
من كان مشارا اليه حتى يعلم صحة ما ذكره هذا ابن دريد قد قيل انه أشعر علماء
الادب واذا نظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المجيدين منخطا
مع أن أوائل الشعراء لم يعرفوا من علم الادب عشر معشار ما علم هذا العباس
ابن الاحنف قد كان من أوائل الشعراء المجيدين وشعره كمر نسيم على عذبات
أغصان وكأواوات طل على طرر ويحان ونيس فيه لفظه واحدة غريبة يحتاج
الى استخراجها من كتب اللغة فمن ذلك قوله

وانى ليرضينى قليل نوالكم * وان كان لأرضى اكم بقليل

بجرمة ما قد كان بينى وبينكم * من الود الاعدتو يجب ميل

وهكذا ورد قوله فى فوزا لى كان يشبب بها فى شعره

يا فوز يا منية عباس * قلبى يقدى قلبك القاسى

أسأت اذا حسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس

يقلقنى شوقى فأتىكمو * والقلب ملوء من الياس

وهل أعذب من هذه الابيات وأعلق بالخطاطر وأسرى فى السمع ولمثله المتخف

رواج الاوزان وعلى مثلها تتهرا الاجفان وعن مثلها تتأخر السوابق عند

الرهان ولم أجرها بلسانى يوما من الايام الا ذكرت قول أبى الطيب المتنبي

اذا شاء أن يلهو بلحية أحق * أراه غبارى ثم قال له الحق

ومن الذي يستطيع أن يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة قرية بعيدة
وهذا أبو العتاهية كان في عزة الدولة العباسية وشعراء العرب اذ ذال الموجودون
كثيرا وكانت مدائحهم في المهدي بن المنصور واذ اتأملت شعره وجدته كالماء
الجاري رقة الفاظ واطافة سبك وايسر بركيك ولاواه وكذلك أبو نواس وبهذا
قدم على شعراء عصره وناهيك بعصره وما جمعه من غول الشعراء ويكفي منهم
مسلم بن الوليد الذي كان فارس الشعر وله الاسلوب الغريب العجيب غير أنه كان
يتعجب في أكثر الفاظه ويحكى أن أبا نواس جلس يوما الى بعض التجار ببغداد
هو وجماعة من الشعراء فاستسقى ماء فلما شرب قال * عذب الماء وطابا * ثم قال
أجيزوه فأخذوا تلك الشعراء يترددون في اجازته واذا هم بأبي العتاهية فقل
ما شأنكم محجة عين فقالوا هو كيت وكيت وقد قال أبو نواس * عذب الماء وطابا
فقال أبو العتاهية * حيد الماء شرابا * فحججوا قوله على القوم من غير تلبث
وكل شعرا أبي العتاهية كذلك سهل الالفاظ وسأورد منه ههنا شيئا يتدل به على
سلاسة طبعه وترويق خاطره (فمن ذلك) قصيدته التي يمدح فيها المهدي
ويشيب فيها بجارية عتب

ألا ما السيد في مالها * تدل فأجل ادلالها
ألا ان جارية للاما * م قد سكن الحسن سر بالها
لقد أتعب الله قلبي بها * وأتعب في اللوم عذالها
كان بعيني في حيثما * سلكت من الارض عثالها

فلما وصل الى المديح قال من جلته

أتمه ان الافة منقادة * اليه تجر أذيالها
فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الاله
ولورامها أحد غيره * زلزات الارض زلالها
ولم تطعه نيات القلوب * لما قبل الله أعمالها

ويحكى أن بشارا كان شاهدا عند انشاد أبي العتاهية هذه الابيات فلما سمع
المديح قال انظروا الى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده يريد هل زال عن سريره
طر باب هذا المديح ولعمري ان الامر كما قال بشار وخير القول ما أسكر السامع
حتى ينقله عن حالته سواء كان في مديح أو غيره وقد أشرت الى ذلك فيما يأتي

ما يجتنب من الاحرف في النظم والنثر لضيق مجالها تشبيه الالفاظ أبي تمام والحزري

من هذا الكتاب عند ذكر الاستعارة فليؤخذ من هناك (واعلم) أن هذه الابيات المشار اليها عننا من رقيق الشعر غزلا ومدبجا وقد أذعن لمديحها الشعراء من أهل ذلك العصر ومع هذا فانك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات وهذا هو الكلام الذي يسمى السهل الممتنع فتراها يطامعك ثم اذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغي أن يكون من خاص في كتابة أو شعر فأن خير الكلام ما دخل الاذن بغير اذن (وأما) البداوة والعجبية في الالفاظ فتلك أمة قد خلت ومع أنها قد خلت وكانت في زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن وقد غلب على الناس رقة الحضر (وبعد هذا) فاعلم أن الالفاظ تجري من السمع مجرى الاشخاص من البصر فالالفاظ الجزلة تتجمل في السمع كاشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة تتجمل كاشخاص ذي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزج ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوها خيولهم واستلأموها سلاحهم وتأهبوا للطراد وترى ألفاظ البحري كأنها نساء حسان عليهن غلاقل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلوى واذا أنعمت نظرك فيما ذكرته ههنا وجدتني قد دللتك على الطريق وضربت لك أمثالا مناسبة (واعلم) أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنب ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف كالتاء والذال والحاء والشين والصاد والطاء والظاء والعين فان في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الاحرف المشار اليها والناظم في ذلك أشد ملامة لانه يتعرض لان يتظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتي في أكثرها باليشع الكريه الذي يجه السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائبة التي مطلعها قف بالطلول الدارسات علائنا • وكان فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته الشينية التي مطلعها • مبيتى من دمشق على فراش • وكان فعل ابن هاني المغربي في قصيدته الخامية التي مطلعها • سرى وجناح الليل أقم أفتح • والناظم لا يعاب اذا لم يتظم هذه الاحرف في شعره بل يعاب اذا نظمها وجاءت كريمة مستبشرة • وأما الناثر فانه أقرب حالا من الناظم لان غاية ما يأتي به سجعتان أو ثلاثة أو أربع على حرف من هذه الاحرف وما يعدم في ذلك ما يروق اذا كان بهذه العدة البسيرة فان كلفت أي الشاعر أن تنظم شيئا على هذه الحروف فقل هذه الحروف هي مقاتل القمامة

وعذرى واضح في تركها فان واضع اللغة لم يضع عليها الفساظا تعذب في الضم
ولا تملذ في السمع والذي هو بهذه الصفة منها فاعلمها هو قلبا لجل جدا ولا يصاغ منه
الامقاطيع آيات من الشعر وأما القصائد المقصدة فلا تصاغ منه وان صبغت
جاء أكثرها بشعا كرها على أن هذه الحروف متفاوتة في كراهة الاستعمال
وأشد كراهية أربعة أحرف وهي الخاء والصاد والظاء والغين وأما الشاء
والذال والشين والطاء فان الامر فيهن أقرب حالا وهذا موضع ينبغى اصحاب
الصناعة أن يشتم نظره فيه وفيما أشرنا اليه كفاية للمتعملم فليعرفه وليتقف عنده
(ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون بمثابة بين العمامة وذلك ينقسم قسمين
(الاول) ما كان من الالفاظ الالاعلى معنى وضع له في أصل اللغة فغيرته العمامة
وجعلته الالاعلى معنى آخر وهو ضربان الاول ما يكره ذكره كقول أبي الطيب
أذاق الغواني حسنه ما أذقتني * وعف فجازاهن عني بالصرم

فان لفظة الصرم في وضع اللغة هو القطع يقال صرمه اذا قطعه فغيرتها العمامة
وجعلتها الالاعلى المحل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السين صاد
ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها لکن المكره
منها ما يستعمل على صبغة الاسمية كما جاءت في هذا البيت وأما اذا استعملت
على صبغة الفعل كقولنا صرمه وصرمته وتصرّمه فانها لا تكون كرهية لان
استعمال العمامة لا يدخل في ذلك وهذا الضرب المشار اليه لا يعاب البدوى
على استعماله كما يعاب المحتضر لان البدوى لم تتغير الالفاظ في زمنه
ولا تصرّفت العمامة فيها كما تصرّفت في زمن المحتضر من الشعراء فن أجل
ذلك عيب استعمال لفظة الصرم وما جرى مجراها على الشاعر المحتضر ولم يعيب
على الشاعر المتبدى ألا ترى الى قول أبي صخر الهذلي

قد كان صرم في الممات لنا * فجمت قبل الموت بالصرم

فان هذا لا يعاب على صخر كما عيب على المتنبى قوله في البيت المقدم ذكره
وقد صنّف الشيخ أبو منصور بن أحمد البغدادي المعروف بابن الجواليقي كتابا
في هذا الفن ووسمه باصلاح ما تفلط فيه العمامة فمنه ما هذا سبيله وهو الذي
أنكر استعماله استكرهته ولانه مما لم ينقل عن العرب فهذان عيبان وأما
الضرب الثاني وهو أنه وضع في أصل اللغة لمعنى فجعلته العمامة الالاعلى غيره

لأنه ليس مستتبع ولا مستكره وذلك كسببهم الانسان نظريفا اذا كان
دمث الاخلاق حسن الصورة أو اللباس أو ما هذا سبيله والظرف في أصل اللغة
مختص بالنطق فقط (وقد قيل في صفات خلق الانسان ما أذكره ههنا) وهو
المباحة في الوجه الوضاعة في البشرة الجمال في الاتق الحلاوة في العينين
الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال
الحسن في الشعر فالظرف انما يتعلق بالنطق خاصة فغيرته العامة عن بابه وعن
غاط في هذا الموضع أبو نواس حيث قال

اختص الجود والجمال • فيك فصار الى جدال
فقال هـ ذاعينه لي • للعرف والبذل والنوال
وقال هذا الوجه لي • للظرف والحسن والكمال
فافترا فيك عن تراض • كلاهما صادق المقال
وكذلك غلط أبو تمام فقال

لك هضبة الحلم التي لو وازنت • أجا أذن ثقلت وكان خفيفا
وحلاوة الشيم التي لو ما زجت • خلق الزمان القدم عاد ظريفا

فأبو نواس غلط ههنا في أنه وصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق
وأبو تمام غلط في أنه وصف الخلق بالظرف وهو من صفات النطق أيضا الآن هذا
غلط لا يوجب في هذه اللفظة كما الكنه جهل بعرفة أصاها في وضع اللغة (النسم
الثاني) مما ابتدته العامة وهو الذي لم تغيره عن وضعه وانما أنكر استعماله
لانه مبتذل بينهم لانه مستتبع ولا لانه مخالف لما وضع له وفي هذا القسم
نظر عندي لانه ان كان عبارة عما يكثر تداوله بين العامة فان من الكثير المتداول
بينهم الفاظا فصحة كاسماء والارض والنار والماء والحجر والطين وأشبه ذلك
وقد نطق بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه وجاءت في كلام الفصحاء نظما
ونثرا والذي ترجح في نظري أن المراد بالمبتذل من هذا القسم انما هو الالفاظ
الضعيفة الضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة (فكما) جاء منه قول
أبي الطيب المتنبي

وملومة سيفيت ربوية • يصبح الحصان فيها اصباح اللقالق
فان لفظ اللقالق مبتذلة بين العامة جدا وكذلك قوله

ومن الناس من تجوز اليهم • شعراء كأنها الخماز باز
وهذا البيت من مضحكات الأشعار وهو من جملة البرسام الذي ذكره في شعره
حيث قال

إن بعضا من القريض هزاه • ليس شبا وبه ضه احكام
فيه ما يجلب البراعة والفهيم وفيه ما يجلب البرسام
ومثل هذه الالفاظ اذا وردت في الكلام وضعت من قدره ولو كان معنى
شريفنا وهذا القسم من الالفاظ المبتذلة لا يكاد يخجل منه شعرا شاعرا
ليكن منهم المقل ومنهم المكتر حتى ان العاربية قد استعملت هذا الا
أنه في أشعارها أقل فن ذلك قول النابغة الذبياني في قصيدته التي أولها
من آل مية رابع أو مقتدى

أودمية في مرمر مرفوعة • بنيت بأجر يشاد بقرمد
فلنظرة أجزم مبتذلة جدا وان شئت أن تعلم شيئا من سر الفصاحة التي تضمنها
القرآن فانظر الى هذا الموضع فانه لما جىء فيه بذكر الأجر لم يذكر بالفظه ولا بلفظ
القرمد أيضا ولا بلفظ الطوب الذي هو لغة أهل مصر فان هذه الاسماء مبتذلة
ليكن ذكر في القرآن على وجه آخر وهو قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ
ما علمت لكم من الغيبي فإوقد لي ياها مان على الطين فأجعل لي صرحا فعبر
عن الأجر بالوقود على الطين (ومن هذا القسم المبتذل) قول المرزوق
في قصيدته التي أولها عرفت باعشاش وما كدت تعرف

وأصبح مبيض الضريب كأنه • على سروات البيت قطن مندف
فقوله مندف من الالفاظ العامية (ومن هذا القسم) قول الجعري
وجوه حسادك مسودة • أم صبغت بعدي بالزاج
فلا فظة الزاج من أشد الالفاظ العامة ابتذالا وقد استعمل أبو نواس هذا النوع
في شعره كثيرا كتوله

يا من جفاني وملا • نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحبنا • رأيت مالي قلا
اني أظنك فيما • فعلت تحكي القولا
(وكقوله)

وأنت راجلة صيرته * في النام زاعا وشقرا
مازلت أبجى كل كي فوقه * حتى دعامن تحنه قافا
(وكقوله)

وملحة بالعدل تحب أتى * بالجهل أتراك حجة الشطار
وقد استعمل لفظه الشاطر والشاطرة والشطار والشطارة كثيرا وهي من
الافاظ التي ابتدأها العامة حتى سئمت من ابتدائها وهذه الامثلة تمنع الواقف
عليها من استعمال أشباهها وأمثالها (ومن أوصاف الكرامة) أن لا تكون
مشتركة بين معنيين أحدهما يذكره ذكره وإذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك
المعنى قبحت وذلك إذا كانت مهملة بغير قرينة تميز معناها عن القبح فأما إذا
جاءت ومعها قرينة فانها لا تكون معيبة كقوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه
ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ألا ترى أن لفظه
التعزيز مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام وعلى الضرب الذي هو دون الحد
وذلك نوع من الهوان وهو ما معنيان ضدان فحيث وردت في هذه الآية جاء
معها قرائن من قبلها ومن بعدها فخصت معناها بالحسن وميزته عن القبح
ولو وردت مهملة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتمت
عليه من المعنى القبيح مثال ذلك لو قال قائل لقيت فلانا فاعزرتة لسبق الى الفهم
أنه ضربه وأهانته ولو قال لقيت فلانا فأكرمته وعزرتة لزال ذلك اللبس (واعلم)
أنه قد جاء من الكلام ما معه قرينة فأوجبت قبحه ولو لم تجب معه لما استقبح
كقول الشريف الرضي

أعزرت على بان أراك وقد خلا * عن جانبك مقاعد العواد

وقد ذكر ابن سنان الخفاجي هذا البيت في كتابه فقال ان اراد هذه اللفظة
في هذا الموضع صحيح الا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر لا سيما
وقد أضافه الى من يحتمل اضافته اليه وهم العواد ولو انفرد لكان الامر قبيح
سلا فأما الاضافة الى من ذكره ففيها قبح لا يخفى به هذا حكاية كلامه وهو
مرئى واقع في موقعه ولندكر نحن ما عندنا في ذلك فنقول قد جاءت هذه
اللفظة المعيبة في الشعر في القرآن الكريم فبجاءت حسنة مرضية وهي قوله
تعالى واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وكذلك قوله تعالى

وانا لمن السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبيا وانا كنا نعد منها
مقاعدا للسمع فن يستمع الآن يجعله شهابا رصدا ألا ترى أنها في هاتين الآيتين
غير مضافة الى من تقبح اضافته اليه كما جاءت في الشعر ولو قال الشاعر بدلا
من مقاعدا العواد مقاعدا الزيارة أو ما جرى مجراه لذهب ذلك القبح وزالت
تلك الهجنة ولهذا جاءت هذه اللفظة في الآيتين على ما تراهم من الحسن وجاءت
على ما تراهم من القبح في قول الشريف الرضي وعلى هذا ورد قول تأبط شرا

أقول للعيان وقد صفت لهم * وطابى ويوى ضيق الحجر معور
فانه أضاف الحجر الى اليوم فأزال عنه هجنة الاشتباه لان الحجر يطلق على كل
ثقب كثقب الحية وانير بوع وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد معه ملا
بغير قرينة تخصصه سبق الى الوهم ما يقبح ذكره لاشتهاره به دون غيره ومن ههنا
ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن لا يلبس من حجر مرتين وحيث قال
يلبس زال اللبس لان اللبس لا يكون الا للحية وغيرها من ذوات السموم وأما
ما ورد معه لا بغير قرينة فقول أبي تمام

أعطيت لى دية القليل وليس لى * عقل ولا حق عليك قديم
فقوله ليس لى عقل يظن أنه من عقل الشيء اذا علمه ولو قال ليس لى عليك عقل
زال اللبس فيجب اذا على صاحب هذه الصناعة أن يراعى في كلامه مثل هذا
الموضع وهو من جملة الالفاظ المشتركة التي يحتاج في ايرادها الى قرينة تخصصها
ضرورة (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون وافية من أقل الاوزان تركيبا
وهذا مما ذكره ابن سنان في كتابه ثم مثله بقول أبي الطيب المتنبي

ان الكرام بلا كرام منهم * مثل القلوب بلا سويداواتها
وقال ان لفظه سويداواتها طويلا فلهذا قبحت وليس الامر كما ذكره فان
قبح هذه الالفاظ لم يكن بسبب طولها وانما هو لانها في نفسها قبيحة وقد كانت
وهي مفردة حسنة فلما جمعت قبحت لا بسبب الطول والدليل على ذلك أنه قد ورد
في القرآن الكريم الفاظ طوال وهي مع ذلك حسنة كقوله تعالى فيكفيكم
الله فان هذه الالفاظ تسعة أحرف وكما هو حسنة رائقة ولو كان الطول
مما يوجب قبح القبح هاتان الالفاظتان وليس كذلك ألا ترى أنه لو أسقط من

لفظة سويدا واتما الهاء والالف اللتين هما عوض عن الاضافة لبقى منها ثمانية
 أحرف ومع هذا فانها قبيحة ولفظة ليس تختلفهم عشرة أحرف وهي أطول منها
 بحرفين ومع هذا فانها حسنة راقية والاصل في هذا الباب ما ذكره وهو أن
 الاصول من الالفاظ لا تحسن الا في الثلاث وفي بعض الرباعي كقولنا عذب
 وعبد فان هاتين اللفظتين احدهما ثلاثية والاخرى رباعية وإنما الخماسي
 من الاصول فانه قبيح ولا يكاد يوجد منه شيء حسن كقولنا بحمرش وصهلقي
 وما جرى مجراهما وكان ينبغي على ما ذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان
 حسنتين واللفظتان الواردتان في القرآن قبيحتين لان تلك تسعة أحرف وعشرة
 وهاتان خمسة وخمسة ونرى الامر بالضد كما ذكره وهذا لا يعتبر فيه طول
 ولا قصر وإنما يعتبر نظم تأليف الحروف بعضها مع بعض وقد تقدم الكلام على
 ذلك ولهذا لا يوجد في القرآن من الخماسي الاصول شيء الا ما كان من اسم نبي
 عرب اسمه ولم يكن في الاصل عرييا نحو ابراهيم واسماعيل (وعماد خيل في هذا
 الباب) أن تجنب الالفاظ الموافقة من حروف يشغل النطق بها سواء كانت طويلة
 أو قصيرة ومثال ذلك قول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي هي من جملة
 القصائد السبع الطوال

غدائره مستشزرات الى العلا * تضل المدارى في مشى ومرسل

فاللغة مستشزرات مما يتبع استعمالها لانها تثقل على اللسان ويشق النطق بها
 وان لم تكن طويلة لاننا لو قلنا مستشكرات أو مستشقرات على وزن مستشزرات
 لما كان في هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة ولربما اعترض بعض الجهال
 في هذا الموضع وقال ان كراهة هذه اللفظة انما هو اطولها وليس الامر كذلك
 فاننا لو حذفنا منها الالف والتاء وقلنا مستشزرا كان ذلك ثقيلاً أيضاً وسببه
 أن الشين قبلها تاء وبعدها زاي فثقل النطق بها والافلو جعلنا عوضاً من الزاي
 راء ومن الراء فاء فقلنا مستشرف زال ذلك الثقل ولقد رأيت بعض الناس
 وأنا أعجب على امرئ القيس هذه اللفظة المشار اليها فأكبر ذلك لوقوفه مع شهرة
 التقليد في أن امرأ القيس أشعر الشعراء فحجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة
 الضعيفة وقلت له لا يمنع احسان امرئ القيس من استقباح ما له من القبح
 ومثال هذا كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك والبعر ولا يمنع طيب

ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعيره ولا تكون لذاذة ذلك الطيب
 حامية للخبث من الاستكراه فأسكت الرجل عند ذلك (وحضر) عندي في بعض
 الأيام رجل من اليهود وكنت اذ ذاك بالديار المصرية وكان لليهود في هذا الرجل
 اعتقاد لما كان عمله في دينهم وغيره وكان لعمرى كذلك فجرى ذكر اللغات وأن اللغة
 العربية هي سيدة اللغات وأنها أشرفهن مكانا وأحسنهن وضعا فقال ذلك
 الرجل كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخر افتتحت القبيح من اللغات
 قبلها وأخذت الحسن ثم إن واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة فاختصر
 ما اختصر وخفف ما خفف فن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني
 كومييل مما لا على وزن فوعيل فجاء واضع اللغة العربية وحذف منها الثقيل
 المتبشع وقال جمل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر
 أشياء كثيرة واقصد صدق في الذي ذكره وهو كلام عالم به (ومن أوصاف
 الكلمة) أن تكون مبنيّة من حركات خفيفة ليخفف النطق بها وهذا الوصف
 يترقب على ما قبله من تأليف الكلمة ولهذا اذا توالي حركات خفيفتان في كلمة
 واحدة لم تستثقل ويخفف لاف ذلك الحركات الثقيلة فانه اذا توالي منها حركات
 في كلمة واحدة امتثقت ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو والكسرة
 على الياء لان الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء فتكون عند ذلك
 كأنها حركات ثقيلتان والمثل لك مثلا لا تهدي به في هذا الموضع وهو أنا نقول
 اذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي ج زع فاذا جعلنا الياء مفتوحة
 فقلنا الجزع أو مكسورة فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من أن لو جعلنا الياء
 مضمومة فقلنا الجزع وكذلك اذا والينا حركة الفتح فقلنا الجزع كان ذلك أحسن
 من موالاته حركة الضم عند قولنا الجزع ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن
 اختلاف حركاتها غير المخارج حروفها حتى يذهب ذلك الى اختلاف تأليف
 المخارج بل وجدناها تارة تكسرى حسنا وتارة يسلب ذلك الحسن عنها فعلنا
 أن ذلك حادث من اختلاف تأليف حركاتها (واعلم) أنه قد قوتت حركة الضم
 في بعض اللفاظ ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقلا كقوله تعالى واقد أنذرهم
 بطشتنا فتماروا بالنذر وكقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعير وكقوله تعالى
 وكل نبي فعلموه في الزبر فحركة الضم في هذه اللفاظ متواليّة وليس فيها من ثقل

ولا كراهة وكذلك ورد قول أبي تمام

نفس بجثته نفس • ودموع ليس تحتبس
ومغان للكبرى دثر • عطل من عهدہ درس
شهرت ما كنت اكتبه • ناطقات بالهوى خرس

فانظر كيف جاءت هذه الالفاظ الاربعه مضمومات كلها وهي مع ذلك
حسنة لا تقل بها ولا ينبو السمع عنها وهذا لا يتقضى ما أشرنا اليه لان الغالب
أن يكون نوالى حركة الضم مستقلة فاذا شد عن ذلك شئ يسير لا يتقضى الاصل
المقبول عليه (القسم الثاني في الالفاظ المركبة) قد قدمنا القول في شرح
أحوال اللفظة المفردة وما يختص بها وأما اذا صارت مركبة فان تركيبها حكا
آخر وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التاليفات والامتزاجات ما يخجل للسامع
أن هذه الالفاظ ليست تلك التي كانت مفردة ومثال ذلك كمن اخذ لآلى ليست
من ذوات القيم العالية فالفها وأحسن الوضع في تأليفها فحبل للناظر بحسن
تأليفه واتقان صنعه أنها ليست تلك التي كنت منشورة مبددة وفي عكس ذلك
من يأخذ لآلى من ذوات القيم العالية فيفسد تأليفها فانه يضع من حسنها
وكذلك يجري حكم الالفاظ العالية مع فساد التأليف وهذا موضع شريف
ينبغي الالتفات اليه والمعناية به (واعلم) أن صناعة تأليف الالفاظ تنقسم
الى ثمانية أنواع هي السجع ويختص بالكلام المنثور والتصريع ويختص
بالكلام المنظوم وهو داخل في باب السجع لانه في الكلام المنظوم كالسجع
في الكلام المنثور والتجنيس وهو يعم القسمين جميعا والتصريع وهو يعم
القسمين أيضا جميعا ولزوم ما لا يلزم وهو يعم القسمين أيضا والموازنة وتختص
بالكلام المنثور واختلاف صيغ الالفاظ وهو يعم القسمين جميعا وتكرير
الحروف وهو يعم القسمين جميعا (النوع الاول المسجع) وحده أن يقابل
نواطوا الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد وقد ذمته بعض أصحابنا
من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأوابه والافلو كان
ذموم ما ورد في القرآن الكريم فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة
جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما وبالجملة فلم تخل
منه سورة من السور فمن ذلك قوله تعالى ان الله لعن الكافرين وأعد لهم

المسجع

سعيرا خالدين فيها أبا لا يجدون وليسا ولا نصيرا وكقوله تعالى في سورة طه
 طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض
 والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض
 وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا
 هو له الاسماء الحسنى وكذلك قوله تعالى في سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاءهم
 فهم فى أمر مرجح أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها وما لها من
 فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج
 وكقوله تعالى والعاديات ضجعا فالاوريات قدحا فالغيرات صبحا فأثرن به
 نقعا فوسطن به جمعا وأمثال ذلك كثيرة وقد ورد على هذا الاسلوب من كلام
 النبي صلى الله عليه وسلم شئ كثيرا أيضا (فمن ذلك) ما رواه ابن مسعود رضى الله
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا
 لنستحي من الله يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ
 الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة
 ترك زينة الحياة الدنيا (ومن ذلك) ما رواه عبد الله بن سلام فقال لما قدم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمت فى الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه علمت
 انه ليس بوجه كذاب فكان أقول شئ تكلم به أن قال أيها الناس أفشوا السلام
 وأطعموا والطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام (فان قيل)
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكمرا عليه وقد كلفه بكلام مسجوع
 أسجعا كسجيع الكهان ولولا أن السجيع مكره لما أنكروه النبي صلى الله عليه
 وسلم (فالجواب) عن ذلك أنا نقول لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجيع ما لقا
 لقال أسجعا ثم سكت وكان المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال أسجعا
 كسجيع الكهان صار المعنى معلقا على أمر وهو انكار الفعل لم كان على هذا
 الوجه فعلم أنه انما ذم من السجيع ما كان مثل سجع الكهان لا غير وأنه لم يذم
 السجيع على الاطلاق • وقد ورد فى القرآن الكريم وهو صلى الله عليه وسلم
 قد نطق به فى كثير من كلامه حتى انه غير الكامة عن وجهها اتباعا لها بأخواتها
 من أجل السجيع فقال لابن ابنته عليها السلام اعينى من الهامة والسامة
 وكل عين لامة وانما أراد ملة لان الاصل فيها من ألم فهو ألم وكذلك قوله صلى

الله عليه وسلم ارجع من مأزورات غير مأجورات وانما أراد موزورات من الوزر
فقال مأزورات لمكان مأجورات طلباً للتوازن والسجع وهذا مما يدل
على فضيلة السجع على أن هذا الحديث النبوي الذي يتضمن انكار سجع
الكهان عندي فيه نظر فان الوهم يوجب الى انكاره يقال فاسجع الكهان الذي
يتعلق بالانكار به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك أن
النهي لم يكن عن السجع نفسه وانما النهي عن حكم الكهان الوارد باللفظ
المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين بغرة عبد
أو أمة قال الرجل أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك
يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أي أتبع سجعاً
كسجع الكهان وكذلك كان الكهنة كلهم فانهم كانوا اذا سئلوا عن أمر جاؤا
بالكلام مسجوعاً كما فعل الكاهن في قصة هند بنت عتبة فانه قال لما امتحن قبل
السؤال عن قصتها مرة في كرة فقيل له زيد أئين من هذا فقال حبة بر في احليل
مهور والحكاية مشهورة فلهذا اختصرناها هنا وكذلك قال سطح فانه قال عبد
المسيح جاء الى سطح وهو موف على الضريح لرؤيا المؤيدان وارتجاس
الايوان وأتم الكلام الى آخره مسجوعاً والحكاية مشهورة أيضاً فلهذا
اختصرناها فالسجع اذا ليس بمنهى عنه وانما المنهى عنه هو الحكم المتبوع
في قول الكاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أي
احكامكم الكهان والافالسجع الذي أتى به ذلك الرجل لا بأس به لانه قال أأدى
من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل وهذا كلام حسن من
حيث السجع واما من ينكر انفسه وانما المنكر هو الحكم الذي تضمنه في امتناع
الكاهن أن يدي الجنين بغرة عبد أو أمة (واعلم) أن الاصل في السجع انما هو
الاعتدال في مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب في جميع الاشياء والنفس تميل
اليه بالطبع ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط ولا عند
تواظف القواصل على حرف واحد اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل
أديب من الادباء سجعاً وما من أحد منهم ولو شدا شيئاً يسيراً من الادب
الا ويمكنه أن يوافق ألفاظ مسجوعة ويأتى بها في كلامه بل ينبغي أن تكون
الافاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة وأعني بقولي غثة باردة

أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مقدرات الالفاظ
المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا إلى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو
في الذي يأتي به من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش أبواباً من الكرسف أو ينظم
عقدان من الخبز الملقون وهذا مقام تزل عنه الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد
من أرباب هذا الفن بعد الواحد ومن أجل ذلك كان أربابه قليلاً فإذا
سنى الكلام المسجوع من الغثاثة والبردقان وراء ذلك مطلوباً آخر وهو أن يكون
اللفظ فيه تابعاً للمعنى لأن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ فإنه يجيء عند ذلك
كظاهريته على باطن مشوره ويكون مثله كقوله من ذهب على فصل من
خشب وكذلك يجري الحكيم في الأنواع الباقية الآتي ذكرها من التهنيس
والترصيع وغيرها • وسأبين لك في هذا ما لا تتبعه فأقول إذا صورت
في نفسك معنى من المعاني ثم أردت أن تدهوغه بلفظ مسجوع ولم يواتك ذلك
الزيادة في ذلك اللفظ أو نقصان منه ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان
وانما تفعل ذلك لأن المعنى الذي قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه وإذا دلت
عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً إلا أن تضيف إليه شيئاً آخر أو تنقص منه
فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذي يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف
والتعسف وأما إذا كان مجحولاً على الطبع غير متكلف فإنه يجيء في غاية الحسن
وهو أعلى درجات الكلام وإذا تم للكاتب أن يأتي به في كتابته كما هو أعلى هذه
الشرائط فإنه يكون قد ملك رقاب الكلام يستعبد كرامتها ويستولد عقائدها
وفي مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فليتنافس واصحابه أولى بقول أبي

الطيب المتنبي

أنت الوحيد إذا ركبت طريقة • ومن الرديف وقد ركبت غضنقاً
(فان قيل) فإذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ما ذهب إليه فيمكن
ينبغي أن يأتي القرآن كله مسجوعاً وليس الأمر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير
المسجوع (قلت في الجواب) إن أكثر القرآن مسجوع حتى إن السورة لتأتي
بجميعها مسجوعة وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعاً إلا أنه سلك به مسالك
الايجاز والاختصار والسجع لا يوافق في كل موضع من الكلام على حد الايجاز
والاختصار فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب وههنا وجه آخر هو

أقوى من الاقول ولذا ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع
وانما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع مجزأ أبلغ في باب
الاجاز من ورود المسجوع ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا (واعلم)
أن للسجع سر هو خلاصته المطلوبة فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به
أصلا وهذا شيء لم ينبه عليه أحد غيري وسأبينه ههنا وأقول فيه قولاً هو أبين
بما تقدم وأمثل لك مثالا إذا حذوته أمنت الطاعن والعاتب وقيل في كلامك
ليبلغ الشاهد الغائب والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من
السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها
فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه لأن التطويل انما هو الدلالة
على المعنى باللفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها واذا وردت سجعتان يدلان على معنى
واحد كانت احدهما كافية في الدلالة عليه وجعل كلام الناس المسجوع جار
عليه واذا تأملت كتابة المفلقين من تقدم كالصابي وابن العميد وابن عباد وقلان
وقلان فانك ترى أكثر المسجوع منه كذلك والاقول منه على ما أشرت اليه ولقد
تصفت المقامات الحريية والخطب النبائية على غرام الناس بهما واكباهم
عليهما فوجدت الأكثر من السجع فيهما على الاسلوب الذي أنكرته فالكلام
المسجوع اذا احتاج الى أربع شرائط الاولى اختيار مفردات اللفاظ على
الوجه الذي أشرت اليه فيما تقدم الثانية اختيار التركيب على الوجه
الذي أشرت اليه أيضا فيما تقدم الثالثة أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع
تابع للمعنى لا المعنى تابع للفظ الرابعة أن تكون كل واحدة من الفقرتين
المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها فهذه أربع شرائط
لا يتمها وسأورد ههنا من كلامي أمثلة تحذى حذوها فاني لما سلكت هذه
الطريق وأتيت بكلامي مسجوعا توخيت أن تكون كل جملة منه مختصة بمعنى
غير المعنى الذي تضمنته أختها ولم أخل بذلك في مكاتباتي كلها واذا تأملت ما علمت
صحته ما قد ذكرته (فمن ذلك) ما كتبت في صدر كتاب عن بعض الملوك الى دار
الخلافة وهو الخادم واقف موقف راجها تب لازم بكتابه هذا وقار حاضر عن
شخص غائب موجه وجهه الى ذلك الجنب الذي تقسم فيه أرزاق العباد
ويتأذب به الزمان تأذب ذوى الاستعباد وتستمد الملوك من خدمته شرف

تقدم على المقامات الحريية والخطب النبائية في السجع

الحدود كما تستغنى بنسبها اليه عن شرف الاجداد ولو ملك الخادم نفسه
 لقصرها على خدمة قصره وأظاهها من النظر اليه ببرد العيش الذي عمرها
 محسوب من عمره وهذا القول يقوله وكل ما جسد فيه حاسد وبتأمله راع
 ساجد والديوان العزيز محسود الاقتراب وهو موطن الرغبات الذي
 الاغتراب اليه ليس بالاغتراب وما ينافس في القرب من أبواب الكريمة الا
 ذوو الهمة الكريمة وقد ودت الكواكب بأسرها أن تكون له منادمة
 فضلا عن تدمان جديفة (ومن ذلك) ما كتبه من كتاب يتضمن العناية ببعض
 الناس وهو الكريم من أوجب لسائله حقا وجهل كواذب آماله صدقا
 وكان ترق العطايا منه خلقا ولم يرب بين ذمعه وبين رجه فرقا وكل ذلك موجود
 في كرم مولانا أبراهم الله من فضله على وتيرة وجهل حمة على تمام كل نقص قديرة
 وأوطأه من كل مجد سريرا كما بواؤه من كل قلب سريرة ولا زالت يده بالكارم
 جديرة ومن الايام مجيرة ولضرائرها من البهار والسهاب ميرة ولا برحت
 تستولد عتائم المعاني وتستجدد أبنيتها حتى تشهد الناس منها في كل يوم
 بحقيقة أو وكيرة ومن صفات كرمه أنه يسبك الاموال مآثر ويتخذها عند
 السؤال ذخائر فهي تفتي لديهم بالانفاق وذكرها على مرور الايام باق ومن
 أربح منه صفقة وقد باع صامتات باطق وما هو معترض لحوادث السرقات
 بالاتصل اليه يدسارق ومثله من عرف الدنيا فرغب عن اقتنائها وجد في ابتداء
 المهام يهدم بناؤها وعلم أن ماله ليس عند الضنين به الا حجارا وأن غنائه منها
 لا يزيد الا افتقارا فهو لماله عبد يخدمه ولا يستخدمه وأتم ترصده ببعضها
 ولا تفتطمه (ومنه) ما كتبه في جواب كتاب يتضمن اباق غلام وهو أول كتاب
 ورد من المكتوب عنه الى المكتوب اليه فقلت وأما الاشارة الكريمة في أمر
 الغلام الا بقى عن الخدمة فقد ديفر المهر من عليه ويطير الفراش الى حريقه
 وغير بعيد أن ينوبه بضعه أو يكبو به مطعمه فيرجع وقد خدم من رجوعه
 ماذمه من ذهابه وعلم أن الغنيمه كل الغنيمه في اياه فما كل شجرة تحلوا لذائقها
 ولا كل دار ترحب بطارقها ومن أبق عن مولاه مغاضبا وجانب محل احسانه
 الذي لم يكن له مجانبا فانه يجدم من مفارقة الاحسان ما يجدم من مفارقة معاهد
 الاوطان وعمل أضل سعيامن دفع في صدر العافية وغدا يسأل عن الاسقام

يقدم على جميع العالمين وابن عماد

وألقى التروة من يده ومضى في طلب الاعداد ومع هذا فان الخادم يشكره على
 ذنب الاياق الذي أقدم على اجتراحه وليس ذلك الا لانه صار سببا لاقتتاح
 باب المكتبة الذي لم يطمع في اقتباحه ولا جزاء له عنده الا السعي في اعادته
 الى الخدمة التي تقلب في انشائها وهي أبرّ به من أمته التي تقلب في أحشائها
 ومن فضلها أنها تلقاه من حلما بوسيلة الشافع ومن كرمها بالوجه الضاحك
 والفضل الواسع (فانظر) أيها المتأمل الى هذه الاصباغ جميعها وأعطاها حق
 النظر حق تعلم أن كل واحدة منها تختص بعنى ليس في أختها التي تليها وكذلك
 وليكن السبج والافلام وسأورد ههنا من كلام الصابي ما ستراه (فمن ذلك)
 فعمد في كتاب فقال المحدث الذي لا تدركه الاعين بالمناظها ولا تحده الا لاسن
 بالمناظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا يهرمه الدهور بمرورها ثم انتهى الى
 الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم ير للكفر أثرا الا طمسه ومحاه
 ولا سيما الأزاله وعفاء ولا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك
 لا فرق بين محو الاثر وعفاء الرسم (ومن كلامه) أيضا في كتاب وهو وقد علمت
 أن الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام ومواقب الاعوام تعتل طورا
 وتصح أطوارا وثلاث مرة وتستقل مرارا من حيث أصهارها حتى لا يتزعزع
 وبنائها ثابت لا يتضع وهذه الاصباغ كلها متساوية المعاني فان الاعتلال
 والالتباس والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سواء وكذلك ورد له في
 كتاب كتبه عن عزالدولة بن بويه جوابا عن كتاب وصله من الامير عبد الكريم
 ابن المطيع لله فقال وصاني كتابه مفتحا من الاعتزاز الى امارة المؤمنين
 والتقلد لامور المسلمين بما أعراه الزكية مجوزة لاسم قراره وأرومته العلية
 موقفة لاسم قراره له ولكل نجيب اخذ بحظ من نسبه وضارب بسهم
 في منصبه اذ كان ذلك جارا على الاصول المعهودة فينه والاسباب العاقدة له
 من اجماع المؤمنين ككافة فان تعذر اجتماعهم مع انبساطهم في الارض
 وانتشارهم في الطول والعرض فلا بد من اتفاق أشراف كل قطر وأفاضله
 وأعيان كل صقع وأما لة وهذا الكلام كله متمائل المعاني في اجماعه فان
 امارة المؤمنين والتقلد لامور المسلمين سواء في المعنى وكذلك الاعراق
 والارومة والتجوز والتسوية والاشراف والاقاضل والاعيان والامائل

• (فهرسة لمثل السائر) •

	صفحة
الفصل الاول في موضوع علم البيان	٤
الفصل الثاني في آلات علم البيان وأدواته	٤
الفصل الثالث في الحكم على المعاني	٢٠
الفصل الرابع في الترجيح بين المعاني	٢٦
الفصل الخامس في جوامع الكلام	٣١
الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن	٣٣
الفصل السابع في الحقيقة والجاز	٣٦
الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة	٤٠
الفصل التاسع في أركان الكتابة	٤٤
الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة	٤٦
(المقالة الأولى في الصناعة اللفظية)	٨٦
القسم الاول في اللفظة المفردة	٨٦
القسم الثاني في الالفاظ المركبة	١١٤
النوع الاول المسجع	١١٤
النوع الثاني في التجنيس	١٥٣
النوع الثالث في الترصيع	١٦١
النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم	١٦٣
النوع الخامس في الموازنة	١٦٩
النوع السادس في اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها	١٧٠
النوع السابع في المعانلة اللفظية	١٧٧
النوع الثامن في المناقرة بين الالفاظ في السبك	١٨٣
(المقالة الثانية في الصناعة المعنوية)	١٨٦
النوع الاول في الاستعارة	٢١٤
النوع الثاني في التشبيه	٢٣٢
النوع الثالث في التجريد	٢٥٠

صفحة	
٢٥٤	النوع الرابع في الالتفات
٢٦٣	النوع الخامس في توكيد الضميرين
٢٦٧	النوع السادس في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده
٢٦٨	النوع السابع في التفسير بعد الابهام
٢٧٢	النوع الثامن في استعمال العايم في النفي والخاص في الاثبات
٢٧٥	النوع التاسع في التقديم والتأخير
٢٨٣	النوع العاشر في الحروف العاطفة والجارّة
٢٨٦	النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما
٢٩٠	النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى
٢٩٣	النوع الثالث عشر في عكس الظاهر
٢٩٤	النوع الرابع عشر في الاستدراج
٢٩٧	النوع الخامس عشر في الایجاز
٣٣١	النوع السادس عشر في الاطناب
٣٥٤	النوع السابع عشر في التكرير
٣٧٢	النوع الثامن عشر في الاعتراض
٣٧٦	النوع التاسع عشر في الكناية والتعريض
٣٩٢	النوع العشرون في المغالطات المعنوية
٣٩٧	النوع الحادي والعشرون في الاحاجي
٤٠٣	النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات
٤١٧	النوع الثالث والعشرون في التخاص والاختصاص
٤٢٩	النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعاني
٤٤٧	النوع الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط
٤٥٥	النوع السادس والعشرون في الاشتقاق
٤٥٧	النوع السابع والعشرون في التضمن
٤٦٠	النوع الثامن والعشرون في الارصاد

صحيحة

٤٦٥ النوع التاسع والعشرون في التوشيح
٤٦٦ النوع الثلاثون في السرقات الشعرية

والقطر والمقع كل ذلك سواء (وعلى هذا) جاء كلامه في كتاب آخر فقال يسافر
 رأيه وهو دان لم ينزح ويسير تدبيره وهو ثاول لم يبرح وكلا هذين سواء أيضا
 وما أحسن هذا المعنى لو قال يسافر رأيه وهو دان لم يبرح وينخن الجراح
 في عدوه وسيفه في الغم لم يجرح فإنه لو قال مثل هذا سلم من هجينة التكرار
 ، أمثال ذلك في كلام الصابي كثير . وعلى منواله نسج الصاحب بن عباد
 (فمن ذلك) ما ذكره في وصف مهزومين فقال طاروا واوقيز بظهورهم صدورهم
 وبأصلاهم منحورهم وكلا المعنيين سواء (وكذلك) قوله في هذا الكتاب
 يصف ضيق مجال الحرب مكان ضنك على الفارس والراجل ضيق على الراح
 والنابل (ومن كلامه) في كتاب وهو لا تتوجه همهته إلى أعظم مرقوب الاطاع
 ودان ولا تمتد هزيمته إلى أنفم مطلوب الا كان واستكان وكل هذا الذي
 ذكره ثني واحد (وله من كتاب) وهو وصل كتابه جامعاً من الفوائد أشدها
 للتكرار استحقاقاً واتمها للحمد استغرافاً وتمرتت من احسان الله فيما وقره
 من سلامته وهناه من كرامته أنفس موهوب ومطلب وأحمد مرقوب
 ومخطوب وهذا كله مماثل المعاني متشابه اللفاظ وفيما أوردته هنا
 مقنع بأنم نظرك أيها الواقف على هذا الكتاب فيما بينته لك ووضعت يدك عليه
 حتى تعلم كيف تأتي بالمعاني في اللفاظ المسجوعة والله الموفق لأصواب
 (فان قيل) انك اشتطت أن تكون كل واحدة من الفقرتين في الكلام
 المسجوع دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها وانما اشتطت هذه
 الشريطة فراراً من أن يكون المعنيان شيئاً واحداً ونرى قد ورد في القرآن
 الكريم لفظتان بمعنى واحد في آراء أحدي الفقرتين المسجوعتين كقوله تعالى
 وادكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكل رسول نبي
 (قلت في الجواب) ليس هذا كذا الذي اشتطته أنا في اختصاص كل فقرة بمعنى
 غير المعنى الذي اختصت به أختها وانما هذا هو اراد اللفظة في آخر إحدى
 الفقرتين بمعنى واحد وهذا لا بأس به لما كان طلب السجع ألا ترى أن أكثر
 هذه السورة التي هي سورة مريم عليها السلام مسجوعة على حرف الياء
 وهذا يجوز لصاحب السجع أن يأتي به وهو بخلاف ما ذكرته أنا ألا ترى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قد غير اللفظة عن وضعها طلباً للسجع فقال

ما زورات وانما هي موزورات وقال العين اللامعة وانما هي الملمة الا أنه
 ليس في ذلك زيادة معـ في بل يفهم من انظمة ما زورات أنها قائمة مقام موزورات
 وكذلك يفهم من لفظة لامعة أنها بمعنى ملة فالسبع قد أجيزه مع تغيير وضع
 اللفظة وأجيزه مع أن يورد انظمتان بمعنى واحد في آخر احدي الفقرتين ومع هذا
 فلم يجز في استعماله ان يورد فقرتان بمعنى واحد لانه تطويل محض لا فائدة فيه وبين
 الذي ذكرته أنت وبين الذي ذكرته أنا فرق ظاهر (والذي قدمته) من الامثلة
 المسجوعة للصابي والصاحب بن عباد بما كانت يسيرة آتهم فيها بالتعصب ويقال
 اني التقطتها التقاطا من جملة رسائلها وقد خرجت من عهد هذه الهمزة
 وذلك اني وجدت للصابي تقليدا بنسابة الاشراف العلويين ببغداد وكنيت أنشأت
 تقليدا بنسابة الاشراف العلويين بالموصل وقد وردت التقليدين ههنا لئلا يتأملها
 الناظر في كتابي هذا ويحكم بينهما ان كان عارفاً ويسأل عنهما العارف ان كان
 مقادراً وقد وردت تقليدا للصابي اولاً لانه المتقدم زماناً وفضلاً وهو هذا ما عهد
 أمير المؤمنين الى محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي حين وصلته به
 الانساب وتأكدت له الاسباب وظهرت دلائل عقله وابائه ووضعت
 مخايل فضله ونسبائه ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة
 وتاج الملة مولى أمير المؤمنين ما يمكن له عند أمير المؤمنين من المحل المكين
 ووصفه به من الحلم الرزين وأشاد به فيه من رفع المنزلة وتقديم المرتبة
 والتأهيل لولاية الاعمال والحمل للاعباء النقال وحيث رغبه فيه سابقه
 الحسين آية في الخدمة والنصيحة والمواقف المحجدة والمقامات المشهودة التي
 طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره وكان محمداً متعلقاً بفضائله وذاهباً
 في طرائقه علماً وديانة وورعاً وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة بالحفظ
 الجزيل من الفضل الجليل والادب الجزل والتوجه في الالهل والايفاء بالانقاب
 على لدائه وأترابه والابرار على قرائبه وأضرابه فقلده ما كان داخل في أعمال
 آية من نقابة نقباء الطالبين أجمعين بمدينة السلام وسائر الاعمال والامصار
 شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً واختصه ذلك جدياً بصنعه وانافة بقدره وقضاء
 لحورجه وترفيه الآيبه واسعا فله بإشاره فيه أمر المؤمنين واستخلافه
 عليه من النظر في المظالم وتسيير الجيوش في المواسم والله يعقب أمير المؤمنين فيما

أمر ودبر حسن العاقبة فيما قضى وأمضى وما توفيق أمير المؤمنين من الإيالة
 عليه يتوكل واليه ينسب وأمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسناء
 الصالحين وعصمة عباد الله أجمعين وأن يمتقدها سرا وجهرا ويعتقدها
 قولاً وفعلاً ويأخذ بها ويعطى ويسر بها وينوي ويأتمى ويذر ويورد
 ويصدر فانها السبب المتين والمعقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب
 والمسلك المنفذ الى دار الثواب وقد ضل الله أولياءه عليها وهداهم في محكم
 كتابها فقال عزم من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
 وأمره بتلاوة كتاب الله مواظباً وتصفحه مداوماً لازماً والرجوع الى
 أحكامه فيما أحل وحرم ونقض وأبرم وأثاب وعاقب وباعد وقارب فقد
 صحح الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه وحجته وجعله نجماً في الظلمات طالعاً
 ونوراً في المشكلات ساطعاً فمن أخذ به نجح وسلم ومن عدل عنه هوى وندم
 قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
 من حكيم حميد وأمره بتزنيه نفسه عما تدعو اليه الشبهات وتطلع اليه
 التبعات وأن يضبطها بضبط الحليم ويكفها كفا الحكيم ويجعل عقله
 سلطاناً عليها وتقيمه أمراناً هياها ولا يجعل لها عذراً الى صبوة ولا هفوة
 ولا يطلق منها عناناً عند ثوره ولا فوره فانها أمانة بالسوء منسوبة الى النسيء فمن
 رفضها نجحاً ومن اتبعها هوى فالخازم منهم عند تحرك وطوره وأربه واهتياج
 غيظه ولا بدع أن يغضها بالشكيم ويعرکہا عرکہ الاديم ويقودها الى مصالحها
 بالخزائم ويفتقدتها من مقارفة المآثم والمخارم كما يعز بتذليلها وتأديبها
 ويجعل برضاها وتقويها والمفترط تطمح به اذا طمعت ويجمع معها اذا
 جمعت ولا يلبث أن يورده حيث لا يصدور وتلقه الى أن يعتذر وتقيه
 مقام النادم الواجم وتغيب به سبيل الرشيد السالم وأحق من تحلى
 بالمحاسن وتصدى لا كسباب المهامد من ضرب بمنزل مهمه في نسب أمير المؤمنين
 الشريف ومنصبه المنيف واجتمع معه في ذؤابة العترة الطاهرة واستطلت
 بأوراق الدوحة الفاترة فذلات الذي تتضاعف به المآثران آثارها والمناصب
 ان أسف اليها ولا سيما من كان منذ وبابا بالسياسة ومرشعاً للتقليد على أهله إذ
 ليس نبي بالصلاح لمن ولي عليه ولا نبي بالصلاح ما بين جنبيه ومن أعظم الهجينة

عليه أن يأمر ولا يأتمر ويزجر ولا يزجر قال الله تعالى ذكره أن تأمر
الناس بالبر وتنهون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن
يتصفح أحوال من ولي عليهم من استقرأ مذهبهم والبحث عن بواطنهم
ودخائلهم وأن يعرف لمن تقهت قدمه منهم وتطاهر فضله فيهم منزلة
ويوفيه حقه وزينته وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم
وأقدارهم وتقتضيا مواقعهم وأخطارهم فإن ذلك يلزمه لشيئين أحدهما
يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم والاخر يعمه والمسلمين جميعا وهو قول الله
جل ذكره قل لا أسألكم عليه أجرة الا المودة في القربى فالمودة لهم الاعظام
لا كبارهم والاشتمال على أصغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه
متأكدا للزوم له ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتسبوا عليه
وجذعان لم يقرحوا ومجربون الى ما يزرى بأنسابهم ويفض من احسابهم
هذه هم وأنبههم ونهاهم ووعظهم فان نزعوا أو ألقوا فذلك المراد بهم
والمقصود فيهم وان أصروا وتتابعوا أفعالهم من العقوبة بقدر ما يمكن ويردع
فان نفع والالتجاء وزه الى ما يلدع ويوجع من غير تطرق لاعتراضهم ولا
امتهان لاحسابهم فان الغرض منهم الصيانة لا الاهانة والادالة لا الازالة
واذا وجبت عليهم الحقوق أرتفعت بهم دواعي الخصوم فادهم الى الاغفاء بما
يصح منها ويجب والخروج الى سنن الحق فيما يشبهه ويلتبس ومضى لزمهم الحدود
أقامها عليهم بحسب ما أمره الله تعالى فيها بعد أن ثبت الجرائم ونصح وتبين
وتنضح وتجرد عن الشك وتنجلي من الظن والتهمة فان الذي يستحب في حدود
الله عز وجل أن تدرا مع نقصان اليقين والعصمة وأن تعضى عليهم مع قيام
الدليل والبيينة قال الله عز وجل ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون
وأمره بجباطة أهل النسب الاطهر والشرف الاثغر عن أن يدعيه الادعياء
أو يدخل فيه الدخلاء ومن اتقى اليه كاذبا أو اتحل به باطلا ولم يوجد له بيت
في الشهرة ولا مصداق عند النساء من المهرة أو وقع به كذبه وفسقه وشهره
شهرة ينكشف بها غشه وابسه وينزع بها غيره عن تسول له ذلك نفسه وأن
يحصن الفروج عن مناكحة من ليس كفؤا لها في شرفها ونفوسها حتى لا يطمع
في المرأة الحسبية النسبية الا من كان مثلاها مساويا وتطير موازيا فقد قال الله

تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرحس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وأمره
 برعاية متبلى اهل البيت وسترهم وصلواتهم وبجوارهم وأمرهم وأصاغرهم
 حتى تستدخله من احوالهم وتدرج المواضع عليهم وتتعاذل أقساطهم فيما يصل
 اليهم من وجوه أموالهم وأن يزوج الايامى ويربي اليتامى ويلزمهم المكاتب
 فيتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الاسلام والايمان ويتأدبوا بالآداب
 اللاتمة بذوى الاحساب فان شرف الاعراق محتاج الى شرف الاخلاق
 ولا حسدان شرفه حسبه ومخف أدبه اذ كان لم يكتسب الفخر الحاصل
 بفضله سعي ولا طلب ولا اجتهاد بل يصنع الله تعالى له ومنزلة المنحة عليه
 وبجسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العظيمة والاعتداد بما
 فيها من المزية واعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب والترفع عن
 الرذائل والمناقب وأمره باجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره
 أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر والاخذ للمظلوم من الظالم وأن يجلس
 للمترافعين اليه جلوسا عاما ويتأمل كلامهم تأملا تاما فما كان منها متعلقا
 بالحاكم رده اليه ليحل المظلوم عليه وما كان من طريقة الغشم والظلم
 والتغلب والغصب قبض عنه اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة وتحرى
 في قضاياها أن تكون موافقة للعدل ومجانبة للخذل فان عادة الحكام وصاحب
 المظالم واحدة وهي اقامة الحق ونصرتة وابانتة واثارتة وانما يختلف سبب ايلامها
 في النظر اذ كان الحاكم يعمل بما ثبت عنده وظهر وصاحب المظالم يفتحص
 عما غمض واستتر وليس له مع ذلك أن يرد للحاكم حكومة ولا يعمل له قضية
 ولا يتعقب ما ينفذه ويعضيه ولا يتبع ما يحكم به ويقضيه والله يهديه ويوفيه
 ويستدده ويرشده وأمره أن يسير حجج بيت الله عز وجل الى مقصدهم
 ويحميهم في بدايتهم وعودتهم ويرتبه في سيرهم وصلواتهم ويرعاهم
 في ايلامهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ولا تصل اليهم مضرة وأن يرجعهم
 في المنازل ويوردهم المناهل وينابو بينهم في النهل والعلل ويكنهم من
 الارقواء والاكتفاء مجتهدا في الصيانة لهم ومعذرا في الذب عنهم ومثلوا على
 متأخرهم ومخلفهم ومنهضا الضعيفهم ومهبطهم فانهم حجاج بيت الله
 الحرام وزوار قبر رسوله عليه الصلاة والسلام قد هجروا الاهل والاوطان

وفارقوا الجيرة والاخوان وتجشموا المقارم الثقال وتصفوا السهولة والجبال
 يلبيون دعاء الله ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه وحقيق على
 المسلم أن يحرمهم - ممتبرعا ويحوظهم متطوعا فكيف من تولى ذلك وضعفه
 وتقلده واعتقبه قال الله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع إليه
 سبيلا وأمره أن يراعى أمور المساجد مدينة السلام واطرافها واقطارها
 واكافها وأن يجيبي أموال وقفها ويستقصي جميع حقوقها وأن يلم
 شعنها ويستدخلها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله لا يزال رسما جرى
 ولا ينقض عادة كانت لها وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها
 ويذكر اسمه بعده بأن عمارتها جرت على يده وصلاح أداء قول أمير المؤمنين في ذلك
 تنويه باسمه واشادة لذكره وأن يولى ذلك من قبله من حسنت أمانته وظهرت
 عنقه وصيانته فقد قال الله جل من قائل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
 واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا
 من المهتدين وأمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الاعمال
 في الامصار الدانية والنائية والبلاد القريبة والبعيدة من يثق به من صلحاء
 الرجال ذوى الوفاء والاستقلال وأن يعهد اليهم مثل ما عهد اليه ويعتمد
 عليهم مثل ما اعقد عليه ويستقصي في ذلك آثارهم ويتعرف أخبارهم فمن
 وجدته محمدا قرينه ومن وجدته مدموما صرفه ولم يعمله واعتاس من ترجى
 الامانة عنده وتكون الثقة معه وودته منه وأن يختار لكاتبه ووجهاته والتصرف
 فيما قرب منه وبعده عنه من يزينه ولا يشينه وينصح له ولا يفتنه ويجمله
 ولا يهينه من الطبقة المعروفة باللطف المتصونة عن الطغف ويجعل لهم من
 الارزاق الكافية والاجرة الوافية ما يصدتهم عن المكاسب الذميمة والمآكل
 الوخيمة فليس تجب عليهم الحجة الامع اعطاء الحاجة قال الله تعالى وأن ليس
 للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره أن
 يكتب لمن تقوم بينته عنده وتكشف له حجته الى أصحاب المعارف بالشدة
 على يده واتصال حقه اليه وحسم الطمع الكاذب فيه وقبض اليد الطالمة
 عنه اذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه والوقوف عند رسمه وحدته هذا
 عهد أمير المؤمنين اليك وحجته لك وعليك قد أبان منه سبيلك وأوضح دليلك

وهذا الرشيدك وجعلك على بينة من أمرك فاعمل به ولا تخالفه وانه اليه
 ولا تجاوزه وان عرض لك عارض يجزك الوفا به ويشتهه عليك الخروج منه
 انهيته الى أمير المؤمنين مبادرا وكننت الى ما يأمرك به صائرا ان شاء الله تعالى
 (وأما التقليد الذي أنشأته أنا) فقد أوردته بعد هذا التقليد وهو أما بعد فان
 كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو واجب ذم وكل كتاب لا يرقم باسمه فليس بعلم
 وعلى هذا فان حده يتنزل من الكلام منزلة الاعضاء من الاجسام واسمه
 يتنزل من الكتاب منزلة الرقوم من الثياب وقد جئنا في كتابنا هذا بين التسمية
 والتحميد وجعلنا احدها مفتاحا للثمين والاخر سببا للمزيد ثم ردقناهما
 بالصلاة على سيدنا محمد الذي أيده الله بالقرآن المجيد وجعل شهادته قبيل كل
 شهيد وعلى آله وصحبه الذين هدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط
 الحميد وما يقرن بهذه الصلاة في ثوابها ويحجب على أعقابها النظر في أمر
 الاسرة النبوية القوم ودها بؤده وجعلها احدي الثقيلين الخلفين من بعده
 وقد تقدم الان زمانها وتشعبت أغصانها ونسى مالها في الرقاب من عهدة
 الامانة ولم توضع فيما وضع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المكانة
 وأولى الناس بها من أضعف ولاءها حقا وأوجب أن يرد معها الحوض حين يقال
 لو رده سحبا وكان عن تحت يده منها بارا رقيقا حتى لا يسأله برا ولا رفقاً ونحن
 نرجو أن يفوز به فضيلة هذه الحسنة وأن يسبق اليها سبق المتقرب في الجمعة بيئته
 ومن أهم أمورها أن يختارها زعيم يرأف بها رافة الوالد بولده ويقوم بأمرها
 قيام الرأس بجسده حتى تأتلف أصولها كاهها في مغرسها ولا يحكم عليها
 من ليس من أنفسها وقد اخترنا لها من وفقنا في اختياره وأخذنا فيه
 بيان الرأي وحزمه لا يشبه الهوى واعتباره ولولم يكن من القوم الذين ولوها
 لكان استحقاقه لها بيانا والتمويل عليه متعينا فكيف وقدمه فيها قدسية
 الميلاد ووراثته اياها عن سيادة الجدد وودود الاعداد وهو أنت
 أيها السيد الأجل الشريف الحبيب النسيب فلان بن فلان الحسيني ولوشئنا
 لأنسبنا هذه النسبة كبراعن كبر ونضدناها آخرا بعد أول عن أول قبل آخر
 حتى وصلنا هذا الفرع بشجرته الطيبة وهذا القطر بسحابته الصيبة وشرف
 الانساب أصدقه ما كان الدهر به شهيدا وأجده ما كان قديما وأخلقه

ما كان جديدا وما تولى الروح الامين مدحه قرآنا كرم مما تولى الشعراء
 مدحه قصيدا ولا فضل للمعتزى الى هذا النسب حتى تلحق النبوة بالابوة
 ويضيف درجة الفضيلة الى محمد النبوة وحينئذ يقد ل ما أقرب الشبه على
 قدم عهد وهداما الوردي مد ذهاب ورده وانت ذلك الرجل الذي ترد
 الشرف في مناسبه ترد التمر في منازل وزها الجهد بناقبه زهو الروض
 في سخائله فلا تى حسبك تفنيك عن سؤال من وما وقتلا يودك وجهك قلبا
 واما والحسب ما حفظت أو اخره أوائله وأوضحت اللبالي والايام دلائله
 وأقرت به الاعدا غارت فضائله وهذه هي المآثر التي اذا نظمت غارت
 الشعراء عليها من الشعر واذا نثرت وجدت في محكم الذكر وانت صاحبها
 وابن صاحبها ومن لم يرثها عن ابا عده ابل عن اقرارها ولو جابت رياستها
 مصانعا ومشيت به السرراء تواضعا لدل عليك وصفها وعرف منك عرفها
 وقد قلنا لك امر هذه الاسرة الطاهرة التي هي اسرتك وأمرناك عليها وامرتها
 امرتك فتولها تولى من خفض لها جناحه وأفاض عليها اسماحة وأنضى فيها
 غدوقه ورواحه حتى يقال انك الراعي الذي تناول ثلثه فاراح حسيها
 وجبر كبيرها وارتاب دلها خصيا وأورد هارفها الاعبا وأذكى في كلالهتها
 عينها وقلبا ومن حقه عليك أن تنظر الى ذات شمالها وذات يمينها وتصفح
 أحوالها في أمر دينها ودينها فأقول ذلك أن تعلمها كتاب الله تعالى الذي
 في تعليمه شرح السواب وفي تلاوته ضاعفة حسنات الثواب وقدم مثل
 قارته بالبيت العامر وتارك كد بالبيت الخراب وهو كتاب امتاز عن الكتب بنجوم
 التنزيل وتولى الله حفظه بن التحريف والتبديل وافتحه بالسبع المثاني التي
 لم ينزل مثلها في التوراة ولا في الانجيل وهو الموصوف بأنه النور المستضاء به
 في غياية الظلماء والحبل الممدود من الارض الى السماء والبحر الذي لا يسخرج
 أوؤه ومرجانه الا الرامضون من العلماء وكذلك نغذ هذه الاسرة بتعليم
 الفضائل التي تتفاوت بها القيم وسبها برياضة الآداب وتهذيب الشيم ولا
 تتركها فوذى لا يتسم أحدها بسمة القدر المنيف ولا يرجع الى حسب تليد
 ولا الى سمي طريف وتكون غاية ما عنده من الفضيلة أن يقال فلان الشريف
 ومن حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن توفى فضل مكانها وتحالف

بين شأن غيرها من المسلمين وبين شأنها فلا تبذل بحجاس الولاية في انتزاع ظلامه
 ولا في إقامة حد يسلب معه رداء الكرامة وأنت تتولى ذلك منها فما وجب عليها
 من حق فخذها باقتضائه وأمض فيها حكم الله الذي أمر بما مضاهه وليكن ذلك
 على وجه الرفق الذي يسلس له القياد ويتوطأ له المهاد وإن أمكنك اقتداء شئ
 من هذه الظلمات التي تتوجه عليها ففاد وقد أتم الله فضلها بمنع كرائمها الامن
 كقول ادناءة في عنصره ولا غضاضة في مخيره وهو الذي ان فاته شرف النبوة
 في مغرسه فلم يفته شرف النباهة في معشره واذا تباينت الاقدار فلا فرق
 بين المناكح المخطوبة وبين الاسلاب المسلوبة فاحفظ لاسرتك حرمة هذه
 المنزلة واجعلها في كتاب الوصايا التي وصيت بها امكان البسمة وكما أمرناك بالنظر
 في صون اقدارها فكذلك نأمرناك بالنظر في حفظ مادة درهمها ودينارها وقد
 علمت أن لها أوقافا وقفها قوم فخطوا بأجرها واسمها وستحظى أنت بالعدل
 في قسمها فأجر على كل منها رزقه وأعط كل ذي حق حقه وفي الناس طائفة
 أدياء يرومون الحاق الرأس بالذنب والنبع بالغرب ويلحقون أبا الغيران وابنا
 لغراب كل ذلك رغبة في سحت يأكلونه لاني نسب يوصلونه فنقب عن حال
 هؤلاء تنقيبا واجعل النسب نسيبا والغريب غريبا حتى تخلص السلالة من
 طراقتها وتبقى الشجرة قائمة على أعراقها ومن علمت كذبه فازجره بأليم
 الازديار وأعلمه بأنه قد تبوأ مقعده من النار وأشهره في الناس حتى ينتهي
 وينتهي غيره بذلك الاشتهار وههنا وصية هي أهم من هذه الوصية أمرا
 وأعظم أجرا وأجدربأن تكون هي الاولى وتكون هذه الاخرى وهي
 الاخذ على السنة السفها من الخوض فيما شجر بين آل النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه واطهار العصية التي تزحج الحق عن نصابه وترجعه على أعقابها وليس
 مستندا الامقالات ذوى الجهل وربما نشأ منها قتنة والفتنة أشد من القتل
 فوكل بهؤلاء قريبا طاعما ونهيا قامعا وكن في ذلك شارعا لما كان الله شارعا
 فأولئك السادات هم النجوم الذين بأيهم كان الاقتداء كان به الاهتداء وقصارى
 المحسن في هذا الزمان أن يتعلق منها سببا ويأخذ عنهم ديناً وأدبا ولا يبلغ
 مدأ حدهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهباً ونحن نعلم أنك واقف على
 سنن اقتصادك وأن هذه الوصية هي محض اعتقادك والمنصف في هذا المقام

من رفقته بنظر جلي ووفى أبابكر وعمر رضي الله عنهما حقهما وان كان من نسل
علي فكل قد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضله وهؤلاء من صحابته
وهذا من أهله ونعوذ بالله من الأهواء الزائفة والاقوال التي ليست بسائغة
ولا حجة الا بالحق والله الخطة البالغة وقد جعلنا لك في مالنا عطاء دار استعين به
علي لوازم النفقات وتخرج نافلتك في وقاية عرضك التي هي محسوبة من
الصدقات فان من سادقوما يفتقر الي تحمل أثقالهم والافاضة من حاله
علي أحوالهم وهذا بر يكون من أصله ومنك فرعه وثواب يكون لك قصده
ولنا شرعه وصاحب الاحسان من سن سبيل الاحسان ولم نرض أن أرينا لك
مكانه حتى أمددناك فيه بالامكان فأعظم مالنا وتعلم من سنة افضالنا ولدولتنا
بذلك ثوب جال كلما بس زاد جدة وعمرد كر كلما مضت عليه مدد الايام طال
مدة ولا ملك في الدنيا لمن لم يجعل ملكه حديثا حسنا ويشتر المحامد فيجعلها
ثمنا ومن عرف قدر الثناء جت في تحصيله ولو أنفق الكثير في قلبه فكلم من
دولة أعدمته منه فدرست آثار معالمها ولو كانت منه مثرية لما ذهبت مع بقاء
مكارمها واذ ذكرنا هذا فلنختتمه بما يكون قلادة لصاحب هذا التقليد وهو أن
تجرد العناية بوجاهته حتى يلبس تقديما بذلك التجريد وغوى ذلك أن يعلم الناس
ماله في الدولة من منزلة الكرامة ويعرفوا أنه فيها ابن جلا غير محتاج الى وضع
العمامة ونحن نأمر توأبنا وولاتنا وأصحابنا أن يوفوه حق أبوتهم الشريفة
وفضيلته التي ردتها فأضحت وهي لها رديفة وأن يعطوه ماشاء من اعلاء شأنه
ويعضوا فعل يده وقول لسانه ان شاء الله تعالى (وقد وجدت للصابي) أيضا تقليدا
أنشأه لفخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي بن بويه عن الخليفة الطائع
رحمه الله وهو مثبت ههنا على صورته وكان عرض علي تقليد كتب للملك الناصر
صلاح الدين يوسف بن أيوب من الخليفة المستضي بالله رحمه الله في سنة احدى
وسبعين وخمسة مائة فوجدت فيه كلاما نازلا بالمرة وسألني بعض الاخوان بمدينة
دمشق أن أعارضه فعارضته بتقليد في معناه وهو مثبت ههنا أيضا وكلا
التقليدين باسم ملك كبير وفيهما يظهرا ما يظهر من فصاحة وبلاغة
(فأما التقليد) الذي أنشأه الصابي فهو هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الطائع
له أمير المؤمنين الى نحر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين

حين عرف غناه وبلاه واستصح دينه وبتيمنه ورعى قديمه وحديثه واستنجب
 عوده ونجاره وأثنى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير
 المؤمنين عليه وأشار بالزيدى الصنيعه اليه وأعلم أمير المؤمنين اقتداءه به فى كل
 مذهب ذهب فيه من الخدمة وغرض رعى اليه من النصيحة دخولا فى زمرة
 الاولياء المنصورة وخروجاً عن جماعة الاعداء المدحورة وتصرفاً على
 موجبات البيعة التى هى بعز الدولة أبى منصور منوطة وعلى سائر ما يتلوه ويتبعه
 مأخوذة مشروطة بقلده الصلات وأعمال الحرب والمأون والاحداث والخراج
 والاعشار والضيايع والجهدة والصدقات والجواهر وسائر وجوه الجنائيات
 والعرض والعتاء والنفقة فى الاولياء والمظالم وأسواق الدقيق والعيارى فى
 دور الضرب والطرر والحسبة بكورهمذان واسترأبازوالدينور وتوزيع
 والامعارين واعمال اذربيجان وأران والسهمانيين وموقان واثقامنه باستقبال
 استدامتها والاستزادة بالشكر منها والتجنب لغمطها وبجودها والتنكب
 لا يحاشها وتنفيرها والتعمد لما يمكن له الحظوة والزلفى وحرس عليه الاثرة
 والقربى بما يظهره ويضمه من الوفاء الصحيح والولاء الصريح والغيب الامين
 والصدور السليم والمناطعة لكل من قطع العصمة وفارق الجملة والمواصله لكل
 من حى البيضة وأخلص النية والكون تحت ظل أمير المؤمنين ودمنه ومع
 عز الدولة أبى منصور وفى حوزته والله جل اسمه يعرف لامير المؤمنين حسن
 العقبى فيما أبرم ونقض وسداد رأى فى من رفع وخفض ويجعل عزائمهم
 امقرونه بالسلامة محبوبة عن موارد الندامة وحسب أمير المؤمنين الله ونعم
 الوكيل أمره بتقوى الله التى هى العصمة المتينة والجنسة الحصينة والطود
 الارتفاع والمعاذ الامنع والجانب الاعز والمجا الأحرز وأن يستشعرها سراً
 وجهراً ويستعملها قولاً وفعلاً ويتخذها ذخراً لفعال النوائب القدر وكهفا
 حامياً من حوادث الغير فانها أوجب الوسائل وأقرب الذرائع وأعوذها على
 العبد بمصالحه وأدعائها الى كل مناجحه وأولاهها بالاستمرار على هدايته
 والنجاة من غوايته والسلامة فى دنياه حين توبق موبيقاتها وتردى مردياتها
 وفى آخرته حين ترزع رائقاتها وتخيف مخيفاتها وأن يتأدب بأدب الله
 فى التواضع والاختبات والسكينة وصدق اللهجة اذا نطق وغض الطرف اذا

رمق وكظم الغيظ اذا حفظ وضبط اللسان اذا غضب وكف اليد عن الماتم
 وصون النفس عن المحارم وأن يذكر الموت الذي هو نازل به والموقف الذي هو
 صائر اليه ويعلم أنه مسؤول عما كتب مجزى مما تزل واحتمق ويتزود
 من هذا الممر لذلك المقر ويستكثر من أعمال البر لتنتفعه ومن مساعي الخير
 لتنتفعه ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ويزجر عن السيئات قبل أن يزجر
 عنها ويتدبى باصلاح نفسه قبل اصلاح رعيته فلا يبعثهم على ما يأتي ضده
 ولا ينهاهم عما يفترون مثله ويجعل ربه رقيباً عليه في خلواته ومروءته مانعة له من
 شهواته فان أحق من غلب سلطان الشهوة وأولى من ضرع اغذاء الحمية من
 ملأ أزمة الامور واقتدر على سياسة الجمهور وكان مطاعاً فيما يرى متبعاً فيما
 يشاء يلى على الناس ولا يلون عليه ويقتصر منهم ولا يقتصرون منه فاذا اطلع
 الله منه على نقاب حبيبه وطهارة ذيله وصحة سيرته واستقامة سيرته أعانه على
 حفظ ما استحفظه وأنضه بنقل ما حله وجعل له مخلصاً من الشبهة ومخرجاً من
 الحيرة فقد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
 وقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم
 مسلمون وقال واتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى آي كثيرة حضنا بها على
 أكرم الخلق وأسلم الطرق فالسعيد من نصبها ازاء ناظره والشقي من نبذها
 وراء ظهره وأشقى منهما من بعث عليها وهو صادف عنها واهاب اليها وهو
 بعد منها وله ولا مثاله يقول الله تعالى ذكره أنأمرون الناس بالبر وتنسون
 أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن يتخذ كتاب الله اماماً
 متبعاً وطريقاً متوقفاً ويكثر من تلاوته اذا خلا بذكره ويلا تأمليه أرجاء
 صدره فيذهب معه فيما أباح وحظر ويقتدي به اذا نهى وأمر ويستبين
 ببيانه اذا استغلقت دونه المعضلات ويستضي بصايبه اذا عظمت عليه
 المشكلات فانه عروة الاسلام الوثقى ومحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه
 المرشد والكاشف انظم الخطوب والشافي من مرض القلوب والهادي لمن ضل
 والمتلافي لمن زل فمن نجابه فقد فاز وسلم ومن اهاعنه فقد خاب وندم قال الله
 تعالى وانه الكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
 حميد وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها في حقائق الاوقات قائماً

على حدودها متبعا لرسومها جامعاً فيها بين نيته وانظمه متوقفاً على المطامح وهو
ولفظه منقطعاً اليها عن كل قاطع لها مشغولاً به عن كل شاغل عنها متتبعاً
في ركوعها وسجودها مستوفياً عددهم فروضها ومسنونها موقراً عليها
ذهنه صارفاً اليها همه عالماً بأنّه واقف بين يدي خالقه ورازقه ومحبيه ومعيته
ومعاقبه ومثيبه لا تستتر دونه خائفة الاعين وما تخفى الصدور فاذا قضاهما على
هذه السبيل من ذكيرة الاحرام الى خاتمة التسليم أتبعها بدعا يرتفع
بارتفاعها ويستمع باستماعها لا يتعدى فيه مسائل الابرار ورجائب الاخيار
من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام واستدعاء لمصالح الدين والدنيا
وعوائد الآخرة والأولى فقد قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً
موقوتاً وقال تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأمره
بالسعي في أيام الجمع الى المساجد الجامعة وفي الاعياد الى المصليات الضاحية
بعد التقدم في فرشها وكنسوتها وجمع القوام والموذنين والمكبرين فيها
واستسعاء الناس اليها وحضهم عليها آخذين الالهية متنظفين في البرة
موذنين لفرضة الطهارة وبالغين في ذلك أقصى الاستقصاء معتقدين خشية الله
وخيفته مدبرعين تقواه ومراقبته مكثرين من دعائه عز وجل وسؤاله
مصلين على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله بقلوب على اليقين موقوفة وهم
الى الدين مصروفة وألسن بالتقديس والتسبيح فصيحة وآمال في المغفرة والرحمة
فصيحة فان هذه المصليات والمتعبادات بيوت الله الذي فضلها ومناسكها التي
تترفها وفيها يتلى القرآن الكريم وتعوذ العائذون وتتعبد المتعبدون
وتتجدد المتجددون وحقيق على المسلمين أجمعين من وال ومولى عليه أن يصونها
ويحرمها ويواصلها ولا يهجرها وأن يقيم الدعوة على منابرها لامير المؤمنين
ثم انفسه على الرسم الجاري فيها قال الله تعالى في هذه الصلاة يا أيها الذين آمنوا
اذنودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال في عارة
المساجد انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى
الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يراعى
أحوال من يليه من طبقات جنود أمير المؤمنين ومواليه ويطلق لهم الارزاق
في أوقات الوجوب والاستحقاق وأن يحسن في معاملتهم ويحتمل في

استخدامهم ويتصرف في سياستهم بين رفوق من غير ضعف وخشونة في غير عنف
مثيرا للمحسنين ما زاد بالاثابة في حسن الاثر وسلم معها من دواعي الاشر ومتعمدا
لمسيئهم ما كان التعمد له نافعا وفيه ناجما فان تنكرت زلاته وتتابعت عثراته
تناولته من عقوبته ما يكون له مصححا ولفيره واعظا وأن يختص أكبرهم
وأماثلهم وأهل الرأي والخطير منهم بالمشاورة في الملء والاطلاع على بعض
المهم مستخاضا مخاييل صدورهم بالبسط والادناء ومستشهذا بصائرهم
بالاكرام والاجتناب فان في مشاورة هذه الطبقة استدلالا على مواقع الصواب
وتحذرا عن غلط الاستبداد وأخذها بجماع الحزم وأمانا من مفارقة
الاستقامة وقد حض الله عز وجل على الشورى حيث قال لرسوله عليه الصلاة
والسلام وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
وأمره بأن يصعدنا يصلى بنواحيه من نفور المسلمين ورباط المرابطين ويقسم
لهما قسما وافر من عنايته ويصرف اليها طرفا بل شطرا من رعايته ويختارها
أهل الجاد والشفقة وذوى البأس والنجدة ممن عجمته الخطوب وعركته
الحروب واكتسب درية بنجدع المتنازلين وتجربة بمكاييد المتقارعين وأن
يستظهر بكشف عددهم واعتبار عددهم واتخاذ خيلهم واستحادة
أسلحتهم غير محجر بعثا اذا بعثه ولا مستكرهه اذا وجهه بل يتأوب بين
رجالهم مناوبة تريخهم ولا تغدهم وترفهم ولا تؤدهم فان في ذلك من فائدة
الاجسام والعدل في الاستخدام زينا فليؤوب بين رجال النوب فيما عاد عليهم
بمزالظفر والنصر وبعد الصيت والذكر واحراز النفع والاجر ما يحق أن
يكون الولاية به عاملين وللناس عليه عاملين وأن يكثر في أسماعهم ويثبت
في قلوبهم مواعيد الله تعالى ان صبر ورباط وسامع بالنفس من حيث لا يقدمون
على نور طعنه ولا يجمعون عن انتهائهم فرصة ولا ينكصون عن توردهم معركة
ولا يلقون بأيديهم الى التهلكة فقد أخذ الله ذلك على خلقه والمرء أمين
على دينه وأن يريح العملة فيما يحتاج اليه من راتب نفقات هذه الثغور
وحادثها وبناء حصونها ورمعها لها واستطراق طرقها ومسالكها وافاضة
الاقوات والعلوفة في اللامرتين بها والمترددن اليها والحاملين لها وأن يبذل
أمانه لمن طلبه ويعرضه على من لم يطلبه وينق بالعهد اذا عاهد وبالعهدة اذا

عاقد غير مخفزة ولا جارح أمانة فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال عز وجل
 يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ونهى عن النكث فقال عز من قائل فمن نكث
 فإنا ما نكث على نفسه وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرائمهم فمن كان
 اقراره واجبا أقره ومن كان اطلاقه سائغا أطلقه وأن ينظر في الشرطة
 والاحداث نظر عدل وانصاف ويختارها من يخاف الله ويتقيه ولا يحابي ولا
 يراقب فيه ويتقدم اليهم بتمتع الجهال وردع الضلال وتتبع الاشرار
 وطلب الزغار مستدلين على أما كنهم متوغلين الى مكامنهم متولجين
 عليهم في مظانهم متوثقين ممن يجدونه منهم منقذين أحكام الله تعالى فيهم
 بحسب الذي يتبين من أمرهم ويصح من فعلهم في ككبيرة ارتكبوها
 وعظيمة احتقبوها ومهجة ان اغاظوها واستهلكوها وحرمة ان استباحوها
 وانتهكوها فمن استحق حد من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخفزين منه
 وأحلوه به غير مقصرين عنه بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأثونه حجة ولا
 يعترضهم في وجوبه شبهة فان الواجب في الحدود أن تقام بالبيانات وأن تدرأ
 بالشبهات فأولى ما توخاه وعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليها مع نقصان ولا
 يتوقفوا عنها مع قيام الدليل ومن وجب عليه القتل احتاط بما يحتاط به على مثله
 من الحبس الحصين والتوثق الشديد وكتب الى أمير المؤمنين بخبره وشرح جنائمه
 وثبوتها باقرار يكون منه أو بشهادة تقع عليه ولينظر من جوابه ما يكون عمله
 بحسبه فان أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد الا ما أحاط به علما
 وأتقنه فهما وكان ما عاضيه فيه عن بصيرة لا يخالجه اشك ولا يشوبه اريب
 ومن ألم بصغيرة من الصغار وبسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلها
 ولم يتقدم له أختها وعظمه وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله ما لم يكن
 عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه وجزائه فان عادتنا وله من التقويم
 والتهذيب والتعزير والتاديب بما يرى أن قد كفى فيما اجترم ووفى بما قدم
 فقد قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره أن يعطل
 ما في أعماله من الحانات والمواخير ويظهرها من القبائح والمناكير ويمنع من
 يجمع أهل الخنا فيها ويؤلف شملهم بها فانه شمل يصلحه التشتيت وجمع يحفظه
 التفريق وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنية داعية من يأوى

اليها ويعكف عليها الى ترك الصلوات واهمال المفترضات وركوب
 المنكرات واقتراف المحظورات وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها الله
 معصية وفي اخرابها للخير مجلبة والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين كنتم
 خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله
 ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين نخلق من بعدهم خلف افساءوا الصلاة
 واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وأمره أن يولي الحماية في هذه الاعمال
 أهل الكفاية والعناية من الرجال وأن يضم اليهم كل من خف ركابه وأسرع
 عند الصريح مرتب اليهم في المسالخ وساداتهم ثغرا المسالك وأن يوصيهم بالتيقظ
 ويأخذهم بالتحفظ ويزيح عنهم في علوفة خيلهم والمقتر من أزوادهم
 وميرهم حتى لا تنقل لهم عن البلاد وطاعة ولا يدعوهم الى تحنقهم وتلهم
 حاجه وأن يحوطوا السابله بادئة وعائدة ويذرقوا القوافل صادرة وواردة
 ويحرسوا الطريق لئلا ونهارا ويتفصوها رواطا وغدقا وينصبوا لاهل
 العبت الارصاد ويتكمنوا اليهم بكل واد ويتفرقوا عليهم حيث يكون
 التفرق مضيقا لفضائهم وموذيبا الى انفضاضهم ويحتموا حيث يكون
 الاجتماع مطفئا لجرتهم وصادعا زويتهم ولا يخلوا هذه السبل من حماة لها
 وسيارة فيها يترددون في جواتها ويتعسفون في عواديتها حتى تكون
 الدماء محقونة والاموال مصونة والفتن محسومة والغارات مأمونة ومن
 حصل في أيديهم من اص خاتل وصعلوك خارب ومخيف لسبيل ومنتهك لحريم
 امتثل في أمره أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل انما جزاء الذين
 يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع
 أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم
 في الآخرة عذاب عظيم وأمره بوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من اباق
 العبيد والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم والبحث عن الاماكن التي
 فارقوها والطرق التي استطرقوها ومواليهم الذين أنفقوا منهم ونشروا عنهم
 وأن يردوهم عليهم قهرا ويعيدوهم اليهم صغرا وان ينشدوا الضالة ما أمكن
 أن تنشد ويحفظوها على ربه بما جاز أن تحفظ ويتجنبوا الامتطاء اظهورها
 والانتفاع بأوبارها والبيان ما يجوز ويحلب وأن يعترفوا الاثمة ويتبعوا أثرها

ويشيعوا خبرها فاذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت اليه ولم
يعترض فيها عليه والله عز وجل يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات
الى أهلها ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ضالة المؤمن حرق النار وأمره أن
يؤسى عماله بالشدة على يد الحكام وتنفيذ ما يصدر عنهم من الاحكام وأن
يحضروا بحالهم حضور الموقرين لها الذابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة
وحدود الطاعة فيها ومن خرج عن ذلك من ذى عقل ضعيف وحلم ضئيف
نالوه بما يردعه وأحلوا به ما ينزعه ومتى تقاعس متقاعس عن حضور مع
خصم يستدعيه بأمر يوجب له الحكم اليه أو التوى مله ويحق بحصل عليه
ودين يستقر في ذمته فادوه الى ذلك بأزمة الصغار وحزائم الاضطرار وأن
يجبوا ويطلقوا بأقوالهم ويثبتوا الايدي في الاملاك والفروج وينزعوا
بقضاياهم فانهم آمناء الله في فصل ما يقضون ويث ما يبشون وعن كتابه وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون ويصدرون وقد قال الله عز وجل يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله هم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب وأن يتوخي بمثل هذه المعاملة اعمال الخراج في استيفاء حقوق
ما استعملوا عليه واستنطاق بقاياهم فيه والرياسة لمن تسوء طاعته من
معاملهم واحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم من فن آداب الله
تعالى للعبد الذي يحق عليه أن يتخذها ويجعلها للرضاعته سببا قوله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله
شديد العقاب وأمره أن يجلس للرعية جلوسا عاتما ويتطرق في مظالمها انظرا
تاما يساوى في الحق بين خاصها وعامتها ويوازي في الجمالس بين عزيزها وذليلها
وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه بعد النقص والتأمل والبحث
والتبيين حتى لا يحكم الا بعدل ولا ينطق الا بفصل ولا يثبت يد الا فيما وجب
تثبيتها فيه ولا يقبضها الا بما وجب قبضها عنه وأن يسهل الاذن لجماعتهم
ويرفع الحجاب بينه وبينهم ويوليهم من حصانة الكنف وابن المنعطف والاشتمال
والعناية والصون والرعاية ما تتعادل به أقسامهم وتتوازي منه أقساطهم ولا
يصل الركين منهم الى استئزامة ما تأخر عنه ولا ذوالسلطان الى هزيمة من حل

دونه وأن يدعوهم الى أحسن العادات والخلائق ويحضهم على أحمد
 المذاهب والطرائق ويحمل عنهم كله ويعت عليهم ظله ولا يسومهم عفا ولا يلحق
 بهم حينئذ ولا يكلفهم شططا ولا يجشمهم مضاعما ولا ينلم لهم معيشة ولا يداخلهم
 في جرعة ولا يأخذ برئاستهم ولا يحاضرهم بدمهم فإن الله عز وجل ينهى أن
 تزروا زوة وزرأ أخرى ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سنن عليها من سنة
 ظالمة وسلك بها من حجة جائزة ويستقرى آثار الولاية قبله عليها فيما رجوه
 من خيرا وشرا إليها فيقر من ذلك ما طاب وحسن ويزيل ما خبت وقبح فإن
 من غرس الخير يحظى بمسول ثمره ومن زرع الشر يصلى بثمر ورزيقه والله
 تعالى يقول والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا
 كذلك نصرت الآيات لقوم يشكرون وأمره بأن يصون مال الخراج وأعمال
 الغلات ووجوه الجبايات موفرا ويزيد ذلك مثمرا بما يستعمله من الانصاف
 لاهلها واجرائهم على صحيح الرسوم فيها فانه مال الله الذي به قوة عباده وحماية
 بلاده ودرور حبله واتصال مدده وبه يحاط الحرم ويدفع العظيم ويحمى
 الذمار ويزداد الاشرار وأن يجعل افتتاحه اياه بحسب ادرالنا صنافه وعند
 حضور مواعيقه وأحيانه غير متسلف شيئا قبلها ولا مؤخر الهاعتها وأن يخص
 اهل الطاعة والسلامة بالترقية لهم وأهل الاستصعاب والامتناع بالتشديد
 عليهم لتلايق ارهاق لمذعن أو اهمال اطامع وعلى المتولى لذلك أن يضع كلال
 من الامرين موضعه ويوقعه موقعه متجنباً احلال الغلظة من لا يستحقها
 واعطاء الفسحة من ليس اهلها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان الا ما سعى
 وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره أن يتخير عمله على الخراج
 والاعشار والضرائب والجبهذة والصدقات والجوالى من اهل الطائف
 والتزاهة والضبط والصيانة والجزالة والشهامة وأن يستظهر مع ذلك
 عليهم بوصية تعيها اسماعهم وعهود يقلدها أعناقهم بأن لا يضيعوا
 حقا ولا يأكلوا سمحتا ولا يستعملوا ظلما ولا يقارفوا غشما وأن يقيموا
 العمارات ويحتاطوا ويتحرزوا من اقواء حتى لازم أو تعطيل رسم عادل مؤدبن
 في جميع ذلك الامانة مجتنبين للخيانة وأن يأخذوا جهابذتهم باستيناف وزن
 المال على تمامه واستجدادة نقده على عيانه واستعمال العهدة في قبض

ما يقبضون واطلاق ما يطلقون وأن يوغروا الى سعة الصدقات في أخذ
 القرائض من سائمة مواشي المسلمين دون عاملتها وكذلك الواجب فيها وأن
 لا يجبه عواقيها متفرقا ولا يفترقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها باخراجها ولا
 يضيفوا اليها ما ليس منها من نقل ابل وأكولة راع أو عقيلة مال فاذا اجتبوا
 على حقها واستوفوها على رسمها أخرجوها في سبيلها وقسموها على أهلها
 الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه العزيز الا المولفة قلوبهم الذين ذكرهم الله عز
 وجل في كتابه الكريم وسقط سهمهم فان الله تعالى يقول انما الصدقات
 للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
 سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم والى جباة أهل الذمة أن
 يأخذوا منهم الجزية في المحترم من كل سنة بحسب منازلهم في الاحوال وذات
 أيديهم في الاموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود والمعهودات لها
 وأن لا يأخذوها من النساء ولا من لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذى سن عالية
 ولا ذى علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب مبتل وأن يراعى جماعة هؤلاء
 العمال مراعاة يسرها ويظهرها ويلاحظهم ملاحظة تخفيها ويبيدها لتلا
 يزولوا عن الحق الواجب أو يعدلوا عن السنن اللائحة فقد قال الله تعالى
 وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأمره بأن يشد بعرض الرجال
 واعطائهم وحفظ جراياتهم وأوقات اطعامهم من يعرفه بالثقة في متصرفه
 والامانة فيمأجري على يده والبعده عن الاسفاف الى الدنية والاتباع للدناءة
 وأن يبعثه على ضبط الرجال وشيئات الخيل وتجديد العرض بعد الاستحقاق
 وايقاع الاحتياط في الاتفاق فمن مع عرضه ولم يبق في نفسه شيء منهم من
 شد بعرض له أو ربيبة يتوهمها أطلق أموالهم موفورة وحصلها في أيديهم غير
 منلوامة وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والاخلال ناسبا ذلك
 الى جهته مورد الله على حقيقته وأن يطالب الرجال باحضار الخيل المختارة
 والآلات المستكملة على ما توجبه مبالغ أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم
 فان أخر أحدهم شيئا من ذلك قاصصه به من رزقه وأغرمه مثل قيمته فان
 المتصرف فيه خائن لأمير المؤمنين ومخالف لرب العالمين اذ يقول سبحانه وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأمره أن

يعتمد في اسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من تجتمع فيه آلات
هذه الولايات من ثقة ودراية وعلم وكآبة ومعرفة ورواية وتجربة وحسكة
وحصانة ومسكة فانها احوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه وأن
يتقدم الى ولاية اسواق الرقيق بالحفظ فيمن يطلقون بيعه ويمضون أمره
والتهر من وقوع تخون فيه أو اهمال له إذ كان ذلك عائدا بتحصين الفروج
وتطهير الانساب وأن يبعدوا عنه أهل الريسة ويقربوا أهل العفة ولا
يمضوا بيعا على شبهة ولا عقدا على تهمة والى ولاية العيار بتخليص عين الدرهم
والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة من المش وبجسب
الامام المقدر بمدينة السلام وحراسة السكك من أن تتداولها الايدي المزغلة
وتتناقلها الجهات المنبئية واثبات اسم أمير المؤمنين على ما يضرب ذهباً وفضة
واجراء ذلك على الرسم والسنة والى ولاية الطرز أن يجروا الاستعمال في جميع
المناسج على أتم النيقة وأسلم الطريقة وأحكم الصنعة وأفضل العمة وأن
يكتبوا اسم أمير المؤمنين على طرر الكسا والقرش والاعلام والبنود والى
ولاية الحسبة بتصفح احوال العوام في حرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم
ومعاملاتهم وأن يعايروا الموازين والمكاييل ويفرزوها على التعديل
والتكميل ومن اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس أو غيلة أو تدليس أو
بخس ما يوفيه واستفضل فيما يستوفيه نالوه بغليظ العقوبة وعظمتها وخصوه
بوجيعها وألمها واقفين في ذلك عند الحد الذي يرويه لذنبه مجازيا وفي تأديبه
كافيا فقد قال الله تعالى ويل للمطففين الذين إذا كالأوعلى الناس يستوفون
وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون هذا عهد أمير المؤمنين اليك وجمته عليك
وقد وقفك على سواء السبيل وأرشدك الى واضح الدليل وأوسعك تعليما
وتحكيما وأقنعك تعليما وتفهما ولم يالك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك
ولم يدخرك ممكنا فيما أصلمك وأصلحك ولا تركك عذرا في غلط تغلطه ولا طريقا
الى تورط تورطه بالقائك في الاوامر والزواجر الى حيث يلزم الائمة أن يندبوا
الناس اليه ويحنوهم عليه مقيما لك على منجيات المسالك صار قالك عن
مرديات المهالك مريدا فيك ما يسلمك في دينك ودنياك ويعود بالخط عليك في
آخرك وأولاك فان اعتدلت وعدلت فقد دقت وغنت وان تحانفت

وأعوججت فقد فسدت وندمت والأولى بك عند أمير المؤمنين من مغرسك
الزاكي ومنبتك النامي وعودك الانجيب وعنصرك الاطيب أن تكون
لظنه محققا ولخيلته فيك مصدقا وأن تستزيده بالاثرا الجميل قربا وثوابا يوم الدين
وزلني عند أمير المؤمنين وثنا حسنا من المسلمين فخدمنا بذا اليك أمير المؤمنين
من معاذيره وأمسك يديك على ما أعطى من واثيقه واجعل عهده مثالا
تحتذيه وامامات تقتضيه واستعن بالله يعينك واستهد به يدك وأخلص اليه في
طاعته يخلص لك الحظ في معوتك ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل
عليك من صعب أو بهررك من باهر أو بهرظك من باهظ فاكذب الى أمير المؤمنين
منهيا وكن الى ما يرد عليك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
(وأما التقليد) الذي أنشأته أنا فهو هذا أما بعد فان أمير المؤمنين يبدأ بحمد
الله الذي يكون لكل خطبة قيادا ولكل أمر مهادا ويستزيده من نعمه التي
جعلت التقوى له زادا وحلمه عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه
اجتهادا وصغرت لديه أمر الدنيا فانسورت له حجر اباب ولا عرضت عليه جيادا
وحققت فيه قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا ثم يصلي على من أنزلت الملائكة لنصره امدادا وأسرى
به الى السماء حتى ارتقى سبع سماوات وحبلى له ربه فلم يرغ منه بصرا ولا أكذب
فوادا ثم من بعده على أسرته الطاهرة التي زكت أوراقا وأعوادا وورثت النور
المتين تلامدا ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وارشادا وخصوصا عمه العباس
المدعوله بأن يحفظ نفسه وأولادا وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف
دركا ولا تخشى نقادا واذا استوفى القلم مداده من هذه الجملة وأسند القول
فيها عن فصاحته المرسله فانه يأخذ في انشاء هذا التقليد الذي جعله حليفنا
اقرطاسه واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكدير فقع من راسه وليس
ذلك الا لافاضته في وصف المناقب التي كثرت فحسن لها مقام الاكثر
واشتهبه التطويل فيها بالاختصار وهي التي لا يفتقر واصله الى القول المعاد
ولا يستوعر سألوك أطوادها ومن العجب وجود السهل في سألوك الاطواد
وتلك مناقبك أيها الملك الناصر الاجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد
المرابط صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب والديوان العزيز يتلوها عليك

تحت ثابت كرك و يباهى بك أولياءه تنويها بذكرك ويقول أنت الذي تستكفي
فتكون للدولة سهمها الصائب وشهابها الثاقب وكثرها الذي تذهب الكنوز
وليس يذهب وماضرها وقد حضرت في نصرته اذا كان غير ذلك هو الغائب
فاشكرا اذا ما ساعدك التي أهلتك لما أهلتك وفضلتك على الأولياء بما فضلتك
ولئن شورك في الولاء بعقيدة الاضمار فلم تشارك في عزمك الذي انتصر للدولة
فكان له بسطة الانتصار وفرق بين من أمدت بقلبه وبين من أمدت يده في درجات
الامداد وما جعل الله القاعدین كالذين قالوا لو أمرينا بالضربنا أكبادها الى
برك الغمام وقد كفال من المسمى أنك كفيت الخلافة أمر منازعتها وطمست
على الدعوة الكاذبة التي كانت تدعيها واقدمضى عليها زمن ومحراب حقتها
محفوف من الباطل بحرايين ورأت ماراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
السوارين اللذين أولهما كذايين فبصر منهما واحدا تاه بجمري أنهارها من
تحتة ودعا الناس الى عبادة طاغوته وجبته ولعب بالدين حتى لم يدر يوم جمعه
من يوم أحده ولا يوم سبته وأعانه على ذلك قوم رمى الله بصائرهم بالعمى
والصمم واتخذوه صنما بينهم ولم تكن الضلالة هناك الا بجعل أوصنم فقامت أنت
في وجهه باطله حتى قعدت وجعات في جبهه حبل من مسد وقلت ليدته تبت
فأصبح وهو لا يبصر ولا يبسط يده وكذلك فعلت بالآخر الذي نجحت
بالين ناجته وسامت فيه سائمته فوضع بنية موضع الكعبة اليمانية وقال
هذا ذوالخلة الثانية فاي مقاميك يعترف الاسلام بسبقه أم أيها يقوم
بأداء حقه وههنا فليصح القلم للسيف من الحساد وليقصر مكاتته عن مكاتته
وقد كان له من الانداد ولم يحظ بهم هذه المزية الا لانه أصبح لك صاحباً ونفرك
حتى طال فخر أعماله زجانيا وقضى بولايتك فكان بها قاضيا لما كان حده
قاضيا وقد قل ذلك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمنية غورا ونجدا وما اشتملت
عليه رعية وجندا وما انتهت اليه أطرافها برا وبحرا وما يستنقذ من
مجاوريهام سالمة وقهرا وأضاف اليها بلاد الشام وما تحتوى عليه من المدن
الممدنة والمراكز المحصنة مستنما منها ما هو بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين
محمد ودرجه الله وهو حلب وأعمالها فقدمضى أبوه عن آثار في الاسلام ترفع
ذكره في الذاكرين وتخلقه في عقبه في الغابرين وولاه هذا قد هذبه النظرة

في القول والعمل وليست هذه الربوة الامن ذلك الجبل فليكن له منك جاريد نو
 منه ودادا كما دنا أرضا ويصبح وهو له كالبنيان يشد بعضه بعضا والذي قدمناه
 من الثناء عليك ربما تجاوز بك درجة الاقتصاد والفتك عن فضيلة الازدياد
 فايك أن تنظر سعيدك بالاعجاب وتقول هذه بلادنا فتحتها بعد أن أضرب عنها
 كثير من الاضراب ولكن اعلم أن الارض لله ورسوله ثم خلقته من بعده
 ولامنة للعبد باسمه بل المنة لله به بداية عبده وكم سلف من قبلك من لورام
 مارمته لدنا شاسعه وأجاب مانعه لكن ذخره الله لك لتعظي في الآخرة بمقارنه
 وفي الدنيا برقم طرازه فأتى يدك عند هذا القول القاء التسليم وقل لا علم لنا
 الا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم وقد قرن تقايدك هذا بمجاعة تهكون لك
 في الاسم شعارا وفي الوسم فخارا وتناسب محل قلبك وبصرك وخبرم لابس
 الاولياء ما تناسب قلوبا وأبصارا ومن جلته اطوق يوضع في عنقك موضع العهد
 والميثاق ويشير اليك بأن الانعام قد أطاف بك اطافة الاطواق بالاعناق ثم
 انك خوطبت بالملك وذلك خطاب يقضى لصدرك بالانشراح ولا ملك بالانفساح
 وتوهم معه بتقيدك الى العلي الا بضعها الى الجناح وهذه الثلاثة المشار اليها
 هي التي تكمل بها أقسام السيادة وهي التي لا مزيد عليها في الاحسان
 فيقال انهم الحسنى وزيادة فاذا صارت اليك فانصب لها يوما يكون في الايام
 كريم الانساب واجعله لها عيد او قل هذا عيد الخلة والتقليد والخطاب هذا
 ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناء عن الحضور وتضمن
 أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضنة من شيم الغيور وهذه المكانة
 قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها وما تقول الا انهم لك صاحبة وأنت يوسفها
 فاحرسها عليك حراسة تقضى بتقديهما واعمل لها فان الاعمال بخواتيمها
 واعلم أنك قد تقلدت أمر اتعين به نبي الخلوم ولا ينقك صاحبه عن عهده
 المعلوم وكثيرا ما يرى حسناته يوم القيامة وهي مقسمة بأيدي المصوم ولا ينجو
 من ذلك الامن أخذ أهبة الحذار وأشفق من شهادة الاسماع والابصار وعلم
 أن الولاية ميزان احدي كفتيه في الجنة والاخرى في النار قال النبي صلى
 الله عليه وسلم يا أبا ذر اني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تواين
 مال يتيم فانظر الى هذا القول النبوي نظرم من لم يخدع بجديث الحرص والآمال

ومثل الدنيا وقد سبقت اليك بهذا فغيرها أليس مصيرها الى زوال والسعيد
 اذا جاءته قضى بها أرب الارواح لأرب الجسوم واتخذ منها وهي السم دواء
 وقد اتخذ الادوية من السموم وما الاعتباط بما يختلف على تلاشيه الماء والاصباح
 وهو كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه
 الرياح والله يعصم أمير المؤمنين وولاية أمره من تباعثها التي لا يستهم ولا بسوها
 وأحصاها الله عليهم ونسوها ولك أنت من هذا الدعاء حظ على قدر محلك
 من العناية التي جذبت بضبعك ومحلك من الولاية التي بسطت من درعك فخذ
 هذا الامر الذي تقلدته أخذ من لم يتعبته بالنسيان وكن في رعايته عن اذنانك
 عيناه كان قلبه يقظان وملاكك ذلك كله في اسبغ العدل الذي جعله الله ثالث
 الحديث والكتاب وأغنى بثواب وحده عن أعمال التراب وقدر يومئذ منه
 بعبادة ستين عاما في الحساب ولم يأمر به أمر الا يزيد قوة في أمره وتحصن به من
 عدوه ومن دهره ثم يجاء به يوم القيامة وفي يديه كتابا أمان ويجلس على منبر
 من نور عن عین الرحمن ومع هذا فان مركبه صعب لا يستوى على ظهره الا من
 أمسك عنان نفسه قبل امساك عنانه وغلبت له ملكة على لمة شيطانه ومن
 أوكد فروضه أن يعي السنن السيئة التي طالت مدد أيامها وينس الرعايا من
 رفع ظلاماتها فلم يجعلوا أمد الاقصار ظلامها وتلك السنن هي المكوس التي
 أنشأتها الهمم الحقيمة ولاغنى للأيدي الغنية اذا كانت ذات نفوس فقيرة وكلما
 زيدت الاموال الحاصلة منها قدر ازادها الله محققا وقد استمرت عليها العوائد
 حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقا ولولا أن صاحبها أعظم
 الناس جرما لما أغلظ في عقابه ومثلت توبة المرأة الغامدية بتابه وهل أشقى
 من يكون السواد الاعظم له خصما ويصبح وهو مطالب بهم بما يعلم وعالم يحط به
 علما وأنت مأمور بأن تأتي هذه الظلمات فتنبجي على ابطالها وتطلق اسماءها في
 المحو بأفعالها حتى لا يبقى لها في العيان صور منظورة ولا في الالسننة أحاديث
 مذكورة فاذا فعلت ذلك كنت قد أزات عن الماضي سنة سوء منتهايدها وعن
 الآتي متابعة ظلم ووجدته نهجا مسلوكا فجري على مداه فبادر الى ما أمرت به
 مبادرة من لم يضق به ذرعا وتظر الى الحياة الدنيا بعينه فراها في الآخرة متاعا
 واحمد الله تعالى على أن قبض للإمام هدى يقف بك على هداك ويأخذ بججزتك

عن خطوات الشيطان الذي هو أعدى عدوك وهذه البلاد المنوطة بطرفك
 تشمل على أطراف متباعدة وتفتقر في سياستها إلى أيدي مساعدة ولهذا
 يكثر بها قضاة الأحكام وأولوتديرات السيوف والأقلام وكل من هؤلاء
 ينبغي أن يتقف على باب الاختيار ويسلط عليه شاهد عادل من أمانة الدرهم
 والدينار فما أضل الناس شيء كحب المال الذي فورقت من أجله الأديان
 وهجرت بسببه الأولاد والأخوان وكثيرا ما نرى الرجل الصائم القائم وهو عابد
 له عبادة الأوثان فإذا استعنت بأحد منهم على شيء من أمره فاضرب عليه
 بالارصاد ولا ترض جماع رفته من بيد إبطائه فان الأحوال تنتقل منتقلة
 الأجساد وإياك أن تتخذ بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 بالربيع بن زياد وكذلك أوامر هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بأن يأمر وبال معروف
 سواطين وينهوا عن المنكر محاسبين ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين
 جعلهم الله الغالبين وإيبدوأولا بأنفسهم فيعد لواهبها عن هواها ويأمروها
 بما يأمرون به سواها ولا يكونوا ممن هدى إلى طريق البر وهو عنه حائد وانتصب
 لطلب المرضى وهو محتاج إلى طبيب وعائد فانزل بركات السماء الأعلى من خوف
 مقام ربه وأزم التقوى أعمال يده وإيمانه وقلبه وإذا صلحت الولاية صلحت
 الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل قوم إلا بصباحهم وما
 يؤمرون به أن يضيء ونوال من تحت أيديهم إخوانا في الاصطحاب وجيرانا
 في الاقتراب وأعدوانا في توزع الحمل الذي يثقل على الرقاب فالسلم أخ والسلم
 وإن كان عليه أميرا وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيرا
 وأيست الولاية لمن يستحبها كثرة اللقيف ويتولاها بالوطء العنيف وليكنها
 لمن يمال على جوانبه ويؤكل من أطايبه ولمن إذا غضب لم ير للغضب عنده
 أثر وإذا أُلِف في سؤاله لم يلق الألف بخلق الضجر وإذا حضر الخوصوم بين يديه
 عدل بينهم في قسمة القول والنظر فذلك الذي يكون في أصحاب العبيد
 والذي يدعي بالحفظ العليم والقوى الأمين ومن سعادة المرأة أن تكون
 ولاته متأذنين بأدابه وجارين على نهج صوابه وإذا تطايرت الكتب يوم
 القيامة كانوا أحسنات مثبتة في كتابه وبمده هذه الوصية فان ههنا حسنة هي
 للمسنات كالاتم الولود ولطالما أغنت عن صاحبها الغنم الجنود وتيقظت

لنصره والعيون رقود وهي التي تسبغ لها الآلاء ولا يتخطاها البلاء
 ولا أمير المؤمنين بها عناية تبعتها الرحمة الموضوعة في قلبه والرغبة في المغفرة
 لما تقدم وتأخر من ذنبه وتلك هي الصدقة التي فضل الله بها بعض عباده لازية
 أفضالها وجعلها سبيلا إلى التعويض عنها بعشر أمثالها وهو يأمر كالأمر
 تنفق أحوال الفقراء الذين قدرت عليهم مادة الأرزاق وألبسهم التعفف
 ثوب الغنى وهم في ضيق من الأملاق فأواثك أولياء الله الذين هم الضراء
 فصبوا وكثرت الدنيا في يد غيرهم فأنظروا إليها أنظروا وينبغي أن يبيء لهم
 من أمرهم مرفقا ويضرب بينهم وبين الفقير موقفا وما أظننا لك القول
 في هذه الوصية إلا ما بآنها من المهم الذي يستقبل ولا يستدبر ويستكثر
 منه ولا يستكثر وهذا يد من جهاد النفس في بذل المال ويتلوه جهاد العدو
 الكافر في مواقف القتال وأمير المؤمنين يعرفك من نوابه ما يجعل السيف
 في ملازمته أنا وتسؤله بنفسك إن كان أحد بنفسه حيا ومن صفاته أنه
 العمل المحبوب بفضل الكرامة الذي ينبي أجره بعد صاحبه إلى يوم القيامة
 ويتمتع طاعة الخلق على المخلوق وكل الأعمال عاطلة لا تخلو لها وهو
 المختص دونها برتبة الخلق ولولا فضلها لما كان محسوبا بشار الإيمان ولما
 جعل الله الجنة له ثمنا وإيت لغیره من الأثمان وقد علمت أن العدو هو جارك
 الأدنى والذي يلفك ويتلفه عينا وأذنا ولا تكون إلا سلام ثم الجار حتى
 تكون له بنس الجار ولا عذر لك في ترك جهاده بنفسك ومالك إذا قامت لغرك
 الاعتذار وأمير المؤمنين لا يرضى منك بأن تلقاه مكافحا أو تطرق أرضه مما سببا
 أو مصابجا بل يريد أن تقصد البلاء الذي في يده قصد المستنقذ لا قصد المغير
 وأن تحسبكم فيها بحسبكم الله الذي قضاه على إيمان سعد في بني قريظة والنضير
 وعلى الخصوص البيت المقدس فإنه تلاحد الإسلام القديم وأخو البيت الحرام
 في شرف التنظيم والذي توجهت إليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم
 وقد أصبح وهو يشكو طول المدة في أمر رقبته وأصبحت كلمة التوحيد وهي
 تشكو طول الوحشة في غربتها عنه وغربته فانفض إليه ثمضة توغل
 في قرحه وتبذل صعب قياده بسحبه وإن كان له عام حديبية فأنه مع بهام
 فقصه وهذه الاستزادة انما تكون به سداد ما في اليد من ثغر كان مهمل

فحمت موارده أو مستهد ما فرغت قواعده ومن أهله ما كان حاضر الجهر
 فانه عورة مكشوفة وخطة مخوفة والعدو قريب منه على بعده وكثيرا ما يأتيه
 فجأة حتى يبق برقه برعده فينبغي أن يرتب بهذه الثغور رابطة تكثر شجعانها
 وتقل أقرانها ويكون قتالها الا أن تكون كلمة الله هي العدا الا لا أن يرى مكانها
 وحينئذ يصح كل منهاره من الرجال أسوار ويهلم أهله أن يشاء السيف أمانع من
 بناء الاجار ومع هذا لا يتلها من اصطول يكتر عدده ويقوى مدده فانه
 العدة التي تستعين بها على كشف العماة والاستكثار من سبايا العبيد والاماء
 وجيشه أخوال جيش السلماني فذالذي يبر على متن الريح وهذا على متن الماء
 ومن صفات خيله أنها جعت بين العوم والماء وتساوت أقدار خاتمة على
 اختلاف مدة الاعمار فاذا أشرعت قبل جبال متلفعة بقطع من القيوم
 واذا انظر الى أشكالها قبل انها أهله غير أنها تهدي في مسيرها بانصوم ومثل
 هذا ما خيل ينبغي أن يغالي في جيادها ويستكثر من قيادها وايؤمر عليه أمير
 يلقى الجهر عنده من سعة صدره ويسلك طرقه ولو لم يكن لم يقتله بجعله ما لو يكن
 قتلهما بخبره وكذلك فليكن عن أفنت الايام تجاربه وزجته انما كبه وعن
 يذل الصعب اذا هو سلسه وان لان جانبه وهذا هو الرجل يرأس على القوم
 فلا يجدهم بالرياسة وان كان في الساقفة في الساقفة أو كان في الحراسة في
 الحراسة واقدأفلحت عصاية اعتصبت من ورائه وأيقنت بالنصر من رايته
 كما أيقنت بالصر من رايه واعلم أنه قد أدخل من الجهاد بركن بقدر في قتله
 وهو تمامه الذي يأتي في آخره كما أن صدق النية تأتي في أوله وذلك هو قسم
 الفنائم فان الايدي قد تداوت به بالاجفاف وخاطت جهادها فيه بغلوتها فلم
 ترجع بالكفاف والله قد جعل الظلم في تعدي حدوده المحدودة وجعل
 الاستفثار بالمغتم من أشراط الساعة المرعودة ونحن نعوذ به أن يكون زماننا
 هذا زمانه وباسه شرياس ولم يستخلفنا على حفظ أركان دينه ثم نهله اهمال
 مضيع ولا اهمال ناس والذي تأمر له أن تجرى هذا الامر على المنصوص
 من حكمه وتبرئ ذمتك مما يكون غيرك الفاتر في وائده وأنت المطالب بانفسه
 وفي أرزاق المجاهد دين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم عن هذه الاكلة التي
 تكون غدا أنكالا وجهيما وطعاما مذاغصة وعذايا باليما فتصفح ما سطرنا لك

في هذه الاساطير التي هي عزائم مبرمات بل آيات محسكات وتحيب الى الله والى
 أمير المؤمنين باقتفاء كلماتها وابن لك منها مجد ياتي في عقبك اذا أميدت البيوت
 في أعقابها وهذا التقليد ينطق عليك بأنه لم يأل في الوصايا التي أوصاها وأنه
 لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ثم انه قد شتم بدعوات دعاها أمير
 المؤمنين عند ختامه وسأل فيها خيرة الله التي تنزل من كل أمر بمنزلة نظامه
 ثم قال اللهم اني أشتمك على من قلده شهادة تكون عليه رقية وله حسية فاني
 لم آمره إلا بأوامر الحق التي فيها موعظة وذكري وهي لمن تبعها هدى ورحمة
 وبشرى واذا أخذها ابلى بحجته يوم يسأل عن الحجج ولم يحتج دون رسول
 الله صلى الله عليه وسلم على الخوض في جملته من يحتج وقيل لا حرج عليك ولا
 اثم اذ نجوت من ورطات الاثم والحرج والسلام (وهذا الذي ذكرته) من كلامي
 وكلام الصابي في هذه التقاليد الاربعة لم أقصده به الوضع من الرجل وانما ذكرت
 ما ذكرته لبيان موضع السجع الذي يثبت على المحرك ولا شك أن هذا الوصف
 المشار اليه في فتر الاسجاع لم يكن مقصودا في الزمن القديم اما ما كان عسره
 أولانه لم يتبدل وكيف أضع من الصابي وعلم الكتابة قدر فعه وهو امام هذا الفن
 والواحد فيه وادعا اعتبرت كتاباته فوجدته قد أجاد في السلطانيات كل
 الاجادة وأحسن كل الاحسان ولولم يكن له سوى كتابه الذي كتبه عن عز الدولة
 بختيار بن بويه الى سبكتكين عند خروجه عليه ومجماهرته اياه بالعصيان
 لاستحقاقه فضيلة التقدم كيف وله من السلطانيات ما أتى فيه بكل عجيبه لكنه
 في الاخوانيات مقصر وكذلك في كتب التعازي (وعندي فيه رأي) لم يره
 أحد غيري ولى فيه قول لم يقله أحد سوى ذلك أن عتل الرجل في كتابته زائد
 على فصاحته وبلاغته وسأبين ذلك فأقول لينظر الناظر في هذين التقليدين
 اللذين أوردتهما له فانه يرى وصايا وشروطا واستدراكا وأوامر ما بين أصل
 وفرع وكل وجزء وقليل وكثير ولا ترى ذلك في كلام غيره من الكتاب الا أنه عبر
 عن تلك الوصايا والاورام والشروط والاستدراكات بعبارة في بعضها ما فيه
 من الضعف والركة وقد قيل ان زيادة العلم على المنطق هجنة وزيادة المنطق على
 العلم خدعة ومع هذا فاني أقول للرجل بالتقدم وأشهد له بالفضل (واذا فرغت)
 مما أردت تحقيقه في هذا الموضوع فاني أرجع الى ما كنت بصدد ذكره من الكلام

في بيان ما كان عليه حاله في حياته ودينه

على السبع وقد تقدم من ذلك ما تقدم وبقي ما إذا كرهه هنا وهو أن السبع
قد ينقسم إلى ثلاثة أقسام (الاول) أن يكون الفصـ لان متساويين لا يزيد
أحدهما على الآخر كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر
وقوله تعالى والعاديات صبحا فالعديان صبحا فأثرن به نفعها
فوسطن به جوما الأثرى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء حتى كأنها
أفرغت في قالب واحد وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة وهو أشرف
السبع منزلة للاعتدال الذي فيه (القسم الثاني) أن يكون الفصل الثاني
أطول من الأول لا طولا يخرج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً فإنه يقع عند
ذلك ويستكره ويعتديباً بما جاء من ذلك قوله تعالى بل كذبوا بالساعة
وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد ~~سواء~~ والها تغلظا
وزفيرا وإذا ألقوا منها كائناً ضيقاً مشرطاً وزيد دعوا هنالك ثبورا الأثرى أن
الفصل الأول ثمان ألفاظ والفصل الثاني والثالث تسع تسع (ومن ذلك) قوله
تعالى في سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات
ينفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً وأمثال هذا في القرآن كثيرة
ويستثنى من هذا القسم ما كان من السبع على ثلاث فقرات الفقرتين الأولى
يجسبان في عدة واحدة ثم باقى الثلاثة فينبغي أن تكون طويلة لا يزيد
عليه ما إذا كانت الأولى والثانية أربع ألفاظ أربع ألفاظ تكون
الثالثة عشر ألفاظ أو إحدى عشر مثال ذلك ما ذكرته في وصف صديق
فقلت الصديق من لم يعتض عنك بخائف ولم يعاملك معاملة حالف وإذا بلغته
أذنه وشاية أفلم عليها حدسارق أو قاذف فالأولى والثانية ههنا أربع ألفاظ
أربع ألفاظ لأن الأولى لم يعتض عنك بخائف والثانية لم يعاملك معاملة حالف
وجاءت الثالثة عشر لفظات ~~وهي~~ كذا ينبغي أن يستعمل ما كان من هذا
القبيل وإن زادت الأولى والثانية عن هذه العدة فتزاد الثالثة بالحساب وكذلك
إذا نقصت الأولى والثانية عن هذه العدة فافهم ذلك وقس عليه لأنه لا ينبغي
أن توجه له قياسا مطردا في السبعات الثلاث أين وقعت من الكلام بل تعلم
أن الجواز يعم الجانبين من التساوي في السبعات الثلاث ومن زيادة السبعة
الثالثة الأثرى أنه قد ورد ثلاث سبعات متساويات في القرآن الكريم كقوله

تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في صدر محضود وطلع منضود ونظا
 محذود فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ولو جعلت الثالثة منها
 خمس لفظات أو ستا لما كان ذلك معها (القسم الثالث) أن يكون الفصل
 الآخر أقصر من الأول وهو عندى عيب فاحش وسبب ذلك أن السجع يكون
 قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا
 عن الأول فيكون كالثاني المتورف فيبقى الإنسان عند سماعه كما يريد الانتهاء
 إلى غاية فيه ثم دونها (وإذا انتهى إلى ههنا) وينتأفد أمام السجع وابه وقشوره
 فيقول فيه قول لا كليا وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان
 (أحدهما) يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين
 مؤلفة من ألفاظ قليلة وكما قلت الألفاظ ~~صكان~~ أحسن لقرب الفواصل
 المشبوحة من سمع السامع وهذا الضرب أوعر السجع مذهبا وأبعده
 متناولا ولا يكاد استعماله يقع إلا نادرا (والضرب الآخر) يسمى السجع
 الطويل وهو ضيق الأول لأنه أسهل متناولا وإنما كان القصير من السجع أوعر
 مسلكا من الطويل لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عزمو أناة السجع فيه
 أقصر تلك الألفاظ وضيق المجال في استجلابه وأما الطويل فإن الألفاظ تطول
 فيه ويستجلب له السجع من حيث وليس كما يقال وكان ذلك سهلا وكل واحد
 من هذين الضربين تتفاوت درجته في عدة ألفاظ (أما السجع القصير) فأحسنه
 ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين كتوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات
 عصفاء وقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر وثيابك فطهر والريح
 فاهجر ومنه ما يكون مؤلفا من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة وكذلك إلى
 العشرة وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل فما جاء منه قوله تعالى والجم
 إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى وقوله تعالى
 اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا
 واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (وأما السجع الطويل) فإن درجته
 تتفاوت أيضا في الطول فنه ما يقرب من السجع القصير وهو أن يكون تأليفه
 من إحدى عشرة إلى اثني عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة كتوله تعالى
 واتنأذنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء

بعد ضراوته ليقول ان ذهب السينات عنى انه لفرح نخور فالاولى احدى
 عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة وكذلك قوله تعالى لقد جاءكم رسول من
 انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان قولوا فقل
 حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (ومن السبع
 الطويل) ما يكون تأليفه من العشرين انظمة فاحولها كقوله تعالى اذ يريكهم
 الله في منامك قليلا ولو اراهم كثيرا لفسدتهم واتنازعتم في الامر واكن الله سلم
 انه عليهم بذات الصدور واذ يريكهم وهم اذا التقيتم في أعينكم قليلا ويقللهم
 في أعينهم لم يقضى الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ومن السبع
 الطويل أيضا ما يزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط (واعلم)
 أن التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصاحين من الكلام المنشور وقائده في
 الشعر أنه قبل كمال البيت الاول من القصيدة تعلم قائمتها وشبه البيت المصراع
 يسابله مصراعان متساكلان وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة
 على سعة القدرة في أفانين الكلام فأما اذا كثرت التصريع في القصيدة فليست
 اراء مختارا الا أن هذه الاصناف من التصريع والترصيع والتجنيس وغيرها
 انما يحسن منها في الكلام ما قل وجري مجرى الفرة من الوجه أو كان كالطراز
 من الثوب فأما اذا تواترت وكثرت فانها لا تكون مرضية لما فيها من أمارات
 الكفاة (وهو عندي ينقسم الى سبع مراتب) وذلك شئ لم يذكره على هذا الوجه
 أحد غيري (فالمرتبة الاولى) وهي أعلى التصريع درجة أن يكون كل مصراع
 من البيت مستقلا بنفسه في فهمه معناه غير محتاج الى صاحبه الذي يليه ويسمى
 التصريع الكامل وذلك كقول امرئ القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التمدل • وان كنت قد أزعمت هجرافاجلي
 فان كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج الى ما يليه
 وعليه ورد قول المتنبي

اذا كان مدح فانسبب المقدم • أكل فصيح قال شهرامني
 (المرتبة الثانية) أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذي
 يليه فاذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به كقول امرئ القيس
 قفايك من ذكرى حبيب ومنزل • بسقط اللوى بين الدخول فحول

في البيت
 قوله

فالمصراع الاول غير محتاج الى الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتبطا به وكذلك ورد قول أبي تمام
 ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم • وأن يتظم الشمل المبتدئ ناظم
 وعليه ورد قول المتنبي

الرأى قبل شجاعة الشجعان • هو أول وهي المحل الثاني
 (المرتبة الثالثة) أن يكون الشاعر مخيرا في وضع كل مصراع موضع صاحبه
 ويسمى التصريع الموجه وذلك كقول ابن الجراح البغدادي
 من شروط الصبوح في المهرجان • خفة الشرب مع خلوا المكان
 فان هذا البيت يجعل مصراعه الاول ثانيا ومصراعه الثاني اولاً وهذه المرتبة
 كما التائية في الجودة (المرتبة الرابعة) أن يكون المصراع الاول غير مستقل
 بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثاني ويسمى التصريع الناقص واما بمرضى
 ولاحسن فما ورد منه قول المتنبي

مغاني الشعب طيبا في المغاني • بمنزلة الربيع من الزمان
 فان المصراع الاول لا يستقل بنفسه في فهم معناه دون أن يذكر المصراع الثاني
 (المرتبة الخامسة) أن يكون التصريع في البيت بلفظة واحدة وسطا وقافية
 ويسمى التصريع المكثر وهو ينقسم قسمين أحدهما أقرب حال من الآخر
 فالاول أن يكون بلفظة حقيقية لا مجازية فيها وهو أنزل الدرجتين كقول عبيد
 ابن ابرص فكل ذي غيبة يؤب • وغائب الموت لا يؤب

القسم الآخر أن يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها كقول أبي
 تمام فقي كان شربا للعفاة ومرتعا • فأصبح للهنديّة البيض مرتعا
 (المرتبة السادسة) أن يذكر المصراع الاول ويكون معلقا على صفة أتى ذكرها
 في أول المصراع الثاني ويسمى التصريع المعاق فما ورد منه قول امرئ
 القيس ألا يها الليل الطويل إلا انجلى • بصبح وما الاصبح منك بأمنل
 فان المصراع الاول معلق على قوله بصبح وهذا معيب جدا وعليه ورد قول المتنبي
 قد علم البين منا البين أجنانا • تدمي وألف في ذا القلب حزانا
 فان المصراع الاول معلق على قوله تدمي (المرتبة السابعة) أن يكون
 التصريع في البيت مخالفا للقافية ويسمى التصريع المشطور وهو أنزل درجات

التصريح وأقبحها فمن ذلك قول أبي نواس

أقلني قد ندمت على الذنوب * وبالأقرار عدت عن الجود

فصرح بحرف الباء في وسط البيت ثم قفاه بحرف الهمزة وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا نادرا (النوع الثاني في التجنيس) اعلم أن التجنيس غرّة شاذخة في وجه الكلام وقد تعرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغزروا وشرقوا لاسيما المحدثين منهم وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة واختلفوا في ذلك وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض فذهب عبد الله بن المعتز وأبو علي الخاسمي والقاضي أبو الحسين الجرجاني وقدامة بن جعفر الكاتب وغيرهم وانما سمي هذا النوع من الكلام مجانسا لان حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد (وحقيقته) أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وعلى هذا فإنه هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء الا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى بتجنيسا وتلك تسمية بالمشابهة لانها دالة على حقيقة المسمى بعينه (وعلى هذا) فاني نظرت في التجنيس وما شبهه به فأجريت مجراه فوجدته ينقسم الى سبعة أقسام واحدة منها يدل على حقيقة التجنيس لان لفظه واحدا لا يختلف وستة أقسام مشبهة (فأما القسم الاول) فهو أن تتساوى حروف الألفاظ في تركيبها ووزنها كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية فأعرفها ويروى في الاخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله الجلي زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا بين جرير والجرير أي دعوا زمامه وما جاء منه في الشعر قول أبي تمام

فأصحت غررا الايام مشرقة * بانصر تضحك عن أيامك الغرر

فالغرر الاولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من غرّة الشيء أكرمه فاللفظ اذا واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

من القوم جعد أبيض الوجه والنسدي * وليس بشان يجتدي منه بالجعد
فالجعد السيد والبنان الجعد ضد البسيط فأحدهما يوصف به السجني والاخر
يوصف به البجيل وكذلك قوله

بسكل فتى ضرب يعرض للقنا * محي محلي حليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب بالسيوف في الحرب وكذلك قوله
عدا نحر الثغور المستضامة عن * بردا الثغور وعن سلساها الحصب
فالثغور جمع ثغر وهو واحد الاسنان وهو أيضا البلد الذي على تخوم العدو
ثم قال في هذه القصيدة

كم أحرزت قضب الهندي مصلنة * تم تزن قضب تم تترقى كذب
بيض اذا انتضيت من جبهار جعت * أحق بالبيض أبدا نانا من الحجب
فالتضب السيوف والتضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض
السيوف والبيض النساء وهذا من النادر الذي لا يتعلق به أحد وكذلك قوله
اذا الخليل جابت قسطل الحرب صدعوا * صدور العوالي في صدور الكتاب
فانظروا صدور في هذا البيت واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

عامي وعام العيس بين وديقة * مسجورة وتنوفة صيهود
حتى أغادر كل يوم بالفلا * للطير عيدا من نبات العيد
فالعيس يدخل من فحول الابل والعيد اليوم المعروف من الايام وقد أكثر أبو تمام
من التجنيس في شعره فنه ما أغرب فيه فأحسن كالذي ذكرته ومنه ما أتى به
كـها مستثقلا كقوله

ويوم أرشقي والهيجاء قدر شقت * من المنية رشقا وابلأقصفا
وكقوله يامض غنا خالد الك الشكلى ان * خلد حقا عدا عليك في خلد
وكقوله وأهل موغان اذ ما قوا فلا وزر * أنجهاهم ومنك في الهيجا ولا سند
وكقوله مهلا بنى مالك لا تحلمن الى * حتى الراقم دولول الله الرقم
(ثم قال فيها)

من الدينية اللاتي اذا عسلت * تشم بوا الصغار الانف ذالشم
(وكقوله)

قرت بقران عين الدين واشتريت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما
وله من هذا الغث البارد المتكاف شيء كثير لا حاجة الى استقصائه بل قد أوردنا
منه قليلا يستدل به على أمثاله (ومن الحسن) في هذا الباب قول أبي نواس
عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع
(وكذلك قوله)

فقتل لابي العباس ان كنت مذنباً * فأنت أحق الناس بالاختذ بالفضل
فلا يتجحدونى وديعشرين حججة * ولا تنفسدوا ما كان منكم من النضل
(وعلى هذا النهج ورد قول البحتري)

إذا العين راحت وهى عين على الهوى * فليس بسراً ما تسمى الاضائع
فالعين الجاسوس والعين معروفة وكذلك ورد قول بعضهم
وترى سوابق دمعها افترا كفت * ساق تجاوب فوق ساق ساقا
فالساق ساق الشجرة والساق القمرى من الطيور وعلى هذا الاسلوب جاء قول
بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالمعترى فى قصيدة قصدهم التجنيس فى كثير
من أبياتها فن ذلك ما أوردته فى مطلعها

لوزارنا طيف ذات الخال أحيانا * ونحن فى حفر الاجداث أحيانا
(ثم قال فى أبياتها)

تقول أنت امرؤ جاف مغالطة * فقات لاهوت أجبفان أجبفانا
(وكذا قال فى آخرها)

لم يبق غيب لك انسانا بلاذيه * فلا برحت لعين الدهر انسانا
(ورأيت) الغامى قد ذكر فى كتابه بابا وسماه ردالاجاز على الصدور خارجا عن
باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذى نحن بصدد ذكره
ههنا فمأوردته الغامى من الامثلة فى ذلك قول بعضهم

ونشرى بجميل الصنع ذكر طيب النشر
ونفرى بسيف الهنـد من أسرف فى النفر
وبجرى فى شرى الحمد * على شاكلة البحر
(وكذلك قول بعضهم فى الشيب)

يا يا اذرى دموى حتى * عاد منها سواد عيني يا اضا
(وكذلك قول البحتري)

وأغترى فى الزمن البهيم محجل * قد وحت منه على أغتر محجل
ككاهيكل المبنى الا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
وليس الاخذ على المعانى فى ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن
ينصب نفسه لا يراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب الذى

ذكرنا هاداً خلافاً في الآخر فيذهب عليه ذلك ويحتمل عنه وهو أشهر من فلق
الصباح وربما جهل بعض الناس فأدخل في التجنيس ما ليس منه نظر إلى
مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى فمن ذلك قول أبي تمام

أظن الدمع في خدي سيبقى * رسوماً من يكافئ في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء إذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى
وهذا البيت المشار إليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معاً وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه
ليعرف ومن علماء البيان من جعل له اسماً سماه به وهو الترديد أي أن اللفظة
الواحدة رددت فيه وحيث نبهت عليه ههنا فلا احتياج أن أعقد له باباً مفرداً
بالذكر فيه (وأما الأقسام الستة) المشبهة بالتجنيس (فالقسم الأول) منها أن
تكون الحروف تساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فمما جاء من ذلك قول
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي حسن خلق الأتري أن هاتين
اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن لأن تركيب الخلق
والخلق من ثلاثة أحرف وهي الحاء واللام والقاف إلا أنهم اختلفوا في الوزن
إذ وزن الخلق فعل بفتح الفاء ووزن الخلق فعل بضم الفاء ومن هذا القسم قول
بعضهم لا تنال غرر المعالي الأبركوب الغرر واهتبال الغرر وقال البحري
وفتر الطائر المغرور يرجو * أما نأى ساعة ما أمان
بهباب الالتفات وقدئها * للحظة طرفه طرف السنان
(وكذلك ورد قول الآخر)

قد ذبت بين حشاشة ودما * ما بين حرهوى وحرهوا

(القسم الثاني) من المشبهة بالتجنيس وهو أن تكون اللفظ متساوية
في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وان زاد على ذلك خرج من باب
التجنيس (فما) جاء منه قوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة فإن
هاتين اللفظتين على وزن واحد إلا أن تركيبهما مختلف في حرف واحد وكذلك
قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وكذلك قوله تعالى ذلكم بما كنتم
تشرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم ترحون وعلى نحو من هذا ورد قول
النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخبير وقال بعضهم لا تنال
المكارم إلا بالمكاره وقال أبو تمام

يمدون من أيدي عواص عواصم * تصول بأسياف قراض قواضم
(وقال البحري)

من كل ساجي الطرف أغيد أجد * ومهفهف الكشجين أحوى أحور
وكذلك قوله شواجر ارماع تقطع بينهم * شواجر من أرحام ملوم قطوعها
(القسم الثالث) من المثنى بالتجنيس وهو أن تكون اللفاظ مختلفة في الوزن
والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى والتنت الساق بالساق الى ربك يومئذ
المساق وقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكذلك ورد قوله صلى
الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه ويده (ودخل ثعلب) صاحب كتاب
القصص على أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ومجلسه غاص فجلس الى جانبه ثم أقبل
عليه وقال أخاف أن أكون ضيقت عليك على أنه لا يضيق مجلس بمجلسين
ولا تسع الدنيا بأسرها متباغضين فقال له أحمد الصديق لا يحاسب والعدو
لا يحتسب له وهذا كلام حسن من كلا الرجلين والتجنيس في كلام أحمد
رحمه الله في قوله يحاسب ويحتسب له (وقد جاءني شيء من ذلك) عليه خفة
الطبع لا ثقل الطبع (فمنه ما ذكرته) في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة يتضمن
ذكر الجهاد فقلت وخيل الله قد اشتاقت أن يقال لها ركبي وسيوفه
قد تطلعت أن يقال لها اضربي ومواطن الجهاد قد بعد عهدا باستسقاء
شآبيب النحور وانبات ربيع الذباب والنسور وما ذلك الا لان العدو اذا
طلب تقمص ثوب اذلاله وتنصل من صحة نصاله واعتصم بمعاقلة التي لا فرق
بينها وبين عقاله (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كريم فقلت وقد جعل الله
حرمه ملقى الجفان وملقى الجفان فهو حى لمن جنى عليه زمانه وجاران
بعد عنه جيرانه (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة
وهو ولقد استبان الخادم من بركة طاعته ما يعنى عنه غيره فإيراه ووجد
من أثره في صلاح دنياه ما استدل به على صلاح أخراه فهو المرصوب
المنجي والعامل المرجو لا المريجى والمعنى المراد به بداية الصراط المستقيم
وتأويل قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم
عذاب أليم (ومن ذلك) ما ذكرته في أثناء كتاب الى بعض الاخوان وذلك وصف
بعض المنعمين فقلت نحن من حسن شيمه وفواضل احسانه بين هندي وهندي

ومن بين نقيته وامانة غيبه بين أم معبد وأبي عبيدة (ومن ذلك) ما ذكرته
في مطلع كتاب الى بعض الاخوان فقلت الكتب وان عدها قوم عرضا من
الاعراض وتقالوها حتى قالوا هي سواد في بياض فان لها عند الاخوان وجهها
وسما ومحلا كريما وهي حاتم القلوب اذا فارق حيم حيم ومن أحسنها كتاب
سيدنا ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن هذا القسم) قول أبي تمام
أيام تدمى عينه تلك الدما * فيها وتقم راية الاقار

وكذلك قوله ييض فهن اذا رمقن سوا فر * صوروهن اذا رمقن صوار
وكذلك قوله بدر أطالت فيك بادرة النوى * ولعا وشمس أولعت بشماس
وكذلك قوله كادوا النبوّة والهدى فتقطعت * أعناقهم في ذلك المضمار
جهلوا فلم يستكثروا من طاعة * معروفة بعمارة الاعمار
وكذلك قوله ان الرماح اذا غرسن بشهد * لجنى العوالي في ذراه معالي
وكذلك قوله اذا أحسن الاقوام أن يتناولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطولا
وكذلك قوله أرى ربيع يكذب الدهر عنه * وهو ملق على طريق الليالي
بين حال جنت عليه وحول * فهو نضوالا حوال والاحوال
شدا ما استترتلك عن ذمك الأنط * عن حتى استهل صوب العزالي
أرى حسن في الذاهبين نولى * وجمال على ظهور الجبال
ودلال مخيم في ذرى الخيم * ومجمل معصم في الجبال
فالبيت الثاني والخامس هما المقصودان بالتشيل ههنا والايات الباقية
جاءت تبعا وبعجا من ذلك قول علي بن جبلة

وكم لك من يوم رفعت بناء * بذات جفون أو بذات جفنان

(وكذلك قول محمد بن وهيب الحيرى)

قسمت صروف الدهر بأسا وناتلا * فخالك وتوروسيفك واتر

وهذا من الملمح النادر (ومن هذا القسم) قول البحترى

جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه * ضبابه تقع تحتها الموت نافع

وكذلك قوله نسيم الروض في ربح شمال * وصوب المزن في راح شمولى

(وذم أعرابي رجلا) فتقال كان اذا سأل ألحف واذا سئل سوف

يحسد على الفضل ويرهد في الافضال (القسم الرابع) من المشبهه بالتجنيس

ويسمى المعكوس (وذلك ضربان) أحدهما عكس الالفاظ والآخر عكس
الحروف (فالأول) كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات وكقول
الآخر شيم الاحرار أحرار الشيم ومن هذا النوع ما ورد شعرا قول الاضبط
ابن قريع من شعراء الجاهلية

قد يجمع المال غير آكله * وبأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه
(وكذلك) ورد قول أبي الطيب المتنبي

فلا مجد في الدنيا من قلّ ماله * ولا مال في الدنيا من قلّ مجده
(وكذلك) قول الشريف الرضي من أبيات يذم فيها الزمان

اسف بمن يطير الى المعالي * وطار بمن يسف الى الدفاني
(وكذلك قول الآخر)

ان الليالي للانام منهاهـلى * تطوى وتنثر بينها الاعمار
فقصارهن من الهموم طويلة * وطوالهن من السرور وقصار
(وأحسن من هذا كله وألطفه) قول ابن الزقاق الاندلسي

غير تنايد الزمان * فتدشبت والتي
فاستحال الضحى دجا * واستحال الدجاضحي

وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة وعليه رونق وقد سماه قدامة بن جعفر
الكاتب التبديلي وذلك اسم مناسب لسماءه لان مؤلف الكلام يأتي بما كان
مقدما في جزئ كلامه الاوّل مؤخرافي الثاني وبما كان مؤخرافي الاوّل مقدما
في الثاني ومثله قدامة بقول بعضهم اشكر ان أنعم عليك وأنعم على من شكرك
(ومن هذا القسم) قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
(وكذلك) ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار (وكتب
علي بن أبي طالب) رضى الله عنه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنه كتابا فقال
أما بعد فان الانسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه
فلا تكن بمات من دنياك فرحا ولا بما فاتك منها ترحا ولا تكن ممن يرجو
الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول أمل وكان قد والسلام (وروى عن أبي
تمام) أنه لما قصد عبد الله بن طاهر بن الحسين بنجراسان وامتدحه بقصص يمدته

المشهورة التي مطلعها * آهن عوادي يوسف وصواحيبه * أنكر عليه أبو سعيد
الضريرو أبو العمير مثل هذا الابتداء وقال لم لا يقول ما ينهم فقال لم لا يفهمان
ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور وهو من التجنيس المشار إليه
(وقد جاء في شيء منه) كقولي في فصل من كتاب يتضمن فتحا وهو فكم كان
في افتراء عذرة الحصن من افتراء عذرة حصان وكم حيزبه من سنان لحظ استرقه
لحظ سنان (وكذلك) قولي في صـ در كتاب الـ ديوان الـ لافـة وهو الخادم يبلغ
خدمته الى ذلك الجناب التي تطرم الشفاء قبـ لا وتوسعه العفاة املا وترى
الطول به ملوكا والمولك خولا وطاعته هي محك الاعمال التي أشير اليها بقوله
تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا (وكذلك) ورد قولي أيضا وهو فصل من تقليد
وزير فقلت وقد صدق الله لهجة المثنى عليك أن يقول انك الرجل الذي
تضرب به الامثال والمهذب الذي لا يقال معه أي الرجال واذا وازرت
ملكه فقد حظيت منك بشد أزرها وسدت غرها وأصبحت وأنت صدر قلبها
وقلب صدرها فهي مزداة منك بالفضل المتين معانة بالقوى الأمين (وأما
الضرب الثاني) من هـ هذا القسم وهو عكس الحروف فهو كقول بعضهم
أهديت شيأ بقل لولا * أهدوتها الفال والتبرك
كربى تفاءلت فيها * رأيت مقلوبه يسرك
(وكذلك قول الآخر)

كيف السرور باقبال وآخره * اذا تأملت مقلوب اقبال
(وأجود من هذا كله) قول الآخر

جاذبتها والريح تجذب عقربا * من فوق خدم مثل قلب العترب
وطفقت الثم نغرها فتمتعت * وتنجبت عنى بقلب العترب
واذا قلب لفظ عقرب صار برقعا وهذا الضرب نادر الاستعمال لانه قل ما يقع
كلمة تتلب حروفها في معناها صوابا (القسم الخامس) من المشبه بالتجنيس
ويسمى الجنب وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين احدهما كالتبع للآخرى
والجنبية اهما كقول بعضهم

أبا العباس لا تحسب باني * لشيء من حلى الاشـ عار عارى
فلى طبع كسـ الـ معين * زلال من ذرا الاجار جارى

وهذا القسم عندي فيه نظر لانه يلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس ألا ترى
 أن التجنيس هو اتساق اللفظ واختلاف المعنى وههنا لم يتفق الاجزاء من اللفظ
 وهو أقله وأما اللزوم في الكلام المنشورة وتساوي الحروف التي قبل الفواصل
 المسجوعة وهذا هو كذلك لان العين والراء تساويان في البيت الاقل في قوله
 الاشعار وعار والجيم والراء في البيت الثاني في قوله الاحجار وجار (القسم
 السادس) من المشبه بالتجنيس وهو ما يساوي وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم
 وتتأخر وذلك كقول أبي تمام

بيض الصفائح لاسود الصمائم في * متونهن جلاء الشك والريب

فالصفائح والصمائم مما تقدمت حروفه وتأخرت وقد ورد في الكلام المنشور
 كقوله صلى الله عليه وسلم في فضيلة تلاوة القرآن الكريم يقال لصاحب
 القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ
 بقوله صلى الله عليه وسلم اقرأ وارق من التجنيس المشار اليه في هذا القسم
 (النوع الثالث في الترصيع) وهو مأخوذ من ترصيع العقد وذلك أن يكون
 في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر وكذلك يجعل هذا
 في اللفاظ المنشورة من الاسجاع وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل
 الاوّل مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية وهذا
 لا يوجد في كتاب الله تعالى لما هو عليه من زيادة التكلف فاما قول من
 ذهب الى أن في كتاب الله منه شيء أو مثله بقوله تعالى ان البراري نعيم وان
 النجار اني جهيم فليس الامر كما وقع له فان لفظة اني قد وردت في الفقرتين معا
 وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه ولكنه قريب منه وأما الشعر فاني
 كنت أقول انه لا يتزن على هذه الشريطة ولم أجده في اشعار العرب لما فيه من
 تعمق الصنعة وتعسف الكلفة واذا جى به في الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة
 التي تكون اذا جى به في الكلام المنشور ثم اني عثرت عليه في شعر المحدثين
 ولكنه قليل جدا فمن ذلك قول بعضهم

فكارم أوليتها متبرعا • وجرانم ألفتها متورا

فكارم بازا جرانم وأوليتها بازا ألفتها ومتبرعا بازا متورا وقد أجاز به منهم
 أن يكون أحد ألفاظ الفصل الاوّل مخالفا لما يقابله من الفصل الثاني وهذا

ليس بشئ الخالفة حقيقة الترميع (فما جاء من هذا النوع) منشورا
 قول الحريري في مقاماته فهو يطبع الاسماع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع
 بزواجر وعظه فانه جعل الفاظ الفصل الاول مساوية لافاظ الفصل الثاني
 وزنا وقافية فجعل يطبع بازاء يقرع والاسماع بازاء الاسماع وجواهر
 باراء زواجر ولفظه بازاء وعظه (ومما جاء في هذا النوع) ما ذكرته في جواب
 كتاب الى بعض الاخوان وهو قد أعدت الجواب ولم أستعمله نظما مملعا
 ولا جلبت اليه حسنا منعا بل أخرجه على رسله وغنيت به قال حسنه
 عن صقله فجاء كماترا غير مشوط ولا مخطوط فهو يرفل في أبواب بذاته
 وقد حوى الجمال بجملة والحسن ما وشته فطرة التصوير لا ما حشته
 فكرة التزوير والترميع في قول وشته فطرة التصوير وحشته فكرة التزوير
 وكذلك ورد قول في فصل من الكلام يتضمن تثقيف الاولاد فقلت من قوم أود
 اولاده ضرم كمد حساده فهذه الفاظ متكافئة في ترصيعها فقوم
 بازاء ضرم وأود بازاء كمد وأولاده بازاء حساده وكذلك قول بعضهم
 في الامثال المولدة التي لم ترد عن العرب وهو من أطاع غضبه أضاع اديه فأطاع
 بازاء أضاع وغضبه بازاء اديه وقد ورد هذا الضرب كثيرا في الخطب التي
 أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله (فمن ذلك) قوله في أول
 خطبة الحمد لله عاقد أزمة الامور بهزائم أمره وحاصد أئمة الغرور بهوامم
 مكره وموفق عبيد ما غانم ذكره ومحقق مواعيد بلوازم شكره فالألفاظ
 التي جاءت في الفصلين الاولين متساوية وزنا وقافية والتي جاءت في الفصلين
 الآخرين فيها تخالف في الوزن فان مواعيد تخالف وزن عبيد ولا تخالف
 قافيتها التي هي الدال (ومن ذلك) قوله أيضا في جملة خطبة أولئك الذين أفلوا
 فنجتم ورحلوا فأنتم وأبادهم الموت كما علمت وأنتم الظالمون في البقاء
 بعدهم كما زعمت كلا والله ما أشخصوا لتقرروا ولا تفصوا لتسروا ولا بدأن تمزوا
 حيث مزوا فلا تثقوا بهدع الدنيا ولا تعترروا وهذا الكلام فيه أيضا ملى الذي
 قبله من صحة الوزن والقافية وصحة القافية دون الوزن (وكذلك) قوله أيضا
 في خطبة أخرى أيم الناس أسير القلوب في رياض الحكم وأديم النخب على
 ايضاض اللام وأطيلوا الاعتبار بتقاص الزم وأجبلوا الافكار في انقراض

الام (وأما ورد في الشعر) على مخالفة بعض الالفاظ بعضا فكقول ذى الرمة
 كحلاه في برج صتراء في عجم • كأنها فضة قدمها ذهب
 وصدر هذا البيت مرصع وبجزءه خال من الترصيع وعذر الشاعر في ذلك واضح
 لأنه مقيد بالوقوف مع الوزن والتافية ألا ترى أن ذال الرمة بنى قصيدته على حرف
 الباء ولورصع هذا البيت الترصيع الحقيقي لكان يلزمه أن يأتي بألفاظه على
 حرفين حرفين أحدهما الباء أو كان يقسم البيت نصفين ويمائل بين ألفاظ هذا
 النصف وهذا النصف وذلك مما يعسر وقوعه في الشعر وأرباب هذه الصناعة
 قد قسموا الترصيع إلى هذين القسمين المذكورين وهذه القسمة لأراها صوابا
 لأن حقيقة الترصيع موجودة في القسم الأول دون الثاني (ومما جاء) من هذا
 القسم الثاني قول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الخليفة • مهدي الطريقة نفاع وضرار
 (وكذلك قول الآخر)

سود ذواتها بيض ترائبها • محض ضرائبها صيفت من الكرم
 (النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم) وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها
 مسلكا وذلك لأن وفاءه يلتزم ما لا يلزمه فان اللازم في هذا الموضع وما جرى
 مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنشور
 في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة
 حرفا واحدا وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روى الايات الشعرية
 وقد جمع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان في ذلك كتابا وسماه كتاب اللزوم
 فأتى فيه بالجيد الذي يحمد والردى الذي يذم وسأذكر في كتابي هذا في هذا
 الموضع أمثلة من المنشور والمنظوم به تدي بها (فمن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب
 في فصل يتضمن ذم جبان فقات اذا نزل به خطب ما يسهل الفرق واذا ضل في أمر
 لم يؤمن الا اذا أدركه الفرق (ومن ذلك) ما ذكرته في مبداء كتاب الى بعض
 الاخوان فقلت الخادم يهدي من دعائه وثنائه ما يملك أحدهما سماء
 والآخر أرضا ويصون أحدهما نفسا والآخر عرضا وأعجب ما فيه ما أنهما
 توأمان غير أن هذا مستنتج من ضمير القلب وهذا من نطق اللسان فاللزوم
 ههنا في الرأى والضاد (وكذلك) ورد قولي في جملة كتاب الى ديوان الخليفة

فقلت وقد علم من شميم الديوان العزيز أنه يسر بامتداد الأيدي إلى بابه وإذا
 أغب أجد في المسئلة تهام عن اغيابه حتى لا يخلو حرمة السكريم من المطاف
 ولا يده الكريمة من الاسعاف فاللزوم ههنا في انظمتي بابه واغيباه (ومن ذلك)
 ما كتبه في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة أيضا وهو ومهـ ما شتبه عضد
 الخادم من الانعام فانه قوة لليد التي خواته ولا يقوى تصد السحب الا بكثرة
 غيتها الذي أنزله وغير خاف أن عبيد الدولة لها ~~ك~~ كالعهد من طرفها
 ومركز الدائرة من أطرافها ولا يؤيد السيف الابقاعه ولا ينهض الجناح الا
 بقوامه فاللزوم في هذا الموضوع في الرأ والقاه في قولي طرف وأطراف
 (ومن ذلك) ما كتبه في صدر كتاب إلى الملك الافضل على بن يوسف أهنيه
 بملك مصر في سنة خمس وتسعين وخمسة فقلت المملوك يهني ولا نابعمة الله
 المؤذنة باستخلاصه واحتبائه وتمكينه حتى بلغ أشده واستخرج كثر آياته ولو
 أنصف له في الارض منه بوابلها والامة بكافلها وخصوصا أرض مصر التي
 خصت بشرف سكام وغدت بين بحرين من فيض البحر وفيض عيانه وكل
 هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التي انشأتها لكافة على كلمات
 اللزوم فيها (وقرأت في كتاب الاغانى) لابي الفرج أن لقيط بن زرارة تزوج بنت
 قيس بن خالد بن ذى الجدين فخطبت عنده وخطى عندها ثم قتل فآمت بهـ ده
 وتزوجت زوجا غيره فكانت كثيرا ما تذكر لقيطا فلامها على ذلك فقالت انه
 خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتاني وبه نضح
 دم فضمني شمة وشعني شمة فليتني مت شمة فلم أر منظرا كان أحسن من لقيط
 فتواها ضمني ضمة وشعني شمة فليتني مت شمة من الكلام الخلو في باب اللزوم
 ولا كافة عليه وهكذا فليكن فان الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة وما
 ينبغي لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجي به مكلفا ومثاله
 في هذا المقام كن أخذ موضوعا رديثا فأجاد فيه صنعة فانه يكون عند ذلك
 قد راى الفرع وأهـ مل الاصل فأضاع جودة الصنعة في رداة الموضوع (وقد
 سلك ذلك) أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان فما جاء من ذلك
 قوله في حرف التاء مع الخاء

بنت عن الدنيا ولا بنت لي * فيها ولا عرس ولا أخت

وقد تحببت من الوزرما • تهبزان قح • له البخت

ان مدحوني ساءني مدحهم • وخات أفي في الثرى سحت

(وله من ذلك الجيد كقوله)

لا تطلبين بآلة لك حاجة • قلم البليغ بغير جدمغزل

سكن السماء كان السماء كلاهما • هذا الريح وهذا أعزل

ومذا بين الاسترسال وبين الكلفة وأمامات كلفه تكلفا ظاهرا وان أجادة قوله

تنازع في الدنيا سواك وماله • ولالك نبي في الحقيصة فيها

ولم تحب من ذلك النزاع بطائل • يعبر جنوب الارض مرتد فيها

فيا نفس لا تهظم عليك خطوبها • قففة وهام مثل مختلفها

تداعوا الى التزرا القليل فبالدوا • عليه وخلوها المغترفها

وما أم صل أو حليته ضيق • باظلم من دنياك فاعترفها

تلاقي الوفود القادمها بفرحة • وتبكي على آثار منصرفها

وما هي الاشوكة ليس عندها • وجدك أرطاب الخترفها

كاتبذت للطير والوحش رازم • فألفت شرورا بين محبة طفها

يبات عن الانصاف من ضيم لم يجد • سبيلا الى غايات منتصفها

فأطبق فصاعها وكفاومة • وقل لغوى الناس فالك لفيها

(ومن ذلك)

أرى الدنيا وما وصفت بيرة • اذا اغنت فقيرا أرهقته

اذا خشيت اشرك عجلته • وان رجيت لغير عوقته

حياة كالجباله ذات مكر • ونفس المرصيدة أعلقته

فلا يخدع بحيلتها أريب • وان هي سورته ونطقته

أذا قته شهيا من جناها • وصدت فاه عما ذوقته

وقد ورد للعرب شيء من ذلك الا أنه قليل فما جاء منه قول بعضهم في أبيات الحماسة

ان التي زعمت فؤادك ملها • خلقت هوالك كما خلقت هوى لها

يضاء باكرها النعيم فصاعها • باياقة فادقها وأجلها

حجبت تحيبتها فقلت لصاحب • ما كان أكثرها لنا وأقلها

واذا وجدت اهاوساوس سلوة • شفع الضمير الى الفؤاد فـ لها
وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه (وعما يجرى هذا الجرى) قول حجر بن حية
العيني من شعراء الحماسة أيضا

ولا أدوم قدرى بعد ما نضجت • بجـ لافـ تمنع ما فيها أنافها
حتى تقسم شقى بين ما وسعت • ولا يؤنب تحت الليل عافها
وعما ورد من ذلك أيضا قول طرفة بن العبد البكري

ألم تر أن المال يكسب أهله • فضوحا إذا لم يعط منه فواسبه
أرى كل مال لا محالة ذاهبا • وأفضله ما ورت الحد كاسبه
(وكذلك قول الفرزدق)

وغـ ير لون واحلقى ولونى • تردى الهواجر واعتمامى
أقول لها اذا ضجرت وغصت • بموركة الوراك مع الزمام
عسلام تلفتين وأنت تحبى • وخير الناس كاهم أمامى
(وكذلك قوله أيضا)

منع الحياة من الرجال ونفعها • حدى قلبها النساء مراض
وكانت أفتدة الرجال اذا رأوا • حدى النساء لنبلها أغراض
واذا شئت أن تعلم مقادير الكلام وكان لك ذوق صحيح فانظر الى هذا العزبي
في كلامه السهل الذى كأنه ما جاز وانظر الى ما أوردته لابي العلاء المعرى فان
أثر الكفاة عليه باد ظاهرا (ومن) قصيد من العرب قصيدته كاه على اللزوم كثير
هزة وهي القصيدة التي أولها

خيلى هذا ربع هزة فاعقلا • فلو صيكا ثم احللا حيث حلت
وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتا وهي مع ذلك مـ له اينة تكاد تترقرق من
اينها وسهواتها وايس عليها من أثر الكفاة شئ ولو لا خوف الاطالة لا وردت بها
بجملتها وقد ذكر بعضهم من هذا النوع ما ورد في أبيات الحماسة وهو
وفيشة ليست كهذى الفيش • قد ملئت من ترف وطيش
اذا بدت قلت أمير الجيش • من ذاقها يعرف طعم العيش
(وهذا) ليس من باب اللزوم لان اللزوم هو أن يلتزم الناظم والناثر ما لا يلزمه
كقولنا شرق وشرق مثله لانه لو قيل بدلا من ذلك شرق وحقق بلما ذلك وفي

هذه الآيات لا يقع الامر كذلك لانه لو قيل طيسر وعرش لماجاز وهذا
يقال له الردف في الشعر وهو اليباء والواو قبل حرف الروى واذا جى بذلك
في الشعر وفي الكلام المنشور لا يقال انه التزام ما لا يلزم لان المتكلم ما لا يلزم له
مندوحة في العدول الى غيره وههنا لامندوحة (ومن اطيع ذلك) ما يروى
لامرأة من البصرة مجنت بأبي فواس فقالت

ان حرى حزنيل حزايبه • اذا قعدت فوقة نيايبه

* كالارنب الجاثم فوق الرايبه *

(وكذلك ورد قول أبي تمام وهو)

خدم العلاء قدمته وهي التي • لا تخدم الاقوام ما لم تخدم
فاذا ارتقى في قسلة من سودد • قالت له الاخرى بلغت تقدم
(وعلى هذا الاسلوب قوله أيضا)

ولو جرتيتنى لوجدت خرقا • يصافى الاكرميين ولا يصادى
جديرا أن يكثر العارف شزرا • الى بعض الموارد وهو صادى
(وله من آيات تتضمن مرثية)

لقـد نجعت عتابة وزهـيرة • وذهبية أخرى اللبالي ووائله
ومبتدر المعروف تسرى هباته • اليهم ولا تسرى اليهم غوائله
طواه الردى طى الرداء وغيب • فضائله عن قومه وفواضله
طوى شيماء كات تروح وتفتدى • وسائل من أعيت عليه وسائله
فباعارضا للعرف أقلع منزله • ويا واديا للجد جفت مسايله
ألم ترفى أنزفت عيني على أبي • محمد النجم المشرق آفله
وأخلصته فية كمال أيتته • طريد اللبالي اخلصتى نوافله

وهذا من أحسن ما يجي في هذا الباب وايسر بتكلف كشعر أبي العلافان
حسن هذا مطبوع وحسن ذلك مصنوع وكذلك أقول في غير اللزوم من الانواع
المذكورة أو لافان الالفاظ اذا صدرت فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع
وكانت غير متجارية ولا متكلفة جاءت غير محتاجة الى التأنق ولا شك أن صورة
الخلقة غير صورة التخلق (فان قيل) ما الفرق بين المتكلف من هذه الانواع وغير
المتكلف (قلت في الجواب) أما المتكلف فهو الذي يأتي بالفكرة والروية وذلك

أن ينضى الخاطري طلبه ويبعث على تتبعه واقتصاص أثره وغير المتكلف
 يأتي مسرتي محام ذلك كله وهو أن يكون الشاعر في نظم قصيدته أو الخطيب
 أو الكاتب في انشاء خطبته أو كتابته فبيناهو كذلك إذ نسخ له نوع من هذه
 الأنواع بالاتفاق لا بالسي والطلب ألا ترى إلى قول أبي نواس في مثل هذا
 الموضع
 انزلنا لال لانعابها * انهم من كل بؤس دانيه
 وانعت الراح على تحريمها * انما دنياك دار فانيه
 من عقار من رآها قال لي * صيدت الشمس لنا في آنيه
 (وعلى هذه السهولة واللطافة ورد قوله أيضا)

كم من غلام ذي تحامين * أفسده ناطف ياسين
 وهذا ياسين كان يبيع الناطف ببغداد (وحكى ابراهيم البندنجي) قال رأيت
 شيخا ضعيفا يبيع ناطفا فتلت له يا شيخ أما زلت في هذه الصنعة قال مذ كنت
 وليكن الحمال كانت واسعة والسعة فافقة وكنت ممن يشار إلى حتى
 قال أبو نواس في وأنشده هذا البيت فانظر أيها المتأمل ما أحلى لفظ أبي نواس
 في لزومه وما أعراه عن الكلفة وكذلك فلتكن الالفاظ في اللزوم وغيره (واعلم)
 أنه إذا صغرت الكلمة الأخيرة من الشعر أو من قواصل الكلام المنشور فإن ذلك
 ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضا عن تساوي الحروف التي قبل روى الآيات
 الشعرية والحروف التي قبل الفاصلة من النثر (فمن ذلك) قول بعضهم
 عز على ليلى بذي سدير * سوء مبيتى ليلة الغميري
 مقبضا نفسي في طميري * تنهز الرعدة في ظهيري
 يهفوا إلى الزور من صديري * ظمآن في ربيع وفي مطيري
 وازرق ترابيس بالغريري * من لدا ما ظهر إلى بصيري
 حتى بدت لي جبهة القمير * لا ربيع خيلون من شميري

وهذا من محاسن الصنعة في هذا الباب فأعرفه وأحسن منه ما ورد عن أبي
 نواس وعن عنان جارية النطاف ولهمها حكايات كثيرة غير هذه فقال أبو
 نواس
 أما ترقى لصب * يكفيه منك قطيره
 فقالت عنان
 أياي تعني به هذا * عليك فاجاد عميره
 فقال أبو نواس
 أخاف ان رمت هذا * على يدي منك غيره

فالبیتان الاول والثانی من هذا الباب والثالث جاء تبعا وقد ورد في القرآن
 الصکریم شیء من اللزوم الا أنه یسیر جدا (نر ذلك) قوله تعالی اقرأ باسم
 ربك الذی خلق الخلق الانسان من علق وقوله تعالی والطور وکتاب مسطور
 وكذلك ورد قوله تعالی فی هذه السورة فذكر فمأنت بنعمت ربك بکما هن
 ولا یحجون أم یقولون شاعر ترتبص به ربیب المنون وربما رجع بعض الجهال
 فی هذا الموضوع فأدخل فیہ ما لیس منه کقوله تعالی ان المتقین فی جنات ونعم یم
 فاککھین بما آتاهم ربهم ونعموا هم ربهم عذاب الجحیم وهذا لا یدخل فی باب
 اللزوم لان الاصل فیہ نعم وجم والياء هی من حروف المد واللين فلا یعتد بها
 ههنا (ومن هذا الباب) قوله تعالی وأصحاب الیمین ما أصحاب الیمین فی سدر
 مخضود وطلع منضود وكذلك ورد قوله تعالی وقاتلوهم حتی لا تكون فتنة
 ویكون الدین كله لله فان اتها وان الله بما تعملون بصیر وان تولوا فاعلموا
 ان الله مولاکم نعم المولى ونعم النصیر (وعلى هذا الاسلوب) جاء قوله تعالی
 فی قصة ابراهیم علیه السلام یا ایت انی أخاف ان یمسک عذاب من الرحمن
 فتمسکون للشیطان ولیا قال أراغب أنت عن آلهتی یا ابراهیم لئن لم تنته
 لأرجنک واهجرنی ملیا وعلى فهو هذا جاء قوله تعالی قال قرینه ربنا ما أطغیته
 ولكن کان فی ضلال بعید قال لا تحتصموا لیدی وقد قدمت الیکم بالوعید
 ولا تعبد أمثال ذلك فی القرآن الا قليلا (النوع الخامس فی الموازنة) وهی
 ان تكون ألفاظ القواصل من الکلام المنشور متساوية فی الوزن وأن یکون
 صدر البیت الشعری ومجزه متساوی الالفاظ وزنا وللکلام بذلك طراوة
 ورونی وسببه الاعتدال لانه مطلوب فی جمیع الاشياء واذا كانت مقاطع
 الکلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا امر ایه لوضوحه
 وهذا النوع من الکلام هو أخوالسجع فی المعادلة دون المماثلة لان فی السجع
 اعتدالا وازیادة علی الاعتدال وهی تمائل أجزاء القواصل لورودها علی حرف
 واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فی السجع ولاتمائل فی قواصلها
 فیقال اذا کل سجع موازنة وایس کل موازنة سجعاً وعلى هذا فالسجع
 أخص من الموازنة (فما جاء منها) قوله تعالی وآتیناهم الکتاب المستبین
 وهدیناهم الصراط المستقیم فالمتبین والمستقیم علی وزن واحد وكذلك

الموازنة

قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
 لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم سدا ألم تر أننا أرسلنا
 الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلاتعجل عليهم انما نعدهم عددا وكذلك
 قوله تعالى في سورة طه من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالد
 فيه وسألهم يوم القيامة حملا وكذلك ورد قوله تعالى في سورة حم عسق
 والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب لهم دعواتهم دعواتهم عندهم وعليهم
 غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل
 الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها
 ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة اني ضلال بعبد الله لطيف
 بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له
 في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب أم لهم
 شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان
 الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم
 والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم
 ذلك هو النازل الكبير وهذه الآيات جميعها على وزن واحد فان شديد
 وقريب وبعيد وعزيز ونصيب وأليم وكبير كل ذلك على وزن فعيل وان
 اختلف حروف المقاطع التي هي فواصلها وأمثال هذا في القرآن كثير بل
 معظم آياته جارية على هذا النهج حتى انه لا تخلو منه سورة من السور واقد
 تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة (وأما ما جاء من
 هذا النوع شعرا فتول ربيعة بن ذؤابة

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشهم * بعثيبة بن الحرث بن شهاب
 بأشدهم بأسا على أصحابه * وأعزهم فدا على الاصحاب

فالبيت الثاني هو المختص بالموازنة فان بأسا وفدا على وزن واحد (النوع
 السادس في اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقاتها) وهو من هذه الصناعة بمنزلة عليه
 ومكانة شريفة وجل الالفاظ اللفظية منوطة به واقد لقيت جماعة من مدعي
 فن النصاحة وفاوضتهم وفاوضوني وسألتهم وسألوني فما وجدت أحدا منهم تبين
 معرفة هذا الموضع كما ينبغي وقد استخرجت فيه أشيا لم أسبق اليها وسبأني

اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقاتها

ذكرها ههنا (أما اختلاف صيغة الالفاظ) فانها اذا نقلت من هيئة الى هيئة
 كتنقلها مثلا من وزن من الاوزان الى وزن آخر وان كانت اللفظة واحدة
 او كتقلها من صيغة الاسم الى صيغة الفعل أو من صيغة النعل الى صيغة الاسم
 أو كتقلها من الماضي الى المستقبل أو من المستقبل الى الماضي أو من الواحد
 الى التثنية أو الى الجمع أو الى النسب أو الى غير ذلك انتقل قبها صار حسنا
 وحسنا صار قبيحا (في ذلك) لانتظة خود فانها عبارة عن المرأة الناعمة واذا نقلت
 الى صيغة النعل قيل خود على وزن فعل بتشديد العين ومعناها أسرع يقال
 خود البعير اذا أسرع فهي على صيغة الاسم حسنة رائقة وقد وردت في النظم
 والنثر كثيرا واذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة كقول أبي تمام
 والي بنى عبد الكريم توأهقت * رتك النعام رأى الظلام فخودا
 وهذا يقاس عليه أشباهه وأنظاره الا أن هذه اللفظة التي هي خود قد نقلت
 عن الحقيقة الى المجاز فخف عنها ذلك القبح قليلا كقول بعض شعراء الحماسة
 أقول لنفسى حين خود رأها * رويدك ما تشفق حين مشفق
 رويدك حتى تنظري عم تنجلي * غياية هذا البارق المتأق
 والرأل النعام والمراد به ههنا أن نفسه فزت وفزعت وشبهه ذلك بامرأع النعام
 في فراره وفزعه ولما أوردته على حكم المجاز خف بعض القبح الذي على لفظه خود
 وهذا يدرك بالذوق الصحيح ولا خفاء بما بين هذه اللفظة في ايرادها ههنا وايرادها
 في بيت أبي تمام فانها وردت في بيت أبي تمام قبيحة سجيحة ووردت ههنا بين
 (ومن هذا النوع) لفظه ودع وهي فعل ماض ثلاثي لا تقل به على اللسان
 ومع ذلك فلا تستعمل على صيغة الماضي الاجاءت غير مستحسنة ولكنها
 تستعمل مستقبلة وعلى صيغة الامر فقبلي حسنة أما الامر فكقوله تعالى
 فدعهم يخوضوا ويلعبوا ولم تأت في القرآن الكريم الاعلى هذه الصيغة وأما
 كونها مستقبلة فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد واصل في شهر رمضان
 فواصل معه قوم لومتلنا الشهر لو اواصلنا وصالا لا يدع له المتعمقون نعمة هم
 وقال أبو الطيب المتنبي
 يشقكم بفتاها كل سلوبة * والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع
 وأما الماضي من هذه اللفظة فلم يستعمل الا شاذوا لاحسن له كقول أبي

قوله فدعهم التلاوة فذرههم ولو قال ودع اذا هم لأصاب اه

لعتابية أثروا فلم يدخلوا قبورهم • شيأمن الثروة التي جمعوا
 وكان ما قدموا لأنفسهم • أعظم نفعاً من الذي ودعوا
 وهذا غير حسن في الاستعمال ولا عليه من الطلاوة شيء وهذه لفظة واحدة لم يتغير
 من حالها شيء سوى أنها نقلت من الماضي إلى المستقبل لا غير وكذلك لفظة وذو
 فأنها لا تستعمل ماضية وتستعمل على صيغة الأمر كقوله تعالى ذرهم يأكلوا
 ويتمتعوا وتستعمل مستقبلية أيضاً كقوله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ما سقر
 لا يتبع ولا تذو فهي لم ترد في القرآن الأعلى هاتين الصيغتين وكذلك في فصيح
 الكلام غير القرآن وأما إذا جاءت على صيغة الماضي فأنها لا تستعمل وهي
 أقبح من لفظة ودع لأن لفظة ودع قد استعملت ماضية وهذه لم تستعمل وههنا
 فليتم الخائضون في هذا الفن نظرهم ويعلموا أن في الزوايا خبايا وإذا أنعموا
 الفكر في أسرار اللفاظ عند الاستعمال وأغرقوا في الاعتبار والكشف
 وجدوا غرائب وبجائب (ومن هذا النوع) لفظة الاخذع فأنها وردت في بيتين
 من الشعر وهي في أحدهما حسنة راقية وفي الآخر ثقيلة مستكربة كقول
 ابن الصمة عبد الله من شعراء الحماسة

تلفت نحو الحى حتى وجدته • وجمعت من الأصغاء ليا وأخذعا
 (وكقول أبي تمام)

يأدهر قوم من أخذعك فقد • أخصبت هذا الأنام من خرقت
 ألا ترى أنه وجد له هذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على السمع والكراهة
 في النفس أضعاف ما وجد لها في بيت ابن الصمة عبد الله من الروح والخفة
 والائتناس والبهجة وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما مثناة
 في الآخر وكانت حسنة في حالة الأفراد مستكربة في حالة التثنية والألفاظ
 واحدة وإنما اختلاف صيغتها فعل بهامزى (ومن هذا النوع) ألقاظ يعدل
 عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستغنى في ذلك إلا الذوق
 السليم وهذا موضع عجيب لا يعلم كنه سره (فمن ذلك) لفظة اللب الذي هو العقل
 لالفة اللب الذي نعت القشر فأنها لا تصح في الاستعمال الإجموعة وكذلك
 وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة ولم ترد مفردة كقوله
 تعالى ولا يتذكروا أولو الألباب وأن في ذلك لذكرى لأولى الألباب وأشياء ذلك

وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق ومخارجها بعيدة وليست بمستثقلة ولا مكروهة وقد تستعمل مفردة بشرط أن تكون مضافة أو مضافاً إليها أما كونها مضافاً إليها فكذلك وإنما لا يعلم ذلك إلا بالذوق وإن في ذلك لعبرة لذى لب وعلمه ورد قول جرير

إن العيون التي في طرفها حور • قتلنا ثم لم يحيين قتلانا

يصر عن ذاللب حتى لا حرا لثيه • وهن أضعف خلق الله أركاننا

وأما كونها مضافة فكقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من أحدا كتن يا معشر النساء فإن كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الإضافة فإنها لا تأتي حسنة ولا تجد دليلاً على ذلك إلا مجرد الذوق الصحيح وإذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر في رموزه وأسواره وجدت مثل هذه اللفظة قد روي فيها الجمع دون الأفراد كلفظة كوب فإنها وردت في القرآن بمجموعة ولم ترد مفردة وهي وإن لم تكن مستقيمة في حال أفرادها فإن الجمع فيها أحسن لكن قد ترد مفردة مع ألفاظ آخر تندرج معها في ذلك وما يجري معها من آلتها

ثلاثة تعطى الفرح • كأس وكوب وقدر

ما ذبح الذوق بها • إلا والله — تم ذبح

فما وردت لفظة الكوب مع الكأس والقدر على هذا الأسلوب حسنها وكأنه جلاها في غير لباسها الذي كان لها أذيات بمفردها (وكذلك وردت) لفظة رجا بالقصر والرجا بجانب فإنها لم تستعمل موحدة وإنما استعملت بمجموعة كقوله تعالى والملاك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فلما وردت هذه اللفظة بمجموعة ألبسها الجمع ثم بالسن لم يكن لها في حال كونها موحدة وقد تستعمل موحدة بشرط الإضافة كقولنا رجا البئر ولربما أخطأ بعض الناس في هذا الموضع وقاس عليه ما ليس بمقيس وذلك أنه وقف على ما ذكرته هنا واقف فقال وكذلك قد وردت لفظة الصوف في القرآن الكريم ولم ترد إلا بمجموعة كقوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتات تنحفظون بها يوم طعنكم ويوم أقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً ومتاعاً إلى

-ين وهذا بخلاف ما وردت عليه في شعر أبي تمام
 كانوا برود زمانهم فتصدعوا * فكأنما ليس الزمان الصوقا
 وهذا ليس كالذي أشرت إليه فان لفظة الصوف لفظة حسنة مفردة ومجموعة
 وانما أزرى بها في قول أبي تمام أنها جاءت مجازية في نسبتها الى الزمان وعلى
 هذا النهج وردت لفظة خبرواخبار فان هذه اللفظة مجموعة أحسن منها مفردة
 ولم ترد في القرآن الا مجموعة (وفي صد ذلك) ما ورد استعماله من الالفاظ
 مفردا ولم يرد مجموعا كلفظة الارض فانها لم ترد في القرآن الا مفردة فاذا ذكرت
 السماء بمجموعة حتى بها مفردة معها في كل موضع من القرآن ولما أريد أن يؤتى
 بها مجموعة قبل ومن الارض مثلهن في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
 ومن الارض مثلهن (وما ورد) من الالفاظ مفردا فكان أحسن مما يرد
 مجموعا كالنظرة البعوضة قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام فلما أتاهانودي
 من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله
 والاحسن استعمالها مفردة لا مجموعة وان استعمال مجموعة فالاولى أن
 تكون مضافة كقولنا بقاع الارض أو ما جرى مجراها (وكذلك) لفظة طيف
 في ذكر طيف الدنيا فانها لم تستعمل الا مفردة وقد استعمالها الشعراء قديما
 وحديثا فلم يأتوا بها الا مفردة لان جمعها جمع قبيح فاذا قيل طيوف كان من
 أقبح الالفاظ وأشدها كراهة على السمع وبالله العجب من هذه اللفظة ومن
 اختراعها ووزنها وهي لفظة ضيف فانها تستعمل مفردة ومجموعة وكلاهما
 في الاستعمال حسن رائق وهذا بما لا يعلم السرفيه والذوق السليم هو الحاكم
 في الفرق بين هاتين اللفظتين وما يجرى مجراهما (وأما جمع المصادر) فانه لا يجيء
 حسنا والافراد فيه هو الحسن (وما) جاء في المصادر مجموعا قول عنبرة
 فان يبرأ فلم أنفث عليه * وان يفقد فحق له الفقود
 قوله الفقود جمع مصدر من قولنا فقد يفقد فقدا واستعمال مثل هذه اللفظة
 غير سائغ ولا لذيان كان جائزا ونحن في استعمال ما نستعمله من الالفاظ
 واقفون مع الحسن لامع الجواز وهذا كله يرجع الى حاكم الذوق السليم
 فان صاحب هذه الصناعة يصرف الالفاظ بضروب التصريف فما عذب في نفسه
 منها استعماله وما انظره منه تركه ألا ترى أنه يقال الامة بالضم عبارة عن الجمع

الكثير من الناس ويقال الامة بالكسرو هي النعمة فان الامة بالضم لفظه
 حسنة وبالكسر ليست بحسنة واستعمالها قبيح (ورأيت صاحب كتاب
 الفصح) قد ذكرها فيما اختاره من الالفاظ الفصيحة وبأيت شعري ما الذي
 رآه من فصاحتها حتى اختارها وكذلك قد اختار الالفاظ أخر ايت بفصيحة
 ولالوم عليه لان صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير واسرار الفصاحة لا تؤخذ
 من علماء العربية وانما تؤخذ من كتبهم مستله نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة
 لغوية وما جرى هذا المجرى وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها وإذا
 شذ عن صاحب كتاب الفصح الالفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة كثيرة
 ذكرها من الفصح فان هذا منه كثير (ومما يذكر في هذا الباب) أنه يقال سهم
 صائب فاذا جمع الجمع الحسن الذي يعذب في القم قيل سهام صواب وصائبات
 وصيب فاذا جمع الجمع الذي يقبح قيل سهام صيب على وزن كتب قال أبو نواس

ما أحل الله ما صنعت * عينه تلك العشيبة بي

قتلت انساها كبدي * بسهام للردى صيب

فقوله سهام صيب من اللفظ الذي يذوع عنه السمع ويحيد عنه اللسان ومثله ورد
 قول عريف القوافي من أبيات الحماسة

ذهب الرقاد فما يحس رقاد * مما شجباك ونامت العواد

لما أتاني من عيينة أنه * أمست عليه بظاهر أقياد

فقوله أقياد في جمع قيد مما لا يحسن استعماله بل الحسن أن يقال في جمعه
 قيود وكذلك قول مرة بن محكان التميمي من أبيات الحماسة وذلك من جملة

الآيات المشهورة التي أولها

ياربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رجال القوم والقربا

فقال فيها

ماذا ترين أتدنيهـم لا رحلنا * في جانب البيت أم تبني لهم قريبا

فانه جمع قبة على قبيب وذلك من المستبشع الكريه والاحسن المستعمل هو
 قباب لا قبيب وكذلك يجري الامر في غير هذا (ومن المجموع) ما يختلف

استعماله وان كان متوقفا في لفظه واحدة كالعين الناظرة وعين الناس وهو
 النبيه فيهم فان العين الناظرة تجمع على عيون وعين الناس تجمع على أعيان

اعتراض على صاحب الفصح في ذكر لفظ الامة في فيه

وهذا يرجع فيه الى الاستحسان لاني جاز الوضع اللغوي وقد شد هذا الموضع
عن أبي الطيب المتنبي في قوله

والقوم في أعيانهم خزر • والخيل في أعيانها قبل

فجمع العين الناظرة على أعيان وكان الذوق يابى ذلك ولا تجده على اللسان
حلاوة وإن كان جائزا ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذا النوع وأمثلة
أشياء كثيرة وكشفت عن رموز وأسرار تخفى على كثير من متعاطي هذا الفن
لكن في الذي أشرت اليه منبه لأهل الفطانة والذكاء أن يحملوه على أشباهه
وأنظاره (وأعجب من ذلك كله) أنك ترى وزنا واحدا من الالفاظ فتارة تجرد
مفرده حسنا وتارة تجرده حسنا وتارة تجرده ما جميعا حسنين فالأول
نحو حبرور وهو فرخ الحبارى فان هذه اللفظة يحسن مفردا لا مجموعا والآخر
جمعها على حبارير وكذلك طنبور وطنابير وعرقوب وعراقيب وأما
الثاني فتصويب لول وبها يسل ولهموم ولهاميم وهذا ضد الأول وأما الثالث
فتحوجه ور وجهاهير وعرجون وعراجين فانظر الى الوزن الواحد كيف
يختلف في أحواله مفردا ومجموعا وهذا من أعجب ما يجيء في هذا الباب
(وهكذا قد جاءت ألفاظ) على وزن واحد ثلاثية مسكنة الوسط وجميعها حسن
في الاستعمال واذا أردنا أن نثقل وسطها حسن منها ثني دون ثني (فمن ذلك)
لفظة الثلث والرابع الى العشر فان الجميع على وزن واحد واذا ثقلنا أو ساطها
فقلنا ثلث ورابع وخمس وكذلك الى عشر فان الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهي
الثلث والخمس والسادس والباقي وهو الربع والسبع والثمن والتسع والعشر
ليس كالأول في حسنه هذا والجميع على وزن واحد وصيغة واحدة والجميع
حسن في الاستعمال قبل أن يثقل وسطه ولما ثقل صار بعضه حسنا وبعضه
غير حسن وكذلك تجرد الامر في أسماء الفاعلين كالثلاثي منها نحو فعل
بفتح الفاء والعين وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفعل بفتح الفاء وضم العين
فان هذه الاوزان الثلاثة لها أسماء فاعلين أما فعل بفتح الفاء والعين
فليس له الاسم واحد أيضا وهو فاعل لا غير ولا يقع فيه اختلاف وكذلك
فعل بفتح الفاء وضم العين فليس له الاسم واحد أيضا وهو فاعيل ولا يقع فيه
اختلاف الا ما شد الحسن فعل بفتح الفاء وكسر العين يقع في اسم فاعله

الاختلاف استصاحا واستقباحا لان له ثلاثة أوزان نحو فاعل وفعل وفعلان
تقول منه حمد فهو حامد وحمد وحمدان وقد جاء على وزنه فرح تقول منه فرح
زيد فهو وفرح وهو الاحسن ولا يحسن أن يقال فارح ولا فرحان وان كان جائزا
لكن فرحان أحسن من فارح وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم
فلا تستعمل الاعلى فرح لا غير كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وكقوله
تعالى ان الله لا يحب الفرحين وقد جاءت هذه اللفظة في شعر بعض شعراء
الحماسة في باب المراتي

فما أنما من حزن وان جل جازع * ولا يسرور بعد موتك فارح
وهذا غير حسن وان جازا استعماله وعلى نحو منه يقال غضب وهو غضبان
ولا يقال غاضب وان كان جائزا وقد تقدم القول أنا في تأليف الكلام بصدد
استعمال الحسن والاحسن لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز (وعما يجرى
هذا المجرى) توأما فعل واقتعل فان لفظه فعل اهما موضع تستعمل فيه الأتري
أنتك تقول قعدت الى فلان أحدثه ولا تقول اقتعدت اليه وكذلك تقول
اقتعدت غارب الجبل ولا تقول قعدت على غارب الجبل وان جاز ذلك لكن
الأول أحسن وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم فانه لا يمكن أن يقام عليه
دليل (وأما فعل وافعول على) فاما تقول أعشب المكان فاذا كثر عشبها قلنا
اعشوت فلفظة افعول للتكثير على أني استقرت هذه اللفظة في كثير
من الالفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا خشوشن
المكان واغرورقت العين والولوى الطعم وأشباهها (وأما فعله) فهو حمزة
ولمزة وجمة ونومة ولكنة ولحنة وأشباه ذلك فالغالب على هذه اللفظة أن
تكون حسنة وهذا أخذته بالاستقراء وفي اللغة مواضع كثيرة ~~هكذا~~
لا يمكن استعمالها فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغة بالالفاظ وعليك
أن تتفقد أمثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك في استعمالها فكثيرا ما يقع
فحول الشعراء والخطباء في مثلها ورواها في الكلام من كاتب وشاعر اذا مرت به
الفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجد الحسن منها موحدا وحده وما يجد
الحسن منها مجموعا يجمعه وكذلك يجرى الحكم فيما سوى ذلك من الالفاظ
(النوع السابع في المعاطلة اللفظية) والمعاطلة معاطلتان لفظية ومعنوية

(أما المعنوية) فسيأتي ذكرها في باب التقديم والتأخير من المقالة الثانية
 فليؤخذ من هناك (وأما المعاطلة اللفظية) وهي المخصوصة بالذكر ههنا في باب
 صناعة الالفاظ وحقيقتها مأخوذة من قوله -م تعاطلت الجرادتان إذا ركبت
 أحدهما الأخرى فسمى الكلام المتركب في اللفاظه أو في معانيه
 المعاطلة مأخوذة من ذلك وهو اسم لا تقي بعينه ووصف عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه زهير بن أبي سلمى فقال كان لا يعاظر بين الكلام (وقد اختلف
 علماء البيان في حقيقة المعاطلة) فقال قدامة بن جعفر الكاتب التعاظر في
 الكلام هو أن يدخل بهض الكلام فيما ليس من جنسه ولا أعرف ذلك إلا فاحش
 الاستعارة كقول أوس بن حجر

وذات هدم عارنوا شرها * تصمت بالماء نوابا جدها

فسمى الظبي نوابا والتولب ولد الحمار هذا ما ذكره قدامة بن جعفر وهو خطأ
 إذ لو كان ما ذهب إليه صوابا لكانت حقيقة المعاطلة دخول الكلام فيما ليس
 من جنسه وليست حقيقة هذا بل حقيقة ما تقدم وهو التراكيب من قوله -م
 تعاطلت الجرادتان إذا ركبت أحدهما الأخرى وهذا المثال الذي مثله به
 قدامة لا تركيب في اللفاظه ولا في معانيه (وأما) غير قدامة فإنه خالفه فيما ذهب
 إليه إلا أنه لم يقسم المعاطلة إلى لفظية ومعنوية ولكنه ضرب لها أمثالا
 كقول الفرزدق ومما مثله في الناس إلا ملكا * أبو أمه حتى أبوه يقاربه
 وهذا من القسم المعنوي لأن القسم اللفظي ألا ترى إلى تراكم معانيه
 بتقديم ما كان يجب تأخيره وتأخير ما كان يجب تقديمه لأن الأصل في معناه
 ومما مثله في الناس حتى يقاربه إلا ملكا أبو أمه أبوه وسيجيء شرح ذلك
 مستوفى في باب من المقالة الثانية إن شاء الله تعالى * وإذا حقت القول في بيان
 المعاطلة والكشف عن حقيقة فاني أتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظي منها
 الذي أنا بصدد ذكره ههنا (فأقول) اني تأملت بالاستقراء من الأشعار قديما
 ومحدثا ومن النظر في حقيقة هاتين فوجدتها تنقسم إلى خمسة أقسام
 (الأول منها) يختص بأدوات الكلام نحو من والى وعن وعلى وأشباهها فان
 منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيل على
 اللسان ولكل موضع يخصه من السبك (فما جاء منه) قول أبي تمام

الى خالدراحت بنا أرجبية * مرافقها من عن كرا كرهانك
 فقوله من عن كرا كرهانك الكلام المتعاطل الذي ينقل النطق به على أنه
 قد وردت هاتان اللفظتان وهـ ما من وعن في موضع آخر فلم ينقل النطق به - ما
 كقول القائل من عن عين الطريق والسبب في ذلك أنهم ما وردت في بيت
 أبي تمام مضافتين الى لفظة الكرا كره فنقلت منهما ما جعلتهما مكرهتين كما ترى
 والاف قد وردت في شعر قطري بن الفجاءة فكانتا خفيفتين كقوله
 ولقد أرا نى للزماح دريئة * من عن عيني مرة وأما
 والاصل في ذلك راجع الى السبب فاذ اسبكت هاتان اللفظتان أو ما يجرى
 مجراها - ما مع ألفاظ تسهل منها لم يكن بهما من ثقل كما جاء في بيت قطري وإذا
 سبكت مع الألفاظ تثقل منها جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام (ومن هذا القسم)
 قول أبي تمام أيضا

كأنه لا اجتماع الروح فيه له * في كل جراحة من جسمه روح
 فقوله في بعد قوله فيه له مما لا يحسن وروده وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي
 وتعدني في غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليا شواهد
 فقوله لها منها عليا من الثقيل الثقيل النقييل وكذلك قوله
 تبيت وفودهم تسرى اليه * وجدواه التي سألوها اغتفار
 نخافهم برد البيض عنهم * وهامهم له مهم معار
 وقوله وهامهم له مهم مما يشغل النطق به ويتعثر اللسان فيه لكنه أقرب حالاً من
 الاقل ومن الحسن في هذا الموضع قول أبي تمام
 دار أجل الهوى عن أن ألم تبها * في الركب الاوعيني من مناشئها
 فقوله عن أن في هذا البيت من الخفيف الحسن الذي لا بأس به (القسم الثاني
 من المعاطلة اللفظية) تختص بتكرير الحروف وليس ذلك مما يتعلق بتكرير
 الالفاظ ولا بتكرير المعاني مما يأتي ذكره في باب التكرير في المسألة الثانية
 وانما هو تكرير حرف واحد أو حرفين في كل لفظ من ألفاظ الكلام المنثور
 أو المنظوم فينقل حينئذ النطق به (فن ذلك) قول بعضهم
 وقبر حرب بمكان قصر * وايس قرب قبر حرب قبر
 فهذه القافات والرات كأنها في تسابحها سلسله ولا خفاء بما في ذلك من الثقل

وكذا ورد قول الحريري في مقاماته

وازور من كان له زائرا * وعاف عافى العرف عرفانه

فوقه وعاف عافى العرف عرفانه من التكرير المشار اليه وكذلك ورد قوله أيضا في رسالته اللتين صاغهما على حرفي السين والشين فإنه أتى في أحدهما بالسين في كل لفظة من ألفاظها وأتى في الأخرى بالشين في كل لفظة من ألفاظها فجاءتا كأنهما رقي العقارب أو أخذروفة العزائم وما أعلم كيف خفي ما فيها من القبح على من ل الحريري مع معرفته بالبيد والرديء من الكلام (ويحكي) عن بعض الوعاظ أنه قال في جملة كلام أوردته جئت جنات وجنات الحبيب فصاح رجل من الحاضرين في المجلس وماد وتغاشى فقال له رجل كان إلى جانبه ما الذي سمعت حتى حدث بك هذا فقال سمعت جيمًا في جيم في جيم فسمعت وهذا من أقبح عيوب الألفاظ (ومما جاء منه) قول أبي الطيب المتنبى في قصيدته التي مطلعها * أتراها لكثرة العشاق

كيف ترى التي ترى كل جفن * راءها غير جفنها غير راق

وهذا وأمثاله إنما يعرض لقاتله في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الأيام (ومن هذا القسم) قول الشاعر المعروف بكشاجم في قصيدته التي مطلعها داو بخاري بكاس خمر

والزهر والقطر في رباها * ما بين تطم وبين نثر

حدائق كف كل ريح * حل بهم خيط كل قطر

وهذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه في شدقه حتى يديره وعلى هذا الأسلوب ورد قول بعضهم وهو البيت المشهور الذي يتذكرة الناس ملئت مطال مولود مفدى * ملج مانع منى مرادى

وهذه الميمات كأنها مقدمة متصلة بعضها ببعض (وكان بعض أهل الأدب) من أهل مصرنا هذا يستعمل هذا القسم في ألفاظه كثيرا في كلامه نثرا ونظما وذلك لعدم معرفته بساكن الطريق (وأنا أذكر نبذة من ذلك) كقوله في وصف رجل ضحى أنت المديح كبد اترج والمليح ان يجهم المليح بالتكليج عند سائل تلوح بل يفوق اذ يروق مرأى لوح يامقبوق كاس الحديا مصبوح ضاق عن ندالالوح ويبايلك المفتوح تستريح وترج ذالت تبرج وترفه

الطليح فانظر الى حرف الحاء كيف قد لزمه في كل لفظة من هذه الالفاظ فجاء
كما تراهم من الثقل والغثاثة (واعلم) أن العرب الذين هم الاصل في هذه اللغة
قد عدلوا عن تكرير الحروف في كثير من كلامهم وذلك أنه اذا تكرر الحرف
عندهم أدغموه استخسنا فقالوا في جعل لك جعلك وفي تضر بونق تضر بونق
وكذلك قالوا استعد فلان للامر اذا تأهله والاصل فيه استعد و استتب
الامر اذا تهبأ والاصل فيه استتبب وأشبهه ذلك كثير في كلامهم حتى انهم
لشدت كراهتهم لتكرير الحروف أبدلوا أحد الحرفين المكررين حرفا آخر
غيره فقالوا أمليت الكتاب والاصل فيه أمليت فأبدلوا اللام بياء طلبا للخفضة
وقرارا من الثقل واذا كان قد فعلوا ذلك في اللفظة الواحدة فما ظنك بالالفاظ
الكثيرة التي يتبع بعضها بعضا (القسم الثالث من المعاطلة) أن ترد الفاظ
على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا فمنها ما يختلف بين ماض ومستقبل ومنها
ما لا يختلف فالقول كقول القاضى الراجح في آيات يصف فيها الشععة
وفيها معنى هو له مبتدع ولم يسمع من غيره وذلك أنه قال عن لسان الشع انه
آلف العسل وهو أخوه الذى ربي معه في بيت واحد وان النار فترقت بينه وبينه
وانه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضا من ألم الفراق الا أنه أساء العبارة فقال
بالنار فترقت الحوادث بيننا • وبه اندرت أهودأ قتل روى
ف قوله نذرت أهود من المعاطلة المشار اليها وأما ما يرد على نهج واحد من
الصيغة الفعلية فكقول أبي الطيب المتبى
أقل أنل أقطع اجل على سل أعد • زدهش يش تفضل أدن سر تصل
فهذه الفاظ جاءت على صيغة واحدة وهى صيغة الامر كأنه قال افعلى افعلى
هكذا الى آخر البيت وهذا تكرير للصيغة وان لم يكن تكرير للحروف الا أنه
أخوه ولا أقول ابن عمه وهذه الفاظ متراكبة متداخلة ولو عطفها بالواو
لكانت أقرب حالا كما قال عبد السلام بن رعبان
فسد الناس فاطلب الرزق بالسيف والاعتق شديد الهزال
احل وامر وضر وانفع ولن واخشى وأبرر ثم اتدب للمعالي
الأتري أنه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الالفاظ كثيرا كهبها في بيت أبي الطيب
المتقدم ذكره (فان قيل) انك جعلت ما كان واردا على صيغة واحدة على سبيل

التكرار معاطلة وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كقوله تعالى فاذا انسالخ
 الاشرار الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا
 واقعدوا لهم كل مرصد ولو كان معاطلة لما ورد في القرآن الكريم مثله
 (فالجواب عن ذلك) اني أقول هذه الآية ليست كالذي أنكرته فان هذا الموضع
 ينظر فيه الى الكثير والقليل فاذا كثر كان تعاطلا لتركبه وثقله على النطق
 وقد عرفتك ان ما يفصل بين صغيره وواو العطف يكون أقل ثقلا مما لا يفصل
 والذي أنكرته من ذلك هو ان تأتي ألفاظ مكررة على صيغة واحدة كأنها قد
 متصلة فحينئذ ينقل النطق بها ويكره موقعها من السمع كبيت أبي الطيب المتنبى
 وأما هذه الآية المشار اليها فانها خارجة عن هذا الحكم ألا ترى أنها لما وردت
 ألفاظها على صيغة واحدة فترق بينها وواو العطف ثم مع التفريق بينها وواو
 العطف لم يرد التكرير فيها الا بين اثنين وهما خذوهم واحصروهم وأما
 الصيغة الاولى فانها أضيف اليها كلام آخر فقبل اقتلوا المشركين حيث
 وجدتموهم ولم يقل اقتلوا المشركين وخذوهم ثم لما جاءت الصيغة الرابعة
 أضيف اليها كلام آخر أيضا فقبل واقعدوا لهم كل مرصد لاجرم أن الآية
 جاءت غير ثقيلة على النطق مع توارده صيغة الامر فيها أربع مرار وهذه
 رموز ينبغي أن يتنبه لها في استعمال الالفاظ اذا جاءت هكذا (القسم الرابع
 من المعاطلة) وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقولههم سرج فرس غلام زيد
 وان زيد على ذلك قبل لبس سرج فرس غلام زيد وهذا أشد قبجا وأنقل على
 اللسان وعليه ورد قول ابن بابل الشاعر في مفتتح قصيدته

جمامة جرحا حومة الجندل امجبي * فانت بمرأى من سعاد ومسمى
 (القسم الخامس من المعاطلة) أن ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول أبي
 تمام في قصيدته التي مطلعها * ما الكتيب الحبي الى عقده * فقال يصف بجلا
 سأنرق الخرق بابن خرقاء كالشهبىق اذا ما استحم من نجده
 مقابل في الجديل صلب القرى * لوحك من عجبته الى كتده
 تامك نهمه مداخله * ملومه محزله أجده
 فالبيت الثالث من المعاطلة التي قلع الاسنان دون ايرادها وكذلك قال من هذه
 القصيدة يصف ربحا

ومرته فوذوا بئاه على * أسمر متن يوم الوحي جسده
 مارنه لدنه مثقفه * عراضه في الاكف مطرده
 وهذا كالأول في قبضه وثقله فتاتله الله ما آمن شـ عره وما أسخفه في بعض
 الاحوال وعلى هذا جاء من هذه القصيدة أيضا يصف الممدوح
 اليك عن سبل عارض خضل الشؤبوب بأق الجام من نضده
 مسـفه ثرته مسـحه * وابله مـهـه لـه جرده
 ولولم يكن لا بي تمام من القبح الشنيع الا هذه الابيات لخطت من قدره وعلى
 هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي

دان بعيد محب مبغض تهج * أغتر حلومـه رلين شرس
 ندأبي غـرواف أخى ثقة * جعدسرى نه ندب رضى ندس

وهذا كأنه سلسلة بلاشك وقليل ما يوجد في أشعار الشعراء ولم أجده كثيرا
 الا في شعر القرزدي وتلك معاملة معنوية وسيأتي بيانها في بابها وهذه معاملة
 لفظية وهي توجد في شعر أبي الطيب كثيرا (النوع الثامن في المنافرة بين الالفاظ
 في السبك) وهذا النوع لم يحق أحد من علماء البيان القول فيه وغاية ما يقال
 انه ينبغي أن لا تكون الالفاظ نافرة عن مواضعها ثم يكتفى بهذا القول من غير
 بيان ولا تفصيل حتى انه قد خلط هذا النوع بالمعاملة وكل منها نوع مفرد
 برأسه له حقيقة تخصه الا أنهم اقد اشتبهوا على علماء البيان فكيف على جاهل لا يعلم
 (وقد بينت) هذا النوع وفصلته عن المعاملة وضربت له أمثلة يستدل بها على
 أخواتها وما يجري مجراها وجملة الامران مدارسبك الالفاظ على هذا النوع
 والذي قبله دون غيرهما من تلك الانواع المذكورة لان هذين النوعين أصلاسبك
 الالفاظ وما عداها ما فرع عليهما واذا لم يكن النائر أو الناظم عارفا به ما قات
 مقاتله تبدو كثيرا (وحقيقة هذا النوع) الذي هو المنافرة أن يذكرا لفظ أو الالفاظ
 يكون غيرها مما هو في معناها أولى بالذكر وعلى هذا قات الفرق بينهما وبين
 المعاملة أن المعاملة هي التراكم والتداخل اما في الالفاظ أو في المعاني على
 ما أشرت اليه وهذا النوع لا تراكم فيه وانما هو ايراد الالفاظ غير لائقة
 بوضعها الذي ترد فيه (وهو يتقسم قسمين) أحدهما يوجد في اللفظة الواحدة
 والاخر في الالفاظ المتعددة فاما الذي يوجد في اللفظة الواحدة فانه اذا ورد

في الكلام أمكن تبديله بغيره مما هو في معناه سواء كان ذلك الكلام نثرا أو نظاما
وأما الذي يوجد في الالفاظ المتمددة فإنه لا يمكن تبديله بغيره في الشعر بل يمكن ذلك
في النثر خاصة لأنه يعسر في الشعر من أجل الوزن فمما جاء من القسم ان قول قول
أبي الطيب المتنبي فلا يبرم الامر الذي هو حال * ولا يحلل الامر الذي هو يبرم
فلنظة حال نافرة عن وضعها وكانت له مندوحة عنها لأنه لو استعمل عوضا
عنها لنظة ناقض فقال

فلا يبرم الامر الذي هو ناقض * ولا ينقض الامر الذي هو يبرم
لجاءت اللفظة قارة في مكانها غير قامة ولا نافرة (و بلغني) عن أبي العلاء
ابن سليمان المعري أنه كان يتعصب لأبي الطيب حتى أنه كان يسميه الشاعر
ويسمى غيره من الشعراء باسمه وكان يقول ليس في شعره لفظة يمكن أن يقوم
عنها ما هو في معناها فيجب حسانتها في البيت شعري أما وقف على هذا
البيت المشار اليه لكن الهوى كما يقال أعمى وكان أبو العلاء أعمى العين
خلقة وأعمالها عصبية فاجتمع له العمى من جهتين وهذه اللفظة التي هي حال
وما يجبرى مجراها قبيحة الاستعمال وهي فك الادغام في الفعل الثلاثي
وتقله الى اسم الفاعل وعلى هذا فلا يصح أن يقال بل الثوب فهو وبال ولا
سل السيف فهو سائل ولا أن يقال هم بالامر فهو هام ولا خط الكتاب
فهو خاطط ولا حن الى كذا فهو حانن وهذا لو عرض على من لا ذوق له لا أدركه
وفهمه فكيف من له ذوق صحيح كأبي الطيب لكن لا بد لكل جواد من كبوة
وأنشد بعض الادباء بيتا الدعبل وهو

شفيحك فاشكر في الحوائج انه * بصوتك عن مكروها وهو يخلق
فقلت له بحجز هذا البيت حسن وأما صدره فقصيح لأنه سبب كقلنا نأفرا وتلك الفاء
التي في قوله شفيحك فاشكر كأنها ركة البعير وهي في زيادتها زيادة الكرش
فقال لهذه الفاء في كتاب الله أشباه كقوله تعالى يا أيها المذثر قم فأنذر وربك فكبر
وثيابك فطهر فقلت له بين هذه الفاء وتلك الفاء فرق ظاهر يدركه بالعلم أولا
وبالذوق ثانيا أما العلم فان الفاء في وربك فكبر وثيابك فطهر فهي الفاء العاطفة
فأنها واردة بعد قم فأنذر وهي مثل قولك امش فأسرع وقل فأبغ وليست الفاء
التي في شفيحك فاشكر كرهذه الفاء لان تلك زائدة لا موضع لها ولو جاءت

وذكر في أبي العلاء المعري

في السورة كما جاءت في قول دعبل وحاش لله من ذلك لا بتدئ الكلام فقيل ربك
فكبر وثيا بك فطهر لكنها لما جاءت به مقدم فأنذر حسن ذكرها قويا يأتي بعدها من
وربك فكبر وثيا بك فطهر وأما الذوق فانه ينبوع عن الفاء الواردة في قول دعبل
ويستثقلها ولا يوجد ذلك في الفاء الواردة في السورة فلما سمع ما ذكرته أذعن
بالتدليم ومثل هذه الدقائق التي ترد في الكلام نظما كان أو نثرا لا يتقطن لها الا
الراعي في علم الفصاحة والبلاغة (ومن هـ هذا القسم) وصل همزة القطع وهو
محبوب من جائزات الشعراء التي لا تجوز في الكلام المنثور وكذلك قطع همزة
الوصل لكن وصل هـ همزة القطع أقبح لانه أثقل على اللسان (فما ورد من ذلك)
قول أبي تمام

قراني اللهثا والود حتى كأنما • أفاد الغنى من نائلي وفوائدي

فأصبح يلقاني الزمان من أجله • بأعظامم - ولودورأفة والد

فقوله من أجله وصل لهمزة القطع وعليه ورد قول أبي الطيب المتنبي

نوسطه المفاوز كل يوم • طلاب الطالبين لا الانتظار

فقوله لا الانتظار كلام نافر عن موضعه (ومن هذا القسم) أن يفرق بين

الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول الجعفي

حلفت لها بالله يوم التفرق • وبألوجد من قلبي بها المتعلق

تقديره من قلبي المتعلق بها فلما فصل بين الموصوف الذي هو قلبي والصفة التي هي

المتعلق بالضمير الذي هو بها أقبح ذلك ولو كان قال من قلبها متعلق زال ذلك

القبح وذهبت تلك الهجينة (ومن هـ هذا القسم أيضا) أن تزداد الالف واللام في

اسم الفاعل ويقام الضمير فيه مقام المفعول كقول أبي تمام

فلو عاينتهم والزائرهم • لما حزت البعيد من الحميم

فقوله الزائرهم اسم فاعل وقوله هم الذي هو الضمير في موضع المفعول تقديره

الزائرين أرضهم أودارهم أو الزائرين إياهم فاستعمال هذا مع الالف واللام

قبيح جدا وإذا حذف زال ذلك القبح وقد استعملها الشعراء المتقدمون كثيرا

(ومما جاء من القسم الثاني) الذي يوجد في الألفاظ المتعددة قول أبي الطيب

أيضا

لا خلق أكرم منك الاعارف • بكراة نفسك لم يقل لك ذاتها

قرأت من أجل ذلك كتابا هذا كالميت من باب التل للالوصار والبيت بهدمز وصل لا قطع اه

فان يجز هذا البيت نافر عن مواضعه وأمثال هذا في الاشعار كثير

(المقالة الثانية في الصناعة المعنوية)

وهي تنقسم قسمين الاول منها في الكلام على المعاني بجملا والثاني في الكلام عليها مفصلا وقبل الكلام على ذلك لا بد من توطئة تكون شاملة لما نحن بصدد ذكره ههنا فأقول اعلم أن المعاني الخطائية قد حصرت أصوارها وأول من تكلم في ذلك حكاء اليونان غير أن ذلك الحصر كلّي لا جزئي ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يفرغ عليها من التفريعات التي لانهاية لها لاجرم أن ذلك الحصر لا يستفيد به رفنه صاحب هذا العلم ولا يفترق راليه فان البدوي البادي راعى الابل ما كان يترشئ من ذلك يفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتي بالسحر الخلال ان قاز شعرا أو تكلم نثرا (فان قيل) ان ذلك البدوي كان له ذلك طبعاً وخلقاً والله فطره عليه كما فطر ضر وب نوع الآدمي على فطر مختلفة هي لهم في أصل الخلقة فانه فطر الترك على الاحسان في الرمي والاصابة فيه من غير تعليم وكذلك فطر أهل الصين على الاحسان في صنعة اليد فيما يشارونه من مصوغ أو خشب أو فخار أو غير ذلك وكذلك فطر أهل المغرب على الشجاعة وهذا الانزاع فيه فانه مشاهد (فالجواب عن ذلك) أني أقول ان سلمت اليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والقطرة فاذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعرو وخطيب تحذروا وسكوا البلاد ولم يروا البيادية ولا خلقوا بها وقد أجادوا في تأليف النظم والشعر وجاءوا بعنان كثيرة ما جاءت في شعر العرب ولا نطقة وائباها (فان قلت) ان هؤلاء وقضوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه (قلت لك في الجواب) هذاشئ لم يكن ولا علم أبونواس شيئاً منه ولا مسلم بن الوابد ولا أبو تمام ولا البصري ولا أبو الطيب المتنبي ولا غيرهم وكذلك جرى الحسبكم في أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد والصابي وغيرهم فان ادعت أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك في الجواب هذا باطل بي أناخاني لم أعلم شيئاً مما ذكره حكاء اليونان ولا عرفته ومع هذا فاقتر الى كلامي فقد أوردت لك نبذة منه في هذا الكتاب واذا وقفت على رسائلي ومكاتباتي وهي عدة مجلدات وعرفت أني لم أنعرض لشيء مما ذكره حكاء اليونان في حصر المعاني علمت حينئذ أن صاحب هذا العلم من النظم والنثر يتجوز من ذلك كله وأنه لا يحتاج اليه أبداً وفي كتابي

هذا ما يغنيك وهو كاف (ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا) وانساق الكلام الى شي ذكره لابي علي بن سينا في الخطابة والشعور ذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغورديا وقام فأحضر كتاب الشفاء لابي علي ووقفني على ما ذكره فلما وقفت عليه استجبهته فانه طول فيه وعرض كانه يخاطب بعض اليونان وصكل الذي ذكره اغورا لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا ثم مع هذا جميعه فان معقول القوم فيما يذكرون من الكلام الخطابي أنه يورد على مقدمتين ونتيجة وهذا مما لم يخطر لابي علي بن سينا يبال فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع فان له شيئا من ذلك في كلامه وعند افاضته في صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان والنتيجة له يبال ولو أنه أفكر أو لاقى المقدمتين والنتيجة ثم أتى ينظم أو تتر بعد ذلك لما أتى بشي يتفجع به ولطال الخطب عليه بل أقول شيئا آخر وهو أن اليونان أنفسهم لما نظموها ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمه وعندهم فكرة في مقدمتين ونتيجة وانما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والشعور وهي كما يقال تعاقب ليس لها طائل كأنها شعر الايبوردي • وحيث أوردت هذه المقدمة قبل الخوص في تقسيم المعاني فاني راجع الى شرح ما أجمتسه فأقول (أما القسم الاول) فان المعاني فيه على ضربين أحدهما ما يتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة وتنتشر في هذا الموضع الى نبذة تكون مثلا للمتوشح لهذه الصناعة (فمن ذلك) ما ورد في شعر أبي تمام في وصف مصليين

بكررو وأسروا في متون ضوامر • قيدت لهم من مربوط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم • أبدا على سفر من الاسفار
وهذا المعنى مما يراه عليه عند الحوادث المتجددة والطارف في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع عن غير كبير كافة لشاهد الحال الحاضرة (وكذلك) قال في هذه التصديفة في صفة من أشرق بالنار

ما زال مر الكافرين ضلوعه • حتى اصطلح سر الزناد الوارث
فأرأيساور جسمه من حرها • لهب كعاصف فرت شق ازار
طار لها شعل يه تم لتعها • أرككانه هدم ما يغير غبار

الكلام المتدعه من غير أن يقتدي فيها بن سبق

فصل منه ~~كل~~ مجمع مفصل • وفعلن فاقرة بكل فقار
 مشبوبة رفعت لاعظام مشرك • ما كان يرفع ضوأها للشاري
 صلي لها حيا وكان وقودها • ميتا ويدخلها مع الفجار
 وهذا ما يعين على استخراج المعاني فيه شاهد الحال (وقد ذيل البحرى) على
 ما ذكره أبو تمام في وصف المصلين فقال

حكمهم عزير أباده فغدا يركب عودا مرصكا في عود
 أسلمته الى الرقاد رجال • لم يكونوا من وترهم يرقود
 تصد الطير فيه صنع البوادي • وهو في غير حالة المسود
 غاب عن محبته فلا هو موجود لديهم وليس بالفقود
 وكان امتداد كفيه فوق الجذع في محفل الردى المشهود
 طائر مدمستريح اجناحيه استراحات متعب مكدود
 أخطب الناس راكبا فاذا أرجل خاطبت منه عين البليد
 وهذه آيات حسنة قد استوهبت أقسام هذا المعنى المقصود الآن فيها معنى
 ما أخذ من شعر مسلم بن الوليد الانسارى وهو قوله

نصبت حيث ترتاب الرياح به • وتحدد الطير فيه أضبع اليد
 الككن البحرى زاد في ذلك زيادة حسنة وهى قوله وهو في غير حالة المسود
 (ومن هذا الضرب) ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبى في وصفه الحمى وهو قوله
 وزائر قى كأن بها حيا • فليس تزورا لافى الظلام
 بذات اله المطارف والحشايا • فعافتها وباتت فى عظامى
 كان الصبح بطرد هاقبجى • مدامعها بأربعة حجام
 أراقب وقتها من غير شوق • مراقبة المشوق المستهام
 وقد شرح أبو الطيب بهذه الآيات حاله مع الحمى (ومن يديع ما أتى به فى هذا
 الموضع) أن سيف الدولة بن حمدان كان مخيميا بأرض ديار بكر على مدينة
 ميا فأرقين فعصفت الرياح بخيمته فتطير الناس لذلك وقالوا فيه أقوالا ذمها أبو
 الطيب بقصيدة يمتدرفيها عن سقوط الخيمة أولها • أتقع فى الخيمة العذل • فنه
 ما أحسن فيه كل الاحسان وهو قوله

تضيق بشخصك أرجاؤها • ويركض فى الواحد الخفل

وتقصر ما كنت في جوفها • وتركز فيها القنا الذبيل
وكيف تقوم على راحة • كان الحمار لها أن عمل
فليت وقارك فترقسه • وحملت أرضك ما تحمل
فصار الانام به سادة • وسدتهم وبالذي يفضل
رأت لون نورك في لونها • كالون الغزالة لا يغسل
وأن لها شرفا باذنا • وأن الخيام بهم تتجمل
فلا تنكرن لها صرعة • فن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بلغت • تلحاتهم وحوالك الارجل
ولما أمرت بتعذيبها • أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضا • ولكن أشار بما تفعل
وعرف أنك من همه • وأنت في نصره ترفل
فما العاندون وما أثلوا • وما الحاسدون وما قولوا
هم ويطلبون فن أدركوا • وهم يكذبون فن يقبل
وهم يتمنون ما يشتمون • ومن دونه جتلك المقبل

وهذه الابيات قد اشتملت على معان بدعية وكفى المتنبي فضلا أن ياتي بعثها وهذا مقام يظهر في مثله براعة الناظم والناثر (وقرأت في كتاب الروضة) لابي العباس المبرد وهو كتاب جمع واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبي نواس ثم من كان في زمانه وانسحب على ذيله فقال فيما أورده من شعره وله معنى لم يسبق اليه باجماع وهو قوله

تدار علينا الراح في عسجدية • حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها • مها ثورتها بالعشيق الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها • وللماء ما دارت عليه القلانس

وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه انه معنى مبتدع (ويحكي عن الجاحظ) أنه قال مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا الا هذا المعنى فان أبانواس انفردها بداعه وما أعلم أنما أقول لها ولا ي سوي أن أقول قد تجاوز بهم حد الاكثار ومن الامثال السائرة بدون هذا يباع الحمار وفصاحة هذا الشعر عندى هي الموصوفة لا هذا المعنى فانه لا كبير كلفة فيه لان أبانواس رأى

كأن من الذهب ذات تصاوير فحكاها في شعره والذي عندي في هذا أنه من المعاني المناهدة فإن هذه الحجر لم تحمل الاماء يسيرا وكانت تستغرق صور هذا الكاس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلا بقدر القلائس التي على رؤسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر وكذلك ورد قوله في النهر أيضا

يا شقيق النفس من **حكم** • نمت عن ليلى ولم تسنم

فاسقى النهر الذي اخمرت • بنجمار الشيب في الرحم

وهذا معنى مخترع لم يسبق اليه وهو دقيق يكاد لا يقته أن يلتحق بالمعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصور (وبلغني) أنه اختلف في هذا المعنى بحضرة الرشيد هرون رحمه الله فقبيل انه يريد بنجمار الشيب في الرحم أن النهر تكون في جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها فقال الاصمعي ان أبانواس أطف خاطرًا من هذا وأسد غرضًا فأسأله فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يجرى فيه الماء يخرج شبيهًا بالقطنة وهي أصل العنقود فقال الاصمعي ألم أقل لكم ان الرجل أطف خاطرًا وأسد غرضًا وقد جاء لابن جديس العجلي في الهمال لا نثر لشهر ما لم يأت به غيره وهو من الحسن واللطافة في الغاية التصوي وذلك قوله

كانما أدهم الظلاء **بين نجا** • من أنهب الصبح ألقى نعل حافره

وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر الا أنه أبدع في التشبيه وأمنال هذا كثيرة في أقوال المجيدين من الشعراء (وجمله الامر في ذلك) أن الشاعر أو الكاتب ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعاني كما فعل النابغة في مدح النعمان وقد أتاه وفد من الوفود فأت رجل منهم قبل أن يوفدهم فلما وفدهم جعل عطاء ذلك الميت على قبره حتى جاء أهله وأخذوه فقال النابغة في ذلك حبا شقيق فوق أحجار قبره • وما كان يحجي قبله قبر واقد

وهذا بيت من جملة أبيات فانظر كيف فعل النابغة في هذا المعنى (وكذلك) ورد قول أخت جساس زوجة كايب فانه لما قتل جساس كليبًا اجتمع النساء اليها وتدينه فحدث بعضهم الى بعض وقلن هذه ليست ناكلة وانما هي شامة فان أخاه هو القاتل فتم ذلك اليها فقالت

يا أئمة الاقوام ان شئت فلا • تعجلي باللوم حتى تسألني

فاذا أنت تبينت الذي • يوجب اللوم فلومي واعذلي

ان أختالا مرئ لمت على • شفق منها عليه فافعل على
 جل عندى فعل جساس فوا • حسرتا عم انجلت أو تجلى
 فعل جساس على وجدى به • قاطع ظهري ومدن أجلي
 لو بعين فقتت عين سوى • أختها فانفتأت لم أحفل
 يا قبلا قوس الدهر به • سقف بيتي جميعا من عمل
 هدم البيت الذي استهدنته • واثني في هدم بيتي الاوّل
 يشتقي المدرك بالشاروفى • دركى نارى شكل مشكلى
 انى قاتلة مقتولة • ولعل الله أن يرتاح لى

وهذه الايات لونها قبح الفصول المعدودون من الشعراء لاستعظمت فكيف
 امرأة وهى خزينة فى شرح تلك الحلال المشار اليها (واعلم) أنه قد يستخرج من
 المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدع (فمن ذلك) قول الشاعر المعروف بابن
 السراج فى القهد

تنافس الليل فيه والنهار معا • فقمصاه بجلباب من المقل

وليس هذا من المعانى الغريبة ولكنه تشبيه حسن واقع فى موقعه وقد جاء بعده
 شاعر من أهل الموصل يقال له ابن مهران فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا
 فقال ونقطته حباء كى يسالمها • على الما يانهاج الرمل بالحدق

وهذا معنى غريب لم أسمع بمثله فى مقصده الذى قصد من أجله وقليلا ما يقع فى
 هذا الكلام المنظوم والمنثور وهو وضع ينبغى أن يوضع اليد عليه ويقببه له
 وكذلك فلتسكن سياقة ما جرى هذا المجرى (وقد جاء فى شئ من ذلك) فى الكلام
 المنثور (فمن ذلك) ما ذكرته فى وصف نساء حسان وهو أقبلت ربائب الكاس
 فى مخضرة اللباس فتبيل انما يضرن الخضرة من الالوان ليصح تشبيههن
 بالاغصان وهذا معنى غريب وربما يكون قد سبق اليه الا أنه لم يبلغنى بل
 ابتدعته ابتداء (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن منازلة بدار
 فدكرت القتال بالمنجنيق وهو قزلة اجراى منه ومسمع واستدرنا به استدارة
 انطام بالاصبع ونصبت المنجنيقات فأنشأت بحبا صعبة القياد مختمة بالربا
 دون الوهاد فلم تزل تنذف السور بوبل من جلودها وتفجؤه برعودها قبل
 بروقها وبروق السهب قبل رعودها حتى غادرت الحزن منه مهلا والعامر بلقما

مخلي وفي هذا معنيان غريبان أحدهما أن هذه السحب تخص الريادون الوهاد
 والآخر أن رعودها قبل بروقها وكل ذلك يفتن له بالمشاهدة (ومن ذلك)
 ما ذكرته في فصل من كتاب فقلت اذا تخلق المرء بمخاق البأس والتسدى لم يحق
 عرضه دنسا كما أن الماء اذا بلغ قلنتين لم يحمل نجسا وهذا المعنى مبتدع لي وهو
 مستخرج من الحديث النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلنتين
 لم يحمل خبثا (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف مفازة فقلت مفازة لا يوطأ بأرجقان
 ساهر ولا تقتل باقتحام خابر ولولا مسير الهلال من فوقها لما عرفت قتال حافر
 (ومن ذلك) ما ذكرته في كتاب أصف فيه نزول العدو على حصار بلد من بلاد
 المكتوب عنه وكان ذلك في زمن الشتاء فسط على العدو بلج كثير صار به محصورا
 فقات وقد عاجل له قتال البروق قبل البوارق وأحاط به الثلج فصار خنادق تحول
 بينه وبين الخنادق والشتاء قد اتى عسكره من البرد بعسكره والسماء قد قابلته
 بأضرب وجهها بالأخضره والارض كأنها قرصة النقي وعسى أن تكون أرض
 محشرة والمعنى المخترع من هذا الكلام قولي والارض كأنها قرصة النقي وعسى
 أن تكون أرض محشرة وهو مستخرج من الحديث النبوي في قوله صلى الله
 عليه وسلم انكم تحشرون على أرض بيضاء كقرصة النقي يريد الخبزة البيضاء ولما
 كان الثلج على الارض مماثل لذلك ومثابه له استنبطت أماله هذا المعنى المخترع
 فجاء كما تراهم وهو من المعاني التي يدل عليها شاهد الحال (وأحسن من هذا كله)
 ما كتبت في فصل من كتاب الديوان الخلافة بيغداد فقلت ودولته هي الضاحكة
 وان كان نسيها الى العباس وهي خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة
 أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تذاؤا لبأسها الا تهرم وأنها
 لا تزال محبوة من أبنكار السعادة بالحلب الذي لا يسلى والوصل الذي لا يصرم
 وهذا معنى استنبطه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخطبه الاقلام في خطها
 ولا أجالته انلو اطرف في أفكارها وغرابة هذا المعنى ظاهرة ولم يأت بها أحد قبلي
 (ويبلغني) من المعاني المخترعة أن عبد الملك بن مروان بنى بابا من أبواب المسجد
 الاقصى بالبيت المقدس وبنى الخجاج بابا الى جانبه فجاءت ساعة فأحرق الباب
 الذي بناه عبد الملك فتطير لذلك وشق عليه فبلغ ذلك الخجاج فكتب اليه كتابا بلغني
 كذا وكذا فليهن أمير المؤمنين أن الله تقبل منه ومما مثلي ومثله الا كابي آدم

اذقربا قربانا فقتبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فلما وقف عبد الملك على كتابه
سرى عنه وهذا معنى غريب استخرجه الخجاج من القرآن الكريم وهو من
المعاني المناسبة لما ذكرت فيه ويكنى الخجاج من فطانة الفسكرة أن يكون عنده
استعداد لاستخراج مثل ذلك (وأما المعاني) التي تستخرج من غير شاهد حال
متصورة فإنها أصعب مثالا مما يستخرج بشاهد الحال ولا مرما كان لا يكارها
سرا لا يهجم على مكانته الاجتنان الشهم ولا يفوز بمحاسنه الامن دق فهمه حتى
جل عن دقة الفهم ولل هجوم على عذارى المعاني المحمية بحجب البواتر أيسر من
التهجوم على عذارى المعاني المحمية بحجب الخواطر وما ذلك مما يلقيه اليك
الاستاذ وليس يقوم به الا الفذولا أقول الافذاذ وأين الذي ينشئ فيحسن فيها
الانشاء ويرزفها صور ايركها كيف يشاء ومن نظر الى هذا الموضع حق النظر
وأخذ فيه بالعين دون الاثر علم أنه مقام يرتق بمعارف الافهام فكيف بواقف
الاقدام وليست المعاني فيه الا كالارواح ولا الالفاظ الا كالجسام فمن شاء
أن يخلق خلقا من الكلام فليأت به على صورة الاناسي لا على صورة الانعام فان
من القول الغاية التي هي أحسن من الغاية ومنه البهيمية التي لا تشبه الا
بالبانية (فما جاء في هذا الباب) قول أبي نواس

شرايك في السراب اذا عطشنا • وخبرك عند منقطع التراب
ومارتوحتنا لـذب عنا • ولكن خفت مرزية الذباب

فالبيت الثاني من هذين البيتين هو المشار اليه بأنه معنى مبتدع ويحكي عن الرشيد
هريرة الله أنه قال لم يهجم باد ولا حاضر بمثل هذا الهجاء (ومن هذا الباب)
قول مسلم بن الوليد

تنال بالرفق ماتعيا الرجال به • كالتوت مستهلا يأتي على مهل
(ومن هذا الباب) قول جلي بن جبلة

تكفل ساكن الدنيا جيد • فقد أضحت له الدنيا عيالا
كان أباه آدم ~~ص~~ كان أوصى • اليه أن يعواها وهو فعلا

وهذا معنى دندن حوله الشعراء وفاز على بن جبلة بالافصاح عنه وقد قيل
ان أبتمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداء المعاني وقد عدت معانيه المبتدعة
فوجدت ما يزيد على عشرين معنى وأهل هذه الصناعة يكبرون ذلك وما هذا من

مثل أبي تمام بكبير فاني أنا عددت معاني المبتدعة التي وردت في مكاتباتي
فوجدتها أكثر من هذه المدة وهي مما لا أنزع فيه ولا أدافع عنه فإماما ورد
لابي تمام فن ذلك قوله

يا أيها الملك النافي برويته • وجوده لم يراعي جوده كذب
ليس الجواب بمقصودك لي أملا • إن الأسماء ترجى حين تتجيب
(وكذلك قوله) رأينا الجود فيك وما عرضنا • لسجل منه بعد ولا ذنوب
ولكن دارة القمر استمتت • قد اتسع على مطر قريب
(وكذلك قوله في الهجاء

وأنت تدير قطب رحا عليا • ولم ير للرحا العليا قطبا
ترى قطربكل صراع قرن • إذا ما كنت أسئل منه جنبا
(وكذلك قوله) وإذا أورد الله نثر فضيلة • طويت أتاح لها اللسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت • ما كان يعرف طيب عرف العود
(وكذلك قوله) لا تنكروا ضربي له من دونه • مثلا شرودا في الندى والباس
فألقه قد ضرب الأقل لتوره • مثلا من المشكاة والنبراس
(وكذلك قوله)

لا تنكروا عطل الكريم من الغنى • فالسيل حرب لا مكان العالى
(وكذلك قوله في الشيب)

شعلة في المفارق استودعتني • في صميم الفؤاد ثكلا صميما
يستثير الهموم ما كنت منها • صعدا وهي تستثير الهموما
فالبيت الثاني من المعاني المخترعة وقد تفته فيه فجعله مسئلة من مسائل الدور
وهذا من اغراب أبي تمام المعروف وهذا القدر كاف من جملة معانيه فانالم
نستقصها ههنا (ومن هذا الباب) قول ابن الرومي

كل امرئ مدح امرأ النواله • وأطال فيه فقد أساء هجاء
لوم يقدح بعد المستقى • عند الورود لما أطال رشاء
(وكذلك قوله)

مدوك من صديقتك مستفاد • فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه • يكون من الطعام أو الشراب

(وكذلك قوله) لما توذن الدنيا به من صروفها • يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فابيض كيه منها وانه • لا توسع مما كان فيه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل كانه • بما هو لاق من أذاها يم تد
(وكذلك قوله) رددت على مدحى بعد مظل • وقد نبت ملبسه الجديد
وقلت امدح به من شئت غيرى • ومن ذا يقبل المدح الرديدا
وهل للحنى فى أكفان ميت • لبوس بعد ما امتلت صديدا
(وقد ورد لابي الطيب المتنبى) من ذلك كقوله

أجزنى اذا انشدت مدحا فانما • بشعري أتاك المادحون مرّدا
ودع كل صوت بعد صوتى فانى • أنا الصائح المحكى والآخر الصدى
فالبيت الاول قد توارد على معناه الشعراء قديما وحيننا لكن البيت الثانى
فى التمثيل الذى مثله ليس لاحد الا له وكذلك قوله

بهجر سيموفك أنعمادها • تنفى الطلى أن يكون الغم ودا
الى الهام تصدع عن مثله • يرى صدراعن وروودور ودا

(وكذلك قوله) فى بدر بن عمار يهنيه بئرته من مرض

قصدت من شرقها ومغربها • حتى اشتكتك الركاب والسبل
لم تسبق الا قليل عافية • قد وفدت تجتديكها العمل

(وقد وقفت) على ما شاء الله من أشعار الفحول من الشعراء قديما وحيننا فلم أجد
لا احد منهم فى ذكر المرض ما يعتم معنى مخترا لابل لم أجد من أقوالهم شيئا مرضيا
ماعدا المتنبى فانه ذكر المرض فى عدة مواضع من شعره فأجاد وهذا البيت الثانى
من هذين البيتين معنى مخترع له وقد أحسن فيه كل الاحسان (ومما ابتدعه)
باجماع قوله فى مدح عضد الدولة فى قصيدته النونية التى مطلعها
مغانى الشعب طيبا فى المغانى • فقال عند ذكره

فما شاء عيشة القميرين يحيا • بضوئهم ما ولا يتحاسدان

ولا ملكا سوى ملك الاعادى • ولا ورتا سوى من يقتلان

وكان ابن سعد وكأثره • له ياهى حروف أنيسيان

أى جعل الله ابنى عدو كأثره يعنى ابنى عضد الدولة يكاهى حروف تصغيرا لسان
فان ذلك زيادة وهو نقص فى المقدار الا أن سبك هذا البيت قد شوقه وأذهب

خلاوة المعنى المندرج تحته (ومن معانيه) المبتدعة قوله
فان تنفق الانام وانت منهم • فان المسك بعض دم الغزال
وأحسن من ذلك قوله

صدمتهم بنخميس أنت غزته • وسمهريته في وجهه غم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم • يسقطن حولك والارواح تنهزم
وهذا من أعاجيب أبي الطيب التي برز فيها على الشعراء (ومن الاحسان)
في هذا الباب قول بعضهم

وقد أشقى الحجاب المصعب ما ذبه • دوني وآبي ولو جافيه ان طرفا
كالطيب يأبي دخول الجفن منفتحها • وليس يدخله الا اذا انطبقتا
(ورأيت ابن جردون) البغدادي صاحب كتاب التذكرة قد أورد هاتين البيتين
في كتابه وقال قد أغرب هذا الشاعر ولو كنهه خلط وجرى على عادة الشعراء لان
الطيب لا يدخل الجفن وانما يتخيل الى النفس وهذا كلام من لم يطعم من شجرة
الفصاحة والبلاغة وليس مثله عندي الا كما يحكي عن ملك الروم اذا أنشده عنده
بيت المتنبي الذي هو

كان العيس كانت فوق جفني • مناخات فلما نزلن سالا
فسأل من المعنى ففسره فقال ما سمعت بأ كذب من هذا الشاعر رأيت من
أناخ الجمل على عينه لا يهلكه (ومن محاسن هذا القسم) قول بعضهم
تخبره الله من آدم • فما زال منحدر ابرتي
(وكذلك قول الآخر)

بأبي غزال غازتته مقلتي • بين الغوير وبين شطي بارق
عاطيته والليل يسحب ذيله • صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضمته ضم الكمي لسيفه • وذو ابتاه حائل في عاتق
حتى اذا مات به سنة الكرى • فحزنته شيا وكان معانيق
أبعدته عن اضلع تشناقه • كني لا ينام على وساد خفاق
وهذا من الحسن والملاحاة بالمكان الاقصى واقد خفت معانيه على القلوب
حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير منه هو الموصوف بالابداع وبه وبأمثاله
أقرت الابصار بفضل الاسماع (ومن هذا الضرب) قول بعض المصريين بهجو

انسانا يقال له ابن طليل احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * طوعا الى الاقرار بالاقدار
ما أوقد ابن طليل قطب داره * نارا وكان هـ لا كهبا بالنار

(وكذلك) ورد قول ابن قلاقس من شعراء مصر

زد رضة ان قيل أنشغض وانخضض ان قيل أترى

كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا وينأى ما تهرى

وهذا من المعاني الدقيقة (ومن هذا الاسلوب) قول الشاعر المعروف بالحياظ
في تشبيه البهار وهو

عيون تبركا غامرقت * سوادا أحدا قهما من الغسق

فان دجا ليلها بظلمته * ضمن من خوفها على السرق

وهذا تشبيه بديع لم يسمع بمثله وهو من اللطافة على ما لا يخفى به (ومن هذا
القسم) قول بعض المتأخرين من أهل زماننا

لاتضع من عظيم قدر وان كنت مشارا اليه بالتعظيم

فالشريف العظيم ينقص قدرا * بالتعدي على الشريف العظيم

ولع الخمر بالعقول رعى الخمر بتنجيدها وبالتحريم

(ومن غريب ما سمعته في هذا الباب) قول بعض الشعراء المغاربة يرقى قتيلا

غدرت به زرق الاسنة بعدما * قد كنت طوع عيینه وشماله

فليحذر البدر المنير نجومه * اذ بان غدر منالها بامثاله

(وكذلك) جاء قول بعض المغاربة في الخمر وكلماتها

ثقلت زجاجات أتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير عاحوت * وكذا الجسوم تحف بالارواح

وهذا معنى مبتدع أشهد أنه يفعل بالعقول فعل الخمر سكرها ويروق كما رقت لطفها

ويفوح كما فاحت نشرا (وكذلك) ورد قول ابن حمديس الصقلي

يا سالباً قر السماء جماله * ألبستني للعز نوب سمائه

أضمرت قلبي فارتمى بشرارة * وقعت بجذلك فانطقت من مائه

وهذا المعنى دقيق جدا (وقد سمعت في الخيال) ما شاء الله أن أسمع فلم أجده مثل هذا

وقد جاءني في الكلام المنثور من هذا الضرب شيء وسأذكره هنا منه تيسرة

(فمن ذلك) ما ذكرته في وصف صورة مليحة فقلت ألبس من الحسن أنضر لباس
وخاق من طينة غير طينة الناس وكما زاد حسنا فكذلك ازداد طيبا واتفقت
فيه الالهواء حتى صار الى كل قلب حبيبا فلوصافح الورد وتعطرت أوراقه وأومر
على النيلوفر لابل لتفتح أحداقه (والمعنى) الغريب ههنا أن الشمس اذا طلعت
على النيلوفر تفتح أوراقه واذا غربت عنه انضم ثم انى سمعت هذا في شعر الفرس
لبعض شعرائهم فحصل عندي منه تعجب (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم الشيب فقلت
الشيب اعدام للايسار وظلام للانوار وهو الموت الاوّل الذي يصلى نار من الهتم
أشدّ وقودا من النار ولئن قال قوم انه جلاله فانهم دقوا به وما جالوا وأقتوا في
وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا وما أراه الا محرا بالعمه ولم تدخل آلة الحرث دار
قوم الاذلوا ومن عجيب شأنه أنه المملول الذي يشفق من بعده والخلق الذي يكره
نزع برده ولما نقد الشيباب كان عنه عوضا ولا عوض عنه في فقده (والمعنى)
المخترع ههنا في قولي وما أراه الا محرا بالعمه ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الاذلوا
وهو مستنبط من الحديث النبوي وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى آلة
حرث فقال ما دخلت هذه دار قوم الاذلوا فأخذت أنا هذا ونقلت له الى الشيب
فجاء كما ترام في أعلى درجات الحسن وذلك لما بينه وبين الشيب من المناسبة الشبيهة
لان الشيب يفعل في البدن ما يفعله المهرات في الارض واذا نزل بالانسان أحدث
عنده ذلا (ومن هذا الباب) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الناس أعبت به
فقلت واذا كتبت مثالبه في كتاب اجتمع عليه بنات وردان وحرم على أن أبدأ
فيه بالبسطة لانها من القرآن وهذا معنى لطيف في غاية اللطافة وهو مخترع على
(وكذلك) كتبت الى بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل معه فقلت في فصل منه
ما أذكره وهو ينبغي له أن يشكرني على وصحه بهجائي دون امتداحي فاني لم أسمه
الا تحرم به الاضحية في يوم الاضاحي ولا شك أن سيدنا معدود في جملة الانعام
غير أنه من ذوات القرون والقرن عدوه عند الخصاص وهذا معنى ابتدعه ابتداء
في يوم اسمه لاحد من قبلي (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن هزيمة الكفار
وذلك فصل منه فقلت وكانت الواقعة يوم الاحد منتصف شهر كذا وكذا وهذا هو
اليوم الذي قصيره الكفار من أيام الاسبوع ونصبوه مومنا الشرع كفرهم المشروع
فحصل ارتياحهم به اذ تضمن للاسلام مزيدا وقالوا هذا يوم قد أسلم فلا نجعله لنا

عمدا وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون بأن الدين عند الله هو الاسلام
 وأن أولياءهم هم المسلمون وهذا معنى انفردت بآية راعه ولم يأت به أحد من
 تقدمني (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الديوان الخلافة بين بغداد وهو
 في وصف القلم فقلت وقلم الديوان العزيز هو الذي يخفص ويرفع ويعطي وينع
 وهو المطاع بلدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشي الاجدع
 ومن أحسن صفاته أن شعاره من شعار مولاة فهو يخضع على عبيده من الكرامة
 ما يخضع في هذه الاوصاف معان حسنة لطيفة ومنها معنى غريب لم أسبق اليه
 وهو قولي انه المطاع بلدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشي
 الاجدع فان هذا ما ابتكرته وهو مستخرج من الحديث النبوي في ذكر
 الطاعة والجماعة فقال صلى الله عليه وسلم أطع ولو عبدا حبشيا بما جدها ما أقام
 عليك كتاب الله فاستخرجت أنا للقلم معنى من ذلك وهو أن القلم يجدها وبقه مض
 لباس السواد فصار حبشيا ما أجدها وهذا كما فعل أبو تمام حبيب بن أوس
 الطائي في قصيدته السينية فانه استخرج المعنى المخترع من آقرآن الكريم وأنه
 استخرجت المعنى من الخبر النبوي كما أريتك وهذا المعنى المشار اليه في وصف
 القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه آخر ونهت عليه في كتاب الوثنى المرقوم
 في حل المنظوم وهذا كآفة في صناعة حل الشعر وغيره (وبعد هذا)
 فسأقول لك في هذا الموضوع قولاً لم يقله أحد غيري وهو أن المعاني المتبدعة
 شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة فكما أنك اذاوردت عليك
 مسألة من المجهولات تأخذها وتقلبها ظهر البطن وتنتظر الى أوانها وأواخرها
 وتعتبر أطرافها وأوساطها وعند ذلك تخرج بك الفكرة الى معلوم فكذلك
 اذاورد عليك معنى من المعاني ينبغي لك أن تتزق فيه كتظرك في المجهولات
 الحسابية الا أن هذا لا يقع في كل معنى فان أكثر المعاني قد طرق وسبق اليه
 والابداع انما يقع في معنى غريب لم يطرق ولا يكون ذلك الا في أمر غريب لم يأت
 مثله وحينئذ اذا كتب فيه كتاب أو نظم فيه شعر فان الكاتب والشاعر يعثران
 على مظنة الابداع فيه وقد لا يست ذلك في مواضع كثيرة وسأورد ههنا ما يحذو
 حذو من استطاع اليه سبيلا (ومن ذلك) ما كتبه عن نقبي الى بعض ملوك
 الشام وأهديت اليه رطباً وهو خلد الله دولة مولانا وهر لها سجد اوجنا ما

وخولها السعادة عطاء حسابا وأنشأ اللبالي لخدمتها عربا أنرابا وأبقى شبيبتها
 بقاء لا يستحدث معه خضابا ولا جعل لها في محاسن الدول السابقة أشباها ولا
 أنرابا وألقى البأس بين أعدائها وحسادها حتى يعث لهم في الارض غربا اذ
 أراد العبيد أن يهدوا والمواليهم قصرت بهم يد ووجدتهم وعلوا أن كل ما عندهم
 من عندهم لكن في الاشياء المستظرفة ما يهدى وان كان قدره مخيفا ولولا
 اختلاف البلاد فيما يوجد بها لما كان شيء من الاشياء طريفا وقد أهدى المملوك
 من الرطب ما يتجلى في صفة الوارس ويزهى بحسنه حتى كأنه لم يدنس بيد لامس
 وما سمي رطبيا الا لاشتقاقه من الرطب الذي هو ضد اليابس وقد أتى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عليه ثناء بما وفضل شجرته على الشجر بأن سماها أما ولئن
 عدم عرفنا لذيذا فإنه لم يعد منظر الذبذبا ولا طعما وله أوصاف أخرى هي لفضله
 بنزلة الشهود فمنها أنه أول غذاء يفطر عليه الصائم وأول غذاء يدخل بطن المولود
 وأحسن من ذلك أنه معدود من الحلوا وان كان من ذوات الغراس ولا فرق
 بينها سوى أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس واذا أنصف واصفه قال ما من
 ثمرة الا وهي عنه فاصرة ولو تفاخرت البلاد بمحاسن ثمارها قامت أرض العراق به
 فآخرة وها قد سار الى باب مولانا وهو محبى المنابت سارا الى محبى الكرم وملات
 الفاكهة وقد على ملك الشيم ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من
 الفواكه أربا وما منها الامن قال ياليتي كنت رطبيا ولئن كان من الثمرات التي
 تختلف في الصور والاسماء ويفضل بعضها على بعض ويسقى بشرب واحد من الماء
 فكذلك تلك الشيم العريقة تتحد في عنصرها وهي مختلفة الوتيرة ومن أفضاها
 سمية السماح التي تنبل القليل من عبيدها وتسمع لهم باعطايا الكثرة وقد ضرب
 لها المملوك مثلا لاقال هي كجنة بربوة بل ضرب لها ما ضرب للمثل النبوي وهي
 نخلة بكبوة ولا يختم كتابه بأحسن من هذا القول الذي طاب سمعها وزكا أصلها وفرعا
 وتصرف في أساليب البلاغة فجاء به وتراوشفعا والسلام (وهذا كتاب غريب) في
 معناه وقد اشتغل على معان كثيرة فمن جلتها أن الرطب مشتق من الرطب الذي
 هو ضد اليابس ومن جلتها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمي النخلة أما قال أتمكم
 النخلة ومن جلتها أنه كان صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات فان لم يجد فتمر
 ومن جلتها أنه كان يلوك التمرة ويحكك بها المولود عند ميلاده والولد عبد الله بن

الزبير جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ووضعت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نمت ووضعتها في فيه ومن جملتها أنه والحلو أمشي واحدا إلا أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس ومن جملتها أن العباس رضي الله عنه قال يا رسول الله إن قريشا منذ أكرت أحسابها فاضربوا لك مثلا بنخلة تكبوة وكل هذه المعاني حسنة واردة في موضعها ومن كتب في معنى من المعاني فليكتبه هكذا والافليدع (ومن ذلك) رقعة كتبها إلى بعض حجاب السلطان في حاجة عرضت لي وأرسلت معها هدية من ثياب ودراهم وهي

ما من صديق وان صحت صداقته * يوما بأجمع في الحاجات من طبق
إذا تلمس بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا غلق
الهدية مشتقة من الهدى غير أن هاتر ف إلى القلب لا إلى الندى وصهارتها أنفع
من الصهارة وكلما ترددت كانت بكرافه لا تنفك عن البكارة ومن خصائصها
أنها تمسك بعروف امن من السراح وإذا رامت فتح باب لا تنفك في علاجها إلى
مفتاح وقد قيل إنها الحناء المتأنقة في عمارة بيتها التي توصف بأن القنديل
يعنى بزيتها وقد أرسلتها إلى المولى وهي تنهادى في اعجابها وتدل بكثرة
دراهمها وثيابها وتقول أنا الكريمة في قومها الشريفة في أنسابها وأحسن
ما فيها أنها جاءت سرا لم تعلم بها اليد اليمنى من اليسرى فخذها يا مولاي واكشف
نقابها وأمط عنها جلبابها وقد كانت منك حرة وهي الآن في حيز الملكة ومن
السنة في مثلها أن تؤخذ ذبا لناصرية ويدهى بالبركة والسائر بها فلان وهو في
الجهل بها حامل أسفار وناقل لها من دار إلى دار ولربما نطق لسان حالها
الذي هو أفصح من نطق اللسان وأذكرت بحاجة مرسلها وحاشي فطانة
الكريم من التبيان وايس المطلوب الافضلية من الجاهت ففر بين السائل
والمسؤل وتنقل البعيد إلى درجة القريب والممنوع إلى درجة المبدول فإذا
فعل المولى ذلك كان له منة السفارة ومنة الانعام وان جمع بأن سهيا واحدا فاز
بشكرين اثنين ففي مثل هذا المقام ومن الناس من يقول ليس على جانب
السلطان ثقل في منعه وهل ههنا الاكلمات تقال والكلام ماعون لارخصة
في منعه ولم يدر أن ملاطفة الخطاب ضرب من الاحتيال وأن ثقل الخطوات فيه
أثقل من ثقل الجبال وأن صاحب الحاجة يحظى بجلاوة النجاج والحاجب يلقى

مرارة السؤال وهذا يقوله الخادم ايحيا بالاحسان المولى الذى هو احسان شامل ولا يعلمه الا عالم بفضله ولا يجهله الا جاهل والله تعالى يجعل الحاجات مغدوقة بيبابه حتى لا تنفك في الدين من امداد شكره وفي الآخرة من امداد ثوابه والسلام فتأمل أيها الناظر في كتابي هذا الى ما اشتملت عليه هذه الرقعة من المعاني حتى تعلم كيف تصنع يدك فيما كتبه (ومن ذلك) رقعة أخرى كتبتها في هذا المعنى المتقدم ذكره وأرسلت معها هدية من المسك وهي الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وقد قيل أخت الصحري ملاطفة تصدها غير أنها لا تحتاج الى نفثها ولا الى عقدتها وما من قلب الا وصورتها تجلي عليه في سرقة ولو اشرف مكانها الماحلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة ولها صفات غير هذه كريمة الاخطار حسنة لدى الاسماع والابصار ومن أحسنها أنها تستجدوذا وتجعل قربا مكان بعدا وتقول لنا نار الاحنة يا نار كوني بردا ولهذا قيل تهادوا وتحايوا ولا شك أنها واصله بين المودات فاذا توأصل الناس تقاربوا وقد أرسل الخادم منها شيئا اذا كتبه ذاع واذا خزته ضاع وقد شبه به الجليس الصالح بعدد أسباب الانتفاع وبما زاد منزلة على منيته أنه وشيم المولى توأمان غير أن شيمته تنتمى الى كرم محمدها وهو ينتمى الى سرر الغزلان فاذا ورد على مجلسه قيل هذا عطر وورد على جونة عطار وعرف له حق المشاركة فان أدنى الشرك في الشيم جوار وقد نطق الخبر النبوي بأنه أحد الثلاثة التي لا ترد على من أهداها واذا نظر الى محصول بقائها وفائدتها وجد أطولها عمرا وأجداها وهذا يحكم على المولى بقبول ما استرسل الخادم في ارساله واذا سأل غيره في قبول هديته كفاه نص الخبر مؤنة سؤاله والسلام وهذه الرقعة أحسن من التي قبلها (فما اشتملت عليه من المعاني) قولي وما من قلب الا وصورتها تجلي عليه في سرقة ولو اشرف مكانها الماحلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة وهذان المعنيان مستخرجان من خبرين نبويين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام ومعه سرقة من حرير يعنى حريرة بيضاء وفيها صورة عائشة رضيت الله تعالى عنها وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة والخبر الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حرمت على الصدقة وأحللت لي الهدية (ومما اشتملت عليه أيضا) قولي وقد أرسل الخادم منها

شأ إذا كتمه ذاع وإذا خزنه ضاع وهذه مغالطة حسنة لأن المسك إذا كتم ذاعت
 رائحته وإذا خزن ضاع أي فاح ويقال ضاع الشيء إذا ذهب فالمغالطة ههنا
 في الجمع بين الضدين (وكذلك) قولي وقد شبه به الجليس الصالح وهذا مستخرج
 من الخبر النبوي أيضا وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل
 حامل المسك أما أن يخذيك وأما أن يتبتاع منه وأما أن تجدمنه عرفا طيبا ومثل
 جليس السوء مثل نافخ الكبر أما أن يحرق ثوبك وأما أن تجدمنه رائحة كريهة
 (ومما اشتملت عليه) من المعاني أيضا قولي أنه أحد الثلاثة التي لا ترد على من
 أهداها وهذا مستخرج من الخبر النبوي أيضا وهو قوله صلى الله عليه وسلم
 ثلاثة لا ترد الطيب والريحان والدهن (ومن ذلك) رقعة كلفني بعض أصدقائي
 املاءها عليه وهي رقعة من عاشق إلى معشوق وهي

وأذا قيل من تحب تخطا * لئلا ساني وأنت في القلب ذاك

يا من لا أمميه ولا أكنيه وأذكر غيره وهو الذي أعنيه لا تكن ممن أوتى ملكا فلم
 ينظر في زواله وعرف مكانه من القلوب فخار في ادلاله ولا تغتر بقول من رأى
 الحسن للإساءة ماحيا واعلم أن اللاسحى يقول كفى بالتذلل لاحيا وكثيرا ما يزول
 العشق بجنائيات الصدود والزيادة في الحدت نقصان في المحدود وقد قيل إن الحسن
 عليه زكاة كزكاة المال وليست زكاته عند علماء المهبة الا عبارة عن الوصال
 وهذه صدقة تقسم على أربابها ولا ينتظر أن يحول الحول في إيجابها فهي
 مستمرة على تجدد الايام والمستحقون لها قسم واحد ولا يقال انهم ثمانية أقسام
 هؤلاء هم المخصوصون بفك الرقاب ورقبة العشق أشد أسرا من رقبة تحترق
 بالكتاب فأخرج يا مولاي من هذا الحق الواجب والافتات لطاب مني ومطالب
 ولا تقل هذا غريم أكثر عد اللبالي في مطلقه وأعدده المواعيد زاد لمنله فهذه
 سلعة قد عاملتني به امرأة ساخر او مرة ساحرا ومن الاقوال السائرة أن الغر تجعله
 التجربة ما هرا واعمرى ان ممارسة الحب تجدد صاحبها علمه وتبصره وان
 كان كما يقال أعشى وقد كذب القائل

عرضن للذي تحب بحب * ثم دعه يروضه ابليس

فان كانت الرياضة كما قيل لابليس فما أراه صنع في الذي صنع وأراك
 استعصيت عليه استعصاء القارح وأنت جذع ولا شك أنك لم يدم ما يشيده من

البناء أو أنك مستثنى في جملة من دخل في حكم الاستثناء وأنا الآن له عاتب
وعليه عاتب فأين نفضاته التي هي أخدع من الحياتل وأين قوله لا تينهم عن
الايان والشمائل وأين جنوده المسترقة ما في السما التي تجرى من بني آدم مجرى
الدماء وكل هذا قد بطل عندى خبره كما بطل عندى أثره فان أدركته النخوة بأني
أستهزى بتصديق أفعاله فليجمل معقول حاجتي هذه حتى أعلم أنه قادر على حل
عقاله والافليخف راسه وليمح وسواسه وان كان له عرش على البحر فليقوض
من عرشه وليعلم أن الصحرايس في عقده ونفته واسكنه في الاصفرو نقتسه
وها أنا قد بعثت منه ما يجعل العزم محلولا والودع مبدولا وما أقول الا اني
بعثت معشوقا الى معشوق وكلاهما محله القلب بل القلب من جهة ما مخلوق
وما أكرمه وهو وسيلة الى مثله وحسنه من حسنه وان لم يكن شكله من شكله
وما وصفه واصف الا كان مارا منه فوق مارواه ومن أغرب أوصافه وأحسنها
أنه لم يرد ووجهين وجيهما سواء لاجرم أنه اذا أسفر في أمر تلتطف في فتح أبوابه
وتناول وعره فبثله بسهولة وبعدده فبثله باقترايه ولو بعثت غيره خلفت أن
لا يصحكون في سفارته صادقا أو أنه كان يمضي سفيرا ويعود عاشقا فليس على
الحسن أمارة وفي مثله تعذر الخيانة والالوم على العقول اذا نسبت هناك عزية
رشدها ورأت ما لا يحتمله كاهل جهدها ومن الذي يقوى درعه على تلك السهام
أو بروم النجاة منها وقد حيل بينه وبين المرام وهذا الذي منعتني أن أرسل الا كيسا
وكابا فأحدهما يكون في السفارة والآخر على السر حجابا والسلام ان شاء
الله تعالى (وفي هذه الرقعة) من المعاني الغريبة ما أذكره فالاول ما ذكرته في قسم
الصدقات وقد الرقاب والثاني ما ذكرته في وصف الدينار وهو أنه وجه
ذو وجهين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون وجهها وهذا معني
لم يسبقني أحد اليه وقد وصف الحريري الدينار في مقامة من مقاماته ولم يظفر
بهذا المعنى ولا جاء من الاوصاف التي ذكرها مثله والثالث أني بعثت معشوقا
الى معشوق (ومن ذلك ما كتبت) وكان فوفيت زوجة بعض المولك وتوفي معها ولد
لها وهو طفل صغير وكان بينهما يومان وتلك المرأة بنت ملك من المولك أيضا فكتب
اليه من الاطراف المهاورة يعزونه وحضر عندى بعض الادباء ممن يجب أن يكون
كاتباً وعرض على نسخة ما كتبت به ذلك الملك في التعزية بزوجه وولدها

فوجدتها كتابا باردة غنة لا تعرب عن الحادثة بل بينها وبينها بعد المشرقين
 ومن شرط الكتابة أن يكون الكتاب مضمنا فاض المعنى المقصود والتعازي
 مختلفة الانحاء فتعازي النساء غير تعازي الرجال وهي من مستصعبات فن
 الكتابة والشعر وتعازي الرجال أيضا تختلف فلا يعزى بالبيت على فراشه كما يعزى
 بالبيت قتيلا ولا يعزى بالقتيل كما يعزى بالغريق وهكذا يجري الحكم في
 المعاني جميعها وهذا شيء لا يتنبه له الا الراسخون في هذا الفن من أرباب الثمر
 والنظم وسألني ذلك الرجل عن هذه التعزية المشار اليها في المرأة وولدها الصغير
 وقال أحب أن أعلم كيف تكون فأملت عليه ثلاثة كتب كل كتاب يتضمن معنى
 لا يتضمنه الكتاب الآخر (فما جاء منها) كتاب أنفا ذكره ههنا وهو أتصبي
 التعازي ما أتبع فيه المفقود وبعده لاسيما إذا جمع بين سعد الاخبية وسعد
 السعود وكل منهما يعظم حزنا كما يعظم مكانا وهذا يحسر عن الوجوه خرا وهذا
 يلقى عن الرؤس تيجانا ولم يوفهما حقهما من بكى ولا من ندب ولا من شعر ولا من
 كتب وليت فدى أحدهما بصاحبه فعاش درهما المفدى بالذهب
 ولو كان خطيبا واحدا خف كلمة ولكن خطب أعيد على خطب
 وقد أصدر الخادم كتابه هذا ومن حقه أن يخرج في ثوب من الحداد وان يتعزى في
 أذيال كلبه والكتاب عنوان الفؤاد ونغاية ما يقول أحسن الله عزاء المجلس السامى
 الملك الاجل السيد على أن هذا الدعاء قد شهدت الحال بلحنه وكيف يملك قلبه
 عزاء وقد أوثقه الهم في سجنه وصار له ولدا دون ولده وخذنا دون خذنه لكن
 يدعى له بامتداد البقاء وأن تعامله الجرادث بعد هذه معاملة الابقاء ثم تتبع ذلك
 بطلب الجنة لمن نقلته المنايا عن أرائك الحذور وجعلته في بطون القبور ولمن
 فاجأت الايام غصنه فقصفته ولم يعش حتى عرف الدنيا ولا عرفته فواها الهما
 وقد نزلنا جنز عديم الايناس وان كان مأهولا بأكثر الناس فهو القريب دارا
 البعيد من ارا الذي يحجب من اليأس بأمنع حجاب وذهب عن الوجوه المنجمة
 لذل التراب فمن كان مسعدا للمجاس فليأخذ بوله الجزع لا بعزيمة الاصطبار
 وليقل هذا حدث بان فيه تحامل الاقدار وجرت همومه مجرى الخواطر من
 لقلوب والرقاد من الابصار فالاسوة الا فيه معدودة من الاحسان والسوة
 الاعنه داخله في حيز الامكان والخادم أولى من لقي المجلس فيه بالاسعاد وقام

بما يجب من قضاء حق الوداد وفعل ما يفعله القريب الحاضر وان كان على شقة
 من البعاد وقد أرسل من يتوب عنه في التعزية وان لم يكف فيه المناب وكارخص
 العذر في قصر الصلاة فكذلك رخص في الاقتصار على الرسول والكتاب وقد و
 لوحض بنفسه فاستسقى لذلك الضريح صحابا وعقر عنده ركبا وسأل الله له مغفرة
 وتوايا والسلام (في هذا الكتاب معنى غريب) وهو قول سعد الاخبية كناية
 عن المرأة وسعد السعود كناية عن ولدها لان سعد الاخبية اسم منزلة من منازل
 القمر والاخبية جمع خباء ومن شأن المرأة أن تحتجب في الاخبية فهي سعداها
 وهذا من المعاني الغريبة في مثل هذا المقصد وقد اتفق سعد الاخبية وسعد
 السعود معا وهذا أيضا غريب (ومن ذلك) أني كتبت كتابا عن الملك الأفضل على
 بن يوسف الى أخيه الملك الظاهر غازي بن يوسف صاحب صاحب في أمر شخص
 كان أبوه صاحب مدينة تكريت وهذه تكريت كان يتولاها قديما الامير
 أيوب جد الملك الأفضل والملك الظاهر وأولدها ولد صلاح الدين يوسف أباهما
 وعلى عقب ولادته انتقل والده عن تكريت هو وعشيرته لامر طرأ لهم وجاء الى
 الموصل ثم الى الشام وهناك سعدوا وكانت السعادة على يد صلاح الدين يوسف فلما
 أردت أن أكتب هذا الكتاب علمت أنه مظنة المعاني المبتدعة لان الامر المكتوب
 فيه غريب لم يقع مثله فينتد كتبت هذا الكتاب وهو رجع الله شأن مولانا الملك
 الظاهر ولا زال الدهر فاخر اجما ترسلطانه ناظما مناقبه في جيده ومحمد في
 لسانه ناسخا بمساعي دواته ما تقدم من مساعي آل بويه وآل حمداته كتاب الخادم
 هذا وارد من يد الامير شمس الدين ابن صاحب تكريت وهي أول أرض مس
 جلد الوالد تراها ورقت بها السعادة على جبينه كتابها ومنها ظهر نور البيت
 الايوبي مشرقا وأشام اذ خرج معرقا وكناه بذلك وسيله يكتنفها الاحسان
 والارعاء ويكفي صاحبها أن يقول لأسقى حتى يصدر الرعاء وقد قرنم ابوسيله قصد
 الخدمة التي توجب اقاصدها ذماما وتقول له سلاما اذا قال سلاما ثم ثلث هاتين
 الوسيلتين بكتاب الخادم أخذ بالسننة النبوية في الدعاء وعدده وتفاؤلا بتلث
 النجوم فيما يقصده المرء من سعادة مقصده ولا قدح في كرم الكريم اذا استكثر
 طالبه من الاسباب فان الله على كرمه قد استكثر اليه من أعمال الثواب وكتاب
 الخادم على انفراد كافي لحامله ومكثر من حقوق وسائله وقد صدر بخاطبا عن

فغوى ضميره فانما تحق السفارة اذا قعد بكل طالب سعى سفيه وهو مع ذلك خفيفة
 صفحته وجيزة لمحتة واذا وجد لى مولانا معولا فليس عليه أن يرد مطولا. اذ
 التعويل على نخب مصدره لاعلى كثرة أسطره (فانظر) أيها المتأمل الى هذا الكتاب
 وأعطه حقه من التأمل حتى ترى ما شتمل عليه من المعاني وانظر كيف ذكرت
 الاول ثم الثاني ثم الثالث أما المعنى الاول فانه يختص بك سعادة البيت الايوبى
 ومنشئها وأنها ولدت بتكريرت وهذا الرجل ينبغى أن يرعى بسببهم اذ كان أبوه
 صاحبها وأما المعنى الثاني فانه قصد الخدمة الظاهرية وهذا وسيلة ثانوية
 فوجب له ذماما وأما المعنى الثالث فانه حرمة الكتاب الصادر على يده ثم اتى
 منلت ذلك بالدعاء النبوى وتبليث النجوم فان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا
 دعا ثلاثا وانما مثلت ذلك بالدعاء لاهرين أحدهما أنه موضع سؤال
 وضراعة والاخر أن الكتاب وسيلة ثالثة والدعاء ثلاث مرار وأما تبليث
 النجوم فان التبليث سعد والتربيع نحس وأحسن المعانى الثلاثة التى تضمنها هذا
 الكتاب هو الاول والثالث وأما الثانى فانه متداول فتأمل ما أثرت اليه
 واذا شئت أن تكتب كتابا فافعل كما فعلت فى هذا الكتاب ان كان الامر الذى
 تكتب فيه غريب الوقوع (واعلم) أنه قد يقع المعنى المبتدع فى غير أمر غريب
 الوقوع وذلك يكون قليلا بالنسبة الى الوقائع الغريبة التى هى مظنة المعانى
 المبتدعة (ومن هذا الباب) ما أوردته فى جملة رسالة طردية فى وصف قسى البندق
 وحاملها وهو فاذا تناولوها فى أيديهم قيل أهله طالعة من أكف أقمار واذا
 مثل غناؤها وغناؤها وهم قيل منها يامسوقه بأيدى أقدار وتلك قسى وضعت
 للعب للالنضال ولردى الاطيار لالردى الرجال واذا نعتها ناعت قال انها جعت
 بين وصنى اللين والصلابة وصنعت من نوعين غريبين فخازت معنى الغرابة
 فهى مركبة من حيوان ونبات مؤلفة منهما على بعد الشتات فهذا
 من سكان البحر وسواحه وهذا من سكان البر ومجاهاه ومن صفاتها أنها
 لا تمكن من البطش الا حين تشد ولا تنطلق فى شأنها الا حين تعطف وترد ولها
 نشار أحكم تصويرها وصح تدويرها فهى فى لونها صندلية الالهاب وكانما
 صيغت لقوتها من حجر لامن تراب فاذا قدفتها الى الاطيار قيل ويصعد من
 الارض من جبال فيها من برد ولا يرى حينئذ الا قميل ولكن بالثقل الذى

لا يجب في مثله قود فهي كافلة من تلك الاطيار بقبض نفوسها منزلة لها من جود
السماء على اتم روسها (هذا الفصل) يشتمل على معاني غريبة منها قولى انها
لا تمكن من البطش الا حين تشق ولا تنطلق في شأنها الا حين تعطف وترد ومنها
قولى ويصعد من الارض من جبال فيها من برد وكل هذا من المعاني التي تبدع
بالنظر الى المقصد المكتوب فيه فان الكاتب اذا فكر فيما لديه وتأمله وكان قادرا
على استخراج المعنى والمناسبة بينه وبين مقصده جاء هكذا كما تراه الا ان القادر على
ذلك من اقداره الله عليه فما كل خاطر حكيم ولا كل من أوحى اليه بكلم وفي
الاقلام هاشم بن ناواه ومنها هشيم (وسأنبه في هذا الموضع) على طريقين يسلك
الى شئ من المعاني المخترعة وهو ما استخراجته وانفردت باستخراجها دون غيري
فان المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالاشارة الى طريق يسلك فيها الا ان ذلك مما
لا يمكن ومن ههنا ضرب علماء البيان عنه ولم يتكلم وافيه كما تكلموا في غيره
وكيف تتعبد المعاني المخترعة بقبض أو يفتح اليها طريق تسلك وهي تأتي من قبض
الهي بغير تعليم ولهذا اختص به بعض الناظرين والناظرين دون بعض والذي
يختص به يكون فذا واحدا او جادا في الزمن المتطاوول ولما مارست أنا هذا
الثن أعنى فن الكتابة وقلبته نظهر البطن وقتشت عن دقائقه وخباياه وأكثر
من تحصيله واداه والاسباب الموصلة الى الغاية منه منحلى في شئ من المعاني
المخترعة طريق سلكته وهو يستخرج من كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه
صلوات الله عليه وسلامه وقد تقدم لي منه أمثلة في هذا الكتاب وذلك أنه ترد
الآية من كتاب الله وأحاديث النبوى والمراد به ما معنى من المعاني فأتخذ
أنا ذلك وأنقله الى معنى آخر فيصير مخترعا على وسأورد ههنا منه نبذة يسيرة يعلم
منها كيف فعلت حتى يسلك اليها في الطريق الذي سلكته (فن ذلك) قصة
أصحاب الكهف والرقيم فاني أخذت ذلك ونقلته الى الاحسان والشكر
ألا ترى أن الاحسان يستعار له كهف وكنف وظل وأشياء ذلك والشكر
كلمات تقال في التنويه بذكر المحسن واحسانه والرقيم هو الكتاب المكتوب
فهو والشكر متمثلان والذي أتيت به قد أوردته وهو فصل من كتاب الى
بعض المنعمين الخادم يشكر احسان المولى الذي ظل عنده مقبلا وغدا
بخطابه زعيما وأصبح يتوالى اليه مغرما كما أصبح له غريبا ولما تمثل في الاشتغال

عليه كه فاصار شكره فيه رقيما فانظر كيف فعلت في هذا الموضع لتعلم اني
قد فحنت لك فيه طريقا تسلكه (وأما الحديث النبوي) فاني أخذت قصة قتلى
يدرسك أبي جهل وعتبة وشيبة وغيرهم ونقلتها الى القلم وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم وقف على القلب الذي ألقاهم فيه وناداهم باسمائهم فقال
يا عتبة يا شيبة يا أبا جهل يا فلان يا فلان والحديث مشهور فلا حاجة الى استقصائه
والذي أنبت به في وصف القلم هو أني قلت واقد مرح القلم في يدي وحق له أن
يمرح وأبدع فيما أتى به وكل انا بالذي فيه ينضح ومن شأنه أن يستقل على
أعواد المنبر فلا ينتهي من خطبتها الى فصلها ويقف على جانب القلب الا أنه
لا ينادي من المعاني أبا جهلها فالدواة قلب والقلم يقف عليه والمعاني التي ينشأها
من باب العلم لا من باب الجهل فتأمل هذه الكلمات التي ذكرتها فانها الطيفة جدا
وهي مخترعة لي وهذا القدر كاف في طريق التعليم فليحذو هذا وان أمكن
والله الموفق للصواب (وأما الضرب الاخر) من المعاني وهو الذي يحتذى
فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة
ولذلك قال عنتره * هل غادر الشعراء من متردم * الا أنه لا ينبغي أن يرمى
هذا القول في الاذهان لئلا يؤيس من الترقى الى درجة الاختراع بل يعول
على القول المطمع في ذلك وهو قول أبي تمام

لازلت من شكري في حلة * لا بسم اذ وسلب فاخر

يقول من تفرع أوعامه * كم ترك الاوّل للاخر

وعلى الحقيقة فان في زوايا الافكار خبايا وفي أركان الخواطر سببا لئلا يكن قد
تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار قصارى الاخر ان يتبع الاوّل وليته
تبعه ولم يقصر عنه تقصيرا فاحشا (ووقفت على كتاب) يقال له مقدمة ابن أفلح
البغدادي قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة وللعراقيين بها
عناية وهم واصفون لها ومكسبون عليها ولما تأملتها وجدتها قشورا لآل
تحتها الان غاية ما عند الرجل أن يقول وأما الفصاحة فانها كقول النابغة مثلا
أو كقول الأعشى أو غيرهما ثم يذكر بيتا من الشعر أو آياتا وما بهذا تعرف
حقيقة الفصاحة حتى اذا وردت في كلام عرفنا أنه فصيح بما عرفنا من حقيقة
الموجودة فيه وكذلك يقول في غير الفصاحة (ومن أعجب) ما وجدته في كتابه

قوله في حلة في الدوان في نعمة اه

أنه قال أما المعاني المتبدعة فليس للعرب منها شيء وإنما اختص بها المحدثون ثم ذكر للمحدثين معاني وقال هذا المعنى لفلان وهو غريب وهذا القول لفلان وهو غريب وتلك الأقوال التي خص قائلها بأنهم ابتدعوها قد سبقوا إليها فاما أن يكون غير عارف بالمعنى الغريب وأما أنه لم يقف على أقوال الناظمين والناثرين ولا يجرفها حتى عرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر وأما قوله أنه ليس للعرب معنى مبتدع وإنما هو للمحدثين فيا ليت شعري من السابق إلى المعاني من تقدم زمانه أم من تأخر زمانه (وأنا أورد ههنا) ما يستدل به على بطلان ما ذكره وذلك أنه قد ورد من المعاني أن صور المنازل تمثلت في القلوب فاذا عفت آثارها لم تعف صورها من القلوب وأقول من أتى بذلك العرب فقال الحرث بن خالد من أبيات الحماسة

أني وإن نحر وأغدا متي * عند الجمار يؤدها العقل
لوجدت أعلى مساكنها * سفلا وأصبح سفلها يعالو
لعرفت مغناها بما ضمنت * مني الضلوع لاهلها قبيل
ثم جاء المحدثون من بعدهم فأنسجوا على ذيله وحذوا حذوه فقال أبو تمام
وقفت واحشائي منازل للاسي * به وهو قفر قد تعفت منزله
(وقال البحتري)

عفت الرسوم وما عفت أحشاؤه * من عهد شوق ما تحول فتذهب
وقال المتنبي لك يا منازل في القلوب منازل * أقفرت أنت وهن منك أو اهل
وهذا المعنى قد تدأوله الشعراء حتى أنه ما من شاعر إلا ويأتى به في شعره (وكذلك)
ورد لبعضهم من شعراء الحماسة

أناخ اللوم وسط بخي رماح * مطيته وأقسم لا يريم
كذلك كل ذي سفر إذا ما * تناهى عند غايته بقيم
وهذان البيتان من أبيات المعاني المتبدعة وعلى أثرهما من شعراء
(وكذلك) ورد لبعضهم في شعر الحماسة
تركت ضائي نود الذئب راعيها * وأنها لا تراني آخر الأبد
الذئب بطرقها في الدهر واحدة * وكل يوم تراني مدينة بيدي
(وكذلك) ورد قول الآخر

قوم اذا ما جنا جانيهم وامنوا • للوم احسابهم ان يقتلوا قودا
 وكم للعرب من هذه المعاني التي سبقوا اليها (ومن أدل الدليل) على فساد ما ذهب
 اليه من أن المحدثين هم المختصون بآية - ادع المعاني أن أول من بكى على الديار
 في شعره رجل يقال له ابن حرام وكان هو المبتدى له - هذا المعنى أولا وقد ذكره
 امرؤ القيس في شعره فقال

عوجا على الطلل انخيل اعلنا • نبيكي الديار كما بكى ابن حرام

وقد أجمع نفعه الاشعار أن لامرئ القيس في صفات الفرس أشياء كثيرة لم يسبق
 اليها ولا قبلت من قبله ويكفي من هذا كله ما قدمت القول فيه وهو أن العرب
 السابقون بالشعر وزمانهم هو الأول فكيف يقال ان المتأخرين هم السابقون
 الى المعاني وفي هذه الامثلة التي أوردتها كفاية في نقض ما ذكره ولو قال
 ان المحدثين أكثر ادعاء الله ما في والطف مأخذا وأدق نظر الكان قوله صوابا
 لان المحدثين عظم الملائك الاسلامي في زمانهم ورأوا ما لم يره المتقدمون وقد قيل
 ان الله افتتح اللهها وهو كذلك فان تفاق السوق جلاب (وقد رأيت جماعة)
 من متخاتي هذه الصناعة يجعلون همهم مقصورا على الالفاظ التي لا حاصل
 وراءها ولا كبير معنى تحتها واذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أي وجه كان
 من الغثاثة والبرديعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم ولا يشك في أنه صار كاتباً مفلحاً
 واذا نظر الى كتاب زماننا وجدوا كذلك فقاتل الله القلم الذي يمشي في أيدي
 الجهال الانحمار ولا يعلم أنه كجواد يمشي تحت حمار ولو أنه لا يتناول اليه الا أهله
 لبان الفاضل من الناقص على أنه كالرغ الذي اذا اعتقله حامله بين الصفتين
 بان به المقدم من الناكص وقد أصبح اليوم في يد قوم هم أحوج من صبيان
 المكاتب الى التعليم وقد قيل ان الجهل بالجهل داء لا ينتهي اليه سقم السقيم
 وهؤلاء لا ذنب لهم لانهم لو لم يستخدموا في الدول ويستكتبوا والا ما ظهرت
 جهالتهم وفي أمثال العوام لا تعرف الا حق شيأ فيظننه له وكذلك يجري الامر مع
 هؤلاء فانهم استكتبوا في الدول فظنوا أن الكتابة قد صارت لهم بأمر حق واجب
 (ومن أعجب الاشياء) أني لا أرى الاطامعا في هذا الفن مدعياله على خلقه
 عن تحصيل آياته واسبابه ولا أرى أحدا يطعم في فن من الفنون غيره ولا يتدعيه
 هذا وهو بحر لا ساحل له يحتاج صاحبه الى تحصيل علوم كثيرة حتى ينتهي اليه

ويحتوى عليه فسيحان الله هل يدعى بعض هؤلاء أنه فقيه أو طبيب أو حاسب
أو غير ذلك من غير أن يحصل آلات ذلك ويتقن معرفتها فإذا كان العلم
الواحد من هذه العلوم الذى يمكن تحصيله في سنة أو سنتين من الزمان لا يدعيه
أحد من هؤلاء فكيف يجيب إلى فن الكتابة وهو ما لا تحصل معرفته إلا في سنين
كثيرة فيدعيه وهو جاهل به (ومما رأيت من المدعين) لهذا الفن الذين حصلوا
منه على القشور وقصروا معرفتهم على الالفاظ المسجوعة الغثة التى لا حاصل
وراءها أنهم إذا أنكرت هذه الحال عليهم وقيل لهم إن الكلام المسجوع ليس
عبارة عن نواطى الفقر على حرف واحد فقط إذ لو كان عبارة عن هذا وحده
لا يمكن أكثر الناس أن يأثوبه من غير كلغة وانما هو أمر ورأى هذا وله شروط
متعددة فإذا سمعوا ذلك أنكروا وطلوهم عن معرفته ثم لو عرفوه وأثوبه
على الوجه الحسن من اختيار الالفاظ المسجوعة لاحتاجوا إلى شرط آخر قد
نبت عليه في باب السجع وإذا أنكروا عليهم الاقتصار على الالفاظ المسجوعة
وهدوا إلى طريق المعاني يقولون لنا أسوة بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة
فانهم انما اعتنوا بالالفاظ ولم يمتنوا بالمعاني اعتناء كما بها فلم يكفهم جهلهم فيما
ارتكبوه حتى ادعوا الاسوة بالعرب فيه فصارت جهالتهم جهالتين (ولنذكر
ههنا) في الرد عليهم ما اذا تأمله الناظر في كتابنا عرف منه ما يؤثقه ويذهب به
الاستحسان كل مذهب (فنقول) اعلم أن العرب كما كانت تعتنى بالالفاظ
قتصلها وتهذبها فان المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا
في نفوسها فأقول ذلك عنانيها بالفاظها لانها لما كانت عنوان معانيها
وطريقها إلى اظهار أغراضها أصلها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك
أوقع لها في النفس وأذهب بها في الدلالة على القصد ألا ترى أن الكلام إذا كان
مسجوعا لئلا يسمع فلفظه وإذا لم يكن مسجوعا لم يأثر به أنه في حالة السجع
فإذا رأيت العرب قد أصلحوا الالفاظ وحسنوها ورققوا حواشيها ومقلوا
أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك انما هي بالفاظ فقط بل هي خدمة منهم
للمعاني وتطهير ذلك ابراز صورة الحسناء في الحلال الموشية والاثواب المحجرة فانا
قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه من حسنه بذاته لفظه وسوء العبارة عنه
(فان قيل) ان ترى من الالفاظ العرب ما قد حسنته وزخرفوه واسننا

نرى تحته مع ذلك معنى شريفاً ما جاء منه قول بعضهم
 ولما قضينا من معنى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ما مسح
 أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطى الاباطح
 ألا ترى الى حسن هذا اللفظ وصقالته وتديج أجزائه ومعناه مع ذلك ليس
 مدانيه ولا مقاربا فانه انما هو لما فرغنا من الحجج بيننا الطريق راجعين
 وتحذرتنا على ظهور الابل ولهذا نظائر كثيرة شريفة الالفاظ خسيصة المعاني
 (فالجواب عن ذلك) أنا نقول هذا الموضع قد سبق الى التشبث به من لم يتم النظر
 فيه ولا رأى ما رآه القوم وانما ذلك لطفاء طبع الناظر وعدم معرفته وهو أن
 في قول هذا الشاعر كل حاجة مما تستفيد منه أهل التسيب والرقه والاهواء
 والمقة ما لا يستفيده غيرهم ولا يشاركونهم فيه من ليس منهم ألا ترى أن حوائج
 معنى أشياء كثيرة فتم التلاقي ومنها التشاكي ومنها التخلي للاجتماع الى غير
 ذلك مما هو تازله ومعهود الكون به فكان الشاعر صانع عن هذا الموضع الذي
 أو ماله وعقد عرضه عليه بقوله في آخر البيت ومسح بالاركان من هو ما مسح
 أي انما كانت حوائجنا التي قضيناها وآرابنا التي بلغناها من هذا النحو الذي
 هو مسح الاركان وما هو لاحق به وجار في القرية من الله مجراه أي لم تتعد هذا
 القدر المذكور الى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجارى مجرى التصريح
 وأما البيت الثاني فان فيه أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وفي هذا ما تذكره
 لتعجب به وبين عجب منه ووضع من معناه وذلك أنه لو قال أخذنا في أحاديثنا
 أو نحو ذلك لكان فيه ما يكبره أهل التسيب فانه قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم
 علو قدر الحديث بين الالفين والجدل يجمع شمل المتواصلين ألا ترى الى قول
 بعضهم وحديثي يأسد عنهما فزدتني * جنونا فزدني من حديثك يأسد
 وقول الآخر وحديثها السهر الحلال لو أنه * لم يجن قتيل المسلم المتحسّر
 فاذا كان قدر الحديث عندهم على ما ترى فكيف به اذا قيده بقوله أخذنا
 بأطراف الاحاديث فان في ذلك وحيا خفيا ورعا حلوا ألا ترى أنه قد يريد
 بأطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفادونه ذوو الصبابة من التعريض والتلويح
 والايحاء دون التصريح وذلك أحلى وأطيب وأغزل وأنسب من أن يكون
 كشافا ومصارحة وجهرا وان كان الامر كذلك فعنى هذين البيتين أعلى عندهم

وأشدّ تقدماً في نفوسهم من لفظها وان عذب ولذا مستمه نعم في قول الشاعر
وسات باعناق المطى الاباطح من اطاقة المعنى وحسنه ما لا يخفاه به وسائيه
على ذلك فاقول ان هؤلاء القوم لما تحذوا وهم سائرون على المطايا اشغلتهم
لذة الحديث عن امساك الازمة فاسترخت عن أيديهم وكذلك شأن من
يشره وتغلبه الشهوة في أمر من الامور ولما كان الامر كذلك وارتخت الازمة
عن الايدي أسرع المطايا في المسير فشبهت أعناقها بمرور السيل على وجه
الارض في سرعته وهذا موضع كريم حسن لا مزيد على حسنه والذي لا ينعم
نظرة فيه لا يعلم ما اشتغل عليه من المعنى فالعرب انما تحسن الفاظها وتزخر بها
عناية منها بالمعاني التي تحتها فالفاظ اذا خدم المعاني والمخدوم لا شك أشرف
من الخادم فاعرف ذلك وقس عليه (النوع الاقل في الاستعارة) ولنقدم قبل
الكلام في هذا الموضوع قولاً جامعاً فنقول اعلم ان للنصاحة والبلاغة أو صافاً
خاصة وأوصافاً عامة فالخاصة كالتهجيس فيما يرجع الى اللفظ وكإطابقة فيما
يرجع الى المعنى وأما العامة فكالسجع فيما يرجع الى اللفظ وكالاستعارة
فما يرجع الى المعنى وهذا الموضوع الذي نحن بصدد ذكره وهو الاستعارة كثير
الاشكال غامض الخفاء * وسأورد في كتابي هذا ما استخرجته ولم أسمع فيه قولاً
لغيري وكنت قد تمت القول في الفصل السابع من مقدمة الكتاب فيما يختص
بأبيات الجواز والرد على من ذهب الى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وأقت
الدليل على ذلك ولا حاجة الى اعادته فهنا بل الذي أذكره هنا هو ما يختص
بالاستعارة التي هي جزء من الجواز ولم سميت بهذا الاسم وكشفت عن حقيقتها
وميزتها عن التشبيه المضمرة الاداة والكلام في هذا يحتاج الى اعادة ذكر الجواز
وادخاله فيه ليتقرر ويتبين والذي انكشف لي بالنظر الصحيح أن الجواز ينقسم
قسمين توسع في الكلام وتشبيهه والتشبيه ضربان تشبيه تام وتشبيه محذوف
فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه
دون المشبه به ويسمى استعارة وهذا الاسم وضع للفرق بينه وبين التشبيه التام
والاف كلاهما يجوز أن يطلق عليه اسم التشبيه ويجوز أن يطلق عليه اسم
الاستعارة لاشتراكهما في المعنى وأما التوسع فانه يذكر للتصريح في اللغة
لألفائدة أخرى وان شئت قلت ان الجواز ينقسم الى توسع في الكلام وتشبيهه

الاستعارة

واستعارة ولا يخرج عن أحد هذه الاقسام الثلاثة فأيهما وجد كان مجازا
(قان قيل) ان التوسع شامل لهذه الاقسام الثلاثة لان الخروج من الحقيقة الى
المجاز اتساع في الاستعمال (قلت في الجواب) ان التوسع في التشبيه والاستعارة
يأتى ضمنا وتبعاً وان لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالها وأما القسم الاخر
الذى هو لا تشبيه ولا استعارة فان السبب في استعماله هو طلب التوسع لا غير
وبيان ذلك أنه قد ثبت أن المجاز فرع عن الحقيقة وأن الحقيقة هي الاصل وإنما
يعدل عن الاصل الى الفرع لسبب اقتضاه وذلك السبب الذى يعدل فيه عن
الحقيقة الى المجاز اما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول اليه في وصف من
الاصناف واما أن يكون لغير مشاركة فان كان لمشاركة فاما أن يذكر المنقول
والمنقول اليه معا واما أن يذكر المنقول اليه دون المنقول فان ذكر المنقول
والمنقول اليه معا كان ذلك تشبيهاً والتشبيه تشبيهان تشبيهه مظهر الاداة
كقولنا زيد كالاسد وتشبيهه مضمراً الاداة كقولنا زيد اسد وهذا التشبيه المضمراً
الاداة قد دخله قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض وسأوضح
وجه الخطا فيه وأحقق القول في الفرق بينهما ما تحققتنا جلياً (فأقول) أما
التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة بنا الى ذكره هنا لانه معلوم لا خلاف فيه لكن
تذكر التشبيه المضمراً الاداة الذى وقع فيه الخلف فنقول اذا ذكر المنقول
والمنقول اليه على أنه تشبيه مضمراً الاداة قيل فيه زيداً سداً أى كالاسد فأداة
التشبيه فيه مضمرة واذا أظهرت حسن ظهورها ولم تقدرح في الكلام الذى
أظهرت فيه ولا تزال عنه فصاحة ولا بلاغة وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه
دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور اداة التشبيه ومتى أظهرت أزالته عن
ذلك الكلام ما كان متصفاً به من جنس فصاحة وبلاغة وهذا هو الاستعارة
ولنضرب لك مثلاً نوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاً ان نهضت لحاجتها * عجل القضيبي وأبطأ الدعص

وهذا قد ذكر فيه المنقول اليه دون المنقول لان تقديره عجل قد كالتضيبي وأبطأ
ردف كالدعص وبين اراده على هذا التقدير وبين اراده على هيئته في البيت
يون بعيد في الحسن والملاحة والفرق اذا بين التشبيه المضمراً الاداة بحسن اظهار
أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها وعلى هذا فان الاستعارة

لا تكون الابهيت بطوى ذكر المستعاره الذى هو المنقول اليه ويكتفى بذكر
المستعار الذى هو المنقول (فان قيل) لان سلم أن الفرق بين التشبيه وبين
الاستعارة ما ذهبت اليه بل الفرق بينهما أن التشبيه انما يكون بأدائه كالسكاف
وكان وما جرى مجراها فما لم يظهر فيه أداة التشبيه لا يكون تشبيها وانما يكون
استعارة فاذا قلنا زيد اسد كان ذلك استعارة واذا قلنا زيد كالاسد كان ذلك
تشبيها (قلت في الجواب) عن ذلك اذا لم يجعل قولنا زيد اسد تشبيها مضمرا لأداة
استعمال المعنى لان زيد ليس أسدا وانما هو ككالاسد في شجاعته فأداة
التشبيه تقدر ههنا ضرورة كي لا يتهيل المعنى (فان قيل) وكذلك أيضا اذا لم
تقدر أداة التشبيه في الاستعارة استعمال المعنى لانا اذا قلنا جعل القضيب
وأبطأ الدعص فما لم تقدر فيه أداة التشبيه والاستعمال المعنى (قلت في الجواب)
عن ذلك تقدير أداة التشبيه لا بد منه في الموضوعين لكن يحسن اظهارها
في التشبيه دون الاستعارة وجملة الامر ان ترى أداة التشبيه يحسن اظهارها
في موضع دون موضع فعلنا أن الموضوع الذى يحسن اظهارها فيه غير الموضوع
الذى لا يحسن اظهارها فيه فسمينا الموضوع الذى يحسن اظهارها فيه تشبيها
مضمرا لأداة التشبيه الذى لا يحسن اظهارها فيه استعارة وانما فعلنا ذلك لان تسمية
ما يحسن اظهارها أداة التشبيه فيه بالتشبيه أليق وتسمية ما لا يحسن اظهارها أداة
التشبيه فيه بالاستعارة أليق فاذا قلنا زيد اسد يحسن اظهار أداة التشبيه فيه
بأن نقول زيد كالاسد واذا قلنا كما قال الشاعر

فرعاه ان نهضت لحاجتها * جعل القضيب وابطأ الدعص

لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه على ما تقدم من ذكر ذلك أولا (فان قيل) اذا
أجزت اضممار أداة التشبيه وقدرت اظهارها في قولك زيد اسد أى كالاسد فنحن
نضمرا أيضا المستعاره ونقدر اظهاره فانه لما قال الشاعر جعل القضيب وابطأ
الدعص اضمرا المستعاره وهو الة تدور الردف واذا أظهر قيل جعل قد كالقضيب
وابطأ ردف كالادعص ولا فرق بين الاضمارين فكما يسعك اضممار أداة التشبيه
في قولك زيد اسد فكذلك يسعنا نحن اضممار المستعاره في قول الشاعر
(فالجواب عن ذلك) أنى أقول نحن في هذا المقام واقفون مع الاستحسان لامع
الجواز ولو تأملت ما أوردته في أول كلامي بالعين الصحيحة لما أوردت على هذا

الاعتراض هـ - هنا فاني قلت التشبيه المضمير الاداة يحسن اظهار اداة التشبيه فيه
والاستعارة لا يحسن اظهار اداة التشبيه فيها ولو قلت يجوزاً ولا يجوزاً لورد
على هـ - ذا الاعتراض الذي ذكرته وقد علم وتحقق أن من الواجب في حكم
الفصاحة والبلاغة أن لا يظهر المستعار له وإذا أظهر ذهب ما على الكلام من
الحسن والروني (ألا ترى) أنا إذا أوردنا هذا البيت الذي هو
فأمطرت أولوا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد
وجد عليه من الحسن والروني ما لا يخفاه وهو من باب الاستعارة فإذا أظهرنا
المستعار له صرنا الى كلام غث وذلك أنا نقول فأمطرت دمعاً كاللؤلؤ من عين
كالنرجس وسقت خذا كالورد وعضت على أنا مل مخضوبة كالعناب بأسنان
كالبرد وفرق بين هذين الكلامين للامتثال واسع وهكذا يجري الحكم في البيت
المتقدم ذكره الذي هو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * سجل القضيبي وأبطأ الدعص

فان هذا البيت لا يخفاه بما عليه من الحسن وإذا ظهر فيه المستعار له زال ذلك
الحسن عنه لا يبل تبدل بفضته وليس كذلك التشبيه المضمير الاداة فانا إذا
أظهرنا اداة التشبيه وأضمرناها كان ذلك سواء إذا لفرق بين قولنا زيد أسد وبين
قولنا زيد كالأسد وهذا لا يخفى على جاهل بعلم الفصاحة والبلاغة فضلا عن
عالم والمعول عليه في تأليف الكلام من المنثور والمنظوم انما هو حننه وطلاوته
فاذا ذهب ذلك عنه فليس بشئ ونحن في الذي نورد في هذا الكتاب واقفون مع
الحسن لامع الجواز ثم لو تنزلنا معك أيها المعترض عن درجة الحسن الى درجة
الجواز لما استقام لك ما ذكرته وذلك أن اضممار اداة التشبيه ظاهر في قولنا زيد
أسد أي كالأسد وهو مضمير واحد وأما قول الشاعر فرعاء ان نهضت لحاجتها
فانه لا يضمرفيه اداة التشبيه الا بعد أن يظهر المستعار له وحينئذ يكون فيه
اضماران أحدهما المستعار له والآخرة اداة التشبيه وضممار واحد أيسر
من اضمارين أحدهما معلق على الآخر وإذا كان الأمر كذلك فالفرق
بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمت القول فيه من أن الاستعارة لا تكون
الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فتأمل ما أشرت اليه وتدبره حتى تعلم أني ذكرت
ما لم يذكره أحد غيري على هذا الوجه (وانما سمي هذا القسم) من الكلام

استعارة لان الاصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي
هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيأ من الأشياء
ولا يقع ذلك الا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضى استعارة أحدهما من
الآخر شيئاً واذالم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير
أحدهما من الآخر شيئاً اذ لا يعرفه حتى يستعير منه وهذا الحكم جار
في استعارة اللفاظ بعضها من بعض فالشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من
أحدهما الى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما الى
الآخر (واعلم) أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه
المضمر الاداة معا باختلاف القرينة وذلك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من
تقدم ذكره فينتقل عن ذلك الى غيره ويرتجل ارتجالاً (فما جاء منه) قول البحترى
اذا سقرت أضاءت شمس دجن * ومالت في التعطف غصن بان
فلما قال أضاءت شمس دجن ينصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله
أضاءت كأنه قال أضاءت هي وهذا تشبيه لان المشبه مذكور وهو الضمير
في أضاءت الذي نابت عنه التاء ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال أضاءت
شمس دجن برفع الشمس ولا يعود الضمير حينئذ الى من تقدم ذكره وانما يكون
الكلام مرتجلاً ويكون البيت

اذا سقرت أضاءت شمس دجن * ومالت في التعطف غصن بان
وهذا الموضع فيه دقة غموض وحرف التشبيه يحسن في الاقول دون الثاني
(وأما القسم) الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة الى المجاز لا غير مشاركة بين
المنقول والمنقول اليه فذلك لا يكون الا لطلب التوسع في الكلام وهو سبب
صالح اذا توسع في الكلام مطلوب (وهو ضربان أحدهما) يرد على وجه
الاضافة واستعماله قبيح ابعدهما بين المضاف والمضاف اليه وذلك لانه يلحق
بالتشبيه المضمر الاداة واذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان
ذلك قبيحاً ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع الا جاهل بأسرار الفصاحة
والبلاغة أو ساه غافل يذهب به خاطره الى استعمال ما لا يجوز ولا يحسن كقول
أبي نواس بحج صوت المال بما * منك يشكو ويصيح
فقوله بحج صوت المال من الكلام النازل بالمرّة ومراده من ذلك أن المال يتنظم

من اهانتك اياه بالتمزيق فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح وما أحسن ما قال
مسلم بن الوليد في هذا المعنى

تظلم المال والاعداء من يده * لانزال للمال والاعداء ظلاما
(وكذلك) ورد قول أبي نواس أيضا

ما لرجل المال أمست * تشتكي منك الكلالا

فاضافة الرجل الى المال أقبح من اضافة الصوت (ومن هذا الضرب) قول أبي
تمام وكم أحرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القدر
فاضافة القدر الى النوى من التشبيه البعيد البعيد وانما أوقعه فيه المماثلة بين
القدر والقدر وهذا دأب الرجل في تتبع المماثلة تارة والتجنيس أخرى حتى انه
يخرج الى بناء يعاب به أقبح عيب وأخشنه (وكذلك) ورد قوله

بلونك أتما كعب عرضك في العلا * فعالم وأتما خذ مالك أسفل

فقوله كعب عرضك وخذ مالك مما يستقبح ويستفكر ومراده من ذلك أن عرضك
مصون ومالك مبتذل الا أنه عبر عنه أقبح تعبير وأبو تمام يقع في مثل ذلك كثيرا
(وأما الضرب الآخر من التوسع) فانه يرد على غير وجه الاضافة وهو حسن
لا عيب فيه وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى
رخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فنسبة القول الى
السماء والارض من باب التوسع لانهما جاد والنطق انما هو للانسان لا للبهائم
ولامشاركة ههنا بين المنقول والمنقول اليه وكذلك قوله تعالى فتابكت عايم - م
السماء والارض وما كانوا منظرين وعليه ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم
فانه نظر الى أحد يومها فقال هذا جبل يحبنا ونحبه فاضافة المحبة الى الجبل من
باب التوسع اذ لامشاركة بينه وبين الجبل الذى هو جاد (وعلى هذا) ورد
مخاطبة الطول ومساءلة الاحجار كقول أبي تمام

أميدان لهوى من اتاح لك البلى * فأصبحت ميدان الصبا والجنائب

وكقول أبي الطيب المتنبي اثلث فانا أجم الطلل * نيبكى وترزم تحتنا الابل
فأبو تمام سائل ربوعا عافية وأحجار ادراسة ولا وجه لها ههنا الامساء له الاهل
كالذى في قوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية وكل هذا توسع في العبارة
اذ لامشاركة بين رسوم الديار وبين فهم السؤال والجواب وكذلك قال

قوله وكم أحرزت في الديوان وكم ملكن اه

أبو الطيب المتنبى في أمره الطلل بأن يكون ثالثاً - ما أى الركب والابل وهذا
واضح لا نزاع فيه فاذا قد تبين وتحقق ما أشرت اليه من هذا الموضع فالجواز
لا يخرج عن هذه الاقسام الثلاثة اما توسع أو تشبيه أو استعارة واذا حققنا
النظر في الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمر اقياسياً في كل فرع على أصل
لمناسبة بينهما وان كانا يفترقان بجدتهما وحقية قتهما (فأما حد الاستعارة) فقبيل
انه نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وهذا الحد فاسد لان
التشبيه يشارك الاستعارة فيه ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد أى كانه أسد
وهذا نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما لاننا قلنا حقيقة الاسد الى
زيد فصار مجازاً وانما نقلناه لمشاركة بين زيد وبين الاسد في وصف الشجاعة
والذى عندي من ذلك أن يقال حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ
لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول اليه لانه اذا احتز فيه هذا الاحتراز
اختص بالاستعارة وكان حد الهدادون التشبيه وطريقه أنك تريد تشبيه الشيء
بالشيء مظهر او مضمرا وتجيء الى المشبه فتعير ما سم المشبه به وتجر به عليه مثال
ذلك أن تقول رأيت أسدا وهذا كالبيت الشعر المقدم ذكره وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * بحل القضيب وأبطأ الدعص

فإن هذا الشاعر أراد تشبيه القتب بالقضيب والردف بالدعص الذى هو كشيء
الرمل فترك ذلك التشبيه مظهرا ومضمرا وجاء الى المشبه وهو القتب فأعارة
المشبه به وهو القضيب والدعص وأجراه عليه الآن هذا الموضع لا بدله من قرينة
تفهم من خوى اللفظ لانه اذا قال القائل رأيت أسدا وهو يريد رجلا شجاعا فان
هذا القول لا يفهم منه ما أراد وانما يفهم منه أنه أراد الحيوان المعروف بالاسد
لكن اذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على أنه أراد رجلا شجاعا اختص الكلام
بما أراد ألا ترى الى قول الشاعر بحل القضيب وأبطأ الدعص فانه دل عليه
من نفس البيت لان قوله فرعاء ان نهضت دليل على أن المراد هو القتب والردف لان
القضيب والدعص لا يكونان لامرأة فرعاء تنهض لحاجتها وكذلك كل ما يجيىء
على هذا الاسلوب لان المستعار له وهو المنقول اليه مطوى الذكر (وكنت
تصنعت) كتاب الخصائص لابي الفتح عثمان بن جنى فوجدته قد ذكر في المجاز شياً
يتطرق اليه النظر وذلك أنه قال لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا للمعان ثلاثة

وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد فان عدت الثلاثة كانت الحقيقة البتة
(فمن ذلك) قوله تعالى فأدخلناه في رحمتنا فهذا مجاز وفيه الثلاثة المذكورة أما
الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال أسماء الرحمة وأما التشبيه
فانه شبه الرحمة وان لم يصح دخولها بما يصح دخوله وأما التوكيد فهو أنه أخبر
عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة تعالى بالخبر عنه وتفخيمه له اذا صير بمنزلة
ما يشاهد ويعاين هذا مجموع قول أبي الفتح رحمه الله من غير زيادة ولا نقص
(والنظر يتطرق اليه من ثلاثة أوجه الاقول) أنه جعل وجود هذه المعاني
الثلاثة سببا لوجود المجاز بل وجود واحد منها سبب لوجوده ألا ترى أنه اذا
وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا واذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا
ثم ان كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا
لعدمه ألا ترى أنا اذا قلنا لا يوجد الانسان الا بأن يكون حيوانا ناطقا
فالحيوانية والنطق سبب لوجود الانسان واذا عدم واحد منهما بطل أن يكون
انسانا وكذلك كل صفات تكون متقدمة لوجود الشيء فان وجودها بوجوده
وعدم واحد منها يوجب عدمه (وأما الوجه الثاني) فانه ذكر التوكيد والتشبيه
وكلاهما شيئا واحدا على الوجه الذي ذكره لانه لما شبهت الرحمة وهي معنى لا يدرك
بالبصر بمكان يدخل وهو صورة تدرك بالبصر دخل تحتها التوكيد الذي هو اخبار
عما لا يدرك بالحاسة بما قد يدرك بالحاسة على أن التوكيد ههنا على وجه ما أورده
في تمثيله لا أعلم ما الذي أراد به لانه لا يوثق به في اللغة العربية الا المعنيين أحدهما
أنه يراد بها فيما استقرى بالفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكاه وما أضيف اليها مما
استقرى وهو مذكور في كتب النحاة وقد كفيت مؤنته الاخر أنه يرد على وجه
التكرير نحو قام زيد قام زيد كثر اللفظ في ذلك تحققة للمعنى المقصود أي توكيدا
والذي ذكره أبو الفتح رحمه الله تعالى لا يدل على أن المراد به أحدهذين المعنيين
المشار اليهما ولا شك أنه أراد به المبالغة والمغالة في ابراز المعنى الموهوم الى
الصورة المشاهدة فعبّر عن ذلك بالتوكيد ولا مشاحة له في تعبيره واذا أراد به ذلك
فهو والتشبيه سوا على ما ذكره ولا حاجة الى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه
(وأما الوجه الثالث) فانه قال أما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات
والمحال كذا وكذا وهذا القول مضطرب شديد الاضطراب لانه ينبغي على قياسه

أن يكون جناح الذل في قوله تعالى واخفض لهم اجنح الذل زيادة في أسماء
الطيور وذلك أنه زاد في أسماء الطيور اسما هو الذل وهكذا يجري الحكم
في الاقوال الشعرية كقول أبي تمام

لبست سواه أقواما فكانوا * كما غفى التيمم بالصعيد

فزاد في أسماء اللباس اسما هو الادمي وهذا مما يضحك منه نعوذ بالله من الخطل
والاتساع في المجال لا يقال فيه كذا وانما يقال هو أن تجري صفة من الصفات على
موصوف ليس أهلا لأن تجري عليه. بعد ما يذنه وينها كقول أبي الطيب المتنبي
اثلت فانا أيها الطائل * نبكي وترزم تحته الابل

فانه أجرى الكلام على ذلك وانما يستعمل طلبا للاتساع في أساليب الكلام
للمناسبة بين الصفة والموصوف اذ لو كان لمناسبة لما كان ذلك اتساعا وانما كان
ضربا من القياس في حمل الشيء على ما يناسبه ويشاكله وحينئذ يكون ذلك
تشبيها أو استعارة على ما أشرت اليه من قبل (وكنت اطلمت) في كتاب من
مصنفات أبي حامد الغزالي رحمه الله ألفه في أصول النقه ووجدته قد ذكر
الحقيقة والمجاز وقسم المجاز الى أربعة عشر قسما وتلك الاربعة عشر ترجع الى
الثلاثة التي أشرت اليها وهي التوسع والتشبيه والاستعارة ولا يخرج عنها
والتقسيم لا يصح في شيء من الاشياء الا اذا اختلف كل قسم من الاقسام بصفة
لا يختص بها غيره والا كان التقسيم لغوا لا فائدة فيه * وسأورد ما ذكره وأبين
فساده (فالقسم الاول) من الاقسام التي ذكرها هو ما جعل للشيء بسبب
المشاركة في خاصية كقوله لهم للشجاع أسد وللبليد حمار وهذا القسم داخل
في الاستعارة ان ذكر المنقول وحده مثل أن يقول القائل رأيت أسدا
ومراده رجلا شجاعا أو رأيت حمارا ومراده رجلا بليدا ودخل في التشبيه
المضمرا لاداة ان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كقول القائل زيد أسد أي
كالأسد أو حمار أي كالحمار (القسم الثاني) تسمية الشيء باسم ما يؤل اليه
كقوله تعالى اني أراني أعصر خرا وانما كان يعصر عنيا وهذا القسم داخل في
القسم الاول لصفة المشابهة بين المنقول والمنقول اليه وهو من باب الاستعارة
لا بل أو غل في المشابهة من ذلك لان الخمر من العنب وليس الاسد من الرجل
ولا الرجل من الاسد (القسم الثالث) تسمية الشيء باسم فرعه كقول الشاعر

وما العيش الانومة ونشوق * وتقر على رأس النخيل وما
فسمى الرطب تريا وهذا القسم والقسم الذي قبله سواء لان ههنا يسمى العنب
خرا وههنا يسمى الرطب تريا فالعنب أصل والخمر فرع وكذلك الرطب أصل والخمر
فرع وكلا هذين التسميتين داخل في القسم الاوّل وهب أنّ الغزالي لم يحقّق أمر
المجاز وانتظامه الى تلك الاقسام الثلاثة التي أشرت اليها ألم ينظر الى هذين
القسمين اللذين هما العنب والخمر والرطب والخمر ويعلم أنّهما شيء واحد لا فرق
بينهما (القسم الرابع) تسمية الشيء باسم أصله كقوله لم لا دحي مضغة وهذا
ضد القسم الذي قبله لان ذلك جعل الاصل فيه فرعا وهذا جعل الفرع فيه أصلا
وهو داخل في القسم الاوّل أيضا (القسم الخامس) تسمية الشيء بدواعيه
كتسميتهم الاعتقاد قول لا شوق قولهم هذا يقول بقول الشافعي رحمه الله أي
يعتقد اعتقاده وهذا القسم داخل في القسم الاوّل لان بين القول وبين
الاعتقاد مناسبة كالمناسبة بين السبب والمسبب والباطن والظاهر
(القسم السادس) تسمية الشيء باسم مكانه كقوله لهم للمطر سما لانه ينزل منها
وهذا القسم داخل في الاوّل لصفة المناسبة بين المنقول والمنقول اليه وهو
الزول من عال وكل ما عللا فإظلال فهو سما على أن الاغلب على ظني أن هذا
القسم من الاسماء المشتركة وتسمية المطر بالسما حقيقة فيه وليس من المجاز
في شيء (القسم السابع) تسمية الشيء باسم مجاوره كقوله لهم للمزادة راوية وانما
الراوية الجمل الذي يحملها وهذا القسم من باب التوسع لامن باب التشبيه
ولامن باب الاستعارة لان على قياسه ينبغي أن يسمى الجمل زاملة لانه يحملها
(القسم الثامن) تسمية الشيء باسم جزئه كقوله لمن تبغضه أبعدا لله وجهه عنى
وانما تريد سائر جثته وهذا القسم داخل في القسم الاوّل وهو شبيه بتسمية الشيء
باسم فرعه (القسم التاسع) تسمية الشيء باسم ضده كقوله لهم للاسود والابيض
جون وهذا القسم ليس من المجاز في شيء البتة وانما هو حقيقة في هذين التسميتين
مع لانه من الاسماء المشتركة كقوله لهم سميت السيف اذا سلطته وسمته اذا أغمدته
فدل الشيم على الضدين معا بالوضع الحقيقي وفي اللغة من هذا شيء كثير فكيف
يجعل هذا القسم من المجاز ولاشك أنّ الغزالي نظر الى أنّ الضدين لا يجتمعان
في محل واحد فقياس الاسم على الذات وظن أنّ الذاتين لا يجتمعان في اسم واحد

كما أنهم لا يجتمعان في محل واحد (فان قيل) لأن سلم أن اللفظ المشترك حقيقة
 بالوضع في المعنيين مع الالآن ذلك يحل بنائدة الوضع الذي هو البيان وإنما هو حقيقة
 في أحد معنیه مجاز في الآخر (فالجواب عن ذلك) أن هذا الموضع تقدم
 الكلام عليه في الفصل الثاني من مقدمة الكتاب وهو الفصل الذي يشتمل على
 آلات علم البيان وأدواته فليؤخذ من هنالك فاني قد أشبعت القول فيه أشباعها
 لا مزيد عليه (القسم العاشر) تسمية الشيء بفعله كسمية الخمر مسكرا وهذا
 القسم داخل في القسم الاوّل وأى مشاركة أقرب من هذه المشاركة فان
 الاسكار صفة لازمة للخمر وليست الشجاعة صفة لازمة لزيد لانه يمكن أن يكون
 زيد ولا شجاعة ولا يمكن أن يكون خمر ولا اسكار الا يرى أنهم لم تسم خمر الا
 لاسكارها فانها تخمر العقل أى تستره (القسم الحادى عشر) تسمية الشيء بكلمة
 كقولك في جواب ما فعل زيد القيام والقيام جنس يتناول جميع أنواعه وهذا
 القسم لا ينبغي أن يوصل باقسام المجاز لان القيام لزيد حقيقة (فان قيل) ان
 القيام يشمل جميع أنواع القيام من الماضى والحاضر والمستقبل (قلت) وهذا
 من أقرب أقسام المجاز مناسبة لانه اقامة للمصدر مقام الفعل الماضى والمصدر
 أصل الفعل وعلى هذا فان هذا داخل في القسم الاوّل (القسم الثانى عشر)
 الزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى فيمارة من الله انت لهم فمارة
 زائدة لا معنى لها أى فيمارة من الله انت لهم وهذا القول لا أراه صوابا
 وفيه نظر من وجهين أحدهما أن هذا القسم ليس من المجاز لان المجاز هو دلالة
 اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة وهذا غير موجود في الآية وإنما هي دالة
 على الوضع اللغوى المنطوق به في أصل اللغة الوجه الآخر أنى لو سلمت أن ذلك
 من المجاز لانكرت أن لفظة ما زائدة لا معنى لها ولكنها وردت تفتيحاً لما امر
 النعمة التي لان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهم وهي محض الفصاحة ولو
 عرى الكلام منها لما كانت له تلك الفخامة وقد ورد مثلها في كلام العرب كالذى
 يحكى عن الزباء وذلك أن الوضاح الذى هو جذية البرس تزوجها والحكاية
 في ذلك مشهورة فلما دخل عليها كشفت له عن فرجها وقد ضفرت الشعر
 من فوقه ضفيرتين وقالت اذات عروس ترى أمانه ليس ذلك من عوز المواس
 ولا من قلة الأواس ولكنه شيمة ما أناس فعنى الكلام ولكنه شيمة أناس

وانما جاءت لفظة ماههنا تفخيماً لثأن صاحب تلك الشيمة وتعظيماً لامره
ولو أسقطت لما كان للكلام ههنا هذه الفخامة والجزالة ولا يعرف ذلك إلا أهله
من علماء الفصاحة والبلاغة وأما الغزالي رحمه الله تعالى فإنه معذور عندي
في أن لا يعرف ذلك لأنه ليس فنه ومن ذهب إلى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى
له فإما أن يكون جاهلاً به هذا القول وإما أن يكون متسحياً في دينه واعتقاده
وقول النحاة أن ما في هذه الآية زائدة فإنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن
العمل كما يسمونها في موضع آخر كافة أي أنها تكف الحرف العامل عن عمله
كقولك انما زيد قائم فما قد كفت أن عن العمل في زيد وفي الآية لم تمنع عن العمل
ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل في خفض الرحمة (القسم الثالث عشر)
تسمية الشيء بحكمه كقوله تعالى وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد
النبي أن يستنكحها فسمى النكاح هبة وهذا القسم داخل في القسم الأول
لأن النكاح هو تمكين الزوج من الوطء على عوض على هيئة مخصوصة والهبة
تمكينه من الشيء الموهوب على غير عوض فشاركت الهبة النكاح في نفس
التمكين من الوطء وإن اختلفا في الصورة (القسم الرابع عشر) النقصان الذي
لا يطل به المعنى كحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قال الله تعالى ومن
يكسب خطيئة أو آثماً ثم يرم به بريئاً أو يحذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه قال الله تعالى واستل القرية أي أهل القرية وهذا القسم
داخل في القسم الأول أما حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فلأن الصفة
لازمة للموصوف وأما حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فلأنه دل
بالمسكون على الساكن وتلك مقارنة قريبة فهذه أقسام المجاز التي ذكرها
الغزالي رحمه الله تعالى وقد بينت فساد التقسيم فيها وأنها ترجع إلى ثلاثة
أقسام هي التوسع والتشبيه والاستعارة (وحيث انتهى بي الكلام إلى ههنا)
وفرغت مما أردت تحقيقه وبينت ما أردت بيانه فإني أتبع ذلك بضرب الأمثلة
للاستعارة التي يستفيد بها المتعلم مما لا يستفيد به بذكر الحد والحقيقة (فما جاء من
ذلك في القرآن الكريم) قوله تعالى في أول سورة إبراهيم صلوات الله عليه
الكتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فالظلمات
والنور استعارة للكفر والإيمان أو للضلال والهدى والمستعار له مطوى الذكر

كأنه قال لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة الى الايمان الذي هو كالنور
 وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة أيضا وقد مكر وامكرهم وعند الله
 مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال والقراءة برفع لتزول منه الجبال ليست
 من باب الاستعارة ولكنها في نصب تزول واللام لام كي والجبال ههنا استعارة
 طوى فيها ذكر الاستعارة وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به
 من الآيات والمعجزات أي أنهم مكر وامكرهم لكي تزول منه هذه الآيات
 والمعجزات التي هي في ثباتها واستقرارها كالجبال وعلى هذا ورد قوله تعالى
 والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يميمون وأنهم يقولون
 ما لا يفعلون فاستعار الاودية للفنون والاعراض من المعاني الشعرية التي
 يقصدونها وانما خص الاودية بالاستعارة ولم يستعرا الطرق والمسالك أو
 ما جرى مجراها لان معاني الشعر تستخرج بالفكرة والروية والفكرة والروية
 فيها خفاء ونحوه فكان استعارة الاودية لها أشبهه وألبق والاستعارة
 في القرآن قليلة لكن التشبيه المضمرة الاداة كثير وكذلك هي في فضح الكلام
 من الرسائل والخطب والاشعار لان طي الاستعارة لا يتيسر في كل كلام
 وأما التشبيه المضمرة الاداة فكثير سهل لمكان اظهار المشبه والمشبه به معا
 (وما ورد من الاستعارة في الاخبار النبوية) قول النبي صلى الله عليه وسلم
 لا تستضيؤوا بنار المشركين فاستعار النار للرأى والمشورة أي لا تهتدوا
 برأى المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه
 دخل يوما مصلا ف رأى أناسا كأنهم يكثرون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر
 هاذم الذات لشغلكم عما أرى وهازم الذات أراد به الموت وهو مطوى الذكر
 (وبلغني عن العرب) أنهم يقولون عند رؤية الهلال لامر حبابا للجين مقرب
 أجل ومحل وهذا من باب الاستعارة في طي ذكر الاستعارة (وكذلك بلغني
 عن الججاج بن يوسف) أنه خطب خطبة عند قدمه العراق في أول ولايته اياه
 والخطبة مشهورة من جملتها أنه قال ان أمير المؤمنين نثل كتابه وعجمها عودا
 عودا فرأى أصلها نجارا وأقومها عودا وأنفذها نصلا فقوله نثل كتابه
 وعجمها عودا يريد أنه عرض رجاله واختبرهم واحدا واحدا حتى
 اختباره فرأى أشدهم وأمضاهم وهذا من الاستعارة الحسنة الفاتحة (وقد

جاءني من الاستعارة في رسائلي) ما أذكر شيئا منه ولو مثالا واحدا وذلك أنه
سأني بعض الأصدقاء أن أصف له غلامين تركيين كان بهما واما وكان أحدهما
يلبس قباء أحمر والآخر قباء أسود فقلت إذا تشعبت أسباب الهوى كانت لسرته
أظهر وأضحت أمراضه خطرا كلها ولا يقال في أحدها هـ إذا أخطر وقد
هويت بدرين على غصنين ولا طاقة للقلب بهوى واحد فكيف إذا حمل هوى
اثنين ومما شجيتني أنهما يتلوانان في أصباغ الثياب كما يتلوانان في فنون التحريم
والعتاب وقد استجد الآن زبالا مزيدا على حسنهما في حسنه فهذا يخرج
في توب من حرة ختمه وهذا في توب من سواد حفته وما أدري من دلها على
هذا العجيب غير أنه ليس على فتنة الهب أهدي من حبيب وهذا الفصل بجملته
مما توأصفه الناس وأغروا بحفظه (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول مسكين
الدارمي من شعراء الحماسة

لما في لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى * وتعلم نفسي أنه سوف يجمع
فالغزال المقنع هنا استعارة للمرأة الحسنة (وكذا ورد) قول رجل من بني
يسار في كتاب الحماسة أيضا

أقول لنفسي حين حق زوالها * رويدك لما تشقى حين مشفق
رويدك حتى تنظري عم تجلي * نغامة هذا العارض المتألق
فالعارض المتألق استعارة للعرب أو الذي أطل به كرومه كالبارق المتألق
(ويحكي) أن امرأة وقفت لعبد الملك بن مروان وهو سائر إلى قتال مصعب بن
الزبير فقالت يا أمير المؤمنين فقال رويدك حتى تنظري عم تجلي وأنشد البيت
(ومن هذا الباب) قول عبد السلام بن رعيان المعروف بديك الجن

لما نظرت إلى عن حديق المها * وبسمت عن متفتح النوار
وعقدت بين قضيب بان أهيف * وككثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدي في اثري لك طائعا * وعزمت قبلك على دخول النار
وهذه الايات لا تجد لها في الحسن شريكا ولا أن يسمى قائلها شحرورا أولى من
أن يسمى ديكا وكذلك ورد قوله

لا ومكان الصليب في الهرم * كوكب ومجري الزنار في الخمر

والخمال في الخلد إذا شبهه * وردة مسك على ثرى تبر
 وحاجب مذخطة قلم الحسب * بجبر البهاء لا الحبر
 والقحوان بفسك منتظم * على شبيهه من رائق الخمر
 فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة والمستعار له هو الثغر والريق (ومما
 ورد لأبي تمام) في هذا المعنى قوله

لما غدا منظم الاحشاء من أشمر * أسكنت جانحتيه كوكبا يقدر
 فالسكوكب استعارة للريح (وكذلك ورد قوله) في الاعتذار
 أسرى طريق اللحياء من التي * زعموا وليس لرهبنة بطريد
 وغدا تبين ما براءة ساحتي * لو قد انقضت تهائمى ونجودى
 والتهائم والنجود هما استعارة عما استعاره من باطن أمره وظاهره وكذلك ورد
 قوله كم أحرزت قضب الهندى مصلته * تهتم من قضب تهتمنى كئيب
 فالقضب والكئيب استعارة للقود والارداف وكذلك ورد في هذه القصيدة
 أيضا عند ذكر ملك الروم وانهم زامه لما فتحت مدينة عمورية فقال
 ان يعد من حرها عدو الظلم فقد * أوسعت جاحها من كثرة الحطب
 فالحطب استعارة للقتلى وقبل هذا البيت ما يدل عليه لانه قال
 أخذى قرايينه صرف الردى ومضى * يحث أنجى مطاياها من الهرب
 موكلها يفسح الارض يشرفها * من خفة الخوف لامن خفة الطرب
 ان يعد من حرها عدو الظلم البيت * وأحسن من هذا كله قوله

نطل الطلول الدمع في كل منزل * وتغسل بالصبر الديار الموائل
 دواوس لم يجف الربيع ربوعها * ولا تتر في اغفالها وهو غافل
 بعضين من زاد العفاة اذا اتقى * على الحى ضرب الازمة المتحامل
 فقوله زاد العفاة استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أهل الديار كأنه قال
 بعضين من قوم هم زاد العفاة (وله في الغزل) من الاستعارة ما بلغ به غاية اللطافة
 والرقة وذلك في قصيدته التي مطلعها * ان عهد الوتعلمان ذمينا * فقال
 قدمرنا بالداروهى خلاء * فبكينا طلولها والرؤما
 وسألنا ربوعها فانصرفنا * بسقام وما سالنا حكيما
 كنت أرى النجوم حتى اذا ما * فارقوني أمسيت أرى النجوم

والبيت الثالث هو المخصوص بالاستعارة وعلى هذا المنهاج ورد قول البحري
وأعتر في الزمن البهيم محجل * قدرحت منه على أعتر محجل
والاعتر المحجل الاوّل هو المدوح والاعتر المحجل الثاني هو القرس الذي أعطاه
اياة (وكذلك) ورد قوله

وصاعقة في كفه تنكفي بها * على أروّس الاعداء خمس سمائب
وهذا من النمط العالى الذى شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى
استعارته والمراد بالسمايب الخمس الاصابيع (وكذلك) ورد فى آيات الحماسة
دلتود الكفر دكا * صاعق من وقع سيفك
أرسلته خمس سحب * نشأت من بحر ركفك
(وكذلك) ورد قوله فى آيات يصف فيها السيف

جالت حمائله القديعة بقله * من عهد عاد غضة لم تذبل
وهذا من الحسن على ما يشهد لنفسه كأنه قال جلت حمائله سيفاً أخضر الحديد
كالبقلة (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبى الطيب المتنبى
فى الخدان عزم الخليل طريحلا * مطر ترزيبه الحدود محولا
وكذلك ورد قوله يتديبه فى المفاضة ضيغم وأحسن من هذا قوله فى قصيدته
التي مطلعها * عقي اليمين على عقي الوغى ندم

وأصحت بقرى هنزيط جائله * ترعى الطيى فى خصيب نبتة اللهم
فما تركن به اخلد البصر * تحت التراب ولا يازاله قدم
ولا هزبراله من درعه لبد * ولا مهاة لها من شبهها حشم
وهذا من الملح النادر فانظردا استعاره ان اختفى تحت التراب خائفا والبار
استعاره لمن طار هاربا والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء
من السبايا (ومن هذا الباب قوله)

كل جريح ترجى سلامته * الاجري محادهته عيناها
تبل خدى كلما ابتسمت * من مطر برقه ثايباها

والبيت الثاني من الايات الحسان التي تتوآصف وقد حسن الاستعارة التي
فيه أنه جاء ذكر المطر مع البرق (ويبلغنى عن أبى الفتح بن جنى) رحمه الله أنه شرح
ذلك فى كتابه الموسوم بالمفسر الذى ألفه فى شرح شعر أبى الطيب فقال انها كانت

تبرق في وجهه فظن أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبسم فيخرج الريق من فمها ويضع
 على وجهه فشببهه بالمطر وما كنت أظن أن أحدا من الناس يذهب وهمه
 وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره وإذا كان هذا قول امام من أئمة
 العربية تشد اليه الرحال فما يقال في غيره لكن فن الفصاحة والبلاغة غير
 فن النحو والاعراب (وكذلك) ورد قول الشريف الرضي

اذا أنت أفنيت العرانيين والذرى * رمتك الليالي من يد الخامل الغمر
 وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى * فن ليد ترميك من حيث لا تدري
 فالعرانيين والذرى هم اعظام الناس وأشرفهم كأنه قال اذا أفنيت عظما
 الناس رميت من يد الخامل (واذ قد بينت) أن الاستعارة لا تكون الا بحيث
 يطوى ذكر المستعار له فانها لا تجيء الا ملائمة مناسبة ولا يوجد فيها مباينة
 ولا تباعد لانها لا تذكر مطوية الا لبيان المناسبة بين المستعار منه والمستعار له
 ولو طويت ولم يكن هنالك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعسر فهمها
 ولم يكن المراد منها (ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي) رحمه الله تعالى
 قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمرة الادارة ولم يفرق بينهما وتأسى في ذلك بغيره من
 علماء البيان كابي هلال العسكري والغامدي وأبي القاسم الحسين بن بشر
 الأمدى على أن أبا القاسم بن بشر الأمدى كان أثبت القوم قدما في فن
 الفصاحة والبلاغة وكأبه المسمى بالموازنة بين شعر الطائيين يشهد له بذلك وما أعلم
 كيف خفي عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضمرة الادارة (ومما أورده ابن
 سنان) في كتابه الموسوم بسر الفصاحة قول امرئ القيس في صفة الليل

فقلت له لما تظني بصلبه * وأردف ابجازه اوما بكل كل

وهذا البيت من التشبيه المضمرة الادارة لان المستعار له مذكور وهو الليل وعلى
 الخاطي خلطه بالاستعارة فان ابن سنان أخطأ في الرد على الأمدى ولم يوفق
 للصواب وأنا أتكلم على ما ذكره ولا أضايقه في الاستعارة والتشبيه بل أنزل
 معه على ما رآه من أنه استعارة ثم أبين فساد ما ذهب اليه وذلك أن الأمدى
 قال في كتاب الموازنة ان امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل فذكر امتداد
 وسطه وتناقل صدره وترادف ابجازه فلما جعل له وسطا متداورا وصدره ثقيل
 وابجازه اراذفة لوسطه استعار له اسم الصلب وجعله متطيا من أجل امتداده

واسم الكل كل وجعله نائباً للتثاقله واسم العجز من أجل نهوضه فقال ابن سنان
 الخفاجي معترضاً عليه أن هذا الذي ذكره الأمدى ليس بمرضى غاية الرضا وان
 بيت امرئ القيس ليس من الاستعارة الجيدة ولا الرديئة بل هو وسط فان
 الأمدى قد أفصح بأن امرئ القيس لما جعل الليل وسطاً عمدت استعارته له اسم
 الصلابة وجعله متمطياً من أجل امتداده وحيث جعل له آخر أو أولاً استعارته
 عجزاً وكل كلا وهذا كما انما يحسن بعضه مع بعض فذكر الصلابة انما يحسن من
 أجل العجز والوسط والتمطى من أجل الصلابة والكل كل لمجموع ذلك وهذه
 استعارة مبنية على استعارة أخرى هذا حكاية كلامه في الاعراض على
 الأمدى (وقيه تظرم وجهين الاقول) أنه قال هذا بيت من الاستعارة
 الوسطى التي ليست بجيدة ولا رديئة ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى
 وعنده أن الاستعارة المبنية على الاستعارة من أبعاد الاستعارات وذلك أنه قسم
 الاستعارة الى قسمين قريب مختار وبعيد مطرح فالقريب المختار ما كان بينه
 وبين ما استعير له تناسب قوى وشبه واضح والبعيد مطرح اما أن يكون لبعده
 مما استعير له في الاصل أو لانه استعارة مبنية على استعارة أخرى فيضعف لذلك
 هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجي في تقسيم الاستعارة واذا كانت الاستعارة
 المبنية على استعارة أخرى عنده بعيدة مطرح فكيف جعلها وسطاً هذا تناقض
 في القول (الوجه الثاني) أنه لم يأخذ على الأمدى في موضع الاخذ لأنه لم يختار
 الا ما حسن اختياره وذلك أن حد الاستعارة على ما رآه الأمدى وابن سنان
 هو نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وان كان المذهب الصحيح
 في حد الاستعارة غير ذلك على ما تقدم الكلام عليه ولكن في هذا الموضع
 أنزل معهم ما على ما رأياه حتى يتوجه الكلام على الحكم بينهما في بيت امرئ
 القيس واذ حدنا الاستعارة بهذا الحد فيه يفرق على رأي ابن سنان بين
 الاستعارة المرضية والاستعارة مطرحه فاذا وجدنا استعارة في كلام ما
 عرضناها على هذا الحد فما وجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول
 اليه حكمنا له بالجودة وما لم نجد فيه تلك المناسبة حكمنا عليه بالرداءة وبيت
 امرئ القيس من الاستعارات المرضية لانه لو لم يكن لليل صدر أعنى أولاً
 ولم يكن له وسط وآخر لما حسنت هذه الاستعارة ولما كان الامر كذلك استعار

لوسطه صلبا وجعله متطويا واستعار مصدره المتماثل أعنى أوله كالكلا وجعله نائبا
واستعار الآخر مجزا وجعله رادا فالوسطه وكل ذلك من الاستعارات المناسبة
وأما قول ابن سنان الخفاجي ان الاستعارة المبنية على استعارة أخرى بعيدة
مطرحة فان في هذا القول نظرا وذلك أنه قد ثبت لنا أصل نقيس عليه في الترق
بين الاستعارة المرضية والمطرحة كما أريناك ولا يمنع ذلك من أن تجيء استعارة
مبنية على استعارة أخرى وتوجد فيها المناسبة المطلوبة في الاستعارة
المرضية فانه قد ورد في القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس وهو قوله تعالى
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بأنم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فهذه ثلاث استعارات
يقبني بعضها على بعض فالأولى استعارة القرية للاهل والثانية استعارة الذوق
للناس والثالثة استعارة اللباس للجوع والخوف وهذه الاستعارات الثلاث
من التناسب على ما لا يخفى به فكيف يذم ابن سنان الخفاجي الاستعارة المبنية
على استعارة أخرى وما أقول ان ذلك شذذه الا لانه لم ينظر الى الاصل
المتيسر عليه وهو التناسب بين المنقول عنه والمنقول اليه بل نظر الى التقسيم
الذي هو قسمه في القرب أو البعد ورأى ان الاستعارة المبنية على استعارة أخرى
تكون بعيدة فحكم عليها بالاطراح واذا كان الاصل انما هو التناسب فلا فرق
بين أن يوجد في استعارة واحدة أو في استعارة مبنية على استعارة ولهذا أشباه
وتطائر في غير الاستعارة ألا ترى أن المنطقي يقول في المقدمة والنتيجة كل
انسان حيوان وكل حيوان نام فكل انسان نام وكذلك يقول المهندس
في بعض الاشكال الهندسية اذا كان خط اب مثل خط ب وخط ب ح مثل خط ج د
نخط اب مثل خط ج د وهكذا أقول أنا في الاستعارة اذا كانت الاستعارة
الأولى مناسبة ثم بنى عليها استعارة ثانية وكانت أيضا مناسبة فالجميع متناسب
وهذا أمر برهاني لا يتصور انكاره وهذا الكلام الذي أوردته ههنا هو اعتراض
على ما ذكره ابن سنان الخفاجي في الاستعارة فلا تظن أني موافقه في الاصل وانما
وافقه قصده التبيين وجه الخطا في كلامه وكيف يسوغ لي موافقته وقد ثبت
عندي بالدليل أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له وفيما قدمته
من الكلام كفاية (النوع الثاني في التشبيه) وجدت علماء البيان قد فرقوا

بين التشبيه والتشليل وجعلوا هذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا وهو ما شئ واحد
لا فرق بينهما في أصل الوضع يقال شبهت هذا الشئ بهذا الشئ كما يقال مثلته به
وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه وكنت قدمت
القول في باب الاستعارة على الفرق بين التشبيه وبينها ولا حاجة الى اعادته ههنا
مرة ثانية (والتشبيه ينقسم قسمين) مظهر او مضمرا وفي المضمرا اشكال في تقدير
أداة التشبيه فيه في بعض المواضع (وهو ينقسم أقساما خمسة فالأول) يقع
موقع المبتدأ والخبر مفردين (والثاني) يقع موقع المبتدأ المفرد والخبر جملة
مركبة من مضاف ومضاف اليه (والثالث) يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين
(والرابع) يرد على وجه الفعل والفاعل (والخامس) يرد على وجه المثل المضروب
وهذان القسمان الاخيران هما أشكال الاقسام الخمسة في تقدير أداة التشبيه
(أما الأول) فكقولنا زيد أسد فهذا مبتدأ وخبره وإذا قدرت أداة التشبيه فيه
كان ذلك بيديه النظر على الفور فقيل زيد كالأسد (وأما القسم الثاني والثالث)
فانهما متوسطان في تقدير أداة التشبيه فيهما فالثاني كقول النبي صلى الله عليه
وسلم الكفاة جدرى الأرض وهذا يتنوع نوعين فإذا كان المضاف اليه معرفة
كهذا الخبر النبوي لا يحتاج في تقدير أداة التشبيه الى تقديم المضاف اليه بل ان
شئنا قدمناه وان شئنا أخرناه فقلنا الكفاة للأرض كالجدرى أو الكفاة
كالجدرى للأرض وإذا كان المضاف اليه نكرة فلا بد من تقديمه عند تقدير أداة
التشبيه من ذلك قول البحري

نعمام سماح لا يجب له حيا * ومعه حرب لا يضيع له وتر
فإذا قدرتنا أداة التشبيه ههنا قلنا سماح كالغمام ولا يستدر الأهلكذا والمبتدأ
في هذا البيت محذوف وهو الإشارة الى الممدوح كأنه قال هو نعمام سماح
(ومن هذا النوع) ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه على غير العارف بهذا الفن
كقول أبي تمام أي مرعى عين ووادي نسيب * طيبته الأيام في محبوب
ومراد أبي تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسنا ثم زال عنه حسنه فقال
بأن العين كانت تلتذ بالنظر اليه كالتذاز السائمة بالمرعى فانه كان يشيب به
في الأشعار طيبته وطيبه وإذا قدرتنا أداة التشبيه ههنا قلنا كأنه كان للعين مرعى
ولتسبب منزلا ومألفا وإذا جاء شئ من الآيات الشعرية على هذا الأسلوب

أوما يجرى مجسراه فانه يحتاج الى عارف بوضع أداة التشبيه فيه (وأما الثالث) فلكقول النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد ألسنتهم كأنه قال كلام الالسنمة كحصائد المناجل وهذا القسم لا يكون المشبه به مذكورا فيه بل تذكر صفته ألا ترى أن المنجل لم يذكر ههنا وانما ذكرت صفته وهي الحصد وكل ما يجي من هذا القسم فانه لا يرد الا كذلك (وأما القسم الرابع والخامس) اللذان هما أشكال الاقسام المذكورة في تقدير أداة التشبيه فهما فالاية فظن انها أنم ما تشبيه (فما جاء من القسم الرابع) قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايان من قبلهم وتقدير أداة التشبيه في هذا الموضع أن يقال هم في ايمانهم كالتبوء دارا أي أنهم قد اتخذوا الايمان مسكنا يسكنونه يصف بذلك تمكنهم منه (وعلى هذا) ورد قول أبي تمام
نطقت مقلة الفتى المهوف * فتشكت بفيض دمع ذروف
وإذا أردنا أن نقدر أداة التشبيه ههنا قلنا دمع العين كنطق اللسان أو قلنا العين الباكية كأنما تنطق بما في الضمير (وأما ما جاء من القسم الخامس) فيقول
الفرزدق يهجو جريرا

ماضرت تغلب وائل أهجوتها * أم بليت حيث تناطح الجران
فتشبه هجاء جرير تغلب وائل بيوله في جمع البحرين فكأن أن البول في جمع البحرين لا يؤثر شيئا فكذلك هجاء أولاء القوم لا يؤثر شيئا وهذا البيت من الايات الذي أقره الناس بالحسن وكذلك ورد قوله أيضا

قوارص تأتي بني وتحتقرونها * وقد يلا القطر الاناء فيفعم
فانه شبه القوارص التي تأتيه محتقرة بالقطر الذي يلا الاناء على صغر مقداره يشير بذلك الى أن الكثرة تجعل الصغير من الامر كبيرا وهذا الموضع بشكل على كثير من علماء البيان ويخلطونه بالاستعارة كقول الجعفي في التعزية بولد
تعزفان السيف يمضي وان وهت * جائله عنه وخلاه قائمه

وهذا ليس من التشبيه وانما هو استعارة لان المستعار له مطوى الذكر وهو المعزى كانه قال تعزفانك كالسيف الذي يمضي وان وهت جائله وخلاه قائمه (فان قيل) انك قدمت القول في باب الاستعارة بأن التشبيه المضمرا الاداة يحسن تقدير أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيها وجعلت ذلك هو الفرق

بين التشبيه المضمرا الاداة وبين الاستعارة وقررت ذلك تقرير اطويل اعرض انما نراك
 قد نقضته ههنا بقولك ان من التشبيه المضمرا الاداة ما يشكل تقدير اداة التشبيه
 فيه وانه يحتاج في تقديرها الى نظر كهذين البيتين المذكورين للفرزدق وما يجرى
 مجراهما (فالجواب) عن ذلك اني اقول هذا الذي ذكرته لا ينقض على شيئا مما
 قدمت القول فيه في باب الاستعارة لاني قلت ان التشبيه المضمرا الاداة يحسن
 تقدير الاداة فيه اى لا يتغير بتقديرها فيه عن صفته التي اتصف بهما من فصاحة
 وبلاغة وليس كذلك الاستعارة فانها اذا قدرت اداة التشبيه فيها تغيرت عن صفتها
 التي اتصفت بهما من فصاحة وبلاغة واما الذي ورد ههنا من بيتي الفرزدق وما
 يجرى مجراهما من التشبيه المضمرا الاداة فان اداة التشبيه لا تتقدر فيه وهو على
 حالته من النظم حتى يتبين هل تغيرت صفته التي اتصف بهما من فصاحة وبلاغة ام لا
 وانما تتقدر اداة التشبيه فيه على وجه آخر وهذا لا ينقض ما اثرت اليه في باب
 الاستعارة (واذا ثبتت هذه الاقسام الاربعة فاقول) ان التشبيه المضمرا يبلغ من
 التشبيه المظهر وأوجز اما كونه ابلغ فلجعل المشبه مشبها به من غير واسطة اداة
 فيكون هو اياه فانك اذا قلت زيدا أسد كنت قد جعلته أسدا من غير اظهار اداة
 التشبيه واما كونه أوجز فلحذف اداة التشبيه منه وعلى هذا فان القسمين
 من المظهر والمضمرا كليهما في فضيلة البيان سواء فان الغرض المقصود من قولنا زيد
 أسد ان يتبين حال زيد في اتصافه بشهامة النفس وقوة البطش وجرأة الاقدام
 وغير ذلك مما يجرى مجراه الا انالم نجد شيئا يدل به عليه سوى أن جعلناه مشبها بالاسد
 حيث كانت هذه الصفات مختصة به فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف
 وأبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جرى الجنان وأشبه ذلك لما قد
 عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به أعنى الاسد واما زيد الذي هو
 المشبه فليس معروفا بها وان كانت موجودة فيه وكلا هذين القسمين أيضا يختص
 بفضيلة الایجاز وان كان المضمرا أوجز من المظهر لان قولنا زيد أسد أو كالا سيد
 مسد قولنا زيد من حاله كيت وكيت وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا مما
 يطول ذكره فالتشبيه اذا جمع صفات ثلاثة هي المبالغة والبيان والایجاز كما
 أريتك الا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل
 البلاغة وسبب ذلك ان حمل الشيء على الشيء بالمثالة اما صورة واما معنى يعز

صوابه وتعمير الاجادة فيه وقلما أكثر منه أحد الا عثر كما فعل ابن المعتز من أدباء
العراق وابن وكيع من أدباء مصر فانهما أكثر من ذلك لاسيما في وصف الرياض
والانهار والازهار والثمار لاجرم أنهما أتيا بالفت البار الذي لا يثبت على محك
الصواب فعليك أن تتوقى ما أشرت اليه (وأما فائدة التشبيه من الكلام) فهي
أنك اذا مثلت الشيء بالشيء فانما تقصده اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به
أو بعينه وذلك أو كد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه ألا ترى أنك اذا شئت
صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو الى
الترغيب فيها وكذلك اذا شئت بها بصورة شئ أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس
خيالا قبيحا يدعو الى التنفير عنها وهذا الانزاع فيه ولنضرب له مثلا ليوضح
فنقول قد ورد عن ابن الرومي في مدح العسل وذمته بيت من الشعر وهو

تقول هذا مجاج النحل غدحه * وان تعب قلت ذاق الزناير

ألا ترى كيف مدح وذم الشيء الواحد بتصرف التشبيه المجازي المضمرا لاداة
الذي خيل به الى السامع خيالا يحسن الشيء عنده تارة ويقبحه أخرى ولولا
التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما أمكنه ذلك وهذا المثال كاف فيما
أردناه (واعلم أن محاسن التشبيه) أن يجي مصدريا كقولنا اقدم اقدم الاسد
وقاض قبض البحر وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه كقول أبي نواس في
وصف النهر

واذا ما من جوها * وثبت وثب الجراد * واذا ما شربوها * أخذت أخذ الرقاد
وقيل ان من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم ومن
هنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر في ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له
فقال هامة عليها من الغمامة عمامة وانملة خضها الاصيل فكان الهلال منها
قلامة وهذا الكاتب حفظ شيئا وغابت عنه أشياء فانه أخطأ في قوله انملة وأي
مقدار للانملة بالنسبة الى تشبيه حصن على رأس جبل وأصاب في المناسبة بين ذكر
الانملة والقلامة وتشبيهها بالهلال (فان قيل) ان هذا الكاتب تأمى فيما ذكره
بكلام الله تعالى حيث قال الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح
فمثل نوره بطاقة فيها ذبالة وقال الله تعالى والقمر قد رنا منازل حتى عاد
كالمرجون القديم فمثل الهلال بأصل عدق النملة (فالجواب) عن ذلك أني

أقول أما تمثيل نور الله تعالى بمسكاة فيهما صباح فان هذا مثال ضربه للنبي صلى
الله عليه وسلم ويدل عليه أنه قال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
واذا نظرت الى هذا الموضع وجدته تشبيها لطيفا عجيبا وذلك ان قلب النبي صلى
الله عليه وسلم وما ألقى فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاج
التي كانت كوكبا لصفاتها واضاءتها وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا
غربية فانها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لانه من أرض الحجاز التي
لا تميل الى الشرق ولا الى الغرب وأما زيت هذه الزجاج فانه مضي من غير أن
تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الاكدار منيرة من قبل مصالحة
الانوار فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في هذه الآية (وأما الآية الاخرى)
فانه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم وذلك في هيئة نحوه واستدارته لاني
مقداره فان مقدار الهلال عظيم ولان نسبة للعرجون اليه لكنه في مرأى النظر
كالعرجون هيئة لا مقدارا وأما هذا الكاتب فان تشبيهه ليس على هذا النسق
لانه شبه صورة الحصن بأعملة في المقدار لاني الهيئة والشكل وهذا غير حسن
ولامناسب وانما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلامه مع ذكر الاعملة فأخطأ من
جهة وأصاب من جهة لكن خطوه غطي على صوابه (والقول السديد) في بلاغة
التشبيه هو ما ذكره وهو أن اطلاق من أطلق قوله في أن من شرط بلاغة التشبيه
أن يشبه الاصغر بالاكبر غير سديد فان هذا قول غير حاصر للغرض المقصود
لان التشبيه يأتي تارة في معرض المدح وتارة في معرض الذم وتارة في غير
معرض مدح ولا ذم وانما يأتي قصد اللابانة والايضاح ولا يكون تشبيه اصغر
بأكبر كما ذهب اليه من ذهب بل القول الجامع في ذلك أن يقال ان التشبيه
لا يعهد اليه الا لضرب من المبالغة فاما أن يكون مدحا أو ذما أو بياناً وايضاحاً
ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة واذا كان الامر كذلك فلا بد فيه من تقدير لفظه
أفعل فان لم تقدر فيه لفظه أفعل فليس بتشبيه بليغ ألا ترى أنا نقول في التشبيه
المضمر الاداة زيد أسد فقد شبهت ازيدا بالاسد الذي هو أشجع منه فان لم يكن
المشبه به في هذا المقام أشجع من زيد الذي هو المشبه والا كان التشبيه ناقصا إذ
لا مبالغة فيه (وأما التشبيه المظهر الاداة) فكقوله تعالى وله الجوار المنشآت
في البحر كالأعلام وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه لان خلق السفن البحرية

كبير وخلق الجبال أكبر منه وكذلك اذا شبه شيء حسن بشيء حسن فانه اذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس يوارد على طريق البلاغة وان شبه قبيح بقبيح وهكذا ينبغي أن يكون المشبه به أقبح وان قصد البيان والايضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح فتقدير لفظه أفعال لا بد منه فيما يقصد به بلاغة التشبيه والا كان التشبيه ناقصا فاعلم ذلك وقس عليه (واعلم) انه لا يخلو تشبيه الشئين أحدهما بالآخر من أربعة أقسام اما تشبيهه بمعنى بمعنى كالذي تقدم ذكره من قولنا زيد كالاسد واما تشبيهه بصورة بصورة كقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون واما تشبيهه معنى بصورة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة وهذا القسم أبلغ الاقسام الاربعة لتمثيله المعاني الموهومة بالصورة المشاهدة واما تشبيهه بصورة بمعنى كقول أبي تمام

وقتكت بالمال الجزيل وبالعدا * فتك الصباية بالمحب المغرم

فشبهه فتكك بالمال وبالعدا وذلك صورة مرتبة بفتك الصباية وهو فتك معنوي وهذا القسم أطف الاقسام الاربعة لانه نقل صورة الى غير صورة وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة المشار اليها لا يخلو التشبيه فيه من أربعة أقسام أيضا اما تشبيهه مفرد بمفرد واما تشبيهه مركب بمركب واما تشبيهه مفرد بمركب واما تشبيهه مركب بمركب والمراد بقولنا مفرد ومركب أن المفرد يكون تشبيهه شئ واحد بشئ واحد والمركب تشبيهه شئين اثنين بشئين اثنين وكذلك المفرد بالمركب والمركب بالمفرد فان أحدهما يكون تشبيهه شئ واحد بشئين والاخر يكون تشبيهه شئين بشئ واحد ولست أعنى بقولي تشبيهه شئين بشئين أنه لا يكون الا كذلك بل أردت تشبيهه شئين بشئين فافوقهما كقول بعضهم في الخبر

وكأنها وكان حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

فشبهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه الساقى بالبدر وشبه الخمر بالشمس وشبهه الحبيب الذي فوقها بالكواكب (واذينت) أن التشبيه ينقسم الى تلك الاقسام الاربعة فاني أقول ان التشبيه المضمرة الاداة قد قدمت القول في أنه ينقسم الى خمسة أقسام فالقسم الاول لا يرد الا في تشبيهه مفرد بمفرد والقسم الثاني لا يرد الا في تشبيهه مفرد بمركب والقسم الثالث لا يرد الا في تشبيهه مركب بمركب

والقسم الرابع والخامس لا يردان الا في تشبيهه مركب بمركب ألا ترى أنا اذا قلنا
في القسم الاول زيد أسد كان ذلك تشبيهه مفرد بمفرد واذا قلنا في القسم الثاني
ما مثلنا به من الخبر النبوي وهو الحكمة جدرى الارض كان ذلك تشبيهه مفرد
بمركب وكذلك بيت البحتري وبيت أبي تمام المشار اليهما قيمتا تقدم واذا قلنا في
القسم الثالث ما أشرنا اليه من الخبر النبوي أيضا الذي هو وهل يكب الناس
على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد أسنتهم كان ذلك تشبيهه مركب بمركب واذا
قلنا في القسم الرابع والخامس ما مثلنا به من بيتي الفرزدق والبحتري كان ذلك
تشبيهه مركب بمركب واذا كان الامر كذلك وجاءت شئ من التشبيه المضمحل
الاداة وهو من القسم الاول فاعلم أنه تشبيهه مفرد بمفرد واذا جاءت شئ من القسم
الثاني فاعلم أنه تشبيهه مفرد بمركب واذا جاءت شئ من القسم الثالث فاعلم أنه
تشبيهه مركب بمركب وكذلك اذا جاءت شئ من القسم الرابع والخامس
فانهم ما من باب تشبيهه المركب بالمركب ولترجع الى ذكر ما أشرنا اليه أولا في
تقسيم التشبيه الى الاربعة الاقسام الاخرى التي هي تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه
مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب وتشبيه مركب بمفرد (فالقسم الاول
منها) كقوله تعالى في المضمحل الاداة وجعلنا الليل لباسا فشببه الليل باللباس
وذا لانه يستر الناس بعضهم عن بعض لمن أراد هربا من عدوا وثباتا لعدو
أو اختفاء ما لا يجب الاطلاع عليه من أمره وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها
الا القرآن الكريم فان تشبيهه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام
المنثور والمنظوم وكذلك قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباسا هن فشببه المرأة
باللباس للرجل وشبهه الرجل باللباس للمرأة (ومن محاسن التشبيهات) قوله تعالى
نساء وكم حرت لكم وهذا يكاد ينقله تناسبه عن درجة المجاز الى الحقيقة والحرت
هو الارض التي تحرت للزرع وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدرعا كما يزدرع
البذر في الارض (ومن هذا الاسلوب) قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
فشببه تبرأ الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ وذا لانه لما كانت
هو ادى الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك
أولى من أن لو قيل يخرج لان السلخ أدل على الالتحام من الانخارج وهذا تشبيهه
في غاية المناسبة (وكذلك) ورد قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فشببه انتشار

الشيء باشتعال النار ولما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى
يحميه إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تشتعل في الجسم وتسرى فيضه حتى
تحميه إلى غير حاله الأولى وأحسن من هذا أن يقال إنه شبه انتشار الشيب باشتعال
النار في سرعة التهابه وتعذر تلافيه وفي عظم الألم في القلب به وأنه لم يبق بعده
الآنحود فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به وذلك في الغاية
القصوى من التناسب والتلاؤم (وقد ورد في الامثال) الليل جنة الهارب وهذا
تشبيه حسن وكل ذلك من التشبيه المضمحل الأداة ومما ورد منه شعرا

قول أبي الطيب المتنبي

وإذا اهتز للندي كان بحرا * وإذا اهتز للوغي كان نصلا
وإذا الأرض أظلمت كان شمساً * وإذا الأرض أمحلت كان وبلا
فحرف التشبيه ههنا مضمحل وتقديره كان كأنه بحر وكان كأنه نصل وكذلك يقال
في البيت الثاني كان كأنه شمس وكان كأنه وبلا وهذا تشبيه بصورة وهو
حسن في معناه وكذلك ورد قول أبي نواس وهو في تشبيه الحبيب
فاذا ما اعترضته العين من حيث استدارا
خلت في جنبات الشكاس واوات صغارا
وهذا تشبيه بصورة أيضاً وقد أبرز هذا المعنى في لباس آخر فقال
وإذا علاها الماء ألبسها * حبيباً تشبيهه جلاجل الجبل
حتى إذا سكنت جوارحها * كبت بمنزل أكارع النمل
(ومن هذا) قول البحترى

تبسم وقطوب في ندى ووغي * كالرعد والبرق تحت العارض البرد
وهذا من أحسن التشبيه وأقربه إلا أن فيه اختلافاً من جهة الصنعة وهي ترتيب
التفسير فإن الأولى أن كان قدم تفسير التبسم على تفسير القطوب بأن كان قال
كالبرق والرعد فانظر أيها المنتهي إلى هذا الفن كيف ذهب على البحترى مثل هذا
الموضع على قرينه مع تقدمه في صناعة الشعر وليس في ذلك كبيراً من سوى أن كان
قدم ما أخر لا غير وإنما عذر الشاعر في مثل هذا المقام إذا حكم عليه الوزن
والتافية واضطر إلى ترك ما يجب عليه وأما إذا كانت الحال كما التي ذكرها
البحترى فينبذ لا عذر له وسيأتي لذلك باب مفرد في موضعه من هذا الكتاب

ان شاء الله تعالى وهو باب ترتيب التفسير وكذلك ورد قول الجعري
 في معرك ضنك تخال به القنا • بين الضلوع اذا انحن ضلوعا
 (ومن تشبيه المقر دبا المفرد قول أبي الطيب المتنبي)

خرجن من النقع في عارض • ومن عرق الركض في وابل
 فلما شقن لقين السياط • بمثل صفاء البلاد الماحل

وقد حوى هذان البيتان قرب التشبيه مع براعة النظم وجزالة اللفظ
 (وأما القسم الثاني) وهو تشبيه المركب بالمركب فما جاء منه مضمرا الاداة ما يروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه معاذ بن جبل رضى الله عنه وهو
 حديث طويل يشتمل على فضائل أعمال متعددة ولا حاجة الى ايراد ههنا على
 نوصه بل نذكر الغرض منه وهو أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك
 عليك هذا وأشار الى لسانه فقال معاذ أو نحن مؤاخذون بما تكلم به فقال
 ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد
 ألسنتهم فقوله حصائد ألسنتهم من تشبيه المركب بالمركب فانه شبهه الالسنه وما
 تمضى فيه من الاحاديث التي يؤاخذهم بها المناجل التي تمصد النباتات من الارض
 وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم (وعما ورد منه)
 شعر اقول أبي تمام

معشراً أصبحوا حصون المعالي • ودروع الاحساب والاعراض
 فقوله حصون المعالي من التشبيه المركب وذلك انه شبههم في منعهم المعالي
 أن ينالها أحد سواهم بالحصون في منعها من بها وجانيته وكذلك قوله دروع
 الاحساب (وأما المظهر الاداة) فما جاء منه قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا
 كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى
 اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا
 ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس فشبته حال الدنيا في سرعة
 زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه
 حطاً ما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض وذلك تشبيه صورة بصورة وهو
 من أبداع ما يجي في بابيه (ومن ذلك أيضاً) قوله تعالى في وصف حال المناذقين
 مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم

في ظلمات لا يبصرون تقديره ان مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أو قد نارا
 في ليلة مظلمة بمقازة فاستضاء بهما ما حوله فأتى ما يخاف وأمن فبينما هو كذلك اذ
 طفتت ناره فبقي مظلمًا خائفًا وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها
 واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في
 العذاب والنقمة (ومما ورد منه في الاخبار النبوية) قول النبي صلى الله عليه وسلم
 مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب
 ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ریح لها ومثل
 المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ریحها طيب ولا طعم لها ومثل المنافق
 الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظل لا ریح لها وطعمها ممر وهذا من باب تشبيه
 المركب بالمركب ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القارى وهو
 متصف بصفتين هما الايمان والقراءة بالاترجة وهي ذات وصفين هما الطعم والريح
 وكذلك يجرى الحكم في المؤمن غير القارى وفي المنافق القارى والمنافق غير
 القارى (وقد جاء في شيء من ذلك) أو رده في فصل من كتاب أصف فيه البر
 والمسيرة قلت ولم أزل أصل الزميل بالزميل وألف الضمى بالاصيل
 والارض كالجرف في سعة صدره والمطايا كالجوارى راكدة على ظهره فكان
 الركب منها كمكانهم من الاكوار وسيرهم فيها على كرة لا تستقر بها حركة
 الادوار (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول الجعري

خلق منهم ورتد فيهم * وليته عصاية عن عصايه
 كالحسام الجراز يبق على الدهر ويبنى في كل حين قرابه

وكذلك ورد قول ابن الرومي

ادرك ثقاتك انهم وقعوا * في زجرت معه ابنة العنب
 فهم وجهال لو بصرت بها * سجت من عجب ومن عجب
 ربحانهم ذهب على درر * وشرابهم درر على ذهب

وهذا تشبيه صنيع الا ان تشبيه الجعري أصنع وذلك أن هذا التشبيه صدر عن
 صورة مشاهدة وذلك انما استنبطه استنباطا من خاطره واذا شئت أن تفرق بين
 صناعة التشبيه فانظر الى ما أشرت اليه ههنا فان كان أحد الشبهين عن صورة
 مشاهدة والآخر عن صورة غير مشاهدة فاعلم أن الذي هو عن صورة غير

مشاهدة أصنع واعمرى ان التشبيهين كليهما لا بد فيهما من صورة تحكي لكن
أحدهما شوهدت الصورة فيه فحكيت والاخر استنبطت له صورة لم تشاهد
في تلك الحال وانما الفكر استنبطها ألا ترى أن ابن الرومي نظر الى النرجس
والى الخرفشبه وأما الجعري فانه مدح قوما بأن خلق السماح باق فيهم يتقل
عن الاول الى الاخر ثم استنبط لذلك تشبيها فأذاه فكره الى السيف وقربه التي
تقى في كل حين وهو باق لا يفنى بقناتها ومن أجل ذلك كان الجعري أصنع
في تشبيهه (وسأورده هنا من كلامي نبذة يسيرة عن ذلك) ما كتبه من جملة
كتاب الى ديوان الخلافة أذكر فيه نزول العدو والكافر على ثغر عكا في سنة خمس
وثمانين وخمسمائة فقلت وأحاط بهم العدو وأحاطة الشفاه بالثغور ونزل عليها
نزول الظلماء على النور وهذا من التشبيهات المناسبة ثم لما جئت الى ذكر
قتال المسلمين اياه وازالته عن جانب الثغر قلت وقد اصطدم من الاسلام
والكفر ابن اشمام والتقى من عجاظهم ما ظلام وعند ذلك أخذ العدو في التحيز
الى جانب وكان كحاجب على عين فصار كعين في حاجب واذ تزعرع البناء فقد
هوى واذ اقبض من طرف البساط فقد انطوى وهذا التشبيه في مناسيته
كالاول بل أحسن (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان
فقلت وما شبهت كتابه في وروده وانقباضه الا بنظر الحبيب في اقباله واعراضه
وكلا الامرين كالسهم في ألم وقعته وألم نزعته والمشوق من استوت صباهته
في حالي وصله وقطعه وما أزال على وجل من ارسال كتبه واحمامها واشتباها
لها بالمامها (ومما جاء من هذا القسم) في الشعر قول بكر بن النطاح
تراهم يتظرون الى المعالي * كما نظرت الى الشيب الملاح
يحدثون العميون الى شذرا * كأنني في عيونهم السماح
وهذا بديع في حسنه بليغ في تشبيهه (وعلى هذا النهج) ورد قول أبي تمام
خاط الشجاعة بالحياة فأصجبا * كالحسن شيب لمغرم بدلال
وهذا من غريب ما يأتي في هذا الباب وقد تغالت شبيعة أبي تمام في وصف هذا
البيت وهو لعمرى كذلك ومن هذا القسم أيضا قوله
كم نعمة لله كانت عنده * فكأنها في غربة واسار
كسيت سبائب لومه فتضالت * كتضائل الحسناء في الاطمار

(وكذلك قوله)

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عني وعاوره ظني فلم ينجب
كالغيث ان جثته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه بلج في الطلب

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول علي بن جبلة

اذا ما تردى لامة الحرب ارددت * حشا الارض واستدى الرماح السوارع
واسفر تحت النقع حتى كانه * صباح مشى في ظلمة الليل طالع
وقد احسن علي بن جبلة في تشبيهه هذا كل الاحسان وكشله في الحسن قوله
ايضا في تشبيه الحبيب فوق النهر

تري فوقها غشا للمزاج * تباذير لا يتصلن اتصالا
كوجه العروس اذا خطت * على كل ناحية منه خالا

(ومن هذا القسم) قول مسلم بن الوليد

تلقى المنية في امثال عدتها * كالسيل يقذف جلودا يجلود

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول العباس بن الاحنف

لاجرى الله دمع عيني خيرا * وجرى الله كل خير لسانى

نم دمعى فليس يحكمتم شيئا * ووجدت اللسان ذا كتمانى

كنت مثل السحاب اخفاء طي * فاستدلوا عليه بالعنوان

وهذا من اللطيف البديع (ويروى ان ابانواس) لما دخل مصر ماد حاله الخصب

جلس يوما في رهط من الادباء وتذكروا منازره بغداد فانشدهم رجلا

ذكر الكرج فازح الاوطان * فصبا صبوة ولات اوان

ثم اتم ذلك قصيدا مدح به الخصب فلما عاد الى بغداد دخل عليه العباس بن

الاحنف وقال انشدني شيئا من شعرك يصح فانشده ذكر الكرج فازح الاوطان

فلما استتم الايات قال له لقد ظلمك من ناواك وتخلف عنك من جارك وحرام

على احديته فوه بقول الشعر بعدك فقال له ابونواس وانت ايضا يا ابا الفضل

تقول هذا آلت القاتل لاجرئى الله دمع عيني خيرا وانشد الايات ثم قال

ومن الذي يحسن ان يقول مثل هذا (ومن تشبيه المركب بالمركب) قول الجعفي

جدة يذود البخل عن اطرافها * كالبحر يمنع ملحه عن مائه

وهذا من محاسن التشبيهات وكذلك ورد قوله

قوله ولم تصدف الخ في الديوان فلم تصدف موثقه وان تصح ان تبدل الخ

وترام في ظلم الوغى فتحاله • قرا يكثر على الرجال بكوكب
 وفي هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه العجاج بالظلمة وللمجدوح
 بالقمر والسنان بالكوكب وهذا من الحسن النادر وكذلك ورد قوله
 يمشون في زغف كان متونها • في كل معسرة متونها
 ييض تسيل على الكفاة نصواها • سبل السراب بقفرة يبداء
 فاذا الاسنة خالطها خلتها • فيها خيال كواكب في ماء
 فالبيتان الاخيران هما اللذان تضمنتا تشبيه المركب بالمركب وانما جئنا بالبيت
 الاول سياقة الى معناهما وهو من التشبيه الذي أحسن فيه البحري وأغرب
 (ومن هذا الباب) ما ورد لبعض الشعراء في وصف النجر فقال
 كانت سراج أناس يهتدون بها • في سالف الدهر قبل النار والنور
 تهتز في الكأس من ضعف ومن هرم • كأنها قيس في صكف مقرر
 وقد يندر لناظم أو الناثر شيء من كلامه يبلغ الغاية التي لا أمده فوقها وهذا
 البيتان من هذا القبيل (ومن أغرب ما سمعته في هذا الباب) قول الحسين بن
 مطير بن ميمون بن زائدة

فتى عيش في معروفه بعد موته • كما كان بعد السيل مجرا مرثعا
 (القسم الثالث) في تشبيه المفرد بالمركب (فما ورد) منه قوله تعالى الله نور
 السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه
 كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية
 وكذلك قوله تعالى مثل الذين كفروا برهيم أعمالهم كما اشتدت به الريح في يوم
 عاصف (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن استجداد اقلت وهو
 اذا استصرخ أصرخ بعزم كالشهاب في رجه وهم كالقوس الممتلى يتزع سهمه
 ويرى أن صريخه لم يخيب وأنه اذا لم يجيبه بالسيف فكأنه لم يجيب فهو
 مغرر جواده وحسامه ومسمع العدو صرير رحمة قبل قعقة بلحاهه (وكذلك)
 أيضا ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان أذم الفراق فقلت والفراق شيء
 لا كالأشياء وصاحبه ميت لا كالاموات وحى لا كالأحياء وما أراه الا
 كآثار الله الموقدة التي تطلع على الاقدمة وما يجعل صاحبها في ضحاح
 منها الا نواتر الكتب التي تقيه بعض الوقاه وتقوم له وان لم يسق مقام الاسقاء

(وأما ما ورد منه في الشعر) فكقول أبي نواس
 اذا امتحن الدنيا ليبت تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق
 (وكذلك) قول أبي تمام يصف قيده
 خذها منقفة القوافي ربهما * لسوابغ النعماء غير كنود
 كالدرّ والمرجان ألف نظمه * بالشد في عنق الفتاة الرود
 وكذلك ورد قول الجعفي وهو من جملة قصص يمدته المشهورة التي وصف فيها
 الفرس والسيف وأولها * أهلا بذا لكم الخيال المقبل * فقال فيها من آيات
 تضمنت وصف السيف بيتا أجاد في تشبيهه
 وكانما سود الخيال وجرحها * دبت بأيدي قواه وأرجل
 فشبه فرند السيف بديب الخمل سودها وجرحها وذلك من التشبيه الحسن (وأما
 ما ورد منه هضمير الاداة) فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد استل عن
 العزل فقال هو الواد الخفي وهذا تشبيه بليغ والواد هو ما كانت العرب
 تفعله في دفن البنات أحياء فجعل العزل في الجماع كالواد إلا أنه خفي وذلك
 أنهم كانوا يفعلون بالبنات ذلك هربا منهن وهكذا من يعزل في الجماع فانما يفعل
 ذلك هربا من الولد (وكذلك) قال النبي صلى الله عليه وسلم هو الواد الصغرى
 وهذا من الحسن إلى غاية تغض لها العيون طرفها ولا ينتهي الوصف إليها
 فيه كون ترك وصفها كوصفها (ومما جاء في من ذلك) فصل من جملة كتاب
 ضمنته وصف القلم فقلت جدع أنفه فصار في الكبد قصيرا وأرشف صدره
 فصار في المضاء عضيا شهيرا وقص لباس السواد وهو شعار الخطباء فنطق
 بفصل الخطاب ونكس رأسه وهي صورة الاذلال فاختلف في مشبه من
 الاعجاب وأوحى إليه بنجوى الخواطر وهو الاشم فاقضى بما سمعه إلى الكتاب
 وهذه الاوصاف غريبة جدا ومن أعربها ذكر قصير عند جدع الانف
 (وأما القسم الرابع) وهو تشبيه المركب بالمفرد فانه قليل الاستعمال بالنسبة
 إلى الاقسام الثلاثة وليس ذلك الا لعدم النظير بين المشبه والمشبه به وعلى
 كثرة ما حفظته من الاشعار لم أجدها أمثل به هذا القسم الامثالا واحدا وهو
 قول أبي تمام في وصف الربيع
 يا صاحبي تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصور

تريانهارا مشمساً قد شابه * زهر الربا فكأنما هومة - مر
 فشببه النهار المشمس مع الزهر الأبيض بضوء القمر وهو تشبيه حسن واقع
 في موقعه مع ما فيه من لطف الصنعة (ولربما اعترض في هذا الموضع معترض)
 وقال انك أوردت هذا القسم من التشبيه وذكرت أنه قليل وليس كذلك فان
 تشبيه شيئين بشئ واحد كثير كقول أبي الطيب المتنبي

تشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شميم

فشببه اشراق الاعراض والوجوه باشراق الشيم (الجواب عن ذلك) اني أقول
 هذا البيت المعترض به على ما ذكرته ليس كالذي ذكرته فاني أردت أن يشبه
 شيان هما كشيء واحد في الاشتراك بشئ واحد ألا ترى أن نور الشمس مع
 بياض الزهر وهما شيان مشتركان قد شبا بضوء القمر وأما هذا البيت الذي
 لأبي الطيب المتنبي فانه تشبيه شيئين كل واحد منهما مفرد برأسه بشئ واحد لانه
 شبه اشراق الاعراض واشراق الوجوه باشراق الشيم وهذا غير ما أردت أنا
 لكن ينبغي أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد يتقسم قسمين أحدهما تشبيه
 شيئين مشتركين بشئ واحد كالذي أوردته لأبي تمام وهو قليل الاستعمال
 والاخر تشبيه شيئين مفردين بشئ واحد كالذي ذكرته أنت لأبي الطيب المتنبي
 وهو كثير الاستعمال (واذا ذكرنا أقسام التشبيه) وبيننا المحمود منها الذي ينبغي
 اقتفاء أثره واتباع مذهبه فلنتبعه بضده مما ينبغي اجتنابه والاضراب عنه على أنه
 قد قدمنا القول بأن حد التشبيه هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به
 فإذا لم يكن بهذه الصفة أو كان بين المشبه والمشبه به بعد ذلك الذي يطرح
 ولا يستعمل والذي يرد منه مضمحل الاداة لا يكون الا في القسم الواحد من أقسام
 المجاز وهو التوسع وقد قدمت القول في ذلك في أول باب الاستعارة وضربت
 له أمثلة منها قول أبي نواس

مال رجل المال أمست * تشتكي منك الكلالا

فجعل للمال رجلاً وذلك تشبيه بعيد ولا حاجة الى إعادة ذلك الكلام ههنا بحملته
 لكن قد أشرت اليه اشارة خفيفة (ومن أقبح ما سمعته من ذلك) قول أبي تمام
 وتقاسم الناس السخاء مجزأ * وذهبت أنت برأسه وسنامه
 وتركت للناس الاهاب وما بقي * من فرثه وعروقه وعظامه

والقبح الفاحش في البيت الثاني وكل هذا التعريف في التشبيه البعيد دندنة
حول معنى ايمس بطائل فان غرضه ان يقول ذهب بالا على وترك للناس الادنى
او ذهبت بالجيد وترك للناس الردي وقد عيب عليه قوله

لا تسقى ماء الملام فاني * صب قد استعذبت ماء بكاني

وقيل انه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما به هذا التشبيه عندي من باس
بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تمد ولا تندم وهو قريب من وجه بعيد
من وجه اما سبب قرينه فهو ان الملام هو القول الذي يعنف به الموم لامر جناه
وذلك مختص بالسمع فنقله أبو تمام الى السقيا التي هي مختصة بالخلق كأنه قال
لا تذقني الملام ولو تم ياله ذلك مع وزن الشعر لكان تشبيها حسنا ولكنه جاء
بذكر الماء فخط من درجته شيباً ولما كان السمع يتجزع الملام أولاً أو لا تجزع
الخلق الماء صار كأنه شبيه به وهو تشبيه بمعنى بصورة وأما سبب بعده هذا التشبيه
فهو أن الماء مستلذ والملام مستكره فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه
فهذا التشبيه ان يعد من وجه فقد قرب من وجه فيعقر هذا لهذا ولذلك جعلته
من التشبيهات المتوسطة التي لا تمد ولا تندم (وقد روى) وهو رواية ضعيفة أن
بعض أهل الجمانه أرسل الى أبي تمام قارورة وقال ابعث في هذه شيئاً من ماء الملام
فأرسل اليه أبو تمام وقال اذا بعثت الى ريشة من جناح الذل بعثت اليك شيئاً
من ماء الملام وما كان أبو تمام ايذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين فانه
ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام فان الجناح للذل مناسبت وذلك
أن الطائر اذا وهن أو تعب بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الارض
والانسان ايضاً جناح فان يديه جناحاه واذ اخضع واستكان طأطأ من رأسه
وخفض من يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل وصارت تشبيهاً مناسباً
وأما الماء للملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه (وأما التشبيه المضمحل
الاداة) من هذا الباب فقد أوردت له أمثلة يستدل بها على أشباهه وأمثاله
فان ذكر المثل فائدة لا تكون لذكر الحد وحده (فمن ذلك) قول بعضهم
ملاح جيبك الشيب حتى كأنه * طبا بهرت منها سنج وبارح

(وكذلك) قول الآخر يصف السهام

كساها رطيب الريش فاعتدلت له * قد اح كاهناق الطبا الفوارق

فانه شبه السهام بأعناق الطيلاء وذلك من أبعاد التشبيهات وعلى فهو منه قول
الفرزدق يمشون في حلق الحديد كما مشت * جرب الجمال بها الكحيل المشعل
فشبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب وهذا من التشبيه البعيد لانه ان
أراد السواد فلا مقاربة بينهم - ما في اللون لان لون الحديد أبيض ومن أجل ذلك
سميت السيوف بالببيض ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه مخيف
(ومن التشبيهات الباردة) قول أبي الطيب المتنبي

وجرى على الورق النجيع القاني • فكأنه النار نخرج في الاغصان
وهذا تشبيه ينكره أهل التجسيم واذ اقتضت التشبيهات بعد البعد والبرد حاز
طرق ذلك التقسيم وأبشع من هذا قول أبي نواس في الخمر

كان بواسارروا كدحوا لها • وزرق ستانير تدبر عيونها
(والعجب) أنه يقول مثل هذا الغث الذي لاملاحة بينه وبين ما شبه به ويقرنه
بالبديع البارد الذي أحسن فيه وأبدع وهو

كأنما حلول بينا كثاف روضة • اذا ما سلبناهم الليل طينها
فانظر كيف قرن بين ورده وسعداته لا بل بين بعره ومرجانه وقد أكثر في تشبيه
الخمر فأحسن في موضع وأساء في موضع ومن أساءته قوله أيضا في أبيات لامية

واذا ما الماء واقعها • أظهرت شكلا من الغزل
لؤلؤات ينحدرون بها • كأنحدار الذر من جبل
فشبه الحبيب في انحداره بنخل صغار ينحدرون من جبل وهذا من البعد على غاية
لا يحتاج الى بيان وايضاح (واعلم) أن من التشبيه ضربا يسمى الطرد والعكس
وهو أن يجعل المتشبه به مشبها والمتشبه مشبها به وبعضهم يسميه غلبة الفروع
على الاصول ولا تجد شيئا من ذلك الا والغرض به المبالغة (فما جاء من ذلك)
قول ذي الرمة

ورمل كارداف العذارى قطعته • اذا ألبسته المظلمات الحنادس
ألترى الى ذي الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وذلك أن العادة
والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الانقاء وهو مطرد في بابه فعكس
ذو الرمة القصة في ذلك فشبه كثبان الانقاء بأعجاز النساء وانما فعل ذلك مبالغة
أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لا يحجاز النساء وصار كأنه الاصل - في شبهت

قوله كان بواسارروا كدحوا لها في النسخ لم يرد في اللسان ولا في غيره

به كتيبان الانقاء وعلى نحو من هذا جاء قول الجحترى
 في طلعة البدر شئ من محاسنها * وللقضيب نصيب من ثنيتها
 وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز في قصيدته المشهورة التي أولها
 سقى المطيرة ذات الطل والشجر * فقال في تشبيه الهلال
 ولاح ضوء قيركا يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر
 ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنه هو الاصل وهو موضع من علم
 البيان حسن الموقع لطيف المأخذ وهذا قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب
 الخصائص وأورده هكذا هملا (ولما نظرت أنا في ذلك) وأنعمت نظري فيه
 تيز لي ما أذكره وهو أنه قد تترق في أصل الفائدة المستتجة من التشبيه أن
 يشبه الشيء بما يطلق عليه أقله أفعال أي يشبه بما هو أبيض وأوضح أو بما هو
 أحسن منه أو أقيح وكذلك يشبه الاقل بالأكثر والادنى بالاعلى وهذا الموضع
 لا ينقض هذه القاعدة لأن الذي قد مر ذكره مطرد في بابيه وعليه مدار الاستعمال
 وهذا غير مطرد وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف وذلك أن تجعل المشبه
 به مشبها والمشبه مشبها به ولا يحسن في غير ذلك مما ليس بتعارف ألا ترى
 أن من العادة والعرف أن تشبه الاجهاز بالكتبان فلما عكس ذوارقة هذه القضية
 في شعره جاء حسنا لا تقا وكذلك فعل الجحترى فان من العادة والعرف أن يشبه
 الوجه الحسن بالبدر والقد الحسن بالقضيب فلما عكس الجحترى القضية في ذلك
 جاء أيضا حسنا لا تقا ولو شبه ذوارقة الكتبان بما هو أصغر منها غير الاجهاز لما
 حسن ذلك وهكذا الوشبه الجحترى طلعة البدر بغير طلعة الحسناء والقضيب بغير
 قد هالما حسن ذلك أيضا وهكذا القول في تشبيه عبد الله بن المعتز صورة الهلال
 بالقلامة لأن من العادة أن تشبه القلامة بالهلال فلما صار ذلك مشهورا متعارفا
 حسن عكس القضية فيه

(النوع الثالث في التجريد) وهذا اسم كنت سمعته فقال القائل التجريد
 في الكلام حسن ثم سكت فسألته عن حقيقة فقال كذا سمعت ولم يزد شيئا
 فأنعمت حينئذ نظري في هذا النوع من الكلام فأنتى في روعي أنه ينبغي أن يكون
 كذا وكذا وكان الذي وقع لي صوابا ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل الى
 ما ذكره أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى وقد أوردته ههنا وذكر ما أتيت به

من ذات خاطري من زيادة لم يذكرها وستقف أيها المتأمل على كلامه وكلامي
 (فأما جد التجريد) فإنه اخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب
 نفسه لأن أصله في وضع اللغة من جرذت السيف اذ انزعت من غمده وجرذت
 فلانا اذ انزعت ثيابه ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم لا تمدولا لتجريد وذلك في
 النهي عند إقامة الحد أن يد صاحبها على الارض وأن تجرد عنه ثيابه وقد نقل هذا
 المعنى الى نوع من أنواع علم البيان (وقد تأملته فوجدت له فائدتين) احدهما
 أبلغ من الاخرى (فالاولى) طلب التوسع في الكلام فإنه اذا كان ظاهره خطابا
 لغيرك وباطنه خطابا لنفسك فإن ذلك من باب التوسع وأظن أنه شيء اختصت به
 اللغة العربية دون غيرها من اللغات (والفائدة الثانية) وهي الابلغ وذلك أنه
 يتمكن المخاطب من اجراء الاوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه اذ
 يكون مخاطبا بها غيره ليكسبوا عذرا برأس العهدة فيما يقوله غير محجور عليه
 (وعلى هذا فإن التجريد يتقسم قسمين) أحدهما تجريد محض والاخر تجريد غير
 محض (فالاول) وهو المحض أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك
 وذلك كقول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالحليص يبص في مطلع
 قصيدته الامير الجهد في زى شاعر * وقد نخلت شوقا فروع المنابر
 كمت بعيب الشعر حلما وحكمة * ببعضهما تنقاد صعب المفاخر
 أما وأبيك الخيرانك فارس السهمقال ومحبي الدارسات الغوار
 وانك أعيت المسامع والنهي * بقولك عمافي بطون الدفاتر
 فهذا من محاسن التجريد ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كي
 يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة وعندما عده من الفضائل التامة
 وكل ما يجي من هذا القبيل فهو التجريد المحض (وأما ما قصد به التوسع خاصة)
 فكقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة

حننت الى ربا ونفسك باعدت * هنارك من ربا وشعبا كما معا
 فما حسن أن تأتي الامر طائعا * وتجزع ان داعي الصباية أسعما
 وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لأنه قال
 وأذكرك أيام الحسى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن يصدعا
 بنفسى تلك الارض ما أطيب الربا * وما أحسن المصطاف والمتربعا

فانتقل من الخطاب التجريدي الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الاولى لما قضى عليه بالتوسع وانما كان يرضى عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الاخر ويتأول له بأن غرضه من خطاب غيره أن يتقن عن نفسه سمعة الهوى ومعزة العشق لما في ذلك من الشهرة والغضاضة ~~التي~~ قد زال هذا التأويل بانتقاله عن التجريد أو لا الى خطاب النفس (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبى

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تعد الحلال
واجز الامير الذي نعماء فاجمة * بغير قول ونعمى القوم أقوال
وهذان البيتان من مطلع قصيدة يدح بها فاتكالاخشيدي بمصر وكان وصله
بصلة سنية من نثقة وكسوة قبل أن يدحه ثم مدحه بهد ذلك بهذه القصيدة وهي
من غرر شعره وقد بنى مطلعها على المعنى المشار اليه من ابتداء فاتك اياها بالصلة قبل
المدح وليس في التجريد المذكور في هذين البيتين ما يدل على وصف النفس ولا
على تركبتها بالمدح كما ورد في الابيات الرائية المتقدم ذكرها وانما هو توسع
لا غير (وأما القسم الثاني) وهو غير المحض فإنه خطاب لنفسك لا لغيرك واتن
كان بين النفس والبدن فرق الا أنهم ما كانوا شيئاً واحداً لاقعة أحدهما بالآخر
وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذلك اولى بأن يسمى تجريداً لان التجريد
لا تقى به وهذا هو نصف تجريد لانك لم تجرده عن نفسك شيئاً وانما خاطبت نفسك
بنفسك ~~كأنك~~ فصلتها عنك وهي منك (فما جاء منه) قول عمرو بن الاطنابة
أقول لها وقد جشأت وجاشت • رويدك فحمدى أو تستريحي
وكذلك قول الآخر

أقول للنفس نأساء وتعزية • احدى يدي أصابتني ولم تزد
وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطاباً لغيرك كالأول وانما الخطاب هو الخطاب
بعينه وليس ثم شيء خارج عنه (وأما الذي ذكره أبو علي الفارسي رحمه
الله) فإنه قال ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كما منافيه كأنه حقيقة
ومحصله فتخرج ذلك المعنى الى الفضاء مجرداً من الانسان كأنه غيره وهو هو
بعينه نحو قولهم اثن اقيت فلانا لتلقين به الاسد واثن سألته لتسألن منه البحر
وهو عينه الاسد والبحر لأن هاتك شيأ من فصلا عنه أو متميزاً منه ثم قال وعلى

قوله ونعمى القوم في البيتان ونعمى الناس اه

هذا اللفظ كون الانسان يخاطب نفسه حتى كانه يقاوم غيره كما قال الاعشى
 وهل تطيق وداعا أيها الرجل وهو الرجل نفسه لا غيره هذا خلاصة ما ذكره
 أبو علي رحمه الله (والذي عندي فيه) أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الأول لأن
 الثاني هو التجريد ألا ترى أن الاعشى جرد الخاطب عن نفسه وهو يريد ها وأما
 الأول وهو قوله لئن أقيمت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سألته لفسأن منه البحر
 فإن هذا تشبيه مضمرا لاداة اذ يحسن تقدير اداة التشبيه فيه ويبان ذلك أنك
 تقول لئن أقيمت فلانا لتلقين منه كالاسد ولئن سألته لفسأن منه كالبحر وليس
 هذا بتجريد لأن حقيقة التجريد غير موجودة فيه وإنما هو تشبيه مضمرا لاداة
 ألا ترى أن المذكور هو كالاسد وهو كالبحر وليس ثم شئ مجرد عنه كما تقدم في
 الايات الشعرية ويبطل على أبي علي قوله أيضا من وجه آخر وذلك أنه قال
 ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كما منافيه كانه حقيقة ومحموله فتخرج
 ذلك المعنى الى ألفاظها مجردا من الانسان كانه غيره وهو كالمثال الذي مثله
 في تشبيهه بالاسد وتشبيهه بالبحر وهذا ينتقض بقولنا لئن رأيت الاسد لئن
 منه هضبة ولئن أقيمت لتلقين منه الموت فإن الصورة التي أوردناها في الانسان
 وزعم أن العرب تعتقد أن ذلك معنى كما من فيه قد أوردنا مثله في الاسد فتخصيصه
 ذلك بالانسان باطل وكلا صورتين ليس بتجريد وإنما هو تشبيه مضمرا لاداة
 وقد سبق القول بأن التجريد هو أن تطلق الخاطب على غيرك ولا يكون هو المراد
 وإنما المراد نفسك وهذا لا يوجد في هذا المثال المضمرا لاداة بل الخاطب هو هو
 لا غيره فلا يطلق عليه اذا اسم التجريد لانه خارج عن حقيقة ومنافا لوضوعه
 فاذا قال القائل لئن أقيمت لتلقين به كالاسد وان سألته لفسأن منه كالبحر لم يجرد
 عن المقول عنه شيا وإنما شبهه تارة بالاسد في شجاعته وتارة بالبحر في سخائه وما
 أعلم كيف ذهب هذا على مثل أبي علي رحمه الله حتى خاطبه بالتجريد وأجره مجراه
 وأما قوله ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كما منافيه كانه حقيقة ومحموله
 فأقول وغير العرب أيضا تعتقد ذلك فان عنى بالمعنى الكامن معنى الانسانية
 الذي هو الاستعداد للعلوم والصنائع فماها ذامن الشئ الغريب الخفي الذي
 علمته العرب خاصة وانفردوا باستخراجه أبو علي رحمه الله وان عنى بالمعنى
 الكامن ما فيه من الاخلاق كالشجاعة والسخاء في المثال الذي ذكره حتى يشبه

رد على أبي علي الدارسي
 في تجريد التجريد

بالاسد تارة وبالبحر أخرى فليس الانسان محتصا بهذا المعنى الكامن دون غيره من
الحيوانات بل الاسد فيه من معنى الشجاعة ما ليس في الانسان ولهذا اذا
بواخ في وصف الانسان بالشجاعة شبهه بالاسد وكذلك في بعض الحيوانات من
السخاء ما ليس في الانسان ومن الامثال أكرم من دينك لانه اذا ظفر بحبة من
الحنطة أخذها في منقاره وطاف به على الدجاج حتى يضعها في منقار واحدة
منهن فالاخلاق اذا مشتركة بين الانسان وبين غيره من الحيوانات غير أن
الانسان يجتمع فيه ما تفرق في كثير منها وما أعلم ما أراد أبو علي رحمه الله بقوله
ان في الانسان معنى كما منافيه كانه حقيقة ومحصوله الا أن يكون أحدهذين
القسمين اللذين أشرت اليهما على أن القسم الواحد الذي هو خلق الشجاعة
والسخاء وغيره من الاخلاق ليس عبارة عن حقيقة الانسان اذ لا يقال في حده
حيوان شجاع ولا سخي بل يقال حيوان ناطق فالنطق الذي هو الاستعداد
للعلوم والصنائع هو حقيقة الانسان فبطل اذا قول أبي علي رحمه الله في تشبيهه
حقيقة الانسان بالشجاعة والسخاء فالخطأ توجه في كلامه من وجهين أحدهما
أنه جعل حقيقة الانسان عبارة عن خلقه والآخر أنه أدخل في التجريد
ما ليس منه وهذا القدر كاف في هذا الموضوع فليتأمل

(النوع الرابع في الالتفات) وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان
التي حوله ايدندن واليهاتس تمدد البلاغة وعنها يعنن وحقيقته مأخوذة
من التفات الانسان عن عينه وشماله فهو يتقبل بوجهه تارة كذا وتارة
كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لانه ينتقل فيه عن صيغة
الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى
حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل أو من مستقبل الى ماض أو غير ذلك
كما يأتي ذكره مفصلا ويسمى أيضا شجاعة العربية وانما سمى بذلك لان
الشجاعة هي الاقدام وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه
غيره ويتورد ما لا يتورده سواء وكذلك هذا الالتفات في الكلام فان اللغة
العربية تختص به دون غيرها من اللغات (وهو ينقسم الى ثلاثة أقسام
القسم الاول في الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة) اعلم
أن عامة المنتمين الى هذا الفن اذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة الى الخطاب

فوله على ان الخلق هذا الترتيب شاقط بكثرته

الالتفات

وعن الخطاب الى الغيبة قالوا كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها وهذا القول هو عكاز العميان كما يقال ونحن انما نسأل عن السبب الذي قصدت العرب ذلك من أجله وقال الزمخشري رحمه الله ان الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وايقاظ الالاصغاء اليه وليس الامر كما ذكره لان الانتقال في الكلام من أسلوب الى أسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع وايقاظ الالاصغاء اليه فان ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع وهذا قدح في الكلام لا وصف له لانه لو كان حسنا مأملا ولو سلمنا الى الزمخشري ما ذهب اليه لكان انما يوجد ذلك في الكلام المطول ونحن نرى الامر بخلاف ذلك لانه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانين معا يبلغ عشرة الفاظ أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب الى أسلوب انما يستعمل قصدا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصدا لاستعمال الاحسن وعلى هذا فاذا وجدنا كلاما قد استعمل فيه جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعا في موقعه قلنا هذا ليس بحسن اذ لم ينتقل فيه من أسلوب الى أسلوب وهذا قول فيه ما فيه وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بقرن الفصاحة والبلاغة (والذي عندي في ذلك) أن الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا فائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنها لا تقهده ولا تضبط بضابط لكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها فان قدر رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الا قول قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة وانما هو مقصود على العناية بالاعنى المتصور وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر وانما يؤتى به اعلى حسب الموضوع الذي ترد فيه وسأوضح ذلك في ضرب من الامثلة الاتي ذكرها فاما الرجوع من الغيبة الى الخطاب فذكره تعالى في سورة الفاتحة الحمد لله رب

العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد و اياك نستعين اهدنا الصراط
 المستقيم صراط الذين انعمت عليهم هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب و مما
 يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله اياك نعبد و اياك نستعين بعد قوله الحمد لله
 رب العالمين فانه انما عدل فيه من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة
 الاثر التعمد نظيرك ولا تعبدك فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد
 لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ولما صار الى العبادة
 التي هي اقصى الطاعات قال اياك نعبد و مخاطب بالعبادة اصرا حايها و تقربا منه عز
 اسمه بالانتهاء الى محدود منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال صراط
 الذين انعمت عليهم فاصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال غير المقضوب عليهم
 عطف على الاول لان الاول موضع التقرب من الله بذكر نعمه فلما صار الى ذكر
 الغضب جاء باللفظ منصرفا عن ذكر الغاضب فاستند النعمة اليه لفظا و زوى عنه لفظ
 الغضب تخفينا و لفظا فاقطر الى هذا الموضع و تناسب هذه المعاني الشريفة التي
 الاقدام لا تكاد تطوؤها و الافهام مع قربها صالحة عنها و هذه السورة قد اتقل
 في اولها من الغيبة الى الخطاب لتعظيم شأن الخطاب ثم اتقل في آخرها من
 الخطاب الى الغيبة لتلك العلة بعينها وهي تعظيم شأن الخطاب أيضا لان مخاطبة
 الرب تبارك و تعالي باسناد النعمة اليه تعظيم لخطابه وكذلك ترك مخاطبته
 باسناد الغضب اليه تعظيم لخطابه فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من
 القصاحة و البلاغة عالما بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها (ومن هذا
 الضرب) قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا و انما قيل لقد
 جئتم وهو خطاب للعاشر بعد قوله وقالوا وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة وهي
 زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى و التعرض له بخطه و تنبيه لهم على
 عظم ما قالوه كأنه يخاطب قوما حاضرين بين يديه منكر اعليهم و مومخا لهم
 (ومما جاء من الالتفات) مراراً على قصر منته و تقارب طرفيه قوله تعالى أول
 سورة بنى اسرائيل سبحان الذي أمرى بعبده ايلام من المسجد الحرام الى المسجد
 الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير فقال أول سبحان
 الذي أسرى بلفظ الواحد ثم قال الذي باركنا بلفظ الجمع ثم قال انه هو السميع
 البصير وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الاول لكان سبحان الذي

أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي يارك حوله ليريه من آياته انه هو السميع البصير وهذا جميعه يكون معطوفا على أسرى فلما خواف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صبغة الى صبغة كان ذلك اتساعا وتفننا في أساليب الكلام ولما قصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ (وسأذكر ما سخ لي فيه فأقول) لما بدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله الذي أسرى اذ لا يجوز أن يقال الذي أسرى فلما جاء بلفظ الواحد وانه تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الأول بالثاني فقال باركنا ثم قال ليريه من آياته سبحانه بذلك على نسق باركنا ثم قال انه هو عطا على أسرى وذلك موضع متوسط الصفة لأن السمع والبصر صفتان يشاركن فيهما ما غيره وتلك حال متوسطة تخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه الى خطاب غائب فانظر الى هذه الالتفاتات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت ليعان اختصت بها يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (ومما ينخرط في هذا السلك) الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض انبيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بصيغ وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وهذا رجوع من الغيبة الى خطاب النفس فانه قال وزينا بعد قوله ثم استوى وقوله فقضاهن وأوحى والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن الصوم ليست في سماء الدنيا وأنه ليست حفظا ولا رجوما فلما صار الكلام الى ههنا عدل به عن خطاب الغائب الى خطاب النفس لانه مهمتهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للعروة المكدنية المعتقدة بطلانه وفي خلاف هذا الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الغيبة (ومما ينخرط في هذا السلك أيضا) الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة كقوله تعالى وما لي لأعبد الذي فطرني واليه ترجعون وانما صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أبرز الكلام لهم في معرض المناجحة وهو يريد مناصحتهم ليمتلطف بهم ويدارهم لان ذلك أدخل في المحاض النصيح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله وما لي لأعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني

واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال اني آمنت بربكم فاسمعون
 (فانظر) أيها المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التي تتر عليها في آيات القرآن
 الكريم وأنت تظن أنك فهمت خواها واستنبطت رموزها وعلى هذا
 الاسلوب يجري الحكم في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد كقوله
 تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق
 كل أمر حكيم أمر من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع
 العليم والفائدة ههنا في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد تخصيص
 النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والاشارة بأن انزال الكتاب انما هو اليه وان لم
 يكن ذلك صريحا لکن مفهوم الكلام يدل عليه واذا تأملت مطاوى القرآن
 الكريم وجدت فيه من هذا وأمثاله أشياء كثيرة وانما اقتصرنا على هذه الامثلة
 المختصرة ليقاس عليها ما يجري على أسلوبها وقد ورد في فصيح الشعر شي من
 ذلك كقول أبي تمام

وركب يساقون الركاب زجاجة * من السير لم تقصد لها كفتا طاب
 فقدأكلوا منها الغوارب بالسرى * وصارت لهم أشباحهم كالغوارب
 يصرف مسراها جذيل مشارق * اذا آبه هم عذيق مغارب
 يرى بالكمعاب الرود طلعة نائر * وبالعرمس الوجناء غيرة آتب
 كان بها ضغنا على ككل جانب * من الارض أوشوقا الى كل جانب
 اذا العيس لاقت بي أباداف فقد * تقطع ما بيني وبين النواذب
 هنالك تلتقي الجود من حيث قطعت * تمامه والمجد مرخي الذواذب
 ألا ترى أنه قال في الاول يصرف مسراها مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك اذا
 العيس لاقت بي مخاطبة بنفسه وفي هذا من الفائدة أنه لما صار الى مشافهة
 المدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه بمبشرها بالبعد عن المكروه
 والقرب من المحبوب ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولا به عن خطاب نفسه الى
 خطاب غيره وهو أيضا خطاب لحاضر فقال هنالك تلتقي الجود والفائدة بذلك أنه
 يخبر غيره بما شاهدته كما أنه يصف له جود المدوح وما لاقاه منه اشادة بذكره وتنويهها
 باسمه وحملها لغيره على قصده وفي صفة جود المدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة
 وهي قوله حيث قطعت تمامه ما يقتضى له الرجوع الى خطاب الحاضر والمراد

قوله وصارت لهم في نسخة من الديوان وصارت لها اشباحهم وفي أخرى فصار لهم اشباحها انتهى مصححه

بذلك أن محل المدوح هو مآلف الجود ومنشؤه ووطنه وقد براد به معنى آخر وهو
 أن هذا الجود قد أمن عليه الآفات العارضة لغيره من المن والمطل والاعتذار
 وغير ذلك إذ التمام لا تقطع الا عن أمنت عليه المخاوف وعلى هذا النهج ورد قول
 أبي الطيب المتنبى في قصيد يمدح به ابن العميد في النوروز ومن عادة الفرس في
 ذلك اليوم حمل الهدايا الى ملوكهم فقال في آخر القصيد

كثير الفكر كيف نهدي كما هـدت الى ربه المليك عباده
 والذي عندنا من المال والخبيل فخره هباته وقياده
 فبعثنا بأربعين مهارة * كل مهر مبدانه انشاده
 عدد عشته يرى الجسم فيه * أربا لا يراه فيما يزاده
 فارتبطها فان قلبنا غماها * هر يبط تسبق الجياد جياده

وهذا من احسان أبي الطيب المعروف وهو رجوع عن خطاب الغائب الى
 الحاضر واحتج أبو الطيب عن تخصيص آياته بالاربعين دون غيرها من العدد
 بحجة غريبة وهي أنه جعلها كعدد السنين التي يرى الانسان فيها من القوة
 والشباب وقضاء الاوطار ما لا يراه في الزيادة عليها فاعتذر بالطف اعذار في
 أنه لم يزد القصيد على هذه العدة وهذا حسن غريب (واما الرجوع من الخطاب
 الى الغيبة) فكقوله تعالى هو الذي يبصركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
 وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ابراج عاصف وجاءهم الموج من كل
 مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين انن أنجيتمنا من هذه المنكونن
 من الشاكرين فانه انما صرف الكلام ههنا من الخطاب الى الغيبة لفائدة وهي أنه
 ذكر لغيرهم حالهم ليحجبهم منها كالخبراهم ويستدعي منهم الانكار عليهم ولو قال
 حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتهم بها وساق الخطاب معهم
 الى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أتجها خطاب الغيبة وليس ذلك بخاف
 عن نقدة الكلام (ومما ينخرط في هذا السلك) قوله تعالى ان هذه أممكم أمة واحدة
 وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل يبئنا راجعون الاصل في تقطعوا
 تقطعتم عطف على الاول الا أنه حرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة
 الاتفات كأنه ينعي عليهم ما أنفدوه الى قوم آخرين ويقبح عندهم ما فعلوه
 ويقول ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى فجعلوا أمر دينهم

فيما بينهم قطعاً وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن
 هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوا (ومما يجرى هذا
 المجري) قوله تعالى يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً الذى له ملك السموات
 والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن
 بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فانه انما قال فآمنوا بالله ورسوله ولم يقل
 فآمنوا بالله وبى عطفاً على قوله انى رسول الله اليكم اى تجرى عليه الصفات
 التى أجريت عليه وايعلم أن الذى وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص
 الموصوف بأنه النبي الامى الذى يؤمن بالله وبكلماته كائناً من كان أنا وغيرى
 اظهاراً للنصحة وبعداً من التعصب لنفسه فقد رأوا فى صدر الآية انى رسول
 الله الى الناس ثم أخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لغرضين
 الاول منهما الاجراء تلك الصفات عليه والثانى الخروج من تهمة التعصب لنفسه
 (القسم الثانى فى الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الامر وعن الفعل
 الماضى الى فعل الامر) وهذا القسم كذا فى قوله فى انه ليس الانتقال فيه من
 صيغة الى صيغة طلباً للتوسع فى أساليب الكلام فقط بل لامروراء ذلك وانما
 يقصد اليه تعظيماً لجمال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفضيلاً لامرءه وبإضافة
 من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الامر (فما جاء منه) قوله تعالى يا هود ما جئنا بينة
 وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان تقول الاعتراك
 بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله وأشهدوا أنى برى مما تشركون فانه انما
 قال أشهد الله وأشهدوا ولم يقل وأشهدكم ليكون موازناً له وبعناهما لان اشهاد
 الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما اشهادهم فما هو الاتهامون بهم
 ودلالة على قلة المبالات بامرهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف
 ما بينهما اوجى به على لفظ الامر كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه أشهد
 على انى أحبك تكلم به واستهانته بحاله وكذلك يرجع عن الفعل الماضى الى فعل
 الامر الا أنه ليس كالاول بل انما يفعل ذلك توكيداً لما أجرى عليه فعل الامر
 لكان العناية بتحقيقه كقوله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند
 كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين الآية وكان تقدير الكلام أمر ربي بالقسط
 وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك الى فعل الامر للعناية بتوكيده

في نفوسهم فان الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم اتبعها بالاخلاص الذي
 هو عمل القلب اذ عمل الجوارح لا يصح الا باخلاص النية ولهمذا قال النبي صلى
 الله عليه وسلم الاعمال بالنيات (واعلم) أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول
 عن صيغة من الالفاظ الى صيغة أخرى لا يكون الا لتوسع خصوصية اقتضت ذلك
 وهو لا يتوخاه في كلامه الا العارف بمرور الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على
 أسرارهما وقتس عن دقاتهما وما وانغمضها طريقا (القسم الثالث في الاخبار
 ضرور علم البيان وأدقها فهمها وانغمضها طريقا) (القسم الثالث في الاخبار
 عن الفعل الماضي والمستقبل وعن المستقبل بالماضي) فالأول الاخبار بالفعل
 المستقبل عن الماضي اعلم أن الفعل المستقبل اذا أتى به في حالة الاخبار عن
 وجود الفعل صكان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضي وذلك لان الفعل
 المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كان السامع
 يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي وربما أدخل في هذا الموضوع ما ليس منه
 جهلا بمكانه فانه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماضٍ يجاز هذا المجرى وسأبين
 ذلك فأقول عطف المستقبل على الماضي ينقسم الى ضربين أحدهما بلاغي وهو
 اخبار عن ماضٍ بمستقبل وهو الذي أنا بصدد ذكره في كتابي هذا الذي هو
 موضوع لتفصيل ضرور الفصاحة والبلاغة والآخر غير بلاغي وليس اخبارا
 بمستقبل عن ماضٍ وانما هو مستقبل دل على معنى مستقبل غير ماضٍ ويراد به
 أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يعض ف فالضرب الأول كقوله تعالى والله الذي
 أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميث فأبيننا به الارض بعد موتها كذلك
 النشور فانه انما قال فتثير مستقبلا وما قبله وما بعده ماضٍ لذلك المعنى الذي أشرنا
 اليه وهو حكاية الحال التي يقع فيها اثاره الريح السحاب واستحضار تلك
 الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز
 وخصوصية كحال تستغرب أو تمم الخطاب أو غير ذلك وعلى هذا الاسلوب
 ما ورد من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه في غزوة بدر فانه قال لقيت
 عبدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لامة كاملة لا يرى منه الاعيناه
 وهو يقول أنا أبو ذات الكؤس وفي يدي عنزة فأطعن بها في عينه فوقع وأطأ
 برجلي على خده حتى خرجت العنزة متعققة فقوله فاطعن بها في عينه وطأ برجلي

معدول به عن لفظ الماضي الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها
ما فعل من الاقدام والجرأة على قتل ذلك الفارس المستلثم الا ترى أنه قال
أولاً لقيت عبيدة بلفظ الماضي ثم قال بعد ذلك فأطعن بها في عينه ولو عطف
كلامه على أوله لقال قطعنت بها في عينه وعلى هذا ورد قول تأبطشرا
بأني قد لقيت الغول تهوى * بشهب كالصهيفة صححان
فأضربها بلادهم فخرت * صريعاً للسيد وللجران
فانه قصد أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يصرفهم
اياها مشاهدة للتعجب من جرأته على ذلك الهول ولو قال فضربتها عطفاً على
الأول زالت هذه الفائدة المذكورة (فان قيل) ان الفعل الماضي أيضاً يتخيل
منه السامع ما يتخيله من المستقبل (قلت في الجواب) ان التخيل يقع في الفعلين معا
لكنه في أحدهما وهو المستقبل أوكد وأشد تخيلاً لانه يستحضر صورة الفعل
حتى كان السامع ينظر الى فاعلهما في حال وجود الفعل منه الا ترى أنه لما قال
تأبطشرا فأضربها يتخيل للسامع أنه مباشر للفعل وأنه قائم بازاء الغول وقد رفع
سيفه ليضربها وهذا لا يوجد في الفعل الماضي لانه لا يتخيل السامع منه الا فعلاً
قد مضى من غير احضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه وهذا الاختلاف
فيه وهكذا يجري الحكم في جميع الآيات المذكورة وفي الاثر عن الزبير رضي الله
عنه وفي الآيات الشعرية وعليه ورد قوله تعالى أيضاً وهو ذلك ومن يعظم حرمات
الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من
الاثوان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما
خز من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق فقال أولاً خز من
السماء بلفظ الماضي ثم عطف عليه المستقبل الذي هو فتخطفه وتهوى وانما عدل
في ذلك الى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير اياه وهوى الريح به والفائدة
في ذلك ما أسرت اليه فيما تقدم وكثيراً ما راعى أمثال هذا في القرآن * وأما الضرب
الثاني الذي هو مستقبل فكقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فانه
انما عطف المستقبل على الماضي لان كفرهم كان ووجد ولم يستجدوا بعده كثيراً
ثانياً وصدتهم متجدد على الايام لم يمض كونه وانما هو مستمر يستأنف في كل حين
وكذلك ورد قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة

(ان قيل) في هذا الموضع ان الضمائر مذكورة في كتب النحو فأى حاجة الى ذكرها هنا ولم نعلم أن النحاة لا يذكرون ما ذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحة وبلاغة وأولئك لا يعترضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وأن المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك وأما أنا فاني أوردت في هذا النوع أمرا خارجا عن الامر النحوي وأعني بقولي تو كيد الضميرين أن يؤكدا المتصل بالمنفصل كقولك انك أنت أو يؤكدا المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤكدا المتصل بتصل مثله كقولك انك انك لعالم أو انك انك لجواد وانما يؤتى بمثل هذه الاقوال في معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان (ولنقدم في ذلك قولا يحصره ويجمع أطرافه فنقول) اذا كان المعنى المقصود معلوما ثابتا في النفوس فأنت بالخيار في تو كيد أحد الضميرين فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى حينئذ أن يؤكدا أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقرره وثبته (فما جاء من ذلك) قوله تعالى قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن تكون نحن الملقين فان ارادة السحرة الالقاء قبيل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى تو كيد ما هولهم بالضميرين اللذين هما انك ونحن دل ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والاقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله أن كان قالوا اما أن تلقى واما أن تلقى لتكون الجملتان متقابلتين بحيث قالوا عن أنفسهم واما أن نكون نحن الملقين استدل بهذا القول على رغبتهم في الالقاء قبله (واما تو كيد المتصل بالمتصل) فكقوله تعالى في سورة الكهف فانطلقا حتى اذا اقبعا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبورا وهذا بخلاف قصة السفينة فإنه قال فيها ألم أقل انك لن تستطيع معي صبورا والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الاولى فقال في الاولى ألم أقل انك وقال في الثانية ألم أقل لك انك وانما جيء بذلك للزيادة في مكاشفة العتاب على رفض الوصية مرّة على مرّة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الانسان مانهيته عنه فلمته وعنفته ثم أتى ذلك مرّة ثانية أليس انك تزيد في لومه وتعنيفه وكذلك فعل ههنا فإنه قيل في الملامة أو لألم أقل انك ثم قيل ثانيا ألم أقل لك انك وهذا موضع يدق عن العتور عليه ببادرة النظر

ما لم يعط التأمل فيه حقه (وأما توكيد المتصل بالمنفصل) فتحوقوله تعالى
 فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فتوكيد الضميرين
 ههنا في قوله انك أنت الاعلى أنى للخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه للغلبة
 والقهر ولو حال لا تخف انك الاعلى أو فأنت الاعلى لم يكن له من التقرير
 والاثبات لنى الخوف ما لقوله انك أنت الاعلى (وفي هذه الكلمات الثلاث)
 وهي قوله انك أنت الاعلى ست فوائد (الاولى) ان المشددة التي من شأنها
 الاثبات لما يأتي بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول ان زيد قائم ففي قولك ان
 زيد قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس في قولك زيد قائم (الثانية) تكرير
 الضمير في قوله انك أنت ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان به هذه المكانية
 في التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره (الثالثة) لام التعريف في قوله الاعلى
 ولم يقل أعلى ولا عال لأنه لو قال ذلك لكان قد نكره وكان صالحا لكل واحد من
 جنسه ~~كقولك~~ رجل فانه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قلت
 الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته عالما فيهم وكذلك جاء قوله
 تعالى انك أنت الاعلى أي دون غيرك (الرابعة) لفظ أ فعل الذي من شأنه التفضيل
 ولم يقل العالى (الخامسة) اثبات الغلبة له من العلولان الغرض من قوله الاعلى
 أي الاغلب الآن في الاعلى زيادة وهي الغلبة من عال (السادسة) الاستئناف
 وهو قوله تعالى لا تخف انك أنت الاعلى ولم يقل لانك أنت الاعلى لأنه لم يجعل
 عليه اتقاء الخوف عنه ~~ككونه~~ عالبا وانما نى الخوف عنه أولا بقوله لا تخف
 ثم استأنف الكلام فقال انك أنت الاعلى فكان ذلك أبلغ في ايقان موسى عليه
 السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت لذلك في نفسه (وربما وقع لبعض الاغمار
 أن يعترض على ما ذكرناه) في توكيد أحد الضميرين بالآخر فيقول لو كان
 توكيدهما أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه
 حيث هو أولى بما هو أبلغ وأوكد من القول وقد رأيت في القرآن الكريم
 مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله
 عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعج الملك من تشاء وتزعج
 وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ولم يقل انك أنت على كل شيء قدير
 فما الموجب لذلك ان كان توكيد أحد الضميرين بالآخر أبلغ من الاقتصار على

أحدهما (الجواب عن ذلك) أنا نقول قد قدمنا القول في أول هذا النوع
 أنه إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحب الكلام مخير في توكيد أحد
 الضميرين بالآخر فإن أكد فقد أتى بقضيل بيان وإن لم يؤكده فلان ذلك المعنى
 ثابت لا يفتقر في تقريره إلى زيادة تأكيد كهداه الآيات المشار إليها وهي قوله
 تعالى قل اللهم مالك الملك فإن العلم بأن الله على كل شيء قدير لا يفتقر إلى تأكيد
 يقرره وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية مؤكداً كما في قوله تعالى واذ قال
 الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال
 سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في
 نفسي ولا أعلم ما في نفسك أنت علام الغيوب فوكده في هذه الآية ولم يؤكده
 في الآية الأخرى وقد عرفتك الطريق في ذلك وأما إذا كان المعنى المقصود غير
 معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى أن يؤكده بالضميرين في الدلالة عليه كقوله
 تعالى قلنا لا تحقنك أنت الأعلى فإن موسى لم يكن متيقناً أنه غالب للسحرة
 فلذلك وكده خطابه بالضميرين ليكون أبلغ في تقرير ذلك في نفسه (وأما توكيد
 المنفصل بمنفصل مثله) فكقول أبي تمام

لأنت أنت ولا الديار ديار * خف الهوى ونوات الاوطار

فقوله لأنت أنت ولا الديار ديار من الملمح النادر في هذا الموضع لأنه هو هو
 والديار الديار وإنما البواعث التي كانت تبعث على قضاء الاوطار ذات نبي
 ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار
 وعلى هذا ورد قول أبي الطيب المتنبى

قبيل أنت أنت وأنت منهم * وجدك بشر الملك الهمام

فقوله أنت أنت من توكيد الضميرين المشار إليهما وقائده المبالغة في مدحه
 ولو مدحه بما شاء الله لما سدمه قوله أنت أنت أي أنك المشار إليه بالفضل دون
 غيرك وأما قوله وأنت منهم فخارج عن هذا الباب وهو كلام مستأنف لا يتعلق
 بتوكيد الضميرين كأنه قال أنت الموصوف بكذا وكذا وأنت من هذا القبيل
 يريد بذلك مدح قبيله به وهذا البيت لم أمثل به اختياراً واستحادة وإنما مثلت
 به ليعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل والافاليت ليس من المرضى لأن سبكه
 سببك عار من الحسن وفيه تقديم وتأخير (وقرأت في كتاب الاغانى) لابي الفرج

ان عمرو بن ربيعة قال لزيد بن الهبولة يا خير القتيان اردد علي ما اخذته
 من ابلي فردها عليه وفيها فخلها فنازع الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له
 زياد لوصرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم انتم انتم فقال عمرو له
 لقد اعطيت قليلا وسمت جديلا وجررت علي نفسك وبلاطويلا فقوله لكنتم
 انتم انتم أي انتم الاشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس أو ماجرى هذا
 المجرى الا أن في انتم الثانية تخص بصالحهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال
 لكنتم انتم الشجعان دون غيركم ولو مدحهم بأي شيء مدحهم من وصف
 البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هذه الكلمة أعني انتم الثانية وهذا
 موضع من علم البيان تتكرر محاسنه فاعرفه (التوع السادس في عطف المظهر
 على ضميره والافصاح به بعده) وهذا انما يعمد اليه الفائدة وهي تعظيم شأن
 الامر الذي أظهر عنده الاسم المضمرا أولا ومثال ذلك قول القائل ولما تلاقينا
 بنو عيم أقبلوا ونحنونناير كضون فرأيتهم أسودا نكلت سابق الاسنة الى
 الورود ولا ترتد على أعقابها اذا ارتدت أمثالها من الاسود وتناجد بنو عيم
 علينا بجملته فلذنا بالقرار واستبقنا الى قولية الادبار فانه انما قيل وتناجد
 بنو عيم مصرحاً باسمهم ولم يقل وتناجدوا كما قيل أقبلوا للدلالة على التعجب من
 اقدامهم عند الجملة ونباتهم عند الصدمة لاسيما وقد أورد ذلك بقوله لذنا
 بالقرار واستبقنا الى قولية الادبار كأنه قال وتناجد أولئك القرسان المشاهير
 والحكمة المناكير وجملا علينا جملة واحدة فوليها مدبرين منهزمين (ومما جاء
 من ذلك) قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على
 الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
 الآخرة ألا ترى كيف صرح باسمه تعالى في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة مع
 ابتداءه مبتدأ في قوله كيف يبدئ الله الخلق وقد كان القياس أن يقول كيف
 يبدئ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة والفائدة في ذلك أنه لما كانت الاعادة
 عندهم من الامور العظيمة وكان صدور الكلام واقعا عندهم في الابداء وقرره
 أن ذلك من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء واذا كان الله الذي
 لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الابداء فوجب أن لا يعجزه الاعادة فللدلالة والتبسيه
 على عظم هذا الامر الذي هو الاعادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبتدأ ثانياً وعلى

عطف المظهر على ضميره

هذا ورد قوله تعالى ويوم حنين اذا عجزتكم كرتكم فلم تغن عنكم
شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنود الم تر وها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين الا ترى انه قال اولاً ويوم حنين اذا عجزتكم كرتكم فذكر مضراً
تقدم الكلام فيه ثم عطف المظهر الذي هو له وهو قوله ثم انزل الله سكينته على
رسوله وعلى المؤمنين وكان العطف لو اضمركما اضمرا الا اول بقيل ثم انزل الله
سكينته عليكم وانزل جنود الم تر وها وفائدة الاظهار ههنا للمعطوف بعد
اضماره اولاً التنويه بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المؤمنين اولاً لان
الامر عظيم وهو الانتصار بعد الفراق اى الامر من قدر كان لاظهار المعطوف
مناسبا وهكذا يكون عطف المظهر على ضميره فانه يستند الى فائدة يهيم ذكرها
فان لم يكن هناك مثل هذه الفائدة والا فلا يحسن الاظهار بعد الاضمار وكذلك
جاء قوله تعالى واذا اتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان بصدكم
عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق
لما جاءهم ان هذا الاسحريين فانه انما قال وقال الذين كفروا ولم يقل وقالوا
ككالى قبله للدلالة على صدور ذلك من انكار عظيم وغضب شديد وتعجب
من كفرهم بليغ لاسيما وقد انضاف اليه قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
وما فيه من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في ذلك من المبادهة كانه قال
وقال اولئك الكفرة المتكبرون يجراءتهم على الله ومكابرتهم لئلا ذلك الحق المبين
قبل ان يتدبروه ان هذا الاسحريين وعلى نحو من ذلك ورد قوله تعالى ص
والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن
فنادوا اولادنا من مناص وعجبوا ان جاءهم منذور منهم وقال الكافرون هذا
ساحر كذاب وكان القياس ان يقال وقالوا هذا ساحر كذاب عطفنا على عجبوا
وانما اتى باسم الكافرين منظها بعد اضماره للاشعار بتعظيم ما اجترأ عليه
من القول فى امر النبي صلى الله عليه وسلم اولاً لان هذا القول كان أهم
عندهم وارسخ فى نفوسهم فصرح باسم فائدة دلالة على ما كان فى أنفسهم منه
(النوع السابع فى التفسير بعد الايهام) اعلم ان هذا النوع لا يعمد الى استعماله
الا لضرب من المبالغة فاذا جىء به فى كلام فانما ينفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم

التفسير بعد الايهام

واعظامه لانه هو الذي يطرق السمع أولا فيذهب بالسامع كل مذهب كتوله
تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصحين ففسر ذلك الامر
بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفي ايهامه أولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم للامر
وتعظيم لشأنه فانه لو قال وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع لما كان بهذه المكانة
من النخامة فان الابهام أولا يوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع
سمعه وتشوق الى معرفته والاطلاع على كنهه وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى
قال قد أوتيت سؤلك يا موسى واقدمه لنا عليك مرة أخرى اذا وحيننا الى أمك
ما يوحى أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في اليم ففسر ما يوحى بقوله أن اقدفيه
وهذا كالأول في ايهامه أولا وتفسيره ثانيا ومثل هذا ورد قوله تعالى في سورة
أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فانه انما قال ذلك
ولم يقل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لما في الاول من التنبيه والاشعار
بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول هل
أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ثم تقول فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه
بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لانك تثبت
ذكره مجالا ومفصلا بفعله علم في الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلا
جامعا للخصتين جميعا فعليه بفلان (فان قيل) فما الفرق بين عطف المظهر على
ضميره وبين التفسير بعد الابهام فان المضمحلهم (فالجواب عن ذلك)
أني أقول ان كان السؤال عن قائدهما فانهما في الفائدة سواء وذلك أنهما
انما يراد ان لتعظيم الحال والاعلام بفخامة شأنها وان كان السؤال عن
الفرق بينهما في العبارة فاني أقول المضمحل ياتي بعد مظهر تقدم ذكره أولا
ثم يعطف المظهر على ضميره أي على ضمير نفسه كالمثال الذي ضربناه في بنى تميم
وأما التفسير بعد الابهام فان المبهم يقدم أولا وهو أن يذكر شي يقع عليه محتملات
كثيرة ثم يفسر بإيقاعه على واحد منها وليس كذلك عطف المظهر على
ضميره (ونما جاء من التفسير بعد الابهام) قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم
اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة
هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزي الامثاله او من عمل صالحا من ذكر أو أنثى
وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ألا ترى كيف قال

أهدكم سبيل الرشاد فأبهم سبيل الرشاد ولم يبين أي سبيل هو ثم فسر ذلك فافتح
 كلامه بتم الدنيا وتصف غير شأنها ثم ثنى ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على
 حقيقتها ثم ثلث بذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما
 لينبسط عما يتلف وينشط لما يرتاف كأنه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن
 الدنيا والرغبة في الآخرة والامتناع من الأعمال السيئة خوفاً للمقابلة
 عليها والمسارة إلى الأعمال الصالحة رجاءاً للمجازاة عليها وكذلك ورد قوله
 تعالى وأذيرفع إبراهيم المقواعد من البيت واسماعيل فإنه انما قال القواعد
 من البيت ولم يقل قواعد البيت لما في إبهام القواعد أولاً وتبيينها بعد ذلك
 من تفخيم حال الميمن مما ليس في الإضافة (وعما يجرى هذا الجرى) قوله تعالى
 وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب السموات فأطلع
 إلى إله موسى فإنه لما أراد تفخيم ما أطل فرعون من بلوغه أسباب السموات
 أبهمها أولاً ثم فسرها ثانياً ولأنه لما كان بلوغها أمرًا عجيباً أراد أن يورده على
 نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشتوق إليه نفس
 هامان ثم أوضحه بعد ذلك (وعلى هذا الأسلوب) ورد قوله تعالى قل انما أعظكم
 بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو
 الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد فإنه قال أولاً أعظكم بواحدة فأبهم
 الواحدة ثم فسرها بقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى وأن تفكروا وهذا
 في القرآن الكريم كثيراً الاستعمال (وأما الإبهام من غير تفسير) فكثير شائع
 في القرآن الكريم أيضاً كقوله تعالى وفعلت فعلتك التي فعلت وكذلك ورد قوله
 تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم أي للطريقة أو الحالة أو الملة التي
 هي أقومها وأسدّها وأي ذلك قدرت لم تجده مع الافصاح ذوق البلاغة التي
 تجده مع الإبهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة
 وهذا كقول القائل لو رأيت علياً بين الصفيين فإنه لو وصفه مهما وصف من شجدة
 وشجاعة وثبات وإقدام وأطال القول في ذلك لم يكن بمثابة ما يتراعى إليه الوهم
 مع الإبهام وهذا للعارف بزموز هذه الصناعات وأسرارها (وعلى هذا
 الأسلوب) ورد قوله تعالى فغشهم من اليمّ ما غشهم وأبلغ من ذلك قوله تعالى
 والمؤتفة كهأهوى فغشاها ما غشى فإنه قال في تلك الآية فغشهم من اليمّ

ما غشيم فذكر اليم وهو البحر فصار الذي غشيم انما هو منه خاصة وقال في هذه
 الآية فغشاها ما غشى فأبهم الامر الذي غشاها به وجعله عاما وذلك أبلغ لان
 السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب وأما ما جاء من ذلك شعرا فكقول البحتري
 بعيد مقبل الصدر لا يقبل التي • يحاولها منه الارب الخادع
 فقوله التي يحاولها من الابهام المقدم ذكره في الآية (ومما ينتظم بذلك)
 قول الشاعر في آيات الحماسة

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه • فلما علاه قال للباطل ابعث
 فقوله صبا ما صبا من الابهام الذي لو قدرت ما قدرت في تفهيمه لم تجده من
 فضيلة البيان ما تجده مع الابهام (وعليه ورد) قول أبي نواس
 ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم • وأسمت سرح اللخط حين أساموا
 وبلغت ما بلغ امرؤ بشبايه • فاذا عصارة ~~كل~~ ذل الثام
 فقوله وبلغت ما بلغ امرؤ بشبايه من هذا الخط المشار اليه وهو من الملاحق القادر
 (ومما يجري على هذا النهج) قول الآخر في وصف الحجر

مضى بها ماضى من عقل شاربها • وفي الزجاجة باق يطالب الباقي
 والكلام على هذا البيت كالقلام على البيت الذي قبله (ومثله ورد) قول
 بعض المتأخرين فواد فيه ما فيه وعلى هذا ورد قولني في فصل من تقليد لبعض
 الوزراء قتلت وأنت مؤهل لواحدة متخلقها غررا الجياد وتتادى العلياء
 بلسان الاسجاد وتفخر بها سمر الاقلام على سمر الصعاد فأبسط يدك لاخذ كتابها
 واسمع اطيب ذكرها بعد سعيك في طلابها واعلم أن الخطاب اليها كثير لكنها
 صدت بك عن خطابها ولقد مضى عليها زمن وهي تفور حتى استقادها الآن
 تأنيبك ولم تسبق الاقدار باسمك الا لتكون سليمانها وهي بقلبك وهذا
 الوزير كان اسمه سليمان فسقت المعنى اليه فجاء كما زاه من الحسن والطفافة
 وأما قولني وأنت مؤهل لواحدة فانه من الابهام من غير تفسير وذلك بخلاف
 ما ورد في الآية المقدم ذكرها لان تلك من التفسير بعد الابهام (ومما ينتظم
 في هذا السلك) الاستثناء العدي وهو ضرب من المبالغة لطيف المأخذ وقائده
 أنه أول ما يطرق سمع مخاطب ذكر العقد من العدد فيكثر موقع ذلك عنده وهو
 شبه بما ذكرناه من الابهام أولا ثم التفسير بعده ثانيا وذلك كقول القائل

أعطيته مائة الا عشرة أو أعطيته ألفا الامانة فان ذلك أبلغ من أن لو قال أعطيته
 تسعين أو تسعمائة (وعليه ورد) قوله تعالى واقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث
 فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة وخمسين عاما لفائدة حسنة وهي
 ذكر ما ابتلى به نوح من أمته وما كابد من طول المصابرة ليكون ذلك تسلية
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلقاه من أمته وتثبيتا له فان ذكر رأس
 العدد الذي هو منتهى العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة
 السماع مدة صبره وما لاقاه من قومه (النوع الثامن في استعمال العام في النفي
 والنخاص في الاثبات) اعلم أنه اذا كان الشبان أحدهما ناسا والآخر
 عامما فان استعمال العام في حالة النفي أبلغ من استعماله في حالة الاثبات وكذلك
 استعمال النخاص في حالة الاثبات أبلغ من استعماله في حالة النفي (ومثال ذلك)
 الانسانية والحيوانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب
 نفيها نفي الحيوانية وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الانسانية ولا يوجب
 اثباتها اثبات الانسانية (ومما ينتظم بذلك) الاسماء المفردة الواقعة على الجنس
 التي يكون بينها وبين واحداتها التأنيث فانه متى أريد النفي كان استعمال
 واحدتها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها أبلغ (وكذلك يصل بهذا
 النوع) الصفتان الواردتان على شيء واحد فانه اذا لزم من وجود احدهما
 وجود الاخرى اکتفي بها في الذكر ولم يحتج الى ذكر الاخرى لانه يجيء ضمنا وتبعاً
 أو أن يبدأ بها في الذكر أو لا ثم تجيء الاخرى بعدها وأما الصفات المتعددة فانه
 ينبغي أن يبدأ في الذكر بالادنى مرتبة ثم بعدها بما هو أعلى منها الى أن ينتهي الى
 آخرها هذا في مقام المدح فان كان في مقام الذم عكست القضية فالاول
 وهو النخاص والعام نحو قوله تعالى تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت
 ما حوله ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب بضوئهم موازنا لقوله فلما أضاءت لان
 ذكر النور في حالة النفي أبلغ من حيث ان الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة
 فلما قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطى ذهب تلك الزيادة وبقاء ما يسمى
 نورا لان الاضاءة هي فرط الانارة قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء
 والقمر نورا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوء فالغرض من قوله تعالى ذهب الله
 بنورهم انما هو ازالة النور عنهم أصلًا فهو اذا ازاله فقد ازال الضوء

وكذلك أيضا قوله تعالى ذهب الله بنورهم ولم يقل أذهب نورهم لأن كل من ذهب بشئ فقد أذهب به وليس كل من أذهب شيئا فقد ذهب به لأن الذهاب بالشيء هو استحباب له ومضى به وفي ذلك نوع اختيار بالمذهب به وامسالك له عن الرجوع الى حالته والعود الى مكانه وليس كذلك الاذهب للشيء لزوال معنى الاحتجار عنه (وعما يحتمل على ذلك) الاوصاف الخاصة اذا وقعت على شيئين وكان يلزم من وصف أحدهما وصف الآخر ولا يلزم عكس ذلك ومثاله قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض فانه انما خص العرض بالذكر دون الطول للمعنى الذي أشرنا اليه والمراد بذلك انه اذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها وهذا في حالة الاثبات ولو أريد النفي لكان له أسلوب غير ما ذكرناه وهو أنه كان يخص به الطول دون العرض (وأما الاسماء المفردة الواقعة على الجنس) فهو قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام قال الملائم من قومه اننا نراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين فانه انما قال ليس بي ضلالة ولم يقل ليس بي ضلال كما قالوا لان نبي الضلالة أبلغ من نبي الضلال عنه كما لو قيل ألك تمر فتلت في الجواب مالي تمر وذلك أني للتمر ولو قلت مالي تمر لما كان يؤدى من المعنى ما أداء القول الاقول وفي هذا الموضوع دقة تحتاج الى فضل تام فينبغي لصاحب هذه الصناعة مراعاته والعناية به (فان قيل) لافرق بين الضلالة والضلال وكلاهما مصدر وقولنا ضل يضل ضلالا وضل يضل ضلالة كما يقال لذيبلذاذة (فالجواب) عن ذلك أن الضلالة تكون مصدرا كما قلت وتكون عبارة عن المرة الواحدة تقول ضل يضل ضلالة أى مرة واحدة كما تقول ضرب يضرب ضربة وقام يقوم قومة وأكل يأكل أكلة والمراد بالضلالة في هذه الآية انما هو عبارة عن المرة الواحدة من الضلال فقد نفي ما فوقها من المراتب والمرار الكثيرة (وأما الصفتان الواردتان على شئ واحد) فكقول الاشترا النحوي

حلقت وفدى وانحرفت على العلي • واقبت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة • لم تحفل يوما من نهاب نفوس
خيلا كما مثال السعالى شرما • تعدو ويبيض فى الكريمة شوس
حتى الحد يد عليهم فكأنه • لعان برق أو شعاع شوس

ألا ترى أنه رقى في التشبيه من الأدنى إلى الأعلى فقال لمعان برق أو شعاع شمس
لأن لمعان البرق دون شعاع الشمس (ومما ورد من ذلك في القرآن الكريم)
قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فأت وجود
المواخضة على الصغيرة يلزم منه وجود المواخضة على الكبيرة وعلى القياس
المشار إليه أو لا ينبغي أن يكون لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لأنه إذا لم يغادر
صغيرة فمن الأولى أن لا يغادر كبيرة وأما إذا لم يغادر كبيرة فإنه يجوز أن يغادر
صغيرة لأنه إذا لم يعرف عن الصغيرة فيقضى القياس أنه لا يعرف عن الكبيرة
وإذا لم يعرف عن الكبيرة فيجوز أن يعرف عن الصغيرة غير أن القرآن الكريم
أحق أن يتبع وأجدد بأن يقاس عليه لا على غيره والذي ورد فيه من هذه
الآية ناقض لما تقدم ذكره (وكذلك ورد قوله تعالى) فلا تقل لهما أف
ولا تنهرهما لأن التأنيف أدنى درجة وقد تقدم قولي في أول هذا النوع أنه إذا
جاءت صفتان يلزم من وجود أحدهما وجود الأخرى أن يكتفى بذكرها دون
الأخرى لأن الأخرى تجبى ضمنا وتساوا أن يبدأ بها في الذكر ثم تجبى الأخرى
بعدها وعلى هذا فيقال أولا فلا تنهرهما ولا تقل لهما أف لكن إذا لم يقل لهما
أف امتنع أن ينهرهما وقد كان هذا هو المذهب عندي حتى وجدت كتاب الله
تعالى قد ورد بخلافه وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به (وأما الصفات
المتعددة الواردة على شيء واحد) فكقول أبي عبادة الجعفي في وصف نحول
الركاب يترقرن كالسراب وقد خضت من غمار من السراب الجارى
كالقسي المعطفات بل الاسم منهم مبرية بل الأوتار

ألا ترى أنه رقى في تشبيه نحولها من الأدنى إلى الأعلى في تشبهها أولا بالقسي ثم
بالاسهم المبرية وتلك أبلغ في النحول ثم بالأوتار وهي أبلغ في النحول من الاسهم
وكذلك ينبغي أن يكون الاستعمال في مثل هذا الباب وقد أغفل كثير
من الشعراء ذلك فمن جملتهم أبو الطيب المتنبي في قوله

يا بدر يا بحر يا غمامة يا * أيت الشرى يا حمام يا رجل

وي ينبغي أن يبدأ فيه بالأدنى فالأدنى فإنه إذا فعل ذلك كان كارتفع من محل
إلى محل أعلى منه وإذا خالفه كان كالمختص من محل إلى محل أدنى منه فأما قوله
يا بدر فإنه اسم المدح والابتداء به أولى ثم بعده فيجب أن يقول يا رجل يا أيت

ياغمامة يا بجر يا حمام لان اللبث أعظم من الرجل والبر أعظم من الغمامة
والحمام أعظم من البجر وهذا مقام مدح فيجب أن يرتقى فيه من منزلة الى منزلة
حتى ينتهي الى المنزلة العليا آخرا ولو كان مقام ذم لعكس القضية وعلى مثله
ورد قول أبي تمام يفتخر

سماي أوس في الفخار وحاتم * وزيد القنا والازرمان وواقع

نجوم طوابع جبال قوارع * غيوث هوامع سبول دواقع

فان السبول دون الغيوث والجبال دون النجوم ولو قدم ما آخر لما اختل النظم

بأن قال سبول دواقع غيوث هوامع * جبال قوارع نجوم طوابع

وهذا عندي أشد ملامة من المتنبي لان المتنبي لا يمكنه تقديم الفاظ بيته

وتأخيرها وأبو تمام متمكن من ذلك وما أعلم كيف ذهب عليه هذا الموضع

مع معرفته بالمعاني (النوع التاسع في التقديم والتأخير) وهذا باب طويل

عريض يشتمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا ومنها ما وجدته في أقوال

علماء البيان وسأورد ذلك مبينا (وهو ضربان) الاول يختص بدلالة الافاظ على

المعاني ولو آخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى والثاني يختص بدرجة التقدم

في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو آخر لما تغير المعنى (فأما الضرب

الاول فانه ينقسم الى قسمين) أحدهما يكون التقديم فيه هو الابلغ والاخر

يكون التأخير فيه هو الابلغ (فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الابلغ)

فكأن التقديم المفعول على الفعل وتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم الظرف أو الحال

أو الاستثناء على العامل فن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك زيدا

ضربت وضربت زيدا فان في قولك زيدا ضربت تخصيصا له بالضرب دون غيره

وذلك بخلاف قولك ضربت زيدا لانك اذا قدمت الفعل كنت بالخيار في ايقاعه

على أي مفعول شئت بأن تقول ضربت خالدا أو بكرا أو غيرهما واذا أخرته

لزم الاختصاص للمفعول وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه كقولك زيدا قائم وقائم

زيد فقولك قائم زيد قد أثبت له القيام دون غيره وقولك زيدا قائم أنت بالخيار

في اثبات القيام له ونفيه عنه بأن تقول ضارب أو جالس أو غير ذلك وهكذا

يجري الحكم في تقديم الظرف كقولك ان الى مصير هذا الامر وقولك ان مصير

هذا الامر الى فان تقديم الظرف دل على أن مصير الامر ليس الا اليك وذلك

بجـ لاف قولك ان مصيرها هذا الامر الى اذ يحتمل ايضاح الكلام بعد الظرف
على غيرك فيقال الى زيد او عمرو او غيره ما وكذلك يجرى الامر في الحال
والاستثناء وقال علماء البيان ومنهم الزمخشري رحمه الله ان تقديم هذه
الصورة المذكورة انما هو للاختصاص وليس كذلك والذي عندي فيه
انه يستعمل على وجهين أحدهما الاختصاص والاخر مراعاة نظم الكلام
وذلك ان يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم واذا آخر المة تقدم ذهب ذلك الحسن
وهذا الوجه ابلغ وأوكد من الاختصاص فأما الاول الذي هو الاختصاص
فصو قوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد اياهم الجاهلون واقد أوصي اليك
والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله
فاعبدوكن من الشاكرين فانه انما قيل بل الله فاعبدو ولم يقل بل اعبد الله لانه
اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ولو قال بل اعبدوا لجاز ايضاح
الفعل على أى مفعول شاء وأما الوجه الثاني الذى يختص بنظم الكلام
فصو قوله تعالى اياك نعبد و اياك نستعين وقد ذكر الزمخشري في تفسيره ان التقديم
في هذا الموضع قصده الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على
الفعل للاختصاص وانما تقدم لمكان نظم الكلام لانه لو قال نعبدك ونستعينك
لم يكن له من الحسن ما لقوله اياك نعبد و اياك نستعين الا ترى انه تقدم قوله
تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فجاء بعد ذلك قوله اياك
نعبد و اياك نستعين وذلك مراعاة حسن النظم السجعية الذى هو على حرف النون
ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير
خاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب علم البيان وعلى نحو منته ورد قوله
تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى وتقدير
الكلام فأوجس موسى في نفسه خيفة وانما تقدم المفعول على الفاعل وقصص بين
الفعل والفاعل بالمفعول وبجرف الجر قصد التحسين النظم وعلى هذا فليس كل
تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فيبطل اذا ما ذهب اليه الزمخشري
وغيره (ومما ورد من هذا الباب) قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فان
تقديم الجحيم على التصلية وان كان فيه تقديم المفعول على الفاعل الا أنه لم يكن
ههنا للاختصاص وانما هو لافضيلة السجعية ولا مراعى في أن هذا النظم على هذه

الصورة أحسن من أن لو قيل خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم (فان قيل) انما قدمت
 الجحيم للاختصاص لانها نار عظيمة ولو أخرت بلماز وقوع الفعل على غيرها كما يقال
 ضربت زيداً او زيداً ضربت وقد تقدم الكلام على ذلك (فالجواب) عن ذلك
 أن الإدراك الاسفل أعظم من الجحيم فكان ينبغي أن يخص بالذ كر دون الجحيم على
 ما ذهب اليه لانه أعظم وهذا لا يذهب اليه الا من هو بنحوه عن رموز الفصاحة
 والبلاغة واللفظة الجحيم ههنا في هذه الآية أولى بالاستعمال من غيرها لانها جاءت
 ملائمة لتنظيم الكلام ألا ترى أن من أسماء النار السعير والطنى وجهنم ولو وضع
 بعض هذه الاسماء مكان الجحيم لما كان له من الطلاوة والحسن ما للجحيم
 والمقصود بذكر الجحيم انما هو النار اى صلوه النار وهكذا يقال في ثم في سلسلة
 ذرعهما سبعون ذراعاً فاسلكوه فانه لم يقدم السلسلة على السلك للاختصاص
 وانما قدمت لمكان نظم الكلام ولا شك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل
 ثم اسلكوه في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعاً والكلام على هذا كالكلام على
 الذى قبله وله في القرآن تطاير كثيرة ألا ترى الى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ
 منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
 والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فقوله والقمر قدرناه
 منازل ليس تقدير المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص وانما هو
 من باب مراعاة نظم الكلام فانه قال والليل نسلخ منه النهار ثم قال والشمس
 تجري فاقتضى حسن النظم أن يقول والقمر قدرناه ليكون الجميع على نسق
 واحد في النظم ولو قال وقدرنا القمر من منازل لما كان تلك الصورة في الحسن
 وعليه ورد قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وانما تقدم
 المفعول لما كان حسن النظم السجى (وأما تقديم خير المبتدأ عليه) فقد تقدمت
 صورته كقولك زيد قائم وقائم زيد فما ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى
 وظنوا أنهم ما نعتمهم حصونهم من الله فانه انما قال ذلك ولم يقل وظنوا أن
 حصونهم تمنعهم أو ما نعتمهم لان في تقديم الخبر الذى هو ما نعتمهم على المبتدأ
 الذى هو حصونهم دليل على فرط اعتقادهم فى حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها
 اياهم وفى تصويب ضميرهم اسمالات واسناد الجملة اليه دليل على تقريرهم
 فى أنفسهم أنهم فى عزة وامتناع لا يبالي معها بقصد قاصد ولا تعرض متعرض

وليس شئ من ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم مانعهم من الله (ومن تقديم خبر المبتدأ) قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم فانه انما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله أراغب أنت ولم يقل أنت راغب لانه كان أهم عندهم وهو به شديد العناية وفي ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة إبراهيم عن آلهته وان آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها وهذا بخلاف ما لو قال أنت راغب عن آلهتي (ومن غامض هذا الموضع) قوله تعالى واقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين ~~كفروا~~ فانه انما قال ذلك ولم يقل فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لامرين أحدهما تخصيص الإبصار بالشخص دون غيرها أما الأول فلو قال فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لجاز أن يضع موضع شاخصة غيره فيقول حائرة أو مطموسة أو غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخص بالابصار دون غيرها وأما الثاني فانه لما أراد أن الشخص خاص بهم دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولا ثم بصاحبه ثانيا كانه قال فاذا هم شاخصون دون غيرهم ولولا أنه أراد هذين الامرين المشار اليهما لقال فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لانه أخصر بحذف الضمير من الكلام (ومن هذا النوع) قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور وماؤه الحل ميتته وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور وميتته حل لان الالف واللام ههنا بمعنى الذي (وأما تقديم الطرف) فانه اذا كان الكلام مقصودا به الاثبات فان تقديمه أولى من تأخيره وقائده اسناد الكلام الواقع بعده الى صاحب الطرف دون غيره فاذا أريد بالكلام النبي فيحسن فيه تقديم الطرف وتأخيره وكلا هذين الامرين له موضع يختص به فاما تقديمه في النبي فانه يقصده تفضيل النبي عنه على غيره وأما تأخيره فانه يقصده النبي أصلا من غير تفضيل فأما الأول وهو تقديم الطرف في الاثبات فكذلك في الصورة المقدمة ان الى مصير هذا الامر ولو أخرت الطرف فقلت ان مصير هذا الامر الى لم يعط من المعنى ما أعطاه الاول وذلك أن الاول دل على أن مصير الامر ليس الا اليك وذلك بخلاف الثاني اذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الطرف على غيرك فيقال الى زيد او عمرو أو غيرهما وعلى نحو منه جاء قوله تعالى ان ايننا اياهم ثم ان علينا حسابهم وكذلك جاء قوله تعالى يسبح لله ما في السموات

قوله فتقديم الظرف الخ لا يفرغ على ما قبلها

وما في الارض له الملك وله الحمد فانه انما تقدم الظرفين ههنا في قوله له الملك وله
الحمد لا يدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بانه لا يغيره (وقد استعمل
تقديم الظرف في القرآن كثيرا) كقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة
أى تنظر الى ربها دون غيره فتقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص وانما هو
كلاذى أشرت اليه في تقديم المفعول وأنه لم يقدم للاختصاص وانما تقدم من
أجل نظم الكلام لان قوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة أحسن
من أن لو قيل وجوه يومئذ ناظرة الى ربها والفرق بين النظمين ظاهر
وكذلك قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فان هذا
روى فيه حسن النظم لا الاختصاص في تقديم الظرف وفي القرآن واضع
كثيرة من هذا القبيل يقيسها غير العارف بأسرار الفصاحة على مواضع أخرى
وردت للاختصاص وليست كذلك فمنها قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر
وقوله تعالى ألا الى الله تصير الامور وله الحكم واليه ترجعون وعليه توكلت
واليه أنيب فان هذه جميعها لم تقدم الظروف فيها للاختصاص وانما قدمت
لمراعاة الحسن في نظم الكلام فاعرف ذلك (وأما الثاني وهو تأخير الظرف
وتقديمه في النقي) فتح وقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله تعالى
لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه انما أخر الظرف في الاول لان القصد
في ايلاء حرف النفي الريب نفي الريب عنه واثبات أنه حق وصدق لا باطل
وكذب كما كان المشركون يدعون له ولو أولاه الظرف اقصد أن كتابا آخر فيه
الريب لافيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها غول فتأخير الظرف يقتضى النقي
أصلا من غير تفضيل وتقدمه يقتضى تفضيل المنفي عنه وهو خير الجنة على غيرها
من جور الدنيا أى ليس فيها ما في غيرها من الغول وهذا مثل قولنا لا عيب
في الدار وقولنا لا فيها عيب فالاول نقي للعيب عن الدار فقط والثاني تفضيل
لها على غيرها أى ليس فيها ما في غيرها من العيب فاعرف ذلك فانه من دقائق هذا
الباب (وأما تقديم الحال) فكذلك جاء را بكازيد وهذا بخلاف قولك جاء زيد
را كما اذ يحتمل أن يكون ضاحكا أو ماشيا أو غير ذلك (وأما الاستثناء) بخار
هذا المجرى نحو قولك ما قام الا زيدا أحد أو ما قام أحد الا زيدا والكلام
على ذلك كالقلام على ما سبق (وأما القسم الثاني) فهو أن يقدم ما الاولى به

التأخير لان المعنى يختل بذلك ويضطرب وهذا هو المعاطلة المعنوية وقد
 قدمنا القول في المقالة الاولى المختصة بالصناعة اللفظية بأن المعاطلة تنقسم
 قسمين أحدهما اللفظي والاخر معنوي أما اللفظي فذكرناه في بابيه وأما
 المعنوي فهذه ابابيه وموضعه وهو كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف
 وتقديم الصلة على الموصول وغير ذلك مما يرد بيانه (فمن هذا القسم) قول بعضهم
 فقد والشئ بين لي عناء * بوشك فراقهم ضردي يصح
 فانه قدم قوله بوشك فراقهم وهو مفعول يصح ويصح صفة لضردي على ضردي
 وذلك قبيح ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال هذا من موضع كذا رجل ورد اليوم
 وانما يجوز وقوع المفعول بحيث يجوز وقوع العامل فكما لا يجوز تقديم الصفة
 على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها ومن هذا
 النحو قول الآخر

فأصبحت بعد خطب جبتها * كان قفرا رسوما قلما
 فانه قدم خبر صكان عليها وهو قوله خط وهذا وامثاله مما لا يجوز قياس عليه
 والاصل في هذا البيت فأصبحت بعد جبتها قفرا كان قلما خط رسوما الا أنه
 على تلك الحالة الأولى في الشعر مختل مضطرب والمعاطلة في هذا الباب تتفاوت
 درجاتها في القبح وهذا البيت المشار اليه من أقبحها لان معانيه قد تداخلت
 وركب بعضها ببعض (ومما يجرى هذا المجرى) قول الفرزدق
 الى ملكت ما أمته من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره
 وهو يريد الى ملكت أبوه ما أمته من محارب وهذا أقبح من الاقل وأكثر اختلالا
 (وكذلك جاء قوله أيضا)

وايست خراسان التي كان خالد * بها أسداذ كان سيفاً أميرها
 وحديث هذا البيت ظريف وذلك أنه فيما ذكره خالد بن عبد الله القسري
 ويهجو أسداً وكان أسداً وابها بعد خالد وكانه قال وليست خراسان بالبلدة التي
 كان خالد بها سيفاً إذ كان أسداً أميرها وعلى هذا التقدير ففي كان الثابتة ضمير
 الشأن والحديث والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما أذم مضافة اليه وهو أسد
 عليها وفي تقديم المضاف اليه أو شيء منه على المضاف من القبح ما لا يخفى به
 وأيضا فان أسداً أحد جزأى الجملة المفسرة للضمير والضمير لا يكون تفسيره الا من

بعده ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ولما سماه الكوفيون الضمير
المجهول وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق أيضا
وما مثله في الناس الا مملكا * أبواته حتى أبوه يشاربه
ومعنى هذا البيت وما مثله في الناس حتى يقاربه الاملكا أبوه وأمه أبوه وعلى هذا
المثال المصوغ في الشعر قد جاء مشوها كما تراه وقد استعمل الفرزدق من
التعاطل كثيرا كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده لان مثله لا يجي الامتكافا مقصودا
والا فاذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على سببها وطبعها في الاسترسال
لم يعرض له شيء من هذا التعقيد ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا
الضرب المشار اليه اذا المتصود من الكلام انما هو الايضاح والايانة وافهام المعنى
فاذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ولا فرق عند ذلك
بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرها واعلم أن هذا الضرب
من الكلام هو ضد الفصاحة لان الفصاحة هي الظهور والبيان وهذا عار عن
هذا الوصف (وأما الضرب الثاني) الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر
لاختصاصه بما يوجب له ذلك فانه مما لا يحصره حد ولا ينتهي اليه شرح وقد أشيرنا
الى نيته منه في هذا الكتاب ليستدل بها على أشباهها ونظائرها (فمن ذلك
تقديم السبب على المسبب) كقوله تعالى اياك نعبد و اياك نستعين فانه انما قدم
العبادة على الاستعانة لان تقديم القرية والوسيلة قبل طلب الحاجة انجح
لحصول الطلب وأسرع لوقوع الاجابة ولو قال اياك نستعين و اياك نعبد لكان
جائزا الا أنه لا يستدلك المستد ولا يقع ذلك الموقع وهذا لا يخفى على النصف من
أرباب هذه الصناعة وعلى نحو منه جاء قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا
لنجي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما و أناسا كثيرا فقدم حياة الارض
واسقاء الانعام على اسقاء الناس وان كانوا أشرف محلات حياة الارض هي
سبب حياة الانعام والناس فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر ولما
كانت الانعام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس
لان حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم سقى ما هو سبب نعماتهم ومعاشهم
على سقيهم (ومن هذا الضرب تقديم الاكثر على الاقل) كقوله تعالى ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفى منا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق

بالخيرات وانما قدم الظالم لنفسه للايدان بكثرتيه وان معظم الخلق عليه ثم أتى
 بعده بالمقتصدين لانهم قليل بالاضافة اليه ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل
 أعني من المقتصدين فقدم الاكثر وبعده الاوسط ثم ذكر الاقل آخر اولو عكست
 القضية لكان المعنى أيضا واقعا في موقعه لانه يكون قد روعي فيه تقديم الافضل
 فالافضل (ولنوضح لك في هذا وأمثاله طريقا تفهيمه فنقول) اعلم أنه اذا كان
 شيان كل واحد منهما محتصا بصفة فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت في الذكر
 كهذه الآية فان السابق بالخيرات محتص بصفة الفضل والظالم لنفسه محتص
 بصفة الكثرة فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله (ومن هذا الجنس)
 قوله تعالى والله خالق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي
 على رجلين ومنهم من يمشي على أربع فانه انما قدم الماشي على بطنه لانه أدل على
 القدرة من الماشي على رجلين اذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشي ثم ذكر
 الماشي على رجلين وقدمه على الماشي على أربع لانه أدل على القدرة أيضا حيث
 كثرت آلات المشي في الأربع وهذا من باب تقديم العجيب فالعجب (فان قيل)
 قد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ما يخالف هذا الذي ذكرته كقوله
 تعالى في سورة هود وما تؤخره الا لاجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه
 فمن شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار ثم قال وأما الذين سعدوا ففي الجنة
 فقدم أهل النار في الذكر على أهل الجنة وهذا مخالف للاصل الذي أصلته في هذا
 الموضع (فالجواب عن ذلك) أن هذا الذي أشرت اليه في سورة هود وما أشبهه له
 أسرار تحتاج الى فضل تأمل وامعان نظر حتى تفهم أما هذا الموضع فانه لما كان
 الكلام مسوقا في ذكر التخويف والتحذير وجاء على عقب قصص الاولين وما فعل
 الله بهم من التعذيب والتدمير كان الالتيق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى
 وهو ذكر أهل النار من أجل ذلك قدموا في الذكر على أهل الجنة واذا رأيت
 في القرآن شيئا من هذا القبيل وما يجري مجراه فتأمله وأمعن نظرك فيه حتى يتبين
 لك مكان الصواب منه واعلم أنه اذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني
 ثم يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر وكان المعنى المنضول مناسبا
 لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت لانك ان قدمت الافضل فهو
 في موضعه من التقديم وان قدمت المفضول فلان مطلع الكلام يناسبه وذكر

الشئ مع ما يناسبه أيضا وورد في موضعه (فمن ذلك) قوله تعالى وانا اذا اذقنا
 الانسان منا رحمة فرح بهم اوان نصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور
 لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
 الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير فانه انما
 قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى
 وقران الانسان بنسبانه للرحمة السابقة عنده ثم عقب ذلك بذكر ملكه
 ومشيئته وذكروا في الاولاد فتقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء
 لا ما يشاءه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاءه الانسان
 ولا يختاره أهيم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء
 ذكر البلاء ولما اُخِر ذكر الذكور وهم أحق بالتقديم تدارك ذلك بتعريفه اياهم
 لان التعريف تنويه بالذم كانه قال ويهب لمن يشاء القرسان الاعلام
 المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من
 التقديم والتأخير وعرف أن تقديم الاناث لم يكن لتقدمهن ولكن لامتياز آخر
 فقال ذكرانا واناثا وهذه دقائق لطيفة قل من يتنم لها أو يعثر على رموزها
 (ومن هذا الباب) قوله تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
 ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من
 مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فانه انما تقدم الارض في الذكر على السماء
 ومن حقه التأخير لانه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الارض وأحوالهم
 ووصل ذلك بقوله وما يعزب لاهم بينهم ما يلي المعنى المعنى (فان قيل) قد جاء
 تقديم الارض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن (قلنا) اذا
 جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لتقدمها من سبب اقتضاء وان خفي ذلك السبب
 وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض (النوع العاشر في الحروف العاطفة
 والجارحة) وهذا موضع لطيف المأخذ دقيق المعزى وما رأيت أحدا من علماء
 هذه الصناعة تعرض اليه ولا ذكره وما أقول انهم لم يعرفوه فان هذا النوع من
 الكلام أشهر من أن يخفى لانه مذكور في كتب العربية جميعها ولست أعني
 بإيراده ههنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف عليه
 في الاعراب ولا أن الجارحة تجر ما تدخل عليه بل أمر اوراء ذلك وان كان

المرجع فيه الى الاصل العوى (فأقول) ان أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها فيجعلون ما ينبغي أن يجزّ بعلى بنى في حروف الجزوفى هذه الاشياء دقاتق أذ كرها لك أما حروف العطف فتحو قوله تعالى والذي هو يطعمنى ويسقئني وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتنى ثم يحيينى قالوا عطفه بالواو التي هي للجمع وتقديم الاطعام على الاسقاء والاسقاء على الاطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ثم عطف الثاني بالفاء لان الشفاء يعقب المرض بلا زمان حال من أحدهما ثم عطف الثالث بثم لان الاحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جىء في عطفه بثم التي هي للتراخي ولو قال قائل في موضع هذه الآية الذي يطعمنى ويسقئني ويعرضنى ويشفين ويميتنى ويحيينى لكان للكلام معنى تام الا أنه لا يكون كعنى الآية اذ كل شئ منها قد عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه (ومما جاء من هذا الباب) قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ألا ترى أنه لما قال من نطفة خلقه كيف قال فقدره ولم يقل ثم قدره لان التقدير لما كان تابعا للخلق وملازماتها اعطفه عليها بالفاء وذلك بخلاف قوله ثم السبيل يسره لان بين خلقته وتقديره في بطن أمه وبين اخراج منه وتسهيل سبيله مهلة وزمانا فلذلك عطفه بثم وعلى هذا جاء قوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره لان بين اخراج من بطن أمه وبين موته تراخيا وفسحة وكذلك بين موته ونشوره أيضا ولذلك عطفها بثم ولما لم يكن بين موت الانسان واقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء وهذا موضع من علم البيان شريف وقلما يتقطن لاستعماله كما ينبغي (ومما جاء من ذلك أيضا) قوله تعالى في قصة مريم وعيسى عليهما السلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وفي هذه الآية دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذي مضت اليه والمخاض الذي هو الطلق بالفناء وهي للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي والمهلة ألا ترى أنه قد جاء في الاخرى قتل الانسان ما اكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره قلما كان بين تقديره في البطن واخراجه منه مدة تراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليهما السلام فانها

عطفت بالفاء وقد اختلف الناس في مدة جهلها فقيل انه كان كعمل غيرها
من النساء وقيل لا بل كان مدة ثلاثة ايام وقيل اقل وقيل أكثر وهذه الآية
مزيلة للخلاف لانها ادات صريح على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور
من غير مهلة وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذاً بما دلت عليه الآية
(ومما ورد من هذا الاسلوب) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظما فكسونا العظام لحاماً أنشأناه خلقاً آخر ففي الآية المتقدمة
ذكرها قال من نطفة خلقه فقدره فعطف التقدير على الخلق بالفاء لانه تابع له
ولم يذ كر تفاصيل حال المخلوق وفي هذه الآية ذكر تفاصيل حاله في تنقله فبدأ
بالتلق الاوّل وهو خلق آدم من طين ولما عطف عليه التلق الثاني الذي هو خلق
النسل عطفه بهم لما بينهما من التماثل وحيث صار الى التقدير الذي يتبع بعضه
بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء ولما انتهى الى جعله ذكراً أو أنثى وهو آخر الخلق
عطفه بهم (فان قيل) انه قد عطف المضغة على العلقة في هذه الآية بالفاء
وفي أخرى بهم وهي قوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (فالجواب عن ذلك)

في
ضم
يا
اصل

(واعلم) أن في حروف العطف موضعاً يلتبس الفاء بالواو وهو موضع يحتاج فيه
الى فصل تامل وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطف عليه الا بالفاء دون الواو وقد
يجي من الافعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ويعطى ظاهراً أنه كذلك الا أن معناه
يكون مخالفاً لمعنى فعل المطاوعة فيعطف حينئذ بالواو لا بالفاء كقوله تعالى
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فقوله أغفلنا قلبه ههنا بمعنى
صادقناه غافلاً وليس منقولاً عن عقل حتى يكون معناه صددناه لانه لو كان
كذلك لكان معطوفاً عليه بالفاء وقيل فاتبع هواه وذلك أنه يكون مطاوعاً
وفعل المطاوعة لا يعطف الا بالفاء كقولك أعطيتك فاخذ ودعوته فأجاب
ولا تقول أعطيتك وأخذ ولادعوتك وأجاب كما لا يقال كسرتك وانكسر وكذلك
لو كان معنى أغفلنا في الآية صددناه ومنعنا لكان معطوفاً عليه بالفاء وكان
يقال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه فلما لم يكن كذلك وكان

العطف عليه بالواو فطريقه انه لما قال أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد غفل لا محالة فكأنه قال ولا تطع من غفل قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه أى لا تطع من فعل كذا وكذا يعنى تدأفعله التى توجب
ترك طاعته فأعرف ذلك (وأما حرف الجر) فان الصواب يشذ عن وضعها
في مواضعها وقد علم أن فى اللوعاء وعلى للاستعلاء كقوله هم زيد فى الدار وعمرو
على الفرس لكن اذا أريد الاستعمال ذلك فى غير هذين الموضعين مما يشك
استعماله عدل فيه عن الاولى (فمما ورد منه) قوله تعالى قل من يرزقكم
من السموات والارض قل الله وأنا اياكم اعلى هدى أو فى ضلال مبين الأ ترى
الى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفى الجر ههنا فانه انما خواف بينهما
فى الدخول على الحق والباطل لان صاحب الحق كأنه مستعمل على قوس
جوادير كض به حيث شاء وصاحب الباطل كأنه منغمس فى ظلام منخفض فيه
لا يدري أين يتوجه وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله فى الكلام وكثيرا
ما سمعت اذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الامور فيقول
له أنت على ضلالك القديم كما عهدك فيما تى بعلى فى موضع فى وان كان هذا
جائزا الا أن استعمال فى ههنا أولى لما أشيرنا اليه الأ ترى الى قوله تعالى
فى سورة يوسف قالوا لله انك لنتى ضلالك القديم (ومن هذا النوع قوله تعالى)
انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب
والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فانه انما عدل عن الادم الى فى فى الثلاثة
الاخيرة للايدان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصديق عليهم عن سبق ذكره باللام لان
فى اللوعاء فنبه على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشئ فى الوعاء
وأن يجعلوا ظنة لها وذلك لما فى فك الرقاب وفى الغرم من التخاص وتكرير
فى فى قوله وفى سبيل الله دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين وسباق
الكلام أن يقال وفى الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل فلما جىء
بى مرة ثانية وفصل بهما بين الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أكد
فى استحقاق النفقة فيه وهذه لطائف ودقائق لا توجد الا فى هذا الكلام
الشريف فأعرفها وقس عليها (النوع الحادى عشر فى الخطاب بالجملة الفعلية
والجملة الاسمية والفرق بينهما) ولم أذكر هذا الموضع لان يجرى الامر فيه

على ما يجري مجراه فقط بل لان يقاس عليه مواضع أخرى مما تناهه وتشابهه
ولو كان شهما بعيدا وانما يعدل عن أحد الخطابين الى الآخر لضرب من
التاكيد والمبالغة (فمن ذلك قولنا) قام زيد وان زيدا قائم فقوله قائم زيدا
معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم معناه الاخبار عن زيد
بالقيام أيضا الا أن في الثاني زيادة ليست في الأول وهي تو كيدية بان المشددة
التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها واذا زيد في خبرها اللام فمما يل ان زيدا
لقائم كان ذلك أكثر تو كيدا في الاخبار بقيامه وهذا مشال ينبغي عليه
أمثلة كثيرة من غير هذا النوع (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى واذا قالوا
الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فانهم انما
خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بان
المشددة لانهم في مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على
اعتقاد الكفر والبعث من أن يزولوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط فكان
ذلك ممتقلا منهم ورائجا عند اخوانهم وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فانما قالوه
تكلفا واطهارا للايمان خوفا ومداجاة وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد
لفظ وأسد لما راجحهم عند المؤمنين الا رواجها ظاهرا لا باطنا لانهم ليس لهم
في عقائدهم باعث قوى على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به
اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين آمنا وفي خطاب
اخوانهم انا معكم وهذه نسكت تخفي على من ليس له قدم راسخة في علم الفصاحة
والبلاغة (ومما يجري هذا المجرى) ورود لام التوكيد في الكلام ولا يجبي ذلك
الاضرب من المبالغة وفائدته أنه اذا عبر عن أمر يعز وجوده أو فعل يكثر وقوعه
بجى باللام تحقيقا لذلك (فمما جاء منه) قوله تعالى في أول سورة المنافقين اذا
جاءك المنافقون قالوا نشهد انك رسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون فانظر الى هذه اللامات الثلاثة الواردة في خبرات والاولى
وردت في قول المنافقين وانما وردت مؤكدة لانهم أظهروا من أنفسهم
التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وعلقوا له وبالغوا في التلق وفي باطنهم
خلافه وأما ما ورد في الثانية والثالثة فصحيح لا ريب فيه واللام في الثانية
اتصديقي رسالته وفي الثالثة لا كذب المنافقين فيما كانوا يظهرونه

من التصديق الذين هم على خلافه (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف
 عليه السلام قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا
 نتبع ونلعب وانا له لحافظون فإنه انما جىء باللام ههنا لزيادة التوكيد في اظهار
 المحبة ليوسف عليه السلام والاشفاق عليه ليلغوا الغرض من أيهم
 في السماحة برسالة معهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى أفرأيتم ما تخرون
 أنتم تزرعون أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلنا حطاما فظلمت تفكهم ثم قال
 أفرأيتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء
 جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ألا ترى كيف أدخلت اللام في آية المطعوم دون آية
 المشروب وانما جاءت كذلك لان جعل الماء العذب لماء سهل امكانا
 في العرف والعادة والموجود من الماء المالح أكثر من الماء العذب وكثيرا
 ما اذا جرت المياه العذبة على الاراضي المتغيرة التربة أحالتها الى الملوحة فلم يحتاج
 في جعل الماء العذب لماء الى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد
 المفيدة لزيادة التحقيق وأما المطعوم فان جعله حطاما من الاشياء الخارجة
 عن المعتاد واذا وقع فلا يكون الا عن مخط من الله شديد فلذلك قرن بلام
 التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير ايجاده (ومما يتصل بذلك) قوله تعالى
 وانا لنحن فقهي ونعت ونحن الوارثون فاللام في نحن هي اللام المشار اليها
 (وكذلك) ورد قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
 ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي
 ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا فان هذه اللام في قوله ليستخلفنهم
 وليمكنن وليبدلنهم انما جاءت لتحقيق الامر واثباته في نفوس المؤمنين وأنه
 كائن لا محالة (ومما يجرى هذا المجرى في التوكيد) لام الابتداء المحققة لما يأتي
 بعدها **ك** قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فاللام
 في ليوسف لام الابتداء وقائدها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها أي ان
 زيادة حبه اياهما أمر ثابت لا مرأ فيه (ومن هذا النوع قول بعضهم)
 والشيب ان يظهر فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس
 لم ينتقص من المشيب قلامة * وما بقى مني ألب وأكيس
 فتقوله وما بقى مني تقديره وما بقى مني وانما أدخل على ما هذه اللام قصد التأكيد

المعنى لانه موضع يحتاج الى التأكيد ألا ترى أن قوة العمر في الشباب ولما
 أراد هذا الشاعر أن يصف المشيب وليس مما يوصف وإنما يذم ألقى باللام لتؤكد
 ما قصد من الصفة وكذلك ورد قول الشاعر من أبيات الحماسة
 أنا لنصفح عن مجاهل قومنا * ونقيم سالفة العدو الأصميد
 ومقى نجد يوم ما فساد عشرة * فصلح وان نر صالحا لا نفسد
 وهذا كثير ساغ في الكلام إلا أنه لا يتأتى لما كان العناية بما يعبر به عنه ألا ترى
 الى قول الشاعر أنا لنصفح عن مجاهل قومنا فإنه لما كان الصفح مما يشق على
 النفس فعله لانه مقابلة الشرب بالخمر والاساءة بالاحسان أكد باللام تحقيقا له فان
 عرى الموضع الذي يؤتى فيه به هذه اللام من هذه الفائدة المشار اليها وما يجرى
 مجراها فان ورود اللام فيه اغير بسبب اقتضاه وأكثر ما تستعمل هذه اللام في
 جواب القسم لتحقيق الامر المقسم عليه وذلك في الايجاب دون النفي لانها
 لا تستعمل في النفي ألا ترى أنه لا يقال والله لا لاقت وإنما يقال والله لاقت لكن
 في الايجاب تستعمل ويكون استعمالها حسنا كقولك والله لا قوم فان أضيف
 اليها النونان الخفيفة والثقيلة كان ذلك أبلغ في التأكيد كقولك والله لا قوم من
 وعلى ذلك وردت الآية المقدم ذكرها وهي قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم
 وعملوا الصالحات وان لم يكن جواب القسم فالنون الواردة بعد اللام زيادة
 في التأكيد وهما تأكيديان أحدهما مردف بالآخر وكذلك فاعلم أن النون
 الثقيلة متصلة بهذا الباب فاذا استعملت في موضع فانما يقصد به التأكيد (فما
 جاء منها) قول البحترى في معانية الفتح بن خافان

هل تحلين الى عطفتك موقف * ثبت لديك أقول فيه وتسمع
 ما زال لي من حسن رأيك موئل * آوى اليه من الخطوب ومفرع
 فعلام أنكرت الصديق وأقبلت * نحوى جناب الكاشحين تطلع
 وأقام يطمع في همضم جانبي * من لم يكن من قبل فيه يطمع
 الا يمكن ذنب فعذلك واسع * أو كان لي ذنب فعذلك أوسع

وهذه أبيات حسنة مليحة في بابها يحى بها حر الصدود ويستقال بها صعر
 الحدود وإنما ذكرتها بجملة المكان حسنها والبيت الاوّل هو المراد ألا ترى أنه
 قال هل تحلين الى عطفتك موقف فالنون جاءت قصد التأكيد وهو في هذا المقام

متن فأحب أن يؤكده هذه الامنية وكل ما يجي من هذا الباب فانه واقع هذا
الموقع واذا استعمل عبثا غير فائدة تقتضيه فانه لا يكون استعماله الامن جاهل
بالاسرار المعنوية وأما ما ينسب به النجاة في قول القائل والله لا قوم من فانه منال
نحوي يضرب للجواز والافاذا قال القائل والله لا قوم من وأصكده كان ذلك
لغو الا انه ليس في قيامه من الامر العزيز ولا من الامر العسير ما يحتاج معه الى
التأكيد بل لو قال والله لا قوم من اليك مهتداله لكان ذلك واقعا في موقعه فافهم
هذا وقس عليه (النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى) هذا النوع قد
ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب الخصائص الا أنه لم يورده كما أورده أنا ولا نبيه علي
ما نهت عليه من النكت التي تضمنته وهذا يظهر بالوقوف على كلامه
(فأقول) أعلم أن اللفظ اذا كان على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر أكثر
منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أو لا لان اللفظ أدلة على
المعاني وأمثلة للإبانة عنها فاذا زيد في اللفظ أوجببت القسمة زيادة المعاني
وهذا الانزاع فيه ابيانه وهذا النوع لا يستعمل الا في مقام المبالغة (فمن ذلك)
قوله -م خشن واخشوشن فعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير
العين وزيادة الواو نحو فعل وافهوعل وكذلك قولهم أعشب المسكان فاذا رأوا
كثرة العشب قالوا اعشوشب (ومما ينتظم بهذا السلك) قدر و اقتدر فعنى اقتدر
أقوى من معنى قدر قال الله تعالى فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر فقدر ههنا
أبلغ من قادر وانما عدل اليه للدلالة على تفخيم الامر وشدة الاخذ الذي لا يصدر
الا عن قوة الغضب أو للدلالة على بسطة القدرة فان المتقدر أبلغ في البسطة من
القادر وذلك أن مقتدرا اسم فاعل من اقتدر وقادرا اسم فاعل من قدر ولا
شك أن اقتعل أبلغ من فعل وعلى هذا ورد قول أبي نواس

فعفوت عنى عفو مقتدر • حات له نعيم فألفاها

أى عفوت عنى عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شئ عن امضاء قدرته وأمثال
هذا كثيرة وكذلك ورد قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام فقلت استغفروا
ربكم انه كان عفارا فان عفارا أبلغ في المغفرة من عافرا لان فعلا لا يدل على كثرة
صدور الفعل و فاعلا لا يدل على الكثرة وعليه ورد قوله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فالقواب هو الذي تكثر منه التوبة مرة على مرة وهو

قوة اللفظ لقوة المعنى

فعال وذلك أبلغ من التائب الذي هو فاعل فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب
 فهو تائب أى صدرت منه التوبة مرة واحدة فاذا قبل تواب كان صدورا للتوبة
 منه مرارا كثيرة وهذا وما يجرى مجراه انما يعمد اليه لضرب من التوكيد
 ولا يوجد ذلك الا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل والمفعول وكالفعل نفسه
 نحو قوله تعالى فكذبوا فيها هم والفاوون فان معنى كذبوا من الكذب وهو
 القلب الا أنه مكرر المعنى وانما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب لانه
 موضع يقتضى ذلك ولربما نظر بعض الجهال في هذا فحاس عليه زيادة التصغير
 وقال انها زيادة ولكنها زيادة نقص لانه يزداد في اللفظ حرف كقولهم في الثلاثي
 في رجل رجيل وفي الرباعي في قنديل قنيدل فالزيادة وردت ههنا فنقصت من
 معنى هاتين اللفظتين وهذا ليس من الباب الذي نحن بصدد ذكره لانه عار عن معنى
 الفعلية والزيادة في اللفاظ لا توجب زيادة في المعاني الا اذا تضمنت معنى الفعلية
 لان الاسماء التي لا معنى للفعل فيها اذا زيدت استحتمل معناها الا ترى أنا
 لو نقلنا الفظة عذب وهي ثلاثية الى الرباعي فقلنا عذيب على وزن جعفر لاستحتمل
 معناها ولم يكن لها معنى وكذلك لو نقلنا الفظة عسجد وهي رباعية الى الخماسي
 فقلنا عسجدد على وزن جحمرش لاستحتمل معناها وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية
 كقادر ومقتدر فان قادر اسم فاعل قدر وهو ثلاثي ومقتدر اسم فاعل اقتدر
 وهو رباعي فلذلك كان معنى القدرة في اقتدر أشد من معنى القدرة في قدر وهذا
 لانزاع فيه وهذا الباب يجملته لا يقصده الا المبالغة في ايراد المعاني وقد يستعمل
 في مقام المبالغة فينعكس المعنى فيه الى ضده كما جاء لابي كرام التيمي من شعراء
 الحماسة وهو قوله

لله تميم أى ربح طراد * لاقى الحمام وأى نصل جلال

ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غدير مكدب جيات

فلفظة جيات قد وردت ههنا وانما أوردتها هذا الشاعر وقصده المبالغة في وصف
 شجاعة هذا الرجل فانعكس عليه المقصد الذي قصده لانه جيات من جيد فهو
 جيات أى وجد منه الجيد دودة مرارا كما يقال قتل فهو قتال أى وجد منه القتل
 مرارا واذا كان هذا الرجل غير جيات كان جائدا أى وجدت منه الجيد دودة مرة
 واحدة واذا وجدت منه مرة كان ذلك جينا ولم يكن شجاعة والاولى أن كان

قال غير مكذب جائد (وينبغي) أن يعلم أنه اذا وردت لفظة من الالفاظ ويجوز جعلها على التضعيف الذي هو طريق المبالغة وحملها على غيره أن يتطرق فيها فان اقتضى حملها على المبالغة فهو الوجه (فمن ذلك) قول البحري في قصيدته التي مطلعها مني النفس في أسماء لو تستطيعها * وهي قصيدة مدح به الخليفة المتوكل رحمه الله وذكر فيها حديث الصلح بين بني تغلب فما جاء فيها قوله

رفعت بضبي تغلب ابنة وائل * وقد بثت أن يستقل صربها
فكنت أمين الله مولى حياتها * ومولانا فتح يوم ذاك شقيها
تألفتم من بعد ما شردت بهم * حفاظ أخلاق بطى رجوعها
فأبصرنا وبها الحجمة فاهتدى * وأقصر غاليها وداني شسوعها

فقوله تألفتم من بعد ما شردت بهم يجوز أن تخفف لفظة شردت ويجوز أن تنقل والتثقيب هو الوجه لانه في مقام الاصلاح بين قوم تنازعوا واختافوا وتباينت قلوبهم وآراؤهم وكل ما يجي من الالفاظ على هذا النحو فينبغي أن يجري هذا المجرى (وهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها) وذلك أن قوة اللفظ قوة المعنى لا تنقسم الا في نقل صيغة الى صيغة أكثر منها كقول الثلاثي الى الرباعي والا فاذا كانت صيغة الرباعي مثلا موضوعة لمعنى فانه لا يراد به ما يريد من نقل الثلاثي الى مثل تلك الصيغة ألا ترى أنه اذا قيل في الثلاثي قتل ثم نقل الى الرباعي فقيل قتل بتشديد التاء فان الفائدة من هذا المثل هي التكثير أي أن القتل وجد منه كثيرا وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكثير كقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما فان كالم على وزن قتل ولم يرد به التكثير بل أراده أنه خاطبه سواء كان خطابه اياه طويلا أو قصيرا قليلا أو كثيرا وهذه اللفظة رباعية وليس لها ثلاثي نقلت عنه الى الرباعي لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي فكان الرباعي أكثر وأقوى فيمادل عليه من المعنى وذلك أن تكون كالم من الجرح أي جرح ولها ثلاثي وهو كالم مخففا أي جرح فاذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة واذا وردت مثقلة دلت على التكثير (وكذلك) ورد قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا فان لفظة رتل على وزن لفظة قتل ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة وانما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأنى والتدبر وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه الى

رباعى وانما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا
 فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في اللفظ والمعنى الا بالنقل من وزن الى وزن أعلى
 منه فاعرف ذلك (ومن ههنا) شذو الصواب عن شذو عنه في عالم وعليم فان
 جهور علماء العربية يذهبون الى أن عليما أبلغ في معنى العلم من عالم وقد
 تأملت ذلك وأنعمت نظري فيه فحصل عندي شك في الذي ذهبوا اليه والذي
 أوجب ذلك الشك هو أن عالما وعليما على عدة واحدة ~~اذ~~ كل منهما أربعة
 أحرف وليس بينهما ما زيادة يتقل فيها الادنى الى الاعلى والذي يوجب به النظر أن
 يكون الامر على عكس ما ذكره وذلك أن يكون عالم أبلغ من عالم وسببه أن
 عالما اسم فاعل من علم وهو متعد وان عليما اسم فاعل من علم الا أنه أشبه وزن
 الفاعل القاصر نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم وعظم فهو عظيم فهذا
 الوزن لا يكون الا في الفعل القاصر فلما أشبهه علم القاطع عن رتبة عالم الذي هو
 متعد الا ترى أن فعل بفتح الفاء وكسر العين يكون متعديا نحو علم وحده ويكون
 قاصرا غير متعد نحو غضب وشبع وأما فعل بفتح الفاء وضم العين فانه لا يكون
 الا قاصرا غير متعد ولما كان فعل بفتح الفاء وكسر العين مترددا بين المتعدى
 والقاصر وكان فعل بفتح الفاء وضم العين قاصرا غير متعد صار القاصر
 أضعف مما يدور بين المتعدى والقاصر وحيث كان الامر كذلك وأشبهه
 وزن المتعدى وزن القاصر حط ذلك من درجته وجعله في الرتبة دون المتعدى
 الذي ليس بتناصر هذا هو الذي أوجب لي التشكيك فيما ذهب اليه غيري من
 علماء العربية ولربما كان ما ذهبوا اليه لا مرخي عني ولم أطلع عليه
 (النوع الثالث عشر في عكس الظاهر) وهو نقي الشيء باثباته وهو من مستطرفات
 علم البيان وذلك أنك تذكر كلاما يدل ظاهرا أنه نقي لصفة موصوف وهو نقي
 للموصوف أصلا (فما جاء منه) قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف
 مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفى فلثاته أي لا تذاع سقطاته قطا هذا
 اللفظ أنه كان ثم فلثات غير أنها لا تذاع وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم
 فلثات فتنفى وهذا من أغرب ما توسعت فيه اللغة العربية وقد ورد في الشعر كقول
 بعضهم * ولا ترى الضب بها ينجر * فان ظاهر المعنى من هذا البيت أنه كان هناك
 ضب ولكنه غير منجر وليس كذلك بل المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلا وهذا

عكس الظاهر

النوع من الكلام قليل الاستعمال وسبب ذلك أن الفهم يكاد يأباه ولا يقبله الا
بقريئة خارجة عن دلالة لفظه على معناه وما كان عارياً عن قريئة فانه لا يفهم منه
ما أراد قائله وسأوضح ذلك فأقول أما قولنا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تنثي فلتاته فان مفهوم هذا اللفظ انه كان هناك فلتات الا أنها تطوى
ولا تنشروته ~~كم~~ ولا تداع ولا يفهم منه أنه لم يكن هناك فلتات الا بقريئة
خارجة عن اللفظ وهي أنه قد ثبت في النفوس وتقرر عند العقول أن مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزه عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأقر
فما قبل انه لا تنثي فلتاته فهمنا منه أنه لم يكن هناك فلتات أصلاً وأما قول القائل
* ولا ترى الضب بها ينجر * فانه لا قريئة تخصصه حتى يفهم منه ما فهم من
الاقول بل المفهوم أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجر واقدم ~~كك~~ كشت زمانا
أطوف على أقوال الشعراء قصد اللطيف بأمثله من الشعر جارية هذا المجرى
فلم أجد الا بيتا لامرئ القيس وهو

على لاحب لا يهتدى لمنازه * اذا ساقه العود النياطي تبرجرا

فقوله لا يهتدى لمنازه أي أن له منارا الا أنه لا يهتدى به وليس المراد ذلك بل
المراد أنه لا منار له يهتدى به ولي أنا في هدايت من الشعر وهو

أذنين جلباب الحياء فلن يرى * لذبولهن على الطريق غبار

وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يمشين هونا لحيائهن فلا يظهر لذيولهن
غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلاً
أي أنهن مخبات لا يخرجن من بيوتهن فلا يكون اذا لذيولهن على الطريق
غبار وهذا حسن رائق وهو أظهر بياناً من قوله * ولا ترى الضب بها ينجر *
فن استعمل هذا النوع من الكلام فليست عمله هكذا والا فليدع على أن
الاكثر من استعماله عسر لانه لا يظهر المعنى فيه (النوع الرابع عشر
في الاستدراج) وهذا الباب أنا استخراجته من كتاب الله تعالى وهو
مخادعات الاقوال التي تقوم مقام مخادعات الافعال والكلام فيه وان تضمن
بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت
الدقيقة في استدراج الخضم الى الاذعان والتسليم واذا حقق النظر فيه علم
أن مدار البلاغة كلها عليه لانه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا

الاستدراج

المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلية بلوغ عرض المخاطب بها
 والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلايه لا قصيرا في خطابه فاذا لم
 يتصرف الكتاب في استدراج الخصم الى القاميه والا فليس يكاتولا شبيهه له
 الا صاحب الجدل فكما أن ذلك يتصرف في المغالطات القياسيه فكذلك هذا
 يتصرف في المغالطات الخطاييه وقد ذكرت في هذا النوع ما يتعلم منه سلوك هذه
 الطريق (فن ذلك) قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه
 أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه
 كذبه وان يك صادقا يصبغكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف
 كذاب ألا ترى ما أحسن ما أخذ هذا الكلام وألطفه فانه أخذهم بالاحتجاج
 على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود
 عليه ولا يعتاد أو يكون صادقا يصبغكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له
 وفي هذا الكلام من حسن الادب والانصاف ما أذكركه فأقول انما قال
 يصبغكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما بعدهم به لا بد وأن
 يصيبهم لا بعضه لانه احتاج في مقاوله خصوم موسى عليه السلام أن يكلمهم
 طريق الانصاف والملاطفة في القول وبأيتهم من جهة المناصحة ليكون أدهى الى
 سكونهم اليه فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم اياه
 فقال وان يك صادقا يصبغكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقابله غير
 المشتط وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما بعده
 لكنه أردف بقوله يصبغكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام
 فيرىم أنه ليس ~~ب~~ كلام من أعطاه حقه وافيا فضلا من أن يتعصب له وتقدم
 الكاذب على الصادق من هذا القبيل كانه برطلهم في صدر الكلام بما يزعمونه اثلا
 يتفروا منه وكذلك قوله في آخر الآية ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب أي
 هو على الهدى ولو كان مسرفا كذبا لما هداه الله للنبوته ولا عضده بالبينات وفي
 هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا يخفاه به وقد تضمن من اللطائف
 الدقيقة ما اذا تأملته حق التأمل أعطيت حقه من الوصف (ومما يجري على هذا
 الاسلوب) قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لا يه
 يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت اني قد جاءني من

العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان
 كان للرحمن عصيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتصكون
 للشيطان وليا هذا كلام بهز أعطاف السامعين وفيه من الفوائد ما أذكره
 وهو أنه لما أراد ابراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه ويتقده بما كان متورطا
 فيه من الخطا العظيم الذي عصى به أمر العقل رب الكلام معه في أحسن
 نظام مع استعمال المجاملة واللفظ والادب الحميد والخلق الحسن مستنصحا في
 ذلك بنصيحة ربه وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطيئته طلب منه على تعاديه
 موقظ من غفلته لأن المعبود لو كان حيا مميذا سمعا بصيرا مقتدرا على الثواب
 والعقاب إلا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية
 ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبين فكيف بمن جعل المعبود سجادا
 لا يسمع ولا يصري عنى به الصنم ثم ثنى ذلك بدعوته الى الحق مترفقا به فلم يسم أباه
 بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولو كونه قال ان معي لطائف من العلم
 وشيأ منه وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق فلا تستنكف وهب أنى وإياك
 فى مسير وعندى معرفة به داية الطريق وقدونك فاتبعنى أنجحك من أن تضل ثم ثلث
 ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه فقال ان الشيطان الذى استعصى على ربك
 وهو عدوك وعدوايك آدم هو الذى ورطك فى هذه الورطة وأقالك فى هذه
 الضلالة وانما ألقى ابراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته فى
 نصيحة أبيه لانه لا معاناه فى الاخلاص لم يذكر من جنائبي الشيطان الا التى
 تختص بالله وهى عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداة آدم وذريته ثم
 ربيع ذلك بتخويفه اياه سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال
 اني أخاف أن يمسك عذاب فنكر العذاب ملاطفة لايه ومدركل نصيحة من هذه
 النصائح بقوله يا أبت تو سلا اليه واستعطافا وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه فانه قال
 أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم فأقبل عليه بتظاظة الكفر وغلظ العناد فناده
 باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بنى وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله أراغب أنت
 لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وفى
 القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس لاسيما فى مخاطبات الانبياء صلوات
 الله عليهم للكفار والدعاء عليهم وفى هذين المثالين المذكورين ههنا كفاية ومقتنع

(وبلغنى)

(وبلغني حديث) تفاوض فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان في أمر ولده يزيد وذلك أن معاوية قال للحسين أما أمك فاطمة فأنها خير من أمته و بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من امرأة من كلب وأما يحيى يزيد فاني لو أعطيت به مثلك ملء الغوطة لما رضيت وأما أبوك وأبوه فأنهما تحاكما إلى الله فحكم لآبائه علي أيك وهذا كلام من معاوية كلما مررت به فكري عجبت من سداده فضلا عن بلاغته وفصاحته فإن معاوية علم ما لعل رضي الله عنه من سبق إلى الإسلام والاثرفيه وما عنده من فضيلة العلم فلم يعترض في المناقرة إلى شيء من ذلك ولم يقل أيضا إن الله أعطاني الدنيا ونزعها منكم لأن هذا الفضل فيه إذا الدنيا ينالها البر والفاجر وانما صانع عن ذلك كله بقوله إن أباك وأباه تحاكما إلى الله فحكم لآبائه علي أيك وهذا قول أيها يوهم شبهة من الحق وإذا شاء من شاء أن ينافر خصمه ويستدرجه إلى الصمت عن الجواب فليقل هكذا (النوع الخامس عشر في الإيجاز) وهو حذف زيادات الالفاظ وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الأفرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وما صلى وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلي وذلك لعلو مكانه وتعذر إمكانه والنظر فيه انما هو إلى المعاني لا إلى الالفاظ ولست أعني بذلك أن تهمل الالفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعني أن مدارا للنظر في هذا النوع انما يختص بالمعاني فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة فمن ينظر إلى طول الالفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفسيتها ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة أم الكتاب وإذا نظرنا إلى مجموعها وجدناه يسيرا وابت من الكثرة إلى غاية تكون بها أم البقرة وآل عمران وغيرهما من السور الطوال فعلنا حينئذ أن ذلك لا مبرر يرجع إلى معانيها (والكلام في هذا الموضوع) يخرج بنا إلى غير ما نحن بصدده لأنه يحتاج فيه إلى ذكر المراد بالقرآن الكريم وما يشتمل عليه سورة وآياته إلى حصر أقسام معانيه لكانت شريفة ذلك إشارة خفيفة (فنقول) المراد بالقرآن هو دعوة العباد إلى الله تعالى ولذلك انحصرت سورة وآياته في ستة أقسام ثلاثة منها هي الأصول وثلاثة هي التروع (أما الأصول) فالأول منها تعريف المدعو إليه وهو الله تعالى ويشتمل هذا الأصل

جواب معاوية للحسين حين تفاوضه في أمر يزيد

الإيجاز

على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله والاصل الثاني تعريف الصراط المستقيم الذي
يجب ملازمته في السلوك الى الله تعالى ويشتمل هذا الاصل على التبتل بعبادة الله
بأفعال القلب وأفعال الجوارح والاصل الثالث تعريف الحال بعد الوصول
الى الله تعالى أعني بعد الموت ويشتمل هذا الاصل على تفصيل أحوال الدار
الآخرة من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب وأشباه ذلك فهذه الاصول
الثلاثة (وأما الفروع) فالاول منها تعريف أحوال المجيبين للدعوة واطاقت
صنع الله بهم من النصرة والادالة وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والمخادين
لها وكيفية صنع الله في الندمير عليهم والتشكيك بهم والفرع الثاني ذكر مجادلة
الخصوم ومحاجتهم وحلهم بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق وهؤلاء هم
اليهود والنصارى ومن يجرى مجراههم من أرباب الشرائع والفلاسفة والمحدثين
من غير أرباب الشرائع والفرع الثالث تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية
أخذ الزاد والاهبة للاستعداد وذلك قياس الشريعة وتبيين الحكمة في
أوامرها التي تتعلق بأفعال أهل التكليف فهذه الاقسام الستة المشار اليها
هي التي يدور معاني القرآن عليها ولا يتعداها وههنا تقسيم آخر يطول الخطب
فيه ولا حاجة الى ذكره واذا نظرنا الى سورة الفاتحة وتأملنا ما فيها من المعاني
وجدناها مشتملة على أربعة أقسام من الستة المذكورة ولذلك سماها النبي
صلى الله عليه وسلم أم الكتاب كما أنه قال ان سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن
واذا نظرنا في الاقسام الستة وجدنا سورة الاخلاص بنزلة ثلث القرآن وكذلك
قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسي سبحة آي القرآن ويروى أنه سأل أبي
ابن كعب رضي الله عنه فقال أي آية معك في كتاب الله أعظم فقال الله لا اله الا هو
الحق القيوم فضرب في صدره وقال ايها العلم أبا المنذر وكل هذا يرجع الى المعاني
لا الى اللفاظ فاعرف ذلك وبينه لموزنه وأسراره (واعلم) أن جماعة من مدعي
علم البيان ذهبوا الى أن الكلام يتقسم قسمين فمنه ما يحسن فيه الایجاز كالاشعار
والمكاتبات ومنه ما يحسن فيه التطويل كالخطب والتقليدات وكتب الفتوح
التي تقرأ في ملا من عوام الناس فان الكلام اذا طال في مثل ذلك أثر عندهم
وأفهمهم ولو اقتصر فيه على الایجاز والاشارة لم يقع لاكثرهم حتى يقال
في ذكر الحرب التي الجمعان وتطاعن الفريقان واشتد القتال وحى النصال

وما جرى هذا المجرى والمذهب عندي في ذلك ما أذكره وهو أن فهم العامة ليس شرطاً معتبراً في اختيار الكلام لأنه لو كان شرطاً لوجب على قياسه أن يستعمل في الكلام الالفاظ العامة المبتدلة عندهم ليكون ذلك أقرب إلى فهمهم لأن العلة في اختيار تطويل الكلام إذا كانت فهم العامة أياه فكذلك تجعل تلك العلة بعينها في اختيار المبتذل من الكلام فإنه لا خلاف في أن العامة إلى فهمه أقرب من فهم ما يقل ابتداءً فهم أياه وهو ذاتي مدفوع وأما الذي يجب توخييه واعتماده فهو أن يسلك المذهب القويم في تركيب الالفاظ على المعاني بحيث لا تزيد هذه على هذه مع الايضاح والابانة وليس على مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه فان نور الشمس اذا لم يره الاعمى لا يكون ذلك نقصاً في استنارته وانما النقص في بصر الاعمى حيث لم يستطع النظر اليه

على نعت القوافي من معادنها * وما على بأن لا تفهم البقر

(وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع) فلنرجع الى ما هو غرضنا ومهمنا من الكلام على الايجاز وحده وأقسامه ونوضح ذلك ايضاً جلياً والله الموفق للصواب فنقول حد الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه والتطويل هو ضد ذلك وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه كقول العجير السلولي من أبيات الحماسة

طلوع الثنايا بالمطايا وسابق * الى غاية من يتدربها يقدم

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة اليه وعجزه من محاسن الكلام المتواضعة وموضع التطويل من صدره أنه قال طلوع الثنايا بالمطايا فان لفظه المطايا فضلة لا حاجة اليها وبيان ذلك أنه لا يخلو الامر فيهما من وجهين اما أن يريدانه سابق الهمة الى معالي الامور كما قال الخجاج على المنبر عند وصوله العراق أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا الرجل المشهور السابق الى معالي الامور فان أراد العجير بقوله طلوع الثنايا ما أشرت اليه فذكر المطايا بقصد ذلك المعنى لأن معالي الامور لا يرقى اليها بالمطايا وان أراد الوجه الآخر وهو أنه كثير الاسفار فاخصاه الثنايا بالذكور دون الارض من المقاوز وغيرها لا فائدة فيه وعلى كلا الوجهين فان ذكر المطايا فضلة لا حاجة اليه وهو تطويل بارد غث فقس على هذا المثال ما يجري مجراه من التطويلات التي اذا سقطت من الكلام بقي على حاله لم

تغير شيء وكذلك يجري الامر في الفاظ يوصل بها الكلام فتارة تجيء لفائدة وذلك قليل وتارة تجيء لغیر فائدة وذلك كثير وأكثر ما ترد في الاشعار ليروزن بها الاييات الشعرية وذلك نحو قوله - لعمرى ولعمرك ونحو أصبح وأمسى وظل وأضحى وبات وأشبه ذلك ونحو يا صاحبي ويا خليلي وما يجري هذا الجرى (فما جاء منه) قول أبي تمام أقر والعمرى لحكم السيوف • وكانت أحق بفصل القضاء فان قوله لعمرى زيادة لا حاجة للمعنى اليها وهي حشو في هذا البيت لفائدة فيه الاصلاح الوزن لا غير ألا ترى أنها من باب القسم وانما يرد القسم في موضع يؤكد به المعنى المراد اما لانه مما يشك فيه أو مما يعز وجوده أو ما جرى هذا الجرى وهذا البيت الشعري لا يفتقر معناه الى توكيد قسمي إذ لا شك في أن السيوف حاكمة وأن كل أحد يقتر لحكمها ويذعن اطاعتها وكذلك قوله أيضا
 اذا نالم ألم عثرات دهر • بليت به الغداة فن الوم
 فقوله الغداة زيادة لا حاجة للمعنى اليها لانه يتم بدونها لان عثرات الدهر لم تنله الغداة ولا العشق وانما نالت به ونيلها الياء لا يتوان يقع في زمن من الازمنة كانتا ما كان ولا حاجة الى تعيينه بالذکر (وعلى هذا) ورد قول البحتري
 ما أحسن الأيام الأنا • يا صاحبي اذا مضت لم ترجع
 فقوله يا صاحبي زيادة لا حاجة للمعنى اليها الا انها وردت لتصحح الوزن لا غير وهذه الالفاظ التي ترد في الاييات الشعرية لتصحح الوزن لا عيب فيها الا نالو عيناها على الشعراء لتجبرنا عليهم وضيعنا الوزن يضطر في بعض الاحوال الى مثل ذلك ~~لم~~ كان اذا وردت في الكلام المنشور فانها ان وردت حشوا ولم ترد لفائدة كانت عيبا وقد ترد في الاييات الشعرية ويكون ورودها لفائدة وذلك هو الاحسن كقول البحتري

قوم أهانوا الوفير حتى أصبحوا • أولى الانام بكل عرض وافر
 فقوله أصبحوا بمعنى صاروا أي أنهم صاروا أولى الناس بالاعراض الوافرة وهذه الالفة لم ترد في هذا البيت حشوا كما وردت في بيتي أبي تمام المقدم ذكرهما (وسأزيد هذا الموضوع بياناً) بمثال أضربه للتطوير حتى يستدل به على أمثاله وأشباهه والمثال الذي أضربه هو حكاية أو وردت بمحضر مني وذلك أنه جلس الى في بعض الايام جماعة من الاخوان وأخذوا في مفاوضة الاحاديث وانساق ذلك الى ذكر

حكاية وقت بمحض التواكل حكاياتنا هذه للتطوير

غرائب الوقائع التي تقع في العالم فذكر كل من الجماعة شيئا فقال شخص منهم اني
كنت بالجزيرة العمرية في زمن الملك فلان وكنت اذا ذهبت صييا صغيرا فاجتمعت أنا
ونقر من الصبيان في الحارة القلانية وصعدنا الى سطح طاحون ابني فلان وأخذنا
نلعب على السطح فوق صبي منا الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال
الطاحون نخفنا ان يكون أذاه فأسرعنا النزول اليه فوجدناه قد وطمه البغل
نخفته ختانه صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق ان يفعل خيرا منها فقال له
شخص من الحاضرين والله ان هذا عي قاحش وتطويل كثيرا لا حاجة اليه فانك
بصد أن تذكر أنك كنت صييا تلعب مع الصبيان على سطح طاحون فوق صبي
منكم الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون نخفته ولم يؤذنه ولا فرق
بين أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه أو في بلد لا نعرفه ولو كانت بأقصى المشرق
أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قد ساقى غرابتها وأما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة
العمرية في الحارة القلانية في طاحون بنى فلان وكان زمن الملك فلان فان مثل
هذا كله تطويل لا حاجة اليه والمعنى المقصود يفهم بدونه (فاعلم) أي الناظر
في كتابي هذا أن التطويل هو زيادات اللفاظ في الدلالة على المعاني ومهما أمكن
حذف شيء من اللفظ في الدلالة على معنى من المعاني فان ذلك اللفظ هو التطويل
بعينه (وأما الایجاز) فقد عرفت أنك أنه دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه
(وهو ينقسم قسمين أحدهما) الایجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المقرد والجملة
لدلالة لغوي الكلام على المحذوف ولا يكون الایجازا دمعناه على لفظه (والقسم
الآخر) ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان أحدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى
التقدير والآخر ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر (واعلم أن القسم الأول)
الذي هو الایجاز بالحذف يتنبه له من غير كبير كلفة في استخراجها لمكان المحذوف
منه (وأما القسم الثاني) فان التنبيه له عسر لانه يحتاج الى فضل تأمل وطول فكرة
لخفاء ما يستدل عليه ولا يستنبط ذلك الامن رست قدمه في ممارسة علم البيان
وصار له خلية وملاكة ولم أجد أحدا علم هذين القسمين بعلامته ولا قيدهما
بقيده وقد أشرت الى ذلك فيما يأتي من هذا الباب عند تفصيل أمثلتهما فليؤخذ
من هنالك (فان قيل) ان هذا التقسيم الذي قسمته في المحذوف وغير المحذوف ليس
بصحيح لان المعاني ليست أجساما كالالفاظ حتى يصح التقدير بينهما ما ثم لو سلمت

جواز التقدير في المساواة لم أسلم جواز الزيادة فليس لقائل أن يقول هذا المعنى
 زائد على هذا اللفظ لانه ان قال ذلك قيل فن أين فهمت تلك الزيادة الخارجة
 عن اللفظ وقد علم أن اللفظ انما وضعت للدلالة على افهام المعاني فان قال انها
 فهمت من شيء خارج عن اللفظ قيل له فتمت الزيادة بازاء ذلك الشيء الخارج عن
 اللفظ والباقي مساو للفظ وان قال انها فهمت من اللفظ قيل فكيف تفهم منه
 وهي زائدة عليه فان قال انها فهمت من تركيبه لان التركيب أمر زائد على اللفظ
 قيل اللفظ يتبدل بانفرادها على معنى وبتركيبها على معنى آخر واللفظ المركب
 يدل على معنى مركب واللفظ المفرد يدل على معنى مفرد وتلك الزيادة ان أريد بها
 زيادة معنى المركب على المركب فلا يخلو اما أن تكون تلك الزيادة مفهومة
 من دلالة اللفظ المركب عليها ومن دلالة شيء خارج فان كانت مفهومة من دلالة
 عليها لم تكن زائدة عليه اذ لو كانت زائدة عليه لما دل عليها وان كانت مفهومة
 من دلالة الشيء الخارج عنه فهي بازاء ذلك الشيء الخارج والباقي مساو للباقي
 (فالجواب عن ذلك) أن نقول هذا الذي ذكره كلام شبيهه بالسفسطة وهو باطل
 من وجهين أحدهما أن المعاني اذا كانت لا تزيد على اللفظ فيلزم من ذلك
 أن اللفظ لا يزيد أيضا على المعاني لانهم ما متلازمان على قياسك ونحن نرى
 معنى قد دل عليه باللفظ فاذا أسقط من تلك اللفظ شيء لا ينقص ذلك المعنى بل
 يبقى على حاله والوجه الآخر أن اللفظ لا يحدف أقوى دليلا على زيادة المعاني
 على اللفظ لاننا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه وفهم ذلك المعنى ضرورة
 لا بد منه فعلنا حينئذ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالة عليه
 (فان قيل) ان المعنى الزائد على اللفظ المحذوف لا بد له من تقدير لفظ آخر يدل
 عليه وتلك الزيادة بازاء ذلك اللفظ المقدر (قلت في الجواب عن ذلك) هذا لا ينقض
 ما ذهب اليه من زيادة المعنى على اللفظ لان المعنى الزائد ظاهر واللفظ الدال
 عليه مضمرة واذا كان مضمرا فلا ينطق به واذا لم ينطق به فكأنه لم يكن وحينئذ
 يبقى المعنى موجودا واللفظ الدال عليه غير موجود وكذلك كل ما يعلم من
 المعاني بفهوم الخطاب ألا ترى أنك اذا قلت لمن دخل عليك أهلا وسهلا علم
 أن الأهل والأهل منسوبيان بعامل محذوف تقديره وجدت أهلا ولقيت
 سهلا الا أن لفظي وجدت ولقيت محذوفتان والمعنى الذي دل عليه باق

فصار المعنى حينئذ مفهوماً وما مع حذفهما فهو اذا زاد لا محالة وكذلك جميع المحذوفات على اختلافها وتسعب مقاصدها وهذا النزاع فيه لبيانها ووضوحه (وقد سنح لي في زيادة المعنى على اللفظ في غير المحذوفات دليل أنا ذا كره) وهو انما نجد من الكلام ما يدل على معنيين وثلاثة واللفظ واحد والمعاني التي تحته متعددة فأما الذي يدل على معنيين فالكليات جميعها كالذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم أنهم كانوا اذا خرجوا من عنده لا يفرقون الا عن ذواق وهو اذا يدل على معنيين أحدهما اطعام الطعام أى أنهم لا يخرجون من عنده حتى يطعموا الا أنهم لا يفرقون الا عن استفادة علم وأدب يقوم لانفسهم مقام الطعام لاجسامهم وأما الذى يدل على ثلاثة معان فكقول أبي الطيب المتنبي

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

فهذا يدل على ثلاثة معان الاول أنه يحسد من أنعم عليه الثاني ضد الاول الثالث أنه يحسد كل رب نعمة كأنما من كان أى يحسد من بات في نعمائه نفسه يتقلب وهذا وأمثاله من أدل الدلائل على زيادة المعنى على اللفظ وهو شئ استخرجته ولم يكن لاحد فيه قول سابق (وحيث فرغنا من الكلام) على هذا الموضع فلنتبعه بذكر أقسام الایجاز المشار إليها أولاً وما ينصرف اليه (فنقول) أما الایجاز بالحذف فانه عجيب الامر شبيه بالسحر وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجسدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق وأتم ما تكون مبيناً اذا لم تبين وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر والاصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضربها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف فان لم يكن هناك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام الى شئ غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن وقد يظهر المحذوف بالاعراب كقولنا أهلاً وسهلاً فان نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف وليس لهذا من الحسن ما للذي لا يظهر بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى كقولنا فلان يحل ويعقد فان ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى أى أنه

يجعل الامور ويعقدتها والذي يظهر بالاعراب يقع في المفردات من المحذوفات
 كثيرا والذي لا يظهر بالاعراب يقع في الجمل من المحذوفات كثيرا (وسأذكر في
 كتابي هذا ما وصل الى علمه وهو ينقسم قسمين) أحدهما حذف الجمل والآخر
 حذف المفردات وقد ورد كلام في بعض المواضع ويكون مشتقاً على القسمين
 معاً (فأما القسم الاول) وهو الذي تحذف منه الجمل فإنه ينقسم الى قسمين أيضاً
 (أحدهما) حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاماً وهذا أحسن
 المحذوفات جميعها وأدلها على الاختصار ولا تكاد تجده الا في كتاب الله تعالى
 (والقسم الآخر) حذف الجمل غير المفيدة وقد وردا ههنا مختلفين (وجملتهما أربعة
 أضرب الضرب الاول) حذف السوال المقدر ويسمى الاستئناف (ويأتى على
 وجهين الوجه الاول) إعادة الاسماء والصفات وهذا يجيء تارة بإعادة اسم من
 تقدم الحديث عنه كقولك أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة يجيء
 بإعادة صفة كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك وهو
 أحسن من الاول وأبلغ لانطوائه على بيان الموجب للاحسان وتخصيصه (فما
 ورد من ذلك) قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين
 يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل
 اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك
 هم المفلحون والاستئناف واقع في هذا الكلام على أولئك لانه لما قال الم ذلك
 الكتاب الى قوله وبالآخرة هم يوقنون اتجه لسائل أن يقول ما بال المستقلين بهذه
 الصفات قد اقتصروا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن
 يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً (الوجه الثاني) الاستئناف بغير
 إعادة الاسماء والصفات وذلك كقوله تعالى وما لي لأعبد الذي فطرني واليه
 ترجعون أتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا
 يتقدون انى انالى ضلال مبين انى آمنتم بربكم فاسمعون قیل ادخل الجنة قال
 يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فخرج هذا القول مخرج
 الاستئناف لان ذلك من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه وكان قائله قال كيف
 حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخرى لوجهه بروحه
 فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصواب الفرض الى المقول لا الى المقول له

مع كونه معلوما وكذلك قوله تعالى يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال
سائل عما وجد ومن هذا النحو قوله عز وجل يا قومي اعلموا على مكانتكم اني عامل
سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزبه ومن هو كاذب وار تقبوا اني معكم رقيب
والفرق بين اثبات الفاء في سوف كقوله تعالى قل يا قومي اعلموا على مكانتكم اني
عامل فـ سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزبه ويحمل عليه عذاب عقيم وبين حذف
الفاء ههنا في هذه الآية ان اثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع للوصول وحذفها
وصل خفي تقديرى بالاستئناف الذي هو جواب السؤال وقد ركنتم قالوا فماذا
يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة
بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة وأقوى الوصولين وأبلغهما الاستئناف
وهو قسم من أقسام علم البيان تشكائر محاسنه فاعرفه ان شاء الله تعالى (الضرب
الثاني) الاكتفاء بالسبب عن المـسبب وبالمسبب عن السبب (فأما الاكتفاء
بالسبب عن المـسبب) فكقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فقتلوا عليهم العـمر كأنه
قال وما كنت شاهـدا للموسى وما جرى له وعليه ولكنا اوحينا اليك فذكر
سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المـسبب الذي هو الوحي على عادة
اختصارات القرآن لان تقدير الكلام ولكنا انشأنا بعد عهد الوحي الى موسى الى
عهد قرونا كثيرة فقتلوا على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيه العـمر أى أمد
انقطاع الوحي فاندست العلوم فوجب ارسال اليهم فأرسلناك وعزفناك العلم
بقصص الانبياء وقصة موسى فالجـمـدوف اذا جملة مفيدة وهي جملة طولة دل
السبب فيها على المـسبب وكذلك ورد قوله تعالى عقب هذه الآية أيضا وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك
لهم لم يمتدون فان في هذا الكلام محذوف قالوا ما فهم لانه قال وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وهذا لا يتلوه من محذوف حتى يستقيم
نظم الكلام وتقديره ولكن عزفناك ذلك وأوحينا اليك رحمة من ربك لتنذر
قوما ما آتاهم من نذير من قبلك فذكر الرحمة التي هي سبب ارساله الى الناس
ودل به على المـسبب الذي هو ارسال وأما حذف الجملة غير المفيدة من
هذا الضرب فنحو قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت انى يكون لى

غلام ولم يمسسني بشر ولم التبغيا قال كذلك قال ربك هو عني هين ولا تجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً فقله ولا تجعله آية للناس تعليل معمله محذوف أي وانما فعلنا ذلك لتجعله آية للناس فذكر السبب الذي صدر الفعل من أجله وهو جعله آية للناس ودل به على المسبب الذي هو الفعل (ومما ورد من ذلك) في الاخبار النبوية قصة الزبير بن العوام رضى الله عنه والرجل الانصاري الذي خاصمه في شراج الحرة التي يسقي منها النخل فلما حضر ابي بن يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير اسق ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله ان كان ابن عمك فتموت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر وفي هذا الكلام محذوف تقديره ان كان ابن عمك حكمت له أو قضيت له أو ما جرى هذا المجرى فذكر السبب الذي هو كونه ابن عمه ودل به على المسبب الذي هو الحكم أو القضاء دلالة الكلام عليه (وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب) فكقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أي اذا أردت قراءة القرآن فاكتفي بالمسبب الذي هو القراءة عن السبب الذي هو الارادة والدليل على ذلك أن الاستعاذة قبل القراءة والذي دلت عليه أنها بعد القراءة كقول القائل اذا ضربت زيداً فاجلس فان الجلوس انما يكون بعد الضرب لا قبله وهذا أولى من تأويل من ذهب الى أنه أراد فاذا تعودت فاقراً فان ذلك قلباً لا ضرورة تدعو اليه وأيضاً ليس كل مستعبد واجب عليه القراءة (وعلى هذا ورد) قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والوضوء انما يكون قبل الصلاة لا عند القيام اليها لأن القيام اليها هو مباشرة لا فعالها من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك وهذا انما يكون بعد الوضوء وتأويل الآية اذا أردت القيام الى الصلاة فاغسل فاكنتي بالمسبب عن السبب (وكذلك ورد) قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فليتوضأ أي اذا أراد القيام الى الصلاة وانما يعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لأن الفعل مسبب عن الارادة وهو مع القصد اليه موجود فكان منه بسبب وملابسة ظاهرة (ومن ذلك قوله تعالى) فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا أي فضرب فانفجرت منه فاكنتي بالمسبب الذي هو الانفجار عن السبب الذي هو الضرب (الضرب الثالث) وهو الاضمار على شريطة التفسير

ذكر تخالف الزبير عن الانصاري في سقي النخل

وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤثر في آخره فيكون الآخر دليلاً على
الاول (وهو ينقسم الى ثلاثة أوجه الاول) أن يأتي على طريق الاستفهام
فتذكر الجملة الأولى دون الثانية كقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام
فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين
تقدير الآية أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه ويدل على المحذوف
قوله فويل للقاسية قلوبهم (الوجه الثاني) يرد على حد النبي والاثبات كقوله
تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من
الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا تقديره لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل ويدل على المحذوف قوله أولئك أعظم درجة
من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا (الوجه الثالث) أن يرد على غير هذين الوجهين
فلا يكون استفهاماً ولا نصياً وإثباتاً وذلك كقول أبي تمام

يتجنب الآثام ثم يخافها * فكانما حسنة آثام

وهذا البيت يختلف نسخ ديوانه في إثباته فمنها ما يجي فيه

يتجنب الأيام خيفة غيرها * فكانما حسنة آثام

رايس بشئ لأن المعنى لا يصح به وكنت سملت عن معناه وقيل كيف ينطبق عجز
البيت على صدره وإذا تجنب الآثام وخافها فكيف تكون حسنة آثام
فأفكرت فيه وأنعمت نظري فسخ لي في القرآن الكريم آية مثله وهي قوله تعالى
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم ووجه وفي صدر البيت اضماره في عجزه وتقديره
أنه يتجنب الآثام فيكون قد أتى بحسنة ثم يخاف تلك الحسنة فكانما حسنة
آثام وهو على طباق الآية سواء (ومن الاضمار على شريطة التفسير) قول أبي
نواس سنة العشاق واحدة * فاذا أحبت فاستكن

فحذف لفظ الاستكانة من الاقل وذكره في الثاني أي سنة العشاق واحدة وهي
الاستكانة فاذا أحبت فاستكن ومن الناس من يقول فاذا أحبت فاستتن وهذا
لامعنى له لأنه إذا لم يبين سنة العشاق ما هي فبأي شيء يستت منها ما استكنه
ذكر السنة في صدر البيت من غير بيان ثم يبينها في عجزه (الضرب الرابع) ما ليس
بسبب ولا مسبب ولا اضمار على شريطة التفسير ولا استئناف (فإنما ما حذف فيه
من الجمل المفيدة) فكقر له تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال تزرعون

سبع سنين دأبأ فاحصدم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدا دأبأ كلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك اثتوني به قد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها فرجع الرسول اليهم فأخبرهم بمقالة يوسف فحججوا لها أو صدقوه عليها وقال الملك اثتوني به والمحذوف اذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة لانه اذا ثبتت حاشيتنا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين عليه (وكذلك ورد) قوله تعالى في هذه السورة أيضا فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبا ناس استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين قد حذف أيضا من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها ثم انهم تجهزوا وساروا الى مصر فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه (وقد ورد هذا الضرب في القرآن الكريم كثيرا) قوله تعالى في سورة القصص وحرمتنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمته كي تقر عينها في هذا المحذوف وهو جواب الاستفهام لانهم لما قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم احتاج الى جواب لينتظم بما بعده من رده الى أمته والجواب فقالتوا نعم فدانتهم على امر أمي فيها وهي أمته ولم يعلموا بمكانها فأرضعته وهذه الجملة النائية أعني قوله تعالى فرددناه الى أمته تدل على المحذوف لان رده الى أمته لم يكن الا بعد رد الجواب على أخته ودلائلها اياهم على امرأة ترضعه ويكتفى هذا الموضع وحده لمن يتبصر في واقع المحذوفات وكيفيةها (ومما يجرى على هذا المنهج) قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام وقصة الهدى في ارساله بالكتاب الى بلقيس قال سننظر أصدقت أم كفت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم قول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى اتى الى كتاب كريم وفي هذا المحذوف تقديره فأخذ الكتاب وذهب به فلما ألقاه الى المرأة وقرأته قالت يا أيها الملأ (ومن حذف الجمل المفيدة) ما يعسر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم ألا ترى أن الآيات المذكورة كلها اذا تأملتها المتأمل وجد معانيها متصلة من غير تقدير للمحذوفات التي حذف منها ثم اذا قدر تلك المحذوفات سهل

تقديرها يديمه النظر والذي ذكره الا ان ليس كذلك بل اذا تأمله المتأمل وجدده
غير متصل المعنى واذا اراد ان يقتدر المحذوف عمر عليه (فما جاء منه) قوله
تعالى وما يتظروا الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عمل لنا قطننا قبل
يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود اذا الايدانه اقواب فهذا
الكلام اذا تأمله المتأمل لم يجده متصل المعنى ولم يتبين له معنى فذكر داود عليه
السلام راداً لقوله تعالى اصبر على ما يقولون واذا اراد ان يتذره هنا محذوفاً
يوصل به المعنى عمر عليه (وتقديره يحتمل وجهين أحدهما) أنه قال اصبر على
ما يقولون وخوفهم أمر معصية الله وعظماها في عيونهم ~~بذ~~ كرقصة داود
الذي كان نبيا من الانبياء وقد آتاه الله ما آتاه من النبوة والملك العظيم ثم لما
زلزلة قوبل بكذا وكذا الظن بكم أنتم مع كثركم (الوجه الآخر) أنه قال اصبر
على ما يقولون واحفظ نفسك أن تزل في نبي مما كلفته من مصابرتهم واحتمال
أذا هم واذا ذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزل فإني من توبخ الله
مأني فهذا الكلام كما تراهم يحتاج الى تقدير حتى يتصل بعضه ببعض وهو من أغض
ما يأتي من المحذوفات وبه يتنبه على مواضع أخرى غامضة (وأما ما ورد) من هذا
الضرب في حذف الجمل التي ليست بضميمة فنحو قوله تعالى يا انا نبشرك بغلام
اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا
وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل
ولم تكن شيئا قال رب اجعل لى آية قال آية ان الاتكلم الناس ثلاث اياما سوا يخرج
على قومه من المهراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب
بقوة وآتيناك الحكم صبيا هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره وهو
البشرى بالغلام وتقديرها ولما جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا له يحيى خذ الكتاب
بقوة فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة (وعلى هذا النهج ورد) قوله تعالى
قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتهم وات ربكم الرحمن فاتهمونى وأطيعوا
أمرى قالوا ان نبرح عامه عا كفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذا
رايتهم ضلوا الا تتبعنى أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بطيى ولا برأى
انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم تر قب قولى وقد حذف من هذا
الكلام جملة الا أنهم غير مفيدة وتقديرها فلما رجع موسى وراهم على تلك الحال

من عبادة الجهل قال لآخيه هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعهم (وكذلك)
ورد قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام من سورة النمل قال أيكم يأتي بي بعرشها
قبل أن يأتيوني . سألين قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك
وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد اليك
طرفك فلما رأى أنه متفرقا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن
شكر فأنما يشكر لانه من كفر فاق رب غني كريم قال نكرو والهاعرشها
تنظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتمدون وفي هذا محذوف تقديره فلما جاء به
قال نكرو والهاعرشها لا تشكروه لم يكن الا بعد أن جرى به اليه وقد أغنى
عن المحذوف صدر الكلام وآخره وكان ذلك دليلا عليه (ومما ورد على ذلك
شعرا) قول أبي الطيب المنتبي

لا أبغض العيس لكنى وقت بها * قلبي من الهيم أو جسمي من السقم
وهذا البيت فيه محذوف تقديره لا أبغض العيس لانه انى اياها في الاسفار ولكنى
وقت بها كذا وكذا فالثاني دليل على حذف الاول وهذا موضع يحتاج في
استخراجها واستخراج أمثاله الى فكرة وتدقيق نظر (ومما يمل بهذا الضرب)
حذف ما يجيء بعد الفعل كقولنا الله أكبر فان هذا يحتاج الى تمام أى أكبر
من كل كبيراً وأكبر من كل شئ يتوهم كبيراً أو ما جرى هذا المجرى ومثله يرد
قوله -م زيد أحسن وجهاً وأكرم تلقاً تقديره أحسن وجهاً من غيره وأكرم
تلقاً من غيره أو ما يبدل هذا المسمى من الكلام وعليه ورد قول البحترى -
الله أعطاك الهبة في الورى * وحباً بالفضل الذى لا ينكر
ولانت أملاً في العيون لديهم * وأجل قدر فى الصدور وأكبر
أى أنت أملاً في العيون من غيرك (وأما القسم الثاني) المشتمل على حذف
المفردات فانه يتصرف على أربعة عشر ضرباً (الاول) حذف الفاعل والاكتفاء
في الدلالة عليه بذكر الفعل كقول العرب أرسلت وهم يريدون جاء المطر ولا
يذكرون السماء ومنه قول حاتم

أماوى ما يغنى اثراء عن الفقى * اذا حشرجت يوماً وضاقت به الصدر
يريد النفس ولم يجراها ذكراً (وعلى هذا ورد) قوله تعالى كلا اذا بلغت
التراقى وقيل من راق والضم يرقى بلغت للنفس ولم يجراها ذكراً وقد نص عثمان

ابن جني رحمه الله تعالى على عدم الجواز في حذف الفاعل وهذه الآية وهذا
 البيت الشهري وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ما ذهب اليه الآن
 حذف الفاعل لا يجوز على الاطلاق بل يجوز فيما بذاسيله وذلك أنه لا يكون
 الاقيما دل الكلام عليه ألا ترى أن التي تبلغ التراقي انما هي النفس وذلك عند
 الموت فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة وان كان الكلام خاليا عن ذكرها وكذلك
 قول حاتم حشرجت فان الحشرجة انما تكون عند الموت (وأما قول العرب)
 أرسلت وهم يريدون أرسلت السماء فان هذا يقولونه نظرا الى الحال وقد شاع فيما
 بينهم أن هذه كلمة تقال عند مجي المطر ولم ترد في شيء من أشعارهم ولا في كلامهم
 المنثور وانما يقولها بعضهم لبعض اذا جاء المطر فالفرق بينها وبين حشرجت وبين
 بلغت التراقي ظاهر وذلك أن حشرجت وبلغت التراقي يفهم منها أن النفس التي
 حشرجت رانها هي التي بلغت التراقي وأما أرسلت فلولا شاهد الحال والالم بجزآن
 تكون دالة على مجي المطر ولو قيل في معرض الاستسقاء انا خرجنا نسأل الله
 فلم نزل حتى أرسلت افهم من ذلك أن التي أرسلت هي السماء ولا بد في الكلام من
 دليل على المحذوف والا كان لغوا لا يلتفت اليه (الضرب الثاني) حذف الفعل
 وجوابه (اعلم أن حذف الفعل يتقسم قسمين أحدهما) يظهر بدلالة المفعول
 عليه كقوله في المثل أهلك والليل فنصب أهلك والليل يدل على محذوف ناصب
 تقديره الحق أهلك وبأدرا الليل وهذا مثل يضرب في التحذير (وعليه ورد) قوله
 تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ومما ورد منه في الاخبار النبوية
 أن جابر تزوج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزوجت قال ثيبا فقال
 له فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك يريد فهلا تزوجت جارية فحذف الفعل لدلالة
 الكلام عليه (ومما ورد منه شعرا) قول أبي الطيب المتنبى في قصيدته الكافية التي
 يتدح بها عضد الدولة أبا شجاع بن بويه ومطامها * فدى لك من يقصر عن مداكا *
 وسأذكر الموضع الذي حذف منه الفعل وجوابه لتعلق الابيات بعضها ببعض
 وهي من محاسن ما يؤتى به في معنى الوداع ولم يأت غيره مثلها وهي
 اذا التوديع أعرض قال قلبي • عليك الصمت لا صاحبت فاكا
 ولولا أن أكرمتني • معاودة لقلت ولا منساكا
 قد استشفيت من داء • وأقتل ما أعلك ما شفاكا

فاكتفم منكم نجبوا نارا و اخفى * هو ما قد اطالت لها الامراكا
 اذا عاميتها كانت شدا اذا * وان طباوعتها كانت ركا كا
 وكم دون الثوية من حزين * يقول له قد وى ذابذا كما
 ومن عذب الرضاب اذا انخما * يقبل رحل تروك والبورا كا
 يحترم أن عيس الطيب بمدى * وقد علق العبير به وصا كا
 يحدث مقلته النوم عنى * فليت النوم حدث عن ندا كا
 وما أرضى لمقلته بحلم * اذا انتهت نومه ابقشا كا
 ولا الابان يصنى وأحكى * فليتك لا يتيمه هواكا

فقوله ولا منا كافيه محذوف تقديره ولا صاحب منا كما وكذلك قوله ولا الابان
 يصنى وأحكى فان فيه محذوف تقديره ولا أرضى الابان يصنى وأحكى (وأما
 القسم الآخر) فانه لا يظهر فيه قسم الفعل لانه لا يكون هناك منصوب يبدل عليه
 وانما يظهر بالظن الى ملاممة الكلام (فما جاء منه قوله تعالى) وعرضوا على ربك
 هذا لقد جئتمونا كخا لقنا كم أول مرة فقوله لقد جئتمونا يحتاج الى اضعاف فعل
 أى فقيل لهم لند جئتمونا أوقفنا لهم وقد استعمل هذا في القرآن الكريم في غير
 موضع كقوله تعالى ويوم يعرض الذين ككفروا على النار أذهبتم طيباتكم في
 حياتكم الدنيا بقوله أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا يحتاج الى تقدير الفعل
 المضمر وكذلك ورد قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهدك
 على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله وان جاهدك لا يتلوه من
 اضعاف القول أى وقائله ان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا
 تطعهما (ومن هذا الضرب) ايقاع الفعل على شيئين وهو لا جد بهما كقوله
 تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم وهو لا امركم وحده وانما المراد أجمعوا أمركم
 وادعوا شركاءكم لانه منى أجمعوا من أجمع الامراذ انوا وعزم عليه وقد قرأ
 أبى رضى الله عنه فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم وهذا دليل على ما أشرت
 اليه وكذلك هو مثبت في معصية الله بن مسعود رضى الله عنه (ومن
 حذف الفعل باب يسمى باب اقامة المصدر قام الفعل) وانما يفعل ذلك لضرب
 من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب قوله
 فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا يذهب الفعل وأقيم المصدر مقامه

وفي ذلك اختصار مع اعطاء معنى التوكيد المصدرى (وأما حذف جواب
 الفعل) فإنه لا يكون في الامر المحتم كقوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا
 فجزم يخوضوا ويلعبوا لانهم ما جواب أمر فذرهم وحذف الجواب في هذا
 لا يدخل في باب الایجاز لانا اذا قلنا ذرهم أي اتركهم لا يحتاج ذلك الى جواب
 وكذلك ما يجرى مجراه وانما يكون الجواب بالغاء في ماض كقوله تعالى له اذهب
 فذهب وحذفت ذ ينظر الجواب المحذوف كقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
 وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا بآياتنا
 فذرناهم تدميرا ألا ترى كيف حذف جواب الامر في هذه الآية فان تقديره
 فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهب اليهم فكذبوه ما قدرناهم
 تدميرا فذكر حاشيتي القصة اولها وآخرها لانها المقصود من القصة بطولها
 أعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (ومن هذا الضرب
 أيضا) قوله تعالى قالوا يا ابا ناسا مالك لا تأمننا على يوسف واناله لنا صهون أرسله معنا
 عند ارتع ونلعب واناله لما قظون قال انى لي حزنى أن تذهبوا به وأناف أن يأكله
 الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا انى أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا ناسرون فلما
 ذهبوا به وأجمعوا أن يرجعوا له في غيابة الجب فجواب الامر من هذا الكلام
 محذوف تقديره فأرسله معهم ويدنا على ذلك ما جاء بعده من قوله فلما ذهبوا به
 كما حذف أيضا في قوله هو زوجل وقال الذى نجى مناهما وادكر بعد أمة انا أنبئكم
 بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتناني سبع بقرات سمعان الآية فجواب
 الامر من هذا الموضع محذوف وتقديره فأرسلوه الى يوسف فأناه فقال له يوسف
 أيها الصديق وكذلك قوله تعالى وقال الملك اتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع
 الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي يكيدهن علم قال
 ما خطيكن اذ راودتن يوسف عن نفسه الآية ففي هذا الكلام حذف واختصار
 استغنى عنه بدلالة الحال عايه وتقديره فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف
 فدعا الملك بالنسوة وقال لهن ما خطيكن (وهكذا ورد قوله تعالى) اتوني
 به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين وقد حذف جواب
 الامر ههنا وتقديره فأتوه به فلما كلمه وفي سورة يوسف عليه السلام محذوفات
 كثيرة من أولها الى آخرها فانظر أيها المتأمل الى هذه المحذوفات المذكورة ههنا

التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانها ودلالة الحال عليه
 وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون محذوفات الكلام (الضرب الثالث)
 حذف المفعول به وذلك مما نحن بصدده أخص فإن اللطائف فيه أكثر وأعجب
 كقولنا فلان يحل ويعقد ويرم ويتقض ويضر ويتفع والاصل في ذلك
 على اثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الاطلاق وعلى هذا جاء قوله تعالى
 وانه هو أخصك وأبكي وأنه هو أمات وأحيى ومن بديع ذلك قوله عز وجل
 ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم
 امرأتين تزدودان قال ما خطبكما قالتا لانسق حتى يصدرا لعاء وأبونا شيخ كبير
 فسقيا لهما ثم تولى الى اطل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فان في هاتين
 الآيتين قد حذف المفعول به في أربعة أماكن اذ المعنى وجد أمة من الناس
 يسقون مواشيهم وامراتين تزدودان مواشيهما وقالتا لانسق مواشيها فسقيا
 لهما مواشيها لان الغرض أن يعلم أنه كان من الناس سقيا ومن الامراتين ذود
 وأنهما قالتا لا يكون مناسق حتى يصدرا لعاء وأنه كان من موسى عليه السلام
 بعد ذلك سقيا فاما كون المسق غنما أو ابلا أو غير ذلك فنخرج عن الغرض وقد
 ورد في الشعر من هذا النوع قول البعيث بن حريث من أبيات الحماسة
 دعاني يزيد بعد ما ساء ظنه * وعبس وقد كانا على جد من كذب
 وقد علما أن العشيبة كلها * سوى محضرى من حاضرين وغيب
 فاللفعل الثاني من علما محذوف لان قوله أن العشيبة في موضع مفعول علما
 الاول وتقدير الكلام قد علما أن العشيبة سوى محضرى من حاضرين وغيب
 لا غناء عندهم أو سواء حضورهم وغيبتهم أو ماجرى هذا الجرى (ومن هذا
 الضرب أيضا) حذف المفعول الوارد بعد المشيئة والارادة كقوله تعالى
 ولو شاء الله لذهب بسبعهم وأبصارهم ففعلول شاء ههنا محذوف وتقديره
 ولو شاء الله أن يذهب بسبعهم وأبصارهم لذهب بهم او على نحو من ذلك جاء قوله
 تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (ومما جاء على مثال ذلك شعر اقول البحتري)
 لو شئت لم تفسد سماحة طام * كرما ولم تهدم ما أثر خاله
 الاصل في ذلك لو شئت أن لا تفسد سماحة طام لم تفسدها فحذف ذلك من الاول
 استغناء بدلالته عليه في الثاني وقد تقدم أن من الواجب في حكم البلاغة

أن لا تنطق بالمحذوف ولا تطهره الى اللفظ ولو أظهرت اصرت الى كلام غث
 ورجي المشيئة بعدلو وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة الى شيء كثير
 شائع بين البلغاء ولقد تكاثرت هذا الحذف في شأء وأراد حتى انهم لا يكادون
 يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا
 لاصطفى مما يخلق ما يشاء (وعلى هذا الاسلوب) جاء قول الشاعر

ولو شئت أن أبكي دما بكيتة * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فلو كان على حد قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لوجب أن يقول
 ولو شئت أبكيت دما ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانه أليق في هذا
 الموضع وسبب ذلك أنه كان بدعا مجيما أن يشاء الانسان أن يبكي دما فلما كان
 مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الاحسن أن يذكر ولا يضر (الضرب
 الرابع) وهو حذف المضاف والمضاف اليه واقامة كل واحد منهما مقام
 الآخر وذلك باب عريض طويل شائع في كلام العرب وان كان أبو الحسن
 الاخفش رحمه الله لا يرى القياس عليه (فأما حذف المضاف) فكقوله تعالى
 حتى اذا قمحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فحذف المضاف
 الى بأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية في قوله تعالى
 واسئل القرية أي أهل القرية (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل ولكن البر
 من اتقى أي خصله من اتقى وان شئت كان تقديره ولكن ذال البر من اتقى والاول
 أولى لان حذف المضاف ضرب من الاتساع والخبر أولى بذلك من المبتدأ
 لان الاتساع يحذف الاعجاز أولى منه بحذف الصدور وقد حذف المضاف
 مكررا في قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول أي من أثر حافر فرس الرسول
 وهذا الضرب أكثر اتساعا من غيره (ومما جاء منه شعرا) قول بعضهم
 من شعراء الجحاسة

اذا لاقيت قومي فاسألهم * كني قوما بصاحبهم خبيرا

هل اعفوا عن أصول الحق فيهم * اذا عسرت واقطع الصدورا

أراد أنه يقطع ما في الصدور من الضغائن والاونام أي يزيل ذلك باحسانه
 من عفوه وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (وأما حذف المضاف
 اليه) فانه قليل الاستعمال فمما جاء منه قوله تعالى الله الامر من قبل ومن بعد

أى من قبل ذلك ومن بعده وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه كقوله
تعالى ولو يؤواخذ الله الناس بما كسبوا ما تركوا على ظهورها من دابة قيل أراد
ظهر الأرض فحذف المضاف اليه وليس كذلك فإن الهاء والالف قائمة مقام
الأرض ألا ترى أن قوله ظهرها يريد به الأرض لأنه ضمير وراجع إليها وكذلك
ورد قول جرير

إذا أخذت قيس عليك وخذف * بأنظارها لم تدر من أين تسرح
وهذا اليبسى إيجازاً وإنما هو تعريض بالضمير عن الضمير (الضرب الخامس)
وهو حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر ولا يكون أطراده
في كل موضع وأكثره يجيء في الشعر وإنما كانت كثرة في الشعر دون الكلام
المنثور لا امتناع القياس في أطراده (فما جاء منه في الشعر) قول الجعفي
من آيات في صفة أيوان كسرى فقال في ذكر التصاوير التي في أيوان وذلك
أن الفرس كانت تحارب الروم فصوروا صورة مدينة انطاكية في أيوان وحرب
الروم والفرس عليها فمما ذكره في ذلك قوله

وإذا ما رأيت صورة انطا * كبة ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأتوشر * وان يرمى المصوف تحت الدرس
في أخضرار من اللباس على أصفر يختال في صبيغة ورس
فقوله على أصفر أى على فرس أصفر وهذا مفهوم من قرينة الحال لأنه لما
قال على أصفر علم بذلك أنه أراد فرساً أصفر والصفة تأتي في الكلام على ضربين
أما التأكيد والتخصيص وأما المدح والذم وكلاهما من مقامات الاسهاب
والتطويل لأن مقامات الإيجاز والاختصار وإذا كان الأمر كذلك لم يلق
الحذف به هذا مع ما يضاف اليه من الالتباس وضد البيان ألا ترى أنك إذا
قلت مررت بطويل لم يبين من هذا اللفظ الممرور به إنسان هو أم ربح أم ثوب أم
غير ذلك وإذا كان الأمر على هذا فحذف الموصوف إنما هو شئ قام الدليل عليه
أو شهدت به الحال وإذا استبين كان حذفه غير لائق ومما يؤكده عندك ضعف
حذفه أنك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه وذلك أن تكون الصفة
جمله نحو مررت برجل قام أبوه ولقيت غلاماً وجهه حسن الأثر اللؤلؤ قلت
مررت بقمم أبوه ولقيت وجهه حسن لم يجز (وقد ورد) حذف الموصوف

قوله فمما جاء منه في الشعر قول الخليل الغفاني في الركاكة

واقامة الصفة مقامه في غير موضع من القرآن الكريم كقوله تعالى وآتيناهم
الناقة مبصرة فانه لم يرد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وانما يريد آية
مبصرة فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه ولقد تأملت حذف الموصوف
في مواضع كثيرة فوجدت أكثر وقوعه في النداء وفي المصدر أما النداء فكقوله
يا أيها الظريف تقديره يا أيها الرجل الظريف وعليه ورد قوله تعالى يا أيها الساحر
تقديره يا أيها الرجل الساحر وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا تقديره
يا أيها القوم الذين آمنوا وأما المصدر فكقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه
يتوب الى الله متابا تقديره ومن تاب وعمل صالحا وقد أقيمت الصفة الشبيهة
بالجملة مقام الموصوف المبتدأ في قوله تعالى وانما لنا الصالحون ومنادون ذلك
أي قوم دون ذلك (وأما حذف الصفة واقامة الموصوف مقامها) فانه أقل
وجودا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ولا يكاد يقع في الكلام
الا نادرا الممكن استنباطه (فمن ذلك ما حكاه سيدي رحمه الله) من قوله سبر عليه
ليل وهم يريدون ليل طويل وانما حذف الصفة في هذا الموضع لم يدل من الحال
عليه وذلك أنه يحسن في كلام القائل لذلك من التطريح والتطويح والتفخيم
والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملت له وهو
أن يكون في مدح انسان والثناء عليه فتم قول كان والله رجلا أي رجلا فضلا
أو شجاعا أو كريما أو ماجرى هذا المجرى من الصفات وكذلك تقول سألتهم
فوجدناه انسانا أي انسانا سمعا أو جوادا أو ما أشبهه فعلى هذا ونحوه تحذف
الصفة فاما ان عريت عن الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فان حذفها لا يجوز
وقد تأملت حذفها فوجدته لا يسوغ الا في صفة تقدمها ما يدل عليها أو تأخر عنها
أو فهم ذلك من شيء خارج عنها أما الصفة التي تقدمها ما يدل عليها فقوله تعالى
أما السفينة فكانت لمساكين يعاملون في البحر فأردت أن أعيها وكان وراءهم
ملك يأخذ كل سفينة غصبا تحذف الصفة أي كان يأخذ كل سفينة صحبة
غصبا ويدل على المحذوف قوله فأردت أن أعيها فان عيها اياها لم يخرجها
عن كونها سفينة وانما المأخوذ هو الصحيح دون المعيب فحذفت الصفة ههنا لانه
تقدمها ما يدل عليها وأما التي تأخر عنها ما يدل عليها فقوله بعض شعراء الحماسة
كل امرئ مستنم من العرس أو منها نيم

فانه أراد كل امرئ متزوج اذ دل عليه ما بعده من قوله ستين منه أو منها ينيم اذ
لا تنيم هي الامن زوج ولا ينيم هو الامن زوجة فجاوب بعد الموصوف ما دل عليه
ولو لذلك لما صح معنى البيت اذ ليس كل امرئ ينيم من عرس ولا تنيم منه عرس
الا اذا كان متزوجا وأما ما يفهم حذف الصفة فيه من شئ خارج عن الكلام
فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة بدار المسجد الا في المسجد فانه قد علم
جواز صلاة بدار المسجد في غير المسجد من غير هذا الحديث فعلم حينئذ ان المراد به
الفضيلة والكمال وهذا شئ لم يعلم من نفس اللفظ وانما علم من شئ خارج عنه
(الضرب السادس) وهو حذف الشرط وجوابه (فأما حذف الشرط) فهو
قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون قالوا
في قوله تعالى فاعبدون جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة
فان لم تخلصوا الى العبادة في أرض فخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاختصاص
(ومن هذا الضرب) قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه
فقدية أي خلق فعلية فدية وكذلك قولهم الناس مجزون بأعمالهم ان خير اخيرا
وان شر اقشرا أي ان فعل المرء خير اجزي خيرا وان فعل شر اجزي شرا وعلى
نحو من ذلك جاء قوله تعالى ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر
تقدير ذلك فأفطر فعدة من أيام أخر ولهذا ذهب داود الظاهري الى الاخذ
بظاهر الآية ولم يطر الى حذف الشرط فأوجب القضاء على المريض والمسافر
سواء أفطروا ولم يفطروا (ومن حذف الشرط) قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم
لا تعلمون اعلم ان هذه الفاء التي في قول الشاعر فقد جئنا خراسانا وحققتها
أنها في جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم ان
خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخلص وكذلك هذه
الآية يقول ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث أي قد تبين بطولان
قواكم (وأما حذف جواب الشرط) فكقوله تعالى قل أرايتم ان كان من عند
الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله

لا يهدى القوم الظالمين فان جواب الشرط ههنا محذوف تقديره ان كان القرآن
من عند الله وكفرتم به ألسن ظالمين ويدل على المحذوف قوله تعالى ان الله
لا يهدى القوم الظالمين (الضرب السابع) وهو حذف القسم وجوابه فأما
حذف القسم فتحقق قولك لا فعلت أى والله لا فعلت أو غير ذلك من الاقسام
المحذوف بها أو أما حذف جوابه فكذلك قوله تعالى والفجر وبالليل عشر والشفع والوتر
والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذى حجر ألم تركيب فعل ربك بعد ادم ذات
العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فجواب القسم ههنا محذوف تقديره
ليعذبن أو نحوه ويدل على ذلك ما بعده من قوله ألم تركيب فعل ربك بعد ادم الى
قوله سوط عذاب (ومما ينتظم في هذا السلك) قوله تعالى ق والقرآن المجيد بل
عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب فان معناه
ق والقرآن المجيد لتبينه والشاهد على ذلك ما بعده من ذكر البعث في قوله
أئذ امتنا وكنا ترابا ذلك رجوع بعيد (وقد ورد هذا الضرب في القرآن كثيرا)
كقوله تعالى في سورة النازعات والنازعات غرقا والناشطات نشطا والساجدات
سجدا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
جواب القسم ههنا محذوف تقديره لتبعين أولئك مشرت ويدل على ذلك ما أتى
من بعده من ذكر القيامة في قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وكذلك
الى آخر السورة (الضرب الثامن) وهو حذف لوجوابها وذلك من أطف
ضروب الایجاز وأحسنها (فأما حذف لو) فكذلك قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله اذ ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض تقدير ذلك
اذ لو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق (وكذلك) ورد قوله تعالى وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذ لا ترتاب المبطون تقديره اذ لو
فعلت ذلك لا ترتاب المبطون وهذا من أحسن المحذوفات (ومما جاء من ذلك)
شعرا قول بعضهم في صدر الحياصة

لو كنت من مازن لم تستج ابلى * بنو الاقيطة من ذهل بن شيبانا

اذ اقام بنصرى معشر حشن * عند الحفيظة ان ذلونه لانا

فلو في البيت الثاني محذوفة لانها في البيت الاول قد استوفت جوابها بقوله
لم تستج ابلى ثم حذفها في الثاني وتقدير حذفها اذ لو كنت منهم اقام بنصرى

معشر ختن أو اذلو كانوا قومي اقسام بنصري معشر خشن (واما حذف
 جواب لو) فانه كثير شائع وذلك كقولك لو زرتنا لو ألمت بنا معناه
 لا حسنا اليك أولا كرمناك أو ما جرى هذا المجرى (ومما ورد منه في القرآن
 الكريم) قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فتوت وأخذوا من مكان قريب فأت
 جواب لو ههنا محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما وحالها تله أو غير ذلك مما
 جرى مجراه (ومما جاء على نحو من هذا) قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد
 ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
 ظهورهم ولا هم ينصرون تقديره لو يعلمون الوقت الذي يستجلبونه وهو وقت
 صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام ولا يقدر على دفعها عن
 أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا ابتلك الصفة من الكفر والاستهزاء
 والاستهجال وانكن جهلهم به هو الذي هوته عليهم (ومما يجري على هذا النهج)
 قوله تعالى لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فجواب لو في هذا الموضع
 محذوف كما حذف في قوله تعالى ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال أي لو أن لي بكم قوة
 لدفعتكم أو منعتكم أو ما أشبهه وكذلك قوله ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال
 لكان هذا القرآن وهذا الضرب من المحذوفات أظهم - والضروب المذكورة
 وأوضحها العلم المخاطب به لان قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام لو أن لي
 بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يتسارع الفهم الى ان الكلام يحتاج الى
 جواب (ومما جاء منه شعرا) قول أبي تمام في قصيدته البائية التي يدح بها
 المعتصم عند فتحه مدينة عورية

لو يعلم الكافر كم من أعصر كنت • له العواقب بين السم والقتب
 فان هذا محذوف الجواب تقديره لو يعلم الكافر ذلك لا تخذأهبة الخذار أو غير
 ذلك (واعلم) أن حذف هذا الجواب لا يسوغ في أي موضع كان من الكلام
 وانما يحذف ما دل عليه مكان المحذوف ألا ترى أنه قد ورد في القرآن الكريم
 غير محذوف كقوله تعالى ولو فكنا عليهم بيا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا
 انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وهذا ليس كالذي تقدم من الآيات
 لان تلك علم مكان المحذوف منها وهذه الآية لو حذف الجواب فيها لم يعلم
 مكانه لانه يحتمل وجوها منها أن يقال لما آمنوا أو طلبوا ما وراء ذلك

وقد تقدم القول في أول باب الإيجاز أنه لا بد من دلالة الكلام على المحذوف
(الضرب التاسع) وهو حذف جواب لولا (فإن ذلك قوله تعالى) والذين يرمون
أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم فشهدوا أحدهم أربع شهادات بالله أنه
من الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرأ عنها
العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله
عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم
لجواب لولا ههنا محذوف تقديره لما أنزل عليكم هذا الحكم بطريق التلاعن
وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه (وكذلك ورد قوله تعالى) إن الذين يحبون
أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله
يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم تقديره
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب أو فعل بكم كذا وكذا (الضرب
العاشر) وهو حذف جواب لما وجواب أما (فأما حذف جواب لما) فكقوله
تعالى فلما أسلموا وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك
نجزي المحسنين فإن جواب لما ههنا محذوف وتقديره فلما أسلموا وتله للجبين
وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان مما ينطق به الحلال ولا
يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وشكرهما على ما أنعم به عليهم مما
من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما أشبه ذلك مما كتبت به هذه المحنة
من عظام الوصف دنيا وآخرة وقوله إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لتحويل ما خولهم مما من الفرح والسرور بعد تلك الشدة العظيمة (وأما حذف
جواب أما) فهو قوله تعالى فأما الذين أسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم
(الضرب الحادي عشر) وهو حذف جواب إذا فما جاء منه قوله تعالى
وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتئهم من
آية من آيات ربهم إلا كانوا معرضين ألا ترى كيف حذف الجواب عن إذا
في هذا الكلام وهو مدلول عليه بقوله إلا كانوا معرضين كأنه قال وإذا
قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ثم قال ودأبهم الأعراس عن
كل آية وموعظة (الضرب الثاني عشر) حذف المبتدأ والخبر أما حذف
المبتدأ فلا يكون إلا مفردا والاحسن هو حذف الخبر لأن منه ما يأتي جـ

كقوله تعالى واللاى يتسن من الحيض من نسائككم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاى لم يحضن وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وههنا قد حذف خبر المبتدا وهو جملة من مبتدا وخبر وتقديرها واللاى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر (ومما ورد منه شعرا) قول أبي عبادة الهذلي
 كل عذر من كل ذنب واكن * أعوز العذر من يياض العذار
 وهذا قد حذف منه خبر المبتدا الا أنه مفرد غير جملة وتقديره كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع أو ماجرى هذا الجرى (الضرب الثالث عشر) وهو حذف لامن الكلام وهي مرادة وذلك كقوله تعالى قالوا اتالله تفقؤ تذكر يوسف يريد به لا تفقؤ أى لا تزال فحذفت لامن الكلام وهي مرادة (وعلى هذا) جاء قول امرئ القيس

فقلت عين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديدك وأوصالي
 أى لأبرح قاعدا فجذفت لافى هذا الموضع وهي مرادة (ومما جاء منه) قول
 أبي عبيد بن جراح لما نهاه سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه عن شرب الخمر وهو
 اذ ذاك فى قتال الفرس بالقادسية

رأيت الخمر صالحة وفيها * مناقب تملك الرجل الخليا
 فلا والله أشربها حياتي * ولا أسقى بها أبدا نديما
 يريد لا أشربها فحذف لامن الكلام وهي مفهومة منه (الضرب الرابع عشر)
 وهو حذف الواو من الكلام واثباتها وأحسن حذفها فى المعطوف
 والمعطوف عليه واذالم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وإيجازا
 كقول أنس بن مالك رضى الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يتسامون ثم يصلون ولا يتوضؤن أو قال ثم يصلون ولا يتوضؤن فقوله لا يتوضؤن
 يحذف الواو أو باغ فى تحقيق عدم الوضوء من قوله ولا يتوضؤن باثباتها كأنه
 جعل ذلك حالة لهم لازمة أى أنهم اذا دخلوا فى الجملة وليست جملة خارجة عن
 الأولى لان واو العطف تؤذن بانفسراد المعطوف عن المعطوف عليه واذا
 حذفت فى مثل هذا الموضع صار المعطوف والمعطوف عليه جملة واحدة وقد
 جاء مثل ذلك فى القرآن الكريم وذلك أنه يذكر جمل من القول كل واحدة
 منها مستقلة بنفسها ثم تسرد سردا بغير عطف كقوله تعالى يا أيها الذين

آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا وادوا ما عنتم قد بدت البغضاء
 من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر تقدير هذا الكلام لا يألونكم خبالا
 وادوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من أفواههم فلما حذف الواو جاء الكلام
 أوجز وأحسن طلاوة وأبلغ تأليفا ونظما وأمثاله في القرآن الكريم كثير
 (واعلم) أنه قد حذف الواو وأثبتت في مواضع فأما اثباتها فنحو قوله تعالى
 وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وأما حذفها فنحو قوله تعالى
 وما أهلكنا من قرية إلا الهامنذرون وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو وإثباتها
 في كل موضع وإنما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين (والمبين لك
 في ذلك ربما تتبعه فنقول اعلم) أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد الأيجوز
 اثبات الواو في خبره وحذفها كقولك ما رأيت رجلا لا وعليه ثياب وان شئت
 قلت الاعليه ثياب بغير واو فان كان الذي يتبع على النكرة ناقصا فلا يكون
 الأيجوز الواو فنحو قولك ما أظن درهما إلا هو كافيك ولا يجوز إلا وهو كافيك
 بالواو لان الظن يحتاج الى شيئين فلا يعترض فيه بالواو لانه يصير كالمكتفي من
 الأفعال باسم واحد وكذلك جواب ظننت وكان وان وأشباهها فخطأ أن تقول
 ان رجلا وهو قائم ونحو ذلك ويجوز هذا في ليس خاصة تقول ليس أحد الا وهو
 قائم لان الكلام يتوهم تمامه بليس ويجرف نكرة ألا ترى أنك تقول ليس أحد
 وما من أحد فجاز فيها اثبات الواو ولم يجز في أظن لانك لا تقول ما أظن أحد
 فأما أصبح وأمسى ورأى فان الواو فيها من أسهل لانهن توأم في حال وكان وأظن
 ونحوهما مبين على النقص الا اذا كانت تامة وكذلك لافي التنزيه وغيرها نحو
 لا رجل وما من رجل فيجوز اثبات الواو فيها وحذفها (واعلم) أن العرب
 قد حذفوا من أصل الالفاظ شيئا لا يجوز القياس عليه كقول بعضهم
 كان ابريقهم طبي على شرف * مقدم بسبب الكتان ملثوم
 فقوله بسبب الكتان يريد بسبب الكتان وكذلك قول الآخر
 بدرين جنديل حائر لجنوبها * فكأنما تذكي سنا بكمها الحبا
 فهذا وأمثاله مما يقع ولا يحسن وان كانت العرب قد استعملته فانه لا يجوز لنا
 أن نستعمله (وأما القسم الثاني من الأيجاز) فهو ما لا يحذف منه شيء (وذلك
 ضربان أحدهما) ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير (والآخر) ما زاد معناه

على لفظه ويسمى الايجاز بالتصير (فأما الايجاز بالتقدير) فإنه الذي يمكن التعبير
 عن معناه بمثل ألفاظه وفي عدتها (وأما الايجاز بالقصر فإنه ينقسم قسمين
 أحدهما) ما دل لفظه على احتمالات متعددة وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه
 في عدتها (والآخر) ما يدل لفظه على احتمالات متعددة ولا يمكن التعبير عنه
 بمثل ألفاظه وفي عدتها الايل يستحيل ذلك (ولنورد الآن الضرب الاول الذي
 هو الايجاز بالتقدير) فما جاء منه قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أي شيء
 خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره
 كلاما يتض ما أمره فقول قتل الانسان دعاء عليه وقوله ما أكفره تعجب من
 افراطه في كفران نعمة الله عليه ولا يرى أسوأ بآ غلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا
 أخشن مساو لا أدل على سخط مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه
 ثم انه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه فقال من أي شيء خلقه
 ثم بين الشيء الذي خلق منه بقوله من نطفة خلقه فقدره أي هيأه لما يصلح له
 ثم السبيل يسره أي سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار
 سلكه من طريق الخير والشر والاول أولى لانه نال نجاته وتقديره ثم بعد ذلك
 يكون يسير سبيله لما يختاره من طريق الخير والشر ثم أماته فأقبره أي جعله ذا قبر
 يوارى فيه ثم إذا شاء أنشره أي أحياه كالأردع للانسان عما هو عليه لما
 يقض ما أمره أي لم يقض مع تطاول زمانه ما أمره الله به يعني أن انسانا لم يخل
 من تقصير قط ألا ترى الى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة
 لما قدرت على ذلك لانك كنت تذهب بجزء من معناه والايجاز هو أن لا يمكنك أن
 تسقط شيئا من ألفاظه (والآيات الواردة من هذا الضرب كثيرة) كتوله تعالى
 فن جاءه موعدة من ربه فاتته فله ما سلف فقوله فله ما سلف من جوامع الكلام
 ومعناه أن خطايا الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها إلا أن قوله فله ما سلف
 أبلغ أي أن السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك ورد قوله تعالى
 من كفر فعليه كفره فعليه كفره كلمة جامعة تغني عن ذكر ضرب من العذاب
 لان من أحاط به كفره فقد أحاطت به كل خطيئة وعلى نحو من هذا جاء قول
 تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
 والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فهذه الآية من جوامع الآيات

الواردة في القرآن الكريم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على
الوليد بن المغيرة فقال له يا ابن أخي أهد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم قراءتها
عليه فقال له إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق
وما هو بقول البشر (ومن هذا النحو) قوله تعالى واقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقين عن اليمين
وعن الشمال فعيد ما يلنظ من قول الالديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحمد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل
نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرنا اليوم حديد وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التي دللت على
تخويف وارهاب ترق له القلوب وتفسح عنه الجلود وهي مشتملة مع قصرها على
حال الانسان منذ خلقه الى حين حشره وحشر غيره من الناس وتصوير ذلك
الامر الفظيع في أسهل لفظ وأقربه وما مررت عليها الا جددت لي موعظة
وأحدثت عندي ايقاظا (ومن هذا الضرب) ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه لأبي سلمة عند موته فقال اللهم ارفع درجته في المهتمدين وأخلفه
في عقبه في الغابرين لنا وله يارب العالمين وهذا دعاء جامع بين الايجاز وبين
مناسبة الحال التي وقع فيها فأوله يفتح بالمهم الذي يقتصر اليه المدعولة في تلك
الحال وهو رفع درجته في الآخرة وثانيه مردف بالمهم الذي يؤثره المدعولة من
صلاح حال عقبه من بعده في الدنيا وثالثه محتتم بالجمع بين الداعي والمدعولة
وهذا من الايجاز البليغ الذي هو طباق ما قصد له وكلام النبي صلى الله عليه وسلم
كاهكذا كما قال أوتيت جوامع الكلم وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم
يوم يدرقانه قال هذا يوم له ما بعده وهو شبيه بقوله تعالى فله ما سلف (ولما جرح
عمر بن الخطاب رضي الله عنه) الجراحة التي مات بها اجتمع اليه الناس فشاء
شاب من الانصار وقال أبشريا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله
وقدم في الاسلام ما علمت ووليت فعدلت ثم شهادة وهذا كلام شديد قد حوى
المعنى المقصود وأتى به في أوجز لفظ وأحسنه ومع ما فيه من الايجاز فانه
مستغرب وسبب استغرابه أنه جعل المساءة بشرى وأخرجها مخرج المسرة
وتلطف في ذلك فأبلغ ولو أراد الكاتب البليغ والخطيب المصقع أن يأتي بذلك

على هذا الوجه لأعوزه (ومن هذا النقط) ما كتبه طاهر بن الحسين إلى
 المأمون عند لقائه عيسى بن ماهان وهزمه إياه وقتله فكتب إليه كتابي إلى
 أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمه في يدي وعسكره
 مصر في تحت أمري والسلام وهذا من الكتب المختصرة التي حوت الغرض
 المذكور وما يكتب في هذا المقام مثله (ولما أرسل المهلب بن أبي صفرة) أبا الحسن
 المدايني إلى الججاج بن يوسف يخبره أخبار الأزارقة كلمة كلام موجزا كالذي نحن
 به عند ذكره ههنا وذلك أن الججاج سأله فقال كيف تركت المهلب فقال أدرك
 ما أتم وأمن مما خاف فقال كيف هو بجنده قال والدرؤف قال كيف جند له
 قال أولاد بريرة قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بفضله وأغناهم بعدله قال
 كيف تصنعون إذا القيمت العدو قال نلقاهم بجمدة ناولنا وناججتهم قال كذلك
 الجداذ التي الجدا قال فأخبرني عن بني المهلب قال هم أحلاس القتال بالليل
 حيا السرج بالنهار قال أيهم أفضل قال هم كخلة مضروبة لا يعرف طرفاها
 فقال الججاج جلسائه هذا والله هو الكلام الفصل الذي ليس بمصنوع (وقد ورد
 في الأخبار النبوية من هذا الضرب شيء كثير) وسأورد منه أمثلة يسيرة
 فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور
 متشابهات وهذا الحديث من أجمع الأحاديث للمعاني الكثيرة وذلك أنه يشتمل
 على جل الأحكام الشرعية فإن الحلال والحرام إنما أن يكون الحكم فيهما بينا
 لا خلاف فيه بين العلماء وإنما أن يكون خافيا يتجاز به وجوه التأويلات فكل منهم
 يذهب فيه مذهبا (وكذلك) جاء قوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات
 وإنما لكل امرئ ما نوى فإن هذا الحديث أيضا من جوامع الأحاديث للأحكام
 الشرعية (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم المضعف أمير الركب وقد ورد
 آخر هذا الحديث بالفظ آخر فقال صلى الله عليه وسلم سيروا بسير أضعفكم
 الآن الأول أحسن لأنه أبلغ معنى فإن الأمير واجب الحكم فهو يتبع وإذا كان
 المضعف أمير الركب كانوا وتمرين له في سيرهم ونزولهم وهذا المعنى لا يوجد
 في قوله سيروا بسير أضعفكم (وأحسن من هذا كله) ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم
 في حديث مطول يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جعلته
 ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك تقول تعبد الله

كأنك تراه من جوامع الكلام لانه ينوب مناب كلام كثير كأنه قال تعبد الله
مخلصا في نيتك واقفا عند أدب الطاعة من الخضوع والخشوع آخذاً أهبة الخذر
وأشبهه ذلك لان العبد اذا خدم مولاه ناظرا اليه استقصى في آداب الخدمة
بكل ما يجب اليه السبيل وما ينتهي اليه الطوق (ومما أطربني من ذلك) حديث
الحديبية وهو أنه جاء بديل بن ورقاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
اني تركت كعب بن اوى بن عامر بن اوى معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون
وصادونك عن البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا قد نكتمت الحرب
فان شاؤا ما مددناهم مدة ويدعوا بيني وبين الناس فان أظهر عليهم وأحبوا أن
يدخلوا فإني أدخل فيه الناس والا كانوا قد جوا وان أبوا فوالذي نفسي بيده
لا فاتنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفى هذه وليتفذن الله أمره وهذا
الحديث من جوامع الكلام وهو من الفصاحة والبلاغة على غاية لا ينتهي اليها
وصف الواصف (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وتخصيصه الليل دون النهار مما يستل عنه وكذلك قوله

ولست بمستبق أخالاته * على شعث أي الرجال المهذب

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول الاعشى في اعتذاره الى أوس بن لام عن هجائه

اياه واني على ما كان مني لنادم * واني الى أوس بن لام لتائب

واني الى أوس ليقبل عذرتي * ويصفح عني ما حبيت لراغب

قهب لي حباتي فالحياة لقاتم * بشكر لذي فيها خير ما أنت واهب

سامح وبعديك اذا أنا صادق * كآب هجاء سنا راذا أنا كاذب

وهذا من المعاني الشريفة في الالفاظ الخفيفة وهو من طنانات الاعشى

المشهورة (وعلى نحو منه) جاء قول الفرزدق

صحنناهم الشعث الجياد كأنها * قطا هيجه يوم ربح أجادله

الى كل سى قد خطبنا بنياتهم * بأر عن جترار كثير صواهل

اذا ما التقينا أنكحتنا ما حنا * من القوم ابكارا كراما عاتله

وانا لمناعون تحت لوائنا * جمانا اذا ما عاذ بالسيف حمله

وهذا من محاسن ما يجي في هذا الباب (ومما يجرى هذا الجرى) قول جرير

تتفي رجال من تميم منيتي * وما زاد عن احسابهم ذائد منلي
فلوشاء قومي كان حلمي فيهم * وكان علي جهال أعدائهم منلي
(وكذلك) ورد قوله متغزلا وهو من محاسن أقواله

سرت الهوموم فبتن غير نيام * وأخواله هوموم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الاقوام
واقدم أرا التوأنت جامعة الهوى * أثني بعهدك خير دار مقام
طرقته صائدة القلوب فليس ذا * حين الزيارة فارجمي بسلام
تجري السوالك على أغتر كأنه * بردت حذر من متون نغم
لو كان عهدك كالذي حدثنا * لو صلت ذالك فكان خير زمام
واقدم أراني والجديد الى بلي * في موكب طرف الحديث كرام
لولا مراقبة العميون أريننا * حدق المهاوسو القف الا رام
واذا صرفن عيونهن بنظرة * نفذت نوافذها بغير سهام
هل تنفعنك ان قتلن مرقشا * أو ما فعلن بعروة بن حزام
وحلاوة هذا الكلام أحسن من ايجازه واقدم اعوز غيره أن يأتي بمثله حتى أقتر

بأعوازه (ومن باب الايجاز الذي يسمى التقدير) قول علي بن جبلة
وما لامرئى حاولته عنك مهرب * ولو حلتته في السماء المطالع
بلي هارب ما يمدى لكانه * ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع
فهذا هو الكلام الذي ألفناظه وفاق معانيه فانه قد اشتمل على مدح رجل
يشمول ملكه وعموم سلطانه وأنه لا مهرب عنه لمن يحاوله وان صعد السماء ثم ذكر
جميع المهارب في المشارق والمغارب وأشار الى أنه يبلغ الظلام والضياء وذلك
على ما تزد عبارته على المعنى المندرج تحته ولا قصرت عنه ومن هذا الضرب
قول أبي نواس وهو من نادر ما يأتي في هذا الموضع

ودارندامى عطلوها وأدبلوا * بها أتر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الرقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويابس
حبست بها صبي فجددت عهدهم * وانى على أمثال تلك الحابس
تدار علينا الراح في عسجدية * حبيتها بأنواع التصاوير فارس
قد راد بها كسرى وفي جنباتها * مها تدرىها بالقسى الفوارس

فلأراح ما زرت عليه جيوبها • ولما ما دارت عليه القلائس
(ومما انتهى الى من اخبار ابن المزرع) قال سمعت الجاحظ يقول لا أعرف شعرا
يفضل هذه الابيات التي لا تبي نواس واقد انشدتها أباشعيب القلال فقال والله
يا أباعثمان ان هذا هو الشعر ولو نقرأ طن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار
والخزف ولعمري ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فتكر والذي ذكره هو الحق
(وعلى هذا الاسلوب) جاء قول أبي تمام

ان القـوافي والمـساعي لم تزل • مثل النظام اذا اصاب فريدا
هي جوهر ثمر فان الفـتـنـه • بالشعر صار قلائدا وعقودا
في كل معترك وكل مقامة • ياخذن منه ذمّة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خـفـراها • لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الاولى • يدعون هذا سودا محدودا
وتنشد عندهم العـلا الاعلا • جعلت لها مررا القريض قيودا
(وأما الضرب الثاني) وهو الايجاز بالقصر فان القرآن الكريم ملآن منه
وقد تقدم القول أنه قسمان أحدهما ما يدل على محققات متعددة فمن ذلك قوله
تعالى واقدأوحينا الى موسى أن أسر يعبادي فاضرب اهرم طريقا في البحر يسا
لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون يجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم
وأضل فرعون قومه وما هدى فقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع
الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم من الامور الهائلة
والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه الا الله ولا يحيط به غيره (ومن هذا الضرب)
قوله تعالى خذ العذو وأمر يا اعرف وأعرض عن الجاهلين فيجمع في الآية جميع
مكارم الاخلاق لان في الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة
وعن الكذب وعض الطرف عن المحرمات وغير ذلك وفي الاعراض عن
الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما (وقال بعض الاعراب) في دعائه اللهم هب لي حقت
وأرض عني خالقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا هو البلاغة (ومن ذلك)
قوله عز وجل أو ائتكم لهم الامن فانه دخل تحت الامن جميع المحبوبات وذلك
أنه نقي به أن يخافوا شيئا من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النعمة وغير
ذلك من أصناف المكاره وأشياء هذا في القرآن الكريم كثيرة فهو يكثر في بعض

الصور ويقل في بعض قال النبي صلى الله عليه وسلم لم من شاء يرتع في الرياض
 الا نائق فعليه بالحم (ومن ذلك) قول النبي صلى الله عليه وسلم الخراج
 بالضمان وذلك ان رجلا اشترى عبدا فأقام عنده مدة ثم وجد به عيبا فخاصم
 البائع الى النبي صلى الله عليه وسلم فرده عليه فقال يا رسول الله انه استغل غلامي
 فقال الخراج بالضمان ومعنى قوله الخراج بالضمان ان الرجل اذا اشترى عبدا
 فاستغله ثم وجد به عيبا دلسه عليه البائع فله ان يردّه ويسترجع الثمن جميعه ولو
 مات العبد أو أبق أو سرقه سارق كان في مال المشتري وضمانه عليه واذا كان
 ضمانه عليه فخرجه له أى له ما تحصل من أجره عمله (وأما ما ورد شعرا) فقول
 السجوال بن عادي الغساني من جملة آياته اللامية المشهورة وذلك قوله منها
 وان هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل
 فان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق جميعها من سماحة وشجاعة
 وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فان هذه الاخلاق كلها من ضم النفس لانها
 تجذب بحملها ضيها أى مشقة وعناء وقد تقدم القول ان الايجاز بالقصر يكون
 فيما تضمن لفظه محتملات كثيرة وهذا البيت من ذلك القبيل ولا أعلم ان شاعرا
 قديما ولا حديثا أتى بمثله وقد أخذ أبو تمام فأحسن في أخذه وهو
 وظلمت نفسك طالبا انصافها * فحجبت من مظلومة لم تظلم
 فصار في بيته هذا بالمقابلة بين الضميتين في الظلم والانصاف ثم قال فحجبت
 من مظلومة لم تظلم وهذا أحسن من الاول ومعنى قوله ظلمت نفسك طالبا
 انصافها أى أنك أكرهتها على مشاق الامور واذا فعلت ذلك فقد ظلمتها ثم أنك
 مع ظلمك اياها قد انصفتها لانك جلبت اليها اشياء حسنة تكسبها ذكرا جليلا
 ومجيدا مؤثلا فانك منصف لها في صورة ظالم وكذلك قوله فحجبت من مظلومة
 لم تظلم أى أنك ظلمتها وما ظلمتها لان ظلمك اياها أدى الى ما هو جميل حسن وهذا
 القدر في الامثلة كاف في هذا الباب (القسم الاخر من الضرب الثاني
 في الايجاز بالقصر) وهو الذي لا يمكن التعبير عن الفاظه بالفاظ اخرى
 مثلها وفي عنتها وهو أعلى طبقات الايجاز وكانوا أعوزها امكانا واذا وجد
 في كلام بعض البلغاء قائما بوجوده شاذنا درنا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن
 الكريم كقوله تعالى ولكم في القصص حياة فان قوله تعالى القصص حياة

لا يمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة لان معناه أنه اذا قتل القاتل امتنع غيره
 عن القتل فأوجب ذلك حياة للناس ولا يلتفت الى ما ورد عن العرب من قواهم
 القتل أننى للقتل فان من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية و ليس كذلك بل
 بينهم ما فرق من ثلاثة أوجه (الاول) أن القصاص حياة لفظتان والقتل أننى
 للقتل ثلاثة ألفاظ (الوجه الثاني) أن فى قواهم القتل أننى للقتل تكرير ليس
 فى الآية (الثالث) أنه ليس كل قتل نافيا للقتل الا اذا كان على حكم القصاص
 وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب فى بعض بيت من شعره فقال
 وأخافكم كي تغمدوا أسيا فكم * ان الدم المغبر يحرسه الدم

فقوله ان الدم المغبر يحرسه الدم أحسن مما ورد عن العرب من قواهم القتل أننى
 للقتل (ويروى) عن معن بن زائدة أنه سأله أبو جعفر المنصور فقال له أيا أحب
 اليك دولتنا أو دولة بنى أمية فقال ذلك اليك فقوله ذلك اليك من الإيجاز
 بالقصر الذى لا يمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة لان معنى قوله ذلك اليك
 وهو لفظتان أنه ان زادا حسانتك على احسان بنى أمية فأنتم أحب الى وهذه
 عشرة ألفاظ (فان قيل) كيف لا يمكن التعبير عن الفاظ بألفاظ أخرى مثلها
 وفى عدتها وفى المترادف من الفاظ ما هو دليل على خلاف ذلك فانه اذا قيل
 راح ثم قيل مدامة أو سلافة كان ذلك سواها وقامت هذه اللفظة مقام هذه اللفظة
 (قلت) فى الجواب ليس كل الفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض
 الا ترى أن لفظة القصاص لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ولما عبر عنها
 بالقتل فى قول العرب القتل أننى للقتل ظهر الفرق بين ذلك وبين الآية فى قوله
 تعالى ولكم فى القصاص حياة فالذى أردته أنا انما هو الكلام الذى لا يمكن
 التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفى عدتها فان كان كذلك والافليس
 داخلا فى هذا القسم المشار اليه (النوع السادس عشر فى الاطناب) هذا
 النوع من الكلام أنعمت تطرى فيه وفى التكرير وفى التطويل فلكنتى حيرة
 الشبه بينهما طويلا وكنت فى ذلك كعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الكلالة
 حيث قال قد أعيانى أمر الكلالة وكنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عنها كثيرا حتى ضرب فى صدرى وقال ألا يكفيك أنه الصنف وبعد أن أنعمت
 تطرى فى هذا النوع الذى هو الاطناب ووجدت ضربا من ضرب التأكيد

الاطناب

قوله أنه الصنف كذا فى الاصل ويجوز

التي يؤتى بها في الكلام قصد المبالغة ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه
 لا يشاركه فيه غيره لأن من التأكيدي ما يتعلق بالتقديم والتأخير كقيد المفعول
 بالاعتراض كالأعراض بين القسم وجوابه وبين المعطوف والمعطوف عليه
 وأشياء ذلك وسأتي الكلام عليه في بابيه وهذا الضرب الذي هو الاطناب ليس
 كذلك (ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه) فمنهم من ألقاه بالتطويل الذي هو
 ضد الایجاز وهو عند قسم غيره فأخطأ من حيث لا يدري كأبي هلال
 العسكري والغامبي حتى انه قال ان كتب الفتوح وما جرى مجراها مما يقرأ على
 عوام الناس ينبغي أن تكون مطولة مطمئناً فيها وهذا القول فاسد لأنه ان
 عني بذلك أنها تكون ذات معان متعددة قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة
 من فتح أو غيره فذلك مسلم وان عني بذلك أنها تكون مكررة المعاني مطولة اللفاظ
 قصد الافهام العمامة فهذا غير مسلم وهو مما لا يذهب اليه من عنده أدنى
 معرفة بعلم الفصاحة والبلاغة ويكفي في بطلانه كتاب الله تعالى فانه لم يجعل
 لخواص الناس فقط وانما جعل لعوامهم وخواصهم وأهمل كثيره لابل
 جميعه مفهوم الالفاظ للعوام الاكلمات معدودة وهي التي تسمى غريب القرآن
 وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى المختصة بالالفاظ وعلى هذا فينبغي
 أن تكون الكتب جميعها مما يقرأ على عوام الناس وخواصهم ذات اللفاظ سهلة
 مفهومة وكذلك الاشعار والخطب ومن ذهب الى غير ذلك فانه بنجوة عن هذا
 الفن وعلى هذا فان الاطناب لا يختص به عوام الناس وانما هو للخواص كما
 هو للعوام وسأبين حقيقة في كتابي هذا وأحقيق القول فيه بحيث تزول الشبهة
 التي خبط أرباب علم البيان من أجلها وقالوا أقوالا لا تعرب عن فائدة (والذي
 عندي فيه) أنه اذا رجعنا الى الاسماء واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسباً
 لمسماه وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء اذا بالغ فيه ويقال أطنبت
 الريح اذا اشتدت في هبوبها وأطنب في السير اذا اشتد فيه وعلى هذا فان
 حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة في اراد المعاني وهذا لا يختص
 بنوع واحد من أنواع علم البيان وانما يوجد فيها جميعاً اذ ما من نوع منها
 الا ويمكن المبالغة فيه واذا كان الامر كذلك فينبغي أن يفرد هذا النوع من بينها
 ولا يتحقق افراده الا بذكر حده الدال على حقيقته (والذي يحتمل أن يقال)

هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا حده الذي يميزه عن التطويل اذا التطويل
هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة وأما التكرير فانه دلالة اللفظ على المعنى
مرتدا كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع فان المعنى مرتد واللفظ واحد
وسيرد بيان ذلك مفصلا في باب بعد باب الاطناب لاني ذكرت الايجاز ثم الاطناب
ثم التكرير وهي أبواب يتبع بعضها بعضا واذا كان التكرير هو ايراد المعنى
مرتدا فانه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة فأما الذي يأتي لغير فائدة فانه
جزء من الاطناب وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتي لفائدة فهو
اطناب وليس كل اطناب تكرير يأتي لفائدة وأما الذي يأتي من التكرير لغير
فائدة فانه جزء من التطويل وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتي لغير
فائدة تطويل وليس كل تطويل تكرير يأتي لغير فائدة وكنت قدمت القول
في باب الايجاز بان الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة عليه واذا
تقررت هذه الحدود الثلاثة المشار اليها فان مثال الايجاز والاطناب والتطويل
مثال مقصد يسلك اليه في ثلاثة طرق فالأول ايجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه
والاطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد اليه الا أن طريق
الاطناب تشتمل على منزله من المنازه لا يوجد في طريق التطويل وسيأتي بيان ذلك
بضرب الامثلة التي تسهل من معرفته (والاطناب يوجد) تارة في الجملة الواحدة
من الكلام ويوجد تارة في الجمل المتعددة والذي يوجد في الجمل المتعددة أبلغ
لاتساع المجال في ايراده (وعلى هذا فانه بجملة ينقسم قسمين القسم الاول)
الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام (وهو يرد حقيقة ومجازا أما الحقيقة)
فمثل قولهم رأيت به بعيني وقبضته بيدي ووطئته بقدمي وذقته بلساني وكل هذا
يظن الظان أنه زيادة لا حاجة اليها ويقول ان الرؤية لا تكون الا بالعين والقبض
لا يكون الا باليد والوطء لا يكون الا بالقدم والذوق لا يكون الا باللسان وليس الامر
كذلك بل هذا يقال في كل شيء يعظم مثاله ويعز الوصول اليه فيؤكد
الامر فيه على هذا الوجه دلالة على نيله والحصول عليه كقول أبي عبادة الجعري
تأمل من خلال السيف وانظر * بعينك ما شربت ومن سقاني
تجد شمس الضحى تدنو بشمس * الى من الرحيق الخسرواني
ولما كان الحضور في هذا المجلس مما يعز وجوده وكان الساقى فيه على هذه

الصفة من الحسن قال انظر بعينك (وعلى هذا ورد) قوله تعالى ذلكم قولكم
 بأفواهكم فان هذا القول لما كان فيه اقراء عظم الله تعالى على قائله ألا ترى
 الى قوله تعالى في قصة الافك اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس
 لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فصرح في هذه الآية بما أشرت
 اليه من تعظيم الامر المقول وفي مساق الآية المشار اليها جاء قوله تعالى
 ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن
 أئها تنكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول
 الحق وهو يهدى السبيل ألا ترى أن مساق الكلام أن الانسان يقول لزوجته
 أنت على كظهر أُمى ويقول المملوك أينا فضرب الله لذلك مثلا لافعال كيف
 تكون الزوجة أما وكيف يكون المملوك أينا والجمع بين الزوجية والامومة
 وبين العبودية والبنوة في حالة واحدة كالجمع بين القلبين في الجوف وهذا تعظيم
 لما قالوه وانكاره ولما كان الكلام في حال الانكار والتعظيم أتى بذكر الجوف
 والافعال علم أن القلب لا يكون الا في الجوف والتمثيل يصح بقوله ما جعل الله
 لرجل من قلبين وهو تام لكن في ذكر الجوف فائدة وهي ما أشرت اليها وفيها أيضا
 زيادة تصوير للمعنى المقصود لانه اذا سمعه المخاطب به صور نفسه جوفاً يشتمل على
 قلبين فكان ذلك أسرع الى انكاره (وعليه ورد) قوله تعالى نفخ عليهم السقف
 من فوقهم فكما أن القلب لا يكون الا في الجوف فكذلك السقف لا يكون الا من
 فوق وهذا مقام ترهيب وتخويف كما أن ذلك مقام انكار وتعظيم ألا ترى الى
 هذه الآية بكما لها وهي قوله تعالى قدمكر الذين من قبلهم فأنى الله بنيانهم من
 القواعد نفخ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
 ولذا كر لفظة فوقهم فائدة لا توجد مع اسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس
 هذا من نفسك فانك اذا تلوت هذه الآية تخيل اليك أن سقفا خر على أولئك
 من فوقهم وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع اسقاط تلك اللفظة
 وفي القرآن الكريم من هذا النوع كثير كقوله تعالى فاذا نفخ في الصور
 نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكا دكا واحدة وقوله أفرايم اللات
 والعزى ومائة الثالثة الاخرى وكل هذه الآيات انما أطنب فيها باتاً كيد
 لمعان اقتضتها فان النفخ في الصور الذي تقوم به الاموات من القبور مهول

عظيم يدل على القدرة الباهرة وكذلك حمل الارض والجبال فلما كانا بهذه
الصفة قيل فيهما نفخة واحدة ودكة واحدة أي ان هذا الامر المهول العظيم
سهل يسير على الله تعالى يفعل ويمضي الامر فيه بنفخة واحدة ودكة
واحدة ولا يحتاج فيه الى طول مدة ولا كلفة مشقة فجيء بذكر الواحد لتأكيده
الاعلام بأن ذلك هين سهل على عظمه وهذه المواضع وأمثالها ترد في القرآن
الكريم ويتوهم بعض الناس أنها ترد لغـير فائدة اقتضتها وليس الامر كذلك
فإن هذه الاسرار البلاغية لا يتنبه لها الا العارفون بها وهـ كذا يريد
ما يرد منها في كلام العرب (وههنا نكتة لا بد من الاشارة اليها) وذلك أني نظرت
في قوله تعالى نفخة واحدة ودكة واحدة وفي قوله تعالى ومائة الثالثة الاخرى
فوجدت ذلك غير مقيس على ما تقدم وسأبينه ببيان شاف فأقول ان قوله تعالى
ومائة الثالثة الاخرى انما هي موازنة الفقرات التي نظمت السورة كلها عليها
وهي والنجم اذا هوى ولوقيل أفرايم اللات والعزى ومائة ولم يقبل الثالثة
الاخرى لكان الكلام عارياً عن الطلاوة والحسن وكذلك لوقيل ومائة الاخرى
من غير أن يقال الثالثة لانه نقص في الفقرة الثانية عن الاولى وذلك قبيح
وقد تقدم الكلام عليه في باب السجع لكن التأكيدي في هذه الآية جاء ضمناً
لتوازن الفقرتين وأما نفخة واحدة ودكة واحدة فانما هي بلفظ الواحد
فيهما وقد علم أن النفخة هي واحدة والدكة هي واحدة لكان نظم الكلام
لان السورة التي هي الحاققة جارية على هذا المنهاج في توازنها السجعي ولوقيل
نفخة من غير واحدة ودكة من غير واحدة ثم قيل بعدهما فيومئذ وقعت الواقعة
لكان الكلام منثوراً محتاجاً الى تمام لكن التأكيدي جاء فيهما ضمناً وتبعاً
واذا تبين ذلك واتضح فاعلم أن الفرق بين هذه الآيات وبين قوله تعالى ما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه ظاهر وذلك ان نفخة هي واحدة ومائة هي
الثالثة (وأما ما جاء منه على سبيل المجاز) فقوله تعالى فانها لا تعمي الابصار ولكن
تعني القلوب التي في الصدور ففائدة ذكر الصدور ههنا أنه قد تعورف وعلم أن
العمى على الحقيقة ~~ممكن~~ كانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها
واستعماله في القلب تشبيه ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المتعارف من
نسبة العمى الى القلوب حقيقة وتقيه عن الابصار احتاج هذا الامر الى زيادة

تصوير وتعرف ايجته تر أن مكان العمى انما هو القلوب لا الابصار وهذا
موضع من علم البيان كثيرة محاسنه وافرة لطائفه والمجاز فيه أحسن من الحقيقة
لمكان زيادة التصوير في اثبات وصف الحقيقي للجباري وتفيده عن الحقيقي
(وأما القسم الثاني المختص بالجميل) فانه يشتمل على ضروب أربعة (الأول)
منها أن يذكر الشيء في وقت فيه معان متداخلة الآن كل معنى يختص بخصيصة
ليست للآخر وذلك كقول أبي تمام

قطعت الى الرايين هياته * الثالث. أمور السحاب المسبل

من منة مشهورة وصنعة * بكر واحسان أغر حجيل

فقوله منة مشهورة وصنعة بكر واحسان أغر حجيل تداخلت معانيه اذ المنة
والصنعة والاحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك بتكرير لانه لو اقتصر
على قوله منة وصنعة واحسان لجاز أن يكون تكريرا ولكنه وصف كل واحدة
من هذه الثلاث بصفة أخرى جتها عن حكم التكرير فقال منة مشهورة فوصفها
بالاشتهار لعظم شأنها وصنعة بكر فوصفها بالبكارة أي أنها لم يؤت بمثلا من قبل
واحسان أغر حجيل فوصفه بالغرزة والتجليل أي هو ذو محاسن متعددة فلما
وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباينة صار
ذلك اطنابا ولم يكن تكريرا ولم أجد في ضروب الاطناب أحسن من هذا الموضع
ولا الألف وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيرا بخلاف غيره من الشعراء كقوله

زكى سجاياه تضيف ضيوفه * ويرجى مرجيه ويستل سائله

فان غرضه من هذا القول انما هو ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء الا أنه
وصفه بصفات متعددة فجعل ضيوفه تضيف وراجيه يرجي وسائله يستل وامن
هذا تكريرا لانه لا يلزم من كون ضيوفه تضيف أن يرجي وراجيه مرجوا
ولا أن يستل سائله مسؤلا لان ضيفه يستصحب ضيفا طمعا في كرم مضيفه
وسائله يستل أي يعطى السائل عطاء كثيرا يصير به معطيا وراجيه يرجي أي
أنه اذا تعلق به رجاء راج فقد أيقن بالفلاح والتجاح فهو حقيق بأن يرجي لمكان
رجائه اياه وهذا ابلغ الاوصاف الثلاثة (الضرب الثاني) يسمى النفي
والاثبات وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الاثبات
أو بالعكس ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر والا كان

تكريرا والغرض به تأكيده ذلك المعنى المقصود (فما جاء منه) قوله تعالى
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
والله عالم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (واعلم) ان هذا الضرب من الاطناب فائدة
كبيرة وهو من أوكد وجوهه الأخرى أنه قال لا يستأذنك الذين يؤمنون
بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ثم قال انما يستأذنك الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والمعنى في ذلك سواء الا أنه زاد في الثانية قوله
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين
الآيتين حكم التكرير وهذا الموضع ينبغي أن يتأمل وينم النظر فيه
(وعليه ورد) قوله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون
بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن
أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون فقوله يعلمون بعد قوله لا يعلمون من الباب الذي نحن بصدد ذكره
ألا ترى أنه نفي العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم العلم
بظاهر الحياة الدنيا فكأنهم علموا وما علموا اذ العلم بظاهر الامور ليس بعلم وانما
العلم هو ما كان بالباطن من الامور (الضرب الثالث) هو أن يذكر المعنى الواحد
تامة لا يحتاج الى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كقول أبي عبادة البحرى
ذات حسن لو استزادت من الحسن اليه لما أصابت مزيدا
فهى كالشمس بهجة والقضيب اللدن قذا والريم طرفا وجيدا
ألا ترى أن الاول كاف في بلوغ الغاية في الحسن لانه لما قال لو استزادت لما
أصابت مزيدا دخل تحته كل شئ من الاشياء الحسننة الا أن للتشبيه منزلة
أخرى تفيد السامع تصورا وتخييلا لا يحصل له من الاول وهذا الضرب من
أحسن ما يجي في باب الاطناب (وكذلك) ورد قوله

تردد في خلقى سودد * سماطى رجي وبأسامهيبا

فكاسيفان جثته صارخا * وكالبحران جثته متشيبا

فأبيت الثاني يدل على معنى الاول لان البحر والسيف اللباس المهيب الآن

في الثاني زيادة التشبيه التي تفيد تخيلا وتصويرا (الضرب الرابع) أن يستوفى
معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا أصعب الضروب
الاربعة طريقا وأضيقها بالبالانه يتفرع الى أساليب كثيرة من المعاني وأرباب
النظم والمثرتيما وتون فيه وليس الخطا الذي يقذف بالدر في مثله الامعوم
الوجود ومثاله ومثال الایجاز مثال مجمل ومفصل (وقد تقدم) القول بأن
الایجاز والاطناب والتطويل بمنزلة مقصد يملك اليه ثلاثة طرق وقد أوردت
ههنا أمثلة لهذه الأساليب الثلاثة وجعلتها على هيئة المقصد الذي تملك اليه
الطرق الثلاثة (فمن ذلك) ما ذكرته في وصف بيستان ذات فوا كمتعددة فإذا
أريد وصفه على حكم الایجاز قيل فيه من كل فاكهة زوجان وهذا كلام الله
تعالى وقد جمع جميع أنواع الفاكهة بأحسن لفظ وأخصره وإذا أريد وصف
ذلك البستان على حكم الاطناب قيل فيه ما ذكره وهو فصل من كتاب أنشأته
وهو جنة علت أرضها أن تمسك ماء وغنيت ينسوعها أرستجدي سماه وهي
ذات ثمار مختلفة الغرابة وتربة نجية وما صكل تربة توصف بالنجاة ففيها
المشمس الذي يبق غيره بقدمه ويقذف أيدي الجنائز بنجومه فهو يسمو
بطيب الفرح والنجار ولو نظم في جيد الحسناء لاشبهه بقلادة من نضار وله زمن
الرييح الذي هو أعدل الأزمان وقد شبهه بسن الصبا في الأسنان وفيها
التفاح الذي رق جلده وعظم قدمه وتورد دخده وطابت أنفاسه فلا بان الوادي
ولارنده وإذا نظر اليه وجد منه حظ الشم والنظر ونسبته من سرر الغزلان
أولى من نسبته الى منابت الشجر وفيها العنب الذي هو أكرم الثمار طينة
وأكثرها ألوان زينة وأول غرس اغترسه نوح عليه السلام عند تروجه من
السفينة فقطفه يميل بكف قاطقه ويفرى بالوصف لسان واصفه وفيها
الرمان الذي هو طعام وشراب وبه شبهت نهود الكعباب ومن فضله أنه
لا نوى له فيرى نواه ولا يخرج اللؤلؤ والمرجان من فاكهة سواء وفيها التين
الذي أقسم الله به تنويها يذكره واستتر آدم عليه السلام بورقه إذ كشفت
المعصية من ستره وخص بطول الاعناق فخايرى بهما من ميل فهو نشوة من
سكره وقد وصف بأنه راق طعم ما ونم جعما وقيل هذا كنيف لي شهدا
لا كنيف لي علما وفيها من ثمرات الخيل ما يزهى بلونه وشكله ويشغل

بلذة منظره عن لذة أكله وهو الذي فضل ذوات الاقنان بمرجونه ولا تعائل
بينه وبين الخلوات هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه وفيها غير ذلك
من أشكال الفاكهة وأصنافها وكما معدود من أوساطها لامن أطرافها
واقدر دخلتها فاستوتني حسدا ولم ألم صاحبها على قوله لمن تبدي هذه أبدا (فهذا
الوصف) على هذه الصورة يسمى اطنابا لانه لم يعر عن فائدة وذلك الاول هو
الايجاز لانه اشتمل باختصاره على جميع أصناف الفاكهة (وأما التطويل)
فهو أن تعد الاصناف المذكورة تعددا من غير وصف لطيف ولا نعت رائق
فيقال مشمس وتذاح وعنب ورمان ونخل وكذا وكذا وانظر أيها المتأمل
الى ما أشرت اليه من هذه الاقسام الثلاثة في الايجاز والاطناب والتطويل
وقس عليها ما يأتي منها (وسأزيد ذلك بيانا بمثال آخر فأقول) قد ورد في باب
الايجاز كتاب كتبه طاهر بن الحسين الى المأمون رحمه الله تعالى يخبره به زينة
عيسى بن ماهان وقتله اياه وهو كافي الى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين
يدي وخاتمه في يدي وعسكره مصرف تحت أمرى والسلام وهذا كتاب
جامع لانه في شديدا الاختصار واذا كتب ما هو في معناه على وجه الاطناب قيل
فيه ما ذكره وهو ما أنشأته مثلا في هذا الموضع ليعلم به الفرق بين الايجاز
والاطناب وهو أصدر كتابه هذا وقد نصر بالفئة القليلة على الفئة الكثيرة
وانقلب باليد الملائى واليمين القريرة وكان اتصاره بجد أمير المؤمنين لا بجد نضله
والجد أغنى من الجيش وان كثرت أمداد خيله ورجله وبجى برأس عيسى
ابن ماهان وهو على جسد غير جسده وليس له قدم فيقال انه يسبح بقدمه
ولا يد فيقال انه يبطش بيده واقد طال وطوله موذن بقصر شانه وحسدت
الضباع الطير على مكانها منه وهو غير محسود على مكانه وأحضر خاتمه وهو الخاتم
الذى كان الامر يجسرى على نقش أسطره وكان يرجو أن يصدر كتاب الفتح
بجته فيقال ورود المنية دون مصدره وكذلك البغي مرتعه وويل
ومصرعه جليل وسيفه وان مضى فانه عند الضرب كليل وقد نطق الفأل بأن
الخاتم والرأس شيان بالحصول على خاتم الملك ورأسه وهذا الفتح أساس
لمايستقبل يشاؤه ولايستقر البناء الاعلى أساسه والعساكر التي كانت على
أمير المؤمنين حربا صارت له سلما وأعطته البيعة علما بفضلها وليس من تابع

تقليداً يكن هو تابع علماء وهم الآن مصر فون تحت الاوامر مختصون بكشف
السراير مطيفون باللواء الذي خصه الله باستفتاح المقالد واستبطاء المنابر
وكاسرت خطوات القلم في أثناء هذا القرطاس فكذلك سرت طلائع الرعب
قبل الطلائع في قلوب الناس وليس في البلاد ما يغلق بمشيئة الله بابا ولا يحسر
نقابا وعلى الله اتمام النعم التي اقتحمها واجابة أمير المؤمنين الى مقترحاته التي
اقترحها والسلام وهذا الكتاب يشتمل على ما شتمل عليه كتاب طاهر بن الحسين
من المعنى الا أنه فصل ذلك الاجال (ولو كتبت على وجه التطويل) الذي لا فائدة
فيه اقليل أصدر كتابه في يوم كذا من شهر كذا والتي عسكر أمير المؤمنين وعسكر
عدوه الباغي وتطاعن الفريقان وتراحف الجمعان وحى القتال واشتد النزال
وترادفت الكتاب وتلاحقت المقاتب وقتل عيسى بن ماهان واحترأسه
وقطع وزرع الخاتم من يده وخلع وترك جسده طعاما للطيور والسباع
والذئب والضباع وانجحت الواقعة عن غلب أمير المؤمنين ونصره وخذلان
عدوه وقهره والسلام فهذا الكتاب يشتمل على تطويل لا فائدة فيه لانه كثر
فيه معاني يتم الغرض بدونها وذكر ما لا حاجة اليه في الاعلام بالواقعة فأتطرى الى
هذه الكتب الثلاثة وتاملها كما تأملت الذي تقدمها (وبعد ذلك اني أورد ذلك
كتابا وتقليدا يوضحان لك فائدة الاطناب أما الكتاب) فانه كتاب كتبه عن
الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة بيغداد
يتضمن فتح البيت المقدس واستنقاذه من أيدي الكفار وذلك في معارضة
كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني عنه وكان الفتح في السابع والعشرين
من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين وخمسائة خلد الله سلطان الديوان العزيز
النبوي وجعل أيام دولته أترابا ومناقب مجدها ضابا وزادها على مرور
الايام شبابا وأوسعها توشية وازدهابا اذا أوسع غيرها تالاشيا وذهابا ومنحها
في الدنيا والآخرة عطاء وفاقا لا عطاء حسابا ومثل جدودها في عيون الاعداء
شيا عجابا وأراهم منها وراهم في اليقظة أرهايا وارعايا وفي المنام ابلاصعابا
تقود خيال عرابا لوجعت العصور في صعيد واحد لكان هذا العصر عابها
فانرا وقاز بسبق آواتلها وان جاء آخرها وليس ذلك الا لظفوتة بالدولة
الناصرية التي كسته حبرا وقلدته دررا ودوتت له من المهام دسيرا وجعلت

في كل ناحية من وجهه شمساً وقرا وقيض الله لها من الخادم وليا يوصل يومه
 في طاعتها بأمره ولا يرى الا من نفسه في خدمتها قريب على نفسه وطالما
 سعى بين يديها بمساع تنص بأخبارها محافل القوم ويقال له فيها ما ضربت
 ما صنعت بعد اليوم وقد سلفت منها آيات تمايل في أشباهها وأضرابها
 واستؤنف لها الآن واحدة تدعى بأتم كتابها وهي فتح البيت المقدس الذي
 تفتحت له أبواب السماء وكثرت بأحاديث مجده كواكب الظلماء واسترد حق
 الاسلام وطالما سعت الهمم في طلبه بالزاد والماء ومن أحسن ما أتى به أنه
 آتس قبلته الثانية بقبلته الاولى وأطال منه كل ما قصرته يد الكفر وكانت هي
 الطولى وبه صح له هذا البيت معنى اسمه وانتقل الى الطهارة ونزاهتها عن
 الرجس ووصفه ولم يجزه الخادم حتى طوى ما حوله من البلاد المنجدة والغائرة
 وكان مركز الدائرتين فغادره وهو طرف من أطراف الدائرة ولما شارفه نظر
 منه الى ظلة من الظلال ورأى بلدا قد استقر على متن الجبل مثل الجبل
 ويظف به وادتستتري عصمته بنوب الدهر وقد انعطف على جوانبه انعطاف
 الحبوة على الظهر والمسالك اليه مع ذلك ذات تعاريح ومعارج وهي ضيقة
 مستوعرة يطلق عليها اسم الطرق ولا يطلق عليها اسم المناهج فلما رآه قال هذا
 أمنية لمن يرى وعلم حينئذ أن كل الصيد في جوف الفرا الآن لسان حاله
 خاطبه وهو أفصح الخطاب وقال امدد يدك فليس دونها من حجاب وكان قد برز
 من السلاح في لباس رائع من المنعة وأخرج من السواد الاعظم ما خضع
 العيون والحرب خدعة وما يمنع رقاب البلاد بكثرة السواد ولا يحمي بغوالي
 الاسوار بل بعوالي المعاد وفي يوم كذا وكذا خيم المسلمون في عقد داره
 ونزلوا منه نزول الجار الى جانب جاره ثم ارتادوا موقفا للقتال وان لم يكن هناك
 موقف يقرب مناله ولا يتسع مجاله وانفق الرأي على لسان المنجنيق في خطبة
 عقيلية أبلغ خطايا وأدنى من المطالب طلأيا وانه اذا ضرب بعصاه الحجر
 انجبت عيون أهل دماء كما انجبت عيون الجرماء هذا والعزائم تنظر الى هذا
 الرأي تظر المستجمل وتصعد عنه صدود المستجمل وتقول ما بارتياد السهل
 تملك المعاب ومن ابتغى السيف صرحا لم يتنا عنه بلوغ الاسباب والحديد
 لا يفلح الا بالحديد والركن الشديد لا يصدم الا برصك كن شديد فعندها صم

الخادم أن يلقي البلدمواثبا لامواربا وأن يجعل لازف جانبيا وللمجنبيق
 جانبيا ونوى أن يبدى صفحة وجهه أمام الناس وتأسى برسول الله صلى الله
 عليه وسلم في الاتقاء به إذا اشتد الباس ولا شك أن قلوب الجيوش بمنزلة قلوبها
 وأن النذال لا سنة الرماح لا الكعوبها ولا يشتقى من الوغى الامن كان طرفه
 أمام طرفه ومن وقف خلف جنوده فقد جعل عزائمها من خلفه ولما وقع
 الزحف صورع البلد صراعا بعد أن قورع قراعا ثم هزهزة طوته بيمينها
 ونشرته بشمالها وأذاقته العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من نيكالها
 ويدون ذلك يكون عرك أديمه وعطف شكيمه ولم يكن قتاله بالسهام التي غايتها
 أن تصف أجنتها للمطار وتنال بكومها من فوق الاسوار بل بالسيف التي
 اذا جالت بلدا أخذت بكظمه وتوغلت في هجمه وأغنت بسرعة خطواتها
 اليه عن المنجنيق وابطاهدمه والسيف ليس يمرتو من النفس التي تظل طائشة
 عند لقاءها جائشة عند استيفائها فاقلب توصف بأنها تجيش اذا كانت
 أعدادا والنفوس لا تجيش الا اذا كانت عمادا وما يستوى وجوه الاقران
 في اقدامها واجامها فنها المظلم اذا رابها الروح باشرافها ومنها المشرق اذا
 شابهها الروح باطلامها وكانت وجوه المؤمنين في هذا المقام أحظى بباس
 الاشراف وأتم ابدرا والبدور لا يكون تمامها في الحاق فامتهم الامن عرض
 نفسه ليوم العرض ومشى الى الجنة عرضها السموات والارض حتى اتبع
 المكر وضاق بأعداء الله المقر وحرقت أوعار الخنادق وصار الرجاء لمنطقة
 السور كل المناطق ولم يستشهد منهم الا عدد يسير لا تدخله لام التعريف وكانت
 الجنة الملائكة مطيفة بهم فأكرم بالمطاف به وبالطيف وقد أسعد الله أولئك
 بالشهادة التي هي الفوز الاكبر وقرنها بادنا مضاجعهم من الارض المقدسة
 التي هي أرض المحشر فما يسرهم أن يعودوا الى الدنيا الا للاستزادة من
 ثواب الجهاد وأيسر ذلك أن أرواحهم في حواصل طير خضر تعلق من ثمار
 الجنة الى يوم الاماد ولما رأى الكفار أن صلبهم قد صار خوارا وأن زفيرهم
 قد انقلب خوارا أذعنت أيديهم باستسلامها وصانعت بالمال عن الرقاب
 واسترقاقها وبالبلد عن النفوس وجامها فأبى السيف أن يتلذذ رقابا تغذى
 باكلها ويحل من عشقها على مداومة وصلها وأذكر الخادم أن سلف هؤلاء

انتزع هذا البلد قسرا وقتل من كان به من المسلمين غدرا وذلك تأردخه الله
 لك حتى تحظى في الآخرة بثوابه وتجمل في الدنيا بزينة أتوابه والمسلم
 أخو المسلم لم يأخذ بدمه وان تطاوت أمداد السفين على قدمه فبا بعد عهد
 هذا لتأمن ثأره ويا طيب خبره عند سامعه وحسن أثره عند ناظره ولما
 تحق العزم على ذلك أشار ذو الرأي بقبول الفدية المبدولة والايحمل العدو
 على ما ليست نفسه عليه بمعهولة فان النقة اذا أخرج صار ذأنياب وأظفار
 واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار وهو لاء اذار أو اعين القتل فيجردوا
 للقتال وركبوا الاهوال للنجاة من الاهوال ومن يدع الى خطه رشد فليقبلها
 ومن أنشط له عقل الامور فلا يعقلها وعلى كل حال فان الفدية للمسلمين
 أرغب وأموال يتقوى بها على العدو خير من دماء تذهب هذا وبالبلد من
 أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس ومن حرمة عند الله خير مما
 طلعت عليه الشمس ولا يوازي فتحه عنوة أن يتعدى اليهم اضراره ولا شك
 أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطاره فرأى الخادم عند ذلك أن الرأي
 مشترك وأن له معتركا كما أن السيف له معترك وتقرر تسليم البلد ودفع
 أهله قد خضبت أحداقها وأقرحت آماقها ولم تطب أنفسهم بقراق قامه حتى
 كادت الهام تفارق أعناقها فعلى حب ذلك التراب تقوم قيامتهم وتشيل
 نعماتهم واطالموا بهلوا عنده أيام الحصار واستنصروه فلم يحظوا منه
 بعونة الانتصار وكيف يرجي النصر من مذهب ودفن شيعته بقتله أم كيف يدفع
 عن غيره من كان هو مبتلى بعثله وهذه عقول خفيفة نفذ فيها كيد شيطانها
 وأخفى عنها حجة الحق على وضوح بيانها واقد كان يوم التسليم عريض الفغار
 زائد العمر على عمر أبويه من الليل والنهار واشتق من اسمه معنى السلامة
 للمسلمين والهلاك للكفار وزاده نورا الى نوره أنه وافق اليوم المفر عن ليله
 المعراج النبوي الذي كان في تلك الارض موعده ومن صخرته امصعده
 وذلك هو الاسراء الذي ركب اليه ظهر البراق واستفتح له أبواب السبع
 الطباقي ولورق في انبياء على اختلاف درجاتهم فظفر خير ملق بخير لاق
 وبركة ذلك اليوم سرت الى هذا فأطالت من شهرته وشمته نصره الدين الحنيف
 الذي لله عناية بنصره وجعلته تاريخا يورث بفتح كما أرتخ للنبي صلى الله عليه

وسلم يدار هجرته واذا أنصف واصفها قال انه لليوم البدرى في اقتراب النسب
 وانه العجيبه التي لم تجفل عنها الايام في صفروانما اجفلت عنها في رجب فما
 اكثر الفاتز فيه والمغبون والمسرور والمخزون فمن جتدوا كب ومن جتدوا جل
 ومن عز قادم وذل راحل ولطالما جتد الخادم في السعي له وأبصار العدا
 تراه وألسنتهم تعلقه ومامنهم الامن أكثر الشناعة أن ذلك السعي
 للاستكثار من البلاد واقفه يعلم أنه لم يكن الا للاستكثار من موارد الجهاد
 لاجرم أن صدق النية كان له عقبى الدار وتلك الاقوال الكاذبة كان لها عقبى
 البوار ويوم هذا الفتح يفتقر قبله الى أيام تجلو بياضه عن سوادها ويلقح
 لها بطون المساعي حتى يكون هو نتيجة ميلادها ولما نظره الخادم لم يكن
 لأهل النجابه فيه قول يرد كذابه ولا يقبل صوابه والشهب الطالعة على
 ذوات السروج أصدق نبأ من الشهب الطالعة من ذوات البروج على
 أنهم ما وان اتفقار جما فانها يختلفان علما فعلم هذه يسأل عنه ثغرا الاعناق
 وعلم هذه يسأل عنه بطون الاوراق ولما دخل البلد وجد به أعمالا لو أن
 ضربت عليهم الذلة لدافعوا المنايا مكثرة ونعالها والسيوف مصابرة وهم
 طوائف مختلفو الالسنه والالوان وان قيل انهم أناسي فأت صورهم صور الجان
 ومنهم طائفة استشهدت بحس نفوسها وفحصت الشعر عن أوساط رؤسها
 وتوحشت بالرهباية حتى ارتاعت العيون من أشكالها ولبوسها ولما رأوا
 طلعة الاسلام داخله عليهم أعلنوا بالجوار واصطرخوا جميعا كما يصطرخون
 غدا في النار وزادهم غمظا الى غمظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة وقد صار
 الناقوس أذانا وكلمة الله كقرايمانا وأقيمت الجمعة وهي أول جمعة حطى
 الاقصى بعشدها وحضرتها الامة الاسلامية بأحمرها وأسودها فمن بالك بدمعة
 سروره الباردة ومن مجمل تطره في نعمة الله الواردة ومن شاكر للزم من الذي
 أبقاه الى يومه هذا الذي كل الايام له حاسدة من كان مولده تقدم قبله أو بعده
 فكأنه لم يولد وكانت هذه الجمعة في رابع شعبان وهو الشهر الذي جعله الله
 طليعة لشهر الصيام وليله نصفه هي الليلة المعروفة باحياء قيامها الى حين وفاة
 شخص الظلام والتي يغفر فيها لأكثر من شهر غنم كلب من ذوى الذنوب
 والآنم وجى بالواواء الاسود فركز من المنبر في أعلاه ونطق لسان حاله فقال

من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه فانا مولاه ولم يكن لسان الخطيب
 بأفصح بياناً من لسانه غير أن هذا يزعمه يبالغ موعظته وهذا يزعمه يعززه سلطانه
 ولما ذكرت سمات الخلافة المعظمة أتبعها الناس بالدعاء الذي ملا المسجد
 بحججه وسبق الكرام الكاتبون بزميله الى السماء وشججه وكان اليوم
 فصلاً والموقف حسلاً وذلك الدعاء فرضاً لا نقلاً ولا ينتهي الوصف الى
 ما شوهد بالبلد من الآثار العجيبة التي تستلب العجلان وتستحب الازهان
 وتستنطق الالسننة بالتسبيح لله الذي فطر الانسان ومن جملة ذلك ما تبوهي
 في حسنه من البيع والصوامع ذوات الابنية الروائع التي روضت بالزخارف
 ترض الازهار ورفعت معاقدها حتى كادت النجوم توحى اليها بالاسرار
 ومامننا الا ما يقال انه ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ولقد ألان
 الله لهم الحجارة حتى تخيروا في توسيعها بضروب الاختيار وجعلوها اعاجيب
 للاسماع والابصار وقيل فيها هذه روضات جنان لا أفنية ديار هذا الى غيره
 مما وجد من معبودات القوم الموصفة بانها آلهة الصلب اللاتي من ذوات
 النصب وأكثر ذلك وجد في المسجد موضوعاً وعلى قبته مرفوعاً فأنزات على
 قرونها واستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في طعن عيونها واستوطن
 المؤمن مكان الكفور وبدات الظلمات بالنور وقالت الصخرة الآن جمع بيني
 وبين الحجر الاسود ناطب الاسلام والجمع بين الاختين في هذا الامر من
 الحلال لامن الحرام وقال الاقصي سبحان الذي أسرى الى بجنده كما أسرى
 بعبدته وأعاد لي عهد الفتح الا اول بهذا الفتح الذي أتى من بعده وعود الذاهب
 ارجاء لاوام أحتابه وخلود الانسان لا يكون الا في ما به وهذا هو الخطب
 الذي جدد للاسلام عهد ابن خطابه رضى الله عنه الا أن مستنقذ الطريدة
 أولى بها من صاحبها ولئن غصبتها يد غالبية فقد جاء الله باليد التي غصبتها من
 غاصبها هذا ولم يستنقذها الخادم الا بانضاء سلاح أنفته الواقعة الأولى التي
 استأصلت حياة البلاد واستباحت أعيالها بقتل الآساد فكانت لهذا الفتح
 عنواناً ولتقرير أصوله بنياناً ولم ينح بها من طواغيت الكفر الا طاغية ترابلس
 فان السيوف أسارته وبفؤاده قلق من أوجالها وفي عينه دهش من أهوالها
 وقد قرن الله هذا الفتح بيشري موته وكفى المسلمين مؤنة الاحتماء لنوته ففر

من الوقعة ولم ينج بذلك الفرار واعتصم بذات جداره فقط له الخوف من وراء
 الجدار ولا فرق بين قبيل خوف السفار وبين قبيل السفار واقدم قزوين
 المذكور الى مثله لكنه اتقل من مية مية عزه الى مية مية ذلك وكذلك آثار الخادم
 في أعداء الله فهم هلكي بسيفه في مواقف الطراد فان قروا فجنونه على جنوب
 الوساد وبعده هذه فهل يمترون في أن دماءهم قد استجابت لمراده وأن سواء
 لديه من أمكن منها في دتوه ومن امتنع منها في بعاده وكل ذلك مستخدم من
 الاستنصار بعناية الديوان العزيز التي من شأنها أن تجعل الرضا حقا وأحاديث
 الآمال صدقا وتقترب بعيدات الامور حتى تجعل الشرق غربا والغرب شرقا
 فهذا الفتح منسوب اليها وان كان الخادم هو الساعي في تسهيله والمجاهد
 بنفسه وماله في سبيله فعلى عطف دواتهم اترقم أعلامه وفي أيامها تورخ أيامه
 ولو أبيع للعلم الخلاء في مقام المقال كما أبيع اصاحبه في مقام القتال لاختتمات
 مشيته في هذا الكتاب وبقال وأسهب فليس الاكثره هنا من الامهات لكنه
 منعه من ذلك أن يكون من نخر به فأيظلمه وأرسل خطابه الى الديوان العزيز
 فلم يقبضه بالادب حين أرسله وقد ارتاد من يبلغ عنه مشارح هذه الوقائع التي
 اختصرها ويشتر صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ويكون مكانه
 من النباهة كريما كما كانها وهي عرائس المساعي فاحسن الناس بيانا وهل
 لا يداع حسانتها والسائر بها فلان وهو راوي أخبار نصرها التي صعبها
 في تجريح الرجال وعو الى اسنادها مأخوذة من طرق العوال والايام والليالي
 رواية فالظن برواية الايام والليالي وستتلوه هذه الاخبار الصادقة بشيئة الله
 أخبار مثلها صادقة وما دامت السيوف ناطقة في يد الخادم فالألسنة عنها
 ناطقة ولا راء العالمة من زيد العلوان شاء الله تعالى (وأما التقليد) فانه
 تقليد أنشأته لتصب الحسبة وهو (أما بعد) فقد جعل الله جزاء التمسكين
 في أرضه أن يقام بحدود فرضه ونحن نسأله التوفيق لهذا الامر الذي ثقل
 حمله وعدم أهله فقد جى بنا في زمن أصبح الناس فيه سدى وعاد الاسلام فيه
 غريبا كايديا وهو الزمن الذي كثرت فيه أشراط اليوم الاخير وغربت
 فيه الامة حتى لم يبق الا مثالة كخالة التمر والشعير ومن أهتم ما نقر ببناءه
 وتقدم عناءه ونصلح به الزمن وأبناءه أن غضى أحكام الشريعة المطهرة على

ما قرنته في تعريف ما عرّفته وتنكير ما نكرته ومدار ذلك على النظر في أمر
الحسبة التي تنزل منه بمنزلة السلك من العقد والكف من الزند وقد أخلصنا
النية في ارتياد من يقوم فيها ويكفيها ويصطفى لها ولا يصطفها وهو أنت أيها
الشيخ الأجل فلان أحسن الله لك الأثر وصدق فيك النظر فتواها غير
مؤكد اليها بل معانا عليها واعلم أن الناس قد آمنوا أسننا وأحيوا بدعا
وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيئا وأظلم منهم من أقترهم على أمرهم ولم
يأخذهم بقوارع زيرهم فان السكوت عن البدعة رضا بمكانها وترك
النهى عنها كالأمر بآياتها ولم يأت بنا الله تعالى إلا بعباد الذين فاعل على
أصوله صادعا بحكم الله فيه وحكم رسوله ونحن نأمر لك أن تتصفح أحوال
الناس في أمر دينهم الذي هو عصمة مالهم وأمر معاشهم الذي يتميز به
حرامهم من حلالهم فأبدأ أولا بالنظر في العقائد واهد فيها إلى سبيل الفرقة
الناجية الذي هو سبيل واحد وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزمو
مواطن الحق فأقاموا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا ومن عداهم شعب دانوا
أديانا وعبدوا من الأهواء أو ثانا واتبعوا ما لم ينزل به الله سلطانا ولو نشاء
لا آرينا كههم فلعرفتهم بسميهم ولتعرفتهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم
فمن انتهى من هؤلاء إلى فلسفة فاقبله ولا تسمع له قولا ولا تقبل منه صرفا
ولا عدلا وإنما يكن قتله على رؤس الأشهاد ما بين حاضر وباد فماتت كثرت
الشرائع بعثل متالته ولا تدرست علومها بعثل أثر جهالته والمنتمى اليها يعرف
بتكره ويستدل عليه بظلمة كفره وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالأبصار
وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رأيها من الأنوار وما تجده من كتبها
التي هي مسمومة ناعمة لأعلوم ناعمة وأفاعي ملففة لأقوال مؤلفة
فاستأصل شأفتها بالتزويق وافعل بهم ما يفعله الله بأهلها من التحريق ولا
يقنعك ذلك حتى تجتهد في تدبیر آثارها والكشف عن مكان أسرارها
فمن وجدت في بيته فليؤخذ بها ولا يتركها ولا يتركها ولا يتركها ولا يتركها
من استكبر استكبارا ولم يرج الله وقارا وأمان تحدث في القدر وقال فيه
بمخالفة نص الخبر فليس في شيء من ربة الاسلام وان تنسك بعبادة الصلاة
والصيام قال النبي صلى الله عليه وسلم القدرية تجوس هذه الامة والمراد

بذلك أنهم ما نزلوا بين الله والعباد والضياء والظلمة فعلاج هذه الطائفة أن تجزى
 بأن تحزى فليقابل جمعها بالتكبير واسمها بالتصغير وتنقل الى ثقل الحدود
 عن خفة التعزير ومن كان منها ذاك كانه تاجه فليهبط أو شهادة عادلة
 فليسقط وكذلك يجزى الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم أو قال بحدوث
 القرآن القديم ومن ملهدى القرآن فرقة فترقت بين المعنى والخط وفرقة
 قالت فيه بالشكل والنقط وكل هؤلاء قوم خبثت سرائرهم وعميت بصائرهم
 وعظمت عند الله جرائمهم فخذهم بالتوبة التي تطهر أهلها وتجب ما قبلها
 وليست التوبة عبارة عن ذكرى اللسان والقاب لانه في قبضة النسيان بل
 هي عبارة عن الندم على ما فات واستئناف الاخلاص فيما هو آت وقد
 جعل الله التائب من آحيابه ووصفه في مواضع كثيرة من كتابه ومن فضله أن
 الملائكة يستغفرون لذنبه ويستغفرون له الى ربه فان أبت هذه الطوائف
 الاصرارا ولم يزد هم دعاؤك الا فرارا فاعلم أن الله قد طبع على قلوبهم
 طبعا وألحقهم بالذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكره وكانوا لا يستطيعون سماعها
 فخذهم عند ذلك بحد الجلد فان لم ينجع فبحد ذوات الحد فان هذه أمراض
 عى لا ترجى لها الافاقة ولا تبرئ منها الا الدماء المراقبة وأما الفرقة المدعوة
 بالرافضة التي هي لما رجع الله خافضة فانهم أناس ليس لهم من الدين الا اسمه
 ولا من الاسلام الا رسمه واذا نقب عن مذهبهم وجد على العصبية موضوعا
 ولغوهم ما شرعه الله ورسوله مشروعا ذبوا عن على رضى الله عنه فأسلموه
 وأخروه اذ قدموه وهؤلاء وضعوا أحاديث فتنقوا لها وأولوها على ما أولوها
 فتبع الاخر منهم الا اول على نعمة وقالوا انا ووجدنا آباءنا على أمة وههنا
 غير ما ذكرناه من عقائد محمولة ومذاهب غير منقولة ولا مقبولة وبالهدى
 يتبين طريق الضلال وبالصحة يظهر أثر الاعتلال ولا عقيدة الا عقيدة
 السنة والكتاب ولادين الا دين العجائز الماء والمحراب واذا فرغنا من الوصية
 بالاصول التي هي للدين ملاك فليتبعها بالفروع التي هي له مسالك وأول ذلك
 الصلاة وهي في مباني الاسلام الخمس أو كدخسه وآخر ما وصى به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عند مفارقة نفسه ومن فضلها أنها العمل الذي ينهى عن
 الفحشاء والمنكر ولا عذر في تركها الا حذر من الناس فيقال انه يعذر فاجح

الناس اليها واجلهم عليها ومرهم بالا اجتماع لها في المساجد وناد فيهم بفضيلة
 صلاة الجماعة على صلاة الواحد وراقبهم عند اوقات الاذان في الاسواق
 التي هي معركة الشيطان فمن شغل بتمسك بمكبسه ولها عنها بالاقبال على
 لهوه ولعبه فخذ بالآلة العمرية التي تضع من قدره وتذيقه وبال امره
 ولا يمنعك عن ذي هيبه هيبته ولا عن ذي شيبه شيبته فانما أهلك الذين قبلكم
 أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا
 عليه الحد ومن مهمات الصلاة يوم الجمعة الذي هو في الايام بمنزلة الاعياد
 في الاعوام وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المحجوب التي ما صادفها عبيد
 الاظفر بالطلاب فخر الناس بابتدائه في البواكر والنوز فيه بقربان البدنات
 الاخير فانه اليوم الذي لم تطلع الشمس على مثله وبه فضل هذا الدين على أهل
 الكتاب من قبله فهو واسطة عقد الايام السبعة ولا شتماله على مجموع
 فضلها سمي يوم الجمعة وفي الاعوام مواسم لصلوات مخصوصة كالترابح
 في شهر رمضان والرعائب في أول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان
 فلتلا المساجد في هذه المواسم التي تسمى فيها شهادات الاقلام في
 كتب الطاعات ومحو الآثام ومن حضرها وليس همه الا أن يترهبها طروقا
 ويواعد اليه أخذانه رفقا أو فسوقا فهو لاء هم الخلف الذين أضاعوا الصلاة
 واتبعوا الشهوات فابعت عليهم قوما يابونهم سلبا ويوجهونهم ضربا
 ويملئون عيونهم مهابة وقلوبهم رعبا فيسوت الله مطهرة من هذه الادناس ولم
 تعمرا شياطين الانس وانما عرت للناس فلا يحضرها الا راع وساجد أو
 ذا كرواحمد وهما عظيمة عضيه وقاحشة يفقهها من ليست نفسه بفقيرة
 وهي الربا فانه قد كثر كاه وتظاهره فاعله وقال فساق الفقهاء بتأويله
 وتوصلوا الى شبهة تحليله ولا يتسارع الى ذلك الا من أعمى الله قلبه ومحق
 كسبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم
 فجملوهما وباعوهما وأكوا أثمانها ونحن نأمر لك أن تشمر في هذا الامر تشميرا
 برهبة الباس ولا تدع رباحا حتى تضعه وأول رباح تضعه رباح العباس فتأديب الكبير
 قاض بتأديب الصغير والاسوة بالرفيع خلاف الاسوة بالنظير وجل معاملة
 الربا تجرى في سوق الصرف الذي تختلف به النقود وتفترض فيه العقود

ويخاض في نار نيره الى النار ذات الوقود وبه قوم أوسعوا عيون الموازين غمزا
وأسنتها همزا ولما وأصبح الدرهم والدينار عندهم بمنزلة الصنمين اللات
والعزى ولا يرى منهم الامن الحرص مفاض على ثيابه وقد جمع بين المعرفة
بالحرام والهجوم على ارتكابه فعدل ميل هو لاء تعديلا وتحولهم على مرور
الايام تخويلا واعلم أنك قد وليت من الكيل والميزان أمرين هلكت فيهما الام
السالفة فباشرها ما بيدك مباشرة الاختيار والاختيار ولا تقل أهلها ما عثرة
فان الاقالة لا تنهى عن العثار وكل هؤلاء من سواد الناس ممن لم يزل غرسه
ولا فقهت نفسه وايسر همه الا فرجه أو ضرره فخذهم بالآلة التعزير التي هي
نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ومن آثارها أنها تخرج أرض الرأس
رجا وتفرج سماه فرجا وبذلك يصاحبه هديا ونهجا وقد كثرت الاسواق
الخلابة والنجس وتلقى الركبان ويبيع الحاضر للبادي وتنفيق الساعية باليمين
الكذابة وكل هذه من المحظورات التي وردت الاخبار النبوية بيانها والنهي
عن توردها مكانها فمن عارف شيئا منها جاهد لا يتصرحه فقومه بالتعليم واهده الى
الصراط المستقيم ومن عرف ما اقترف فأذقه حر الأديب قيل أن يذاق
فدا حر التعذيب وأعلمه أن الارزاق بيد الله تعالى لا ينقصها عجز القاعد
ولا يزيد ما حرص الكادح وقد ينقلب الجاهد فيها بصفقة الخاسر والواعد
بصفقة الراجح ومن سئنا الله تعالى أن ينهى الحلال وان كان يسيرا ويعيق
الحرام وان كان كثيرا ومن الناس من آتاه الله ما لا يقب في الاسواق جنود
ذهبه وورقه واحتكر ما له الميزان من ذوات رطله ووسعه الكيل من ذوات
وسقه فاصبح فقرا ببلده في ضيق من عدم الرزق ومدد الرزق فليمنع هؤلاء
أن يجعلوا رزق الله محتمرا ومعاش عباده محتمرا وايؤمروا بأن يتزاحوا
ولا يتزاحوا وأن يأخذ الغني منهم بقدر الكفاف ويترك للفقير ما يعينه
على الاسعاف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا حكرة في سوقنا لا يعمد
رجل بايديه من فضول من اذهب الى رزق من أرزاق الله تعالى ينزل بساحتنا
فيحتكرونه علينا ولكن أيما جالب جلب على عود كبدته فذلك ضيف عمر
فدبغ كيف شاء الله ولمسك كيف شاء الله وأما التسعير فانه وأن آثره
القاطنون وحكم به القاسطون وقيل ان في ذلك للفقير تيسير العسير فليس

لاحد أن يكون يد الله في حفظ ما رفع وبذل ما منع فقف أنت حيث أوقفك
 حكم الحق ودع ما يعن لك من مصالحة انطلق ولا تكن ممن تبع الرأي والنظر
 وترك الآيات والخبر فحكمة الله مطوية فيما أمر به على السنة رساله وليست
 مما يستنبطه ذو العلم بعلمه ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله ولو كان من
 عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومما أمر الله أن تمحو الصغيرة
 كما تمحو الكبيرة فإن لم الذنوب كانت تطر بصير مجتمعة سيلا متدفقا وكان أوله
 قطرا متفترقا وقد استمر في الناس عوائدهم أو بواستمرارها ولم ينظروا الى ثقل
 أوزارها فمن ذلك لبس الذهب والحريير الذي لم يابسه الامن عدم عند الله
 خلاقا وان قيل انه شعار للغنى فلم يزد صاحبه من الحسنات الا املاقا ولللبس
 عبادة مع التقوى أحسن في العيون شعارا وأعظم في الصدور وقارا ويلتحق
 به هذه المعصية صرغ الذهب والنضة آنية يمنع منها حق الصدقات وهو حق
 يقاتل مانهه ويعصى في استعمالها أمر الله وهو حرم من حدوده يعاقب
 عاصيه ويناب طائعه وكذلك يجرى الحكم في الصور المرفوعة في البيوت
 والنياب وعلى السور المعلقة على الابواب واخراجها في ضروب أشكال
 الحيوان للملاعبة الصبيان وذلك مما خلق الله في التقدير واهذا يوم
 صانعه بتفخ الروح فيما صوره من التصوير ومما يغفل نكيره اطالة الذبول
 للاجترار والمباهاة لما فيها من عنجهية التبر والاستكبار ولن يخرق صاحبها
 الارض باعجاب ولا يبلغ طول الجبال باطالة ثيابه قال النبي صلى الله عليه
 وسلم ان الله لا ينظر يوم القيامة الى من جرت ثوبه خيلاء ومما هو أشد نكيرا أمر
 الحمامات فان الناس قد أصروا بها على الاجهار وترك الاستتار والتهاون
 بأمر العورات التي لصاحبها اللعنة ولهس والدار والنساء في هذا المقام
 أشدتها الكامن الرجال وقد ابتذان أنفهن حتى أفرطن في فاحشة الابتذال
 ولهن محذئات من المنكرأحدهما كثرة الارقام والاتراف وأهمل انكارها
 حتى سرت في الاوساط والاطراف وقد أحدثن الآن من الملابس ما لم يخطر
 للشيطان في حساب وتلك من لباس الشهرة الذي لا يستمر منه اسباب مرط
 ولا دناء جلاب ومن جعلتها أنهن يعتصبن عصابات كالمثال الاسفة ويخرجن
 من جهارة أشكالها في الصور المعلمة وقد أخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم

بها فيما ورد عنه من الاخبار وجعل صاحبها معدودا من زمرة أصحاب النار
 ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الالطاف وتلك قراءة تخرج
 حروفها من غير مخرج وتبدو معوجة وهو قرآن عربي غير ذي عوج وقد
 أمر الله بترتيبه وإيراده على هيئة تنزله فنقرأه بالترجيع والترديد وزلزل
 حروفه بالتطيط والتديد فقد ألقه بدرجات الانعاني وذهب بما فيه من
 طلاوة الالفاظ والمعاني قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأوا القرآن بلحون
 العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجي
 بعدى قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة
 قلوبهم وقلوب الذين يحجبهم شأنهم ويلتحق بذلك اقتناء القينات المغنيات اللاتي
 يلبين بالعقول لعين بالاسماع ويغنين الشيطان بغنائهن عن بث الجنود
 والاشباع وقتبا النفس الامارة في ذلك أن تقول هؤلاء أملاء يحمل نعمة سماعهن
 كما يحمل ما تحت قناعاتهن وقد علم أن لكل شئ تماما وقد يتقلب الحلال فيصير
 حراما ومن حرام - حول الحى يوشك أن يقع فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم
 لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن
 وثمنهن حرام وفي مثل هذا أنزات ومن الناس من يشتري لهو الحديث
 وكذلك يجرى الحكم في المواشط اللاتي يجعلن الحسن موفورا والقبح
 مستورا ويخذ عن نظر الناظر حتى يجعلنه مسكورا فهن يبدن صدقا
 من كذب وجدان لعب وفعلهن هذا من الغش الذي نهى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عنه وقال انه ليس منه وقد لعن الواصلة والمستوصلة
 والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة ومن غش المنكرات أيضا
 خضاب الشيب الذي يخالف فيه الظاهر الباطن ويتخاق صاحبه بخلق
 الكاذب الخائن وهب أنه أخنى لون شعره وهل يخنى اخلاقا لباسه وإذا
 استسن ملامئ المرء فلا يغنيه سواد عارضه ولا سواد راسه وقد جعل الله الشيب
 من نعمه المبشرة بطول الاعمار وسماء نورا للونه وهدايتة ولا تستوى الظلمات
 والانوار قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيب أن يشغل بتغيير صيغة
 الكتاب ويدأب في محو سواد العقاب بيباض الثواب ففي بقيه عمره مندوحة
 لاذنار ما يحمد ذخره وتبدل ما تقدم سطره ومما خوافت فيه السنة عقد

مجالس التعازي لحضور الناس واظهار شعاع الاسود والازرق من اللباس
 والتشبيه بالجاهلية في النوح والندب ومجاوزة دمع العين وخشوع القلب الى
 الاعلان باستحاط الرب وقد تواطأ النساء على ضرب الخيام على القبور وجعل
 الاعياد مواسم لاجتماع الزائر والمزور فصارت المآتم بينهم ولائم والمنادب
 عندهم ما دب وربما نشأ من ذلك ما يغض طرفا ويجدع أنفا ويوجب حدا
 وقدفا وهكذا أهمل أمر الاسلام في تشبيه اهل اللذة بأهله وما كانوا
 يشابهوه في زى غزته ويخالقوه في سلوكه ولا يذم من الغياربان يشد
 النصراني عقدة زناره ويصفر اليهودي أعيلى ازاره ولا يمنعوا من الظاهر
 بطغيان النعمة وعلو الهمة ويؤمروا بالوقوف عندما يحكم عليهم من الاحكام
 وأخذوا فيه بالاختناء والاصداتام فعمورهم تستر وشعائر دينهم لا تظهر
 وموتاهم تقبر بالحوول قبل أن تقبر فلا يوقد خلف ميتهم مصباح ولا يتبع بنديب
 ولا صباح ومما عرف الناس منكروه اثاره التحريش بين الحيوانات وهي ذوات
 الكبد رطبة وأخلاق صعبة ومامن الا ما يحل أكله ولا يحل قتله كالكبش
 والحجله والديك والسماني وما أشبهها وقد أكثر الناس من اقتنائها والمواظبة
 على اضرام شحنائها ولربما نشأ من ذلك قنينة تؤل الى خراب وشق ثياب
 واحداث شجاج واثارة عجاج وتغزب الى أحزاب كثيرة وأفواج ويتصل بهذه
 المنكرات المذكورة أشياء أخرى تجرى مجراها في التقديم وتتنزل منزلتها
 في التحريم فاحكمكم فيها بحكمكم وامض في شبهاتها بدليل علمك ونب عناني
 التذكير والتحذير والتعريف والتنكير حتى يتقوم الاود ويتضح الرشد
 ويكث في الارض ما ينفع ويذهب الزبد وليكن علمك الله الذي يسمع ويرى وله
 مافي السموات ومافي الارض وما بينهما وما تحت الثرى واعلم أن الامر بالمعروف
 عبادة يتعدى نفع صاحبها الى غيره وتستضيف خيرا المأمور بها الى خيره وهي
 الجهاد الاكبر الذي تقابل فيه عواصي النفوس وتدمر به رؤس الشهوات التي
 هي أمتع من معاقدة الرؤس فقتله يحيا بقتله وجريحه يوسى بجراحة نصله ويمثل
 هذا الجهاد يستنزل امداد النعم مضعفة كما يستنزل امداد النصر مردفة فأقدم
 عليه ذاعزم ياتر وطرف ساهر وقدم ثابت صابر حتى تظل لمعاقل الشيطان
 فاتحها وتكون فبين دعا الى الله وعمل صالحا واعلم أنك في صبيحة كل يوم

يتدرك الملك والشیطان وكل منهما يقول يا أيها الإنسان فان أجبته نداء الملك
 كتبك في زمرة من مهد الجنه وخاف مقام ربه وعرج بك الى الله طيبا نشره
 مضاعفا أجره وان أجبته نداء الشیطان كتبك في زمرة من أغواء وقرنك بمن
 أغفل الله قلبه واتبع هواه ثم نزل به الى الارض خبيثا مخبئا وأقبل به على
 اخوانه من الشیاطین محدثا وهذا آخر ما عهدناه اليك من العهد الذي طوقت
 اليوم بكتابه ومتناقش غدا على حسابيه وكما جعلنا لك في الدنيا ذكرا فاجعله
 لك في الآخرة ذنرا ان شاء الله تعالى والسلام (وهذا الذي ذكرته في هذين) من
 الكتاب والتقليد يتضمن اطنابا... تتوفى الاقسام ولولا خوف الاطالة التي
 لا حاجة اليها الا وردت قصائد من الشعر أيضا حتى لا يخلو الموضوع من ضرب
 أمثلة من المنظوم والمنثور امكن في الذي ذكرته كفاية لمن يجعله على أشباهه
 ونظائره (فان قبل) ان الاطناب في الكلام قد وضعوه اسما على غير مسمى فان
 الكلام لا يخلو من حابن اما ان لا يزيد لفظه على معناه وهو الایجاز أو يزيد
 لفظه على معناه وهو التطويل وليس ههنا قسم ثالث فالاطناب اذا قلت
 في الجواب اعلم ان الایجاز هو ضد التطويل كما أن السواد ضد البياض غير أن
 بين الضدين مراتب ومنازل ليست أضدادا فالاطناب لا يجاز هو ولا تطويل
 كما أن الحمره أو الخضرة ليست بياضا ولا سوادا وقد قدمنا القول ان الاطناب
 يأتي في الكلام مؤكدا كالذي يأتي بزيادة التصوير لانه معنى المتصوفا حقيقه
 واما مجازا والتطويل ليس كذلك فانه التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك
 المعنى بدونه فاذا حذفت تلك الزيادة بقي المعنى المعبر عنه على حاله لم يتغير منه شيء
 وهذا بخلاف الاطناب فانه اذا حذفت منه تلك الزيادة المؤكدة لانه معنى تغير ذلك
 المعنى وزال ذلك التأكيده عنه وذهبت فائدة التصوير والتخييل التي تفيد السامع
 ما لم يكن الایجاز الا ترى الى قوله تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمي القلوب
 التي في الصدور وهذا لا يسمى ایجازا لانه أتى فيه بزيادة لفظ وهو ذكر الصدور
 وقد علم أن القلوب لا تكون الا في الصدور ولا يسمى تطويلا لان التطويل
 لا فائدة فيه أصلا وهذا فيه فائدة وهي ما أشرنا اليه وكذلك باقي أقسام
 الاطناب التي تبهناعليها وهذا النزاع فيه (النوع السابع عشر في التكرير) قد
 تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما ذلك مما يختلط به هذا

النوع الذي هو تكرار المعاني والالفاظ (واعلم) أن هذا النوع من مقاتل علم
البيان وهو دقيق المأخذ وواحد هو دلالة اللفظ على المعنى مرتدا وربما اشتبه
على أكثر الناس بالاطناب مرة وبالطويل أخرى وقد تقدم الكلام على
الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة في باب الاطناب فلا حاجة الى اعادته ههنا وأما
التكرير فله عدة طرق (وهو ينقسم قسمين أحدهما) يوجد في اللفظ والمعنى
(والآخر) يوجد في المعنى دون اللفظ فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك

من تستدعيه أسرع وأسرع ومنه قول بي اطيب المتنبى

ولم أر مثل جيرانى وثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك أطعنى ولا تعصنى فإن الامر
بالطاعة نهى عن المعصية (وكل من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير مفيد) ولا
أعنى بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة فإنه عندهم عبارة عن اللفظ المركب اتما من الاسم
مع الاسم بشرط أن يكون للاول بالثاني علاقة بمعنى يسع مكلفا جهله واتما من
الاسم مع الفعل التام المتصرف على هذا الشرط أيضا واتما من حرف النداء
مع الاسم فهذه هو المفيد عند النحاة وأما المقصد ذلك ههنا بل مقصودى من
المفيد أن يأتي المعنى وغير المفيد أن يأتي لغير معنى (واعلم) أن المفيد من التكرير يأتي
في الكلام تأكيده وتثبيته من أمره وانما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشئ
لذى كثر فيه كلامك اتما علاقة في مدحه أو في ذمّه أو غير ذلك ولا يأتي الا في
أحد طرفي الشئ المقصود بالذكر والوسط عار منه لان أحد الطرفين هو المقصود
بالمبالغة اتما مدح أو ذم أو غيرهما والوسط ليس من شرط المبالغة وغير المفيد
لا يأتي في الكلام الاعيا وخطا من غير حاجة اليه (فأما الاول) وهو الذي يوجد
في اللفظ والمعنى (فانه ينقسم الى ضربين) مفيد وغير مفيد (فالاول المفيد وهو
فرعان الاول) اذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به
غرضان مختلفان كقوله تعالى واذ يدعونكم الله احدى الطائفتين أنهما لكم وتودون
أن غير ذات الشوكه تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر
الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هذا تكرر في اللفظ والمعنى
وهو قوله يحق الحق وليحق الحق وانما جى به ههنا لاختلاف المراد وذلك أن
الاول تمييز بين الارادتين والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكه

على غيرها وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض (ومن هـ هذا الباب)
قوله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول
المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصاً له ديني
فأعبدوا ما شئتم من دونه فكثرت أقواله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له
الدين وقوله قل الله أعبد مخلصاً له ديني والمراد به غرضان مختلفان وذلك أن
الأول اخبار بأنه أمر من جهة الله بالعبادة والاخلاص في دينه والثاني
اخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه ولدلالته على ذلك
قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني وأخره في الأول لأن الكلام أولاً واقع في
الفعل نفسه وإيجاده وثانياً يفيد فعل الفعل من أجله ولذلك رتب عليه
فأعبدوا ما شئتم من دونه وعليه ورد قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين
يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وظاهر الأول والثاني أنهما
سواء في المعنى وليس كذلك لأن الثاني فيه تخصيص غير موجود في الأول
ألا ترى أنا اذا قلنا زيد الافضل وقلنا الافضل زيد كان في الثاني تخصيص
له بالفضل وهذا التخصيص لا يوجد في القول الأول الذي هو زيد الافضل
ويجوز أن يتبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو يضتها فيقال زيد الاجل أو زيد
الانقص واذا قلنا الافضل زيد وجب تخصيصه بالفضل ولم يمكن تغييره عنه
وكذلك يجري المحكم في هذه الآية فان الله تعالى قال انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم قال لم يذهبوا حتى يستأذنوه فوصفهم بالامتناع عن الذهاب
الاباذنه وهذه صفة يجوز أن يتبدل بغيرها من الصفات كما قال تعالى في موضع آخر
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فإم بصفة غير تلك الصفة
ولما قال ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وجب تخصيصهم
بذلك الوصف دون غيره وهذا موضع حسن في تكرير المعاني (ومما يعده من
هذا الباب) قوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون
ما أعبدوا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبدوا لكم دينكم ولي دين وقد
ظن قوم أن هذه الآية تكرير لا فائدة فيه وليس الامر كذلك فان معنى قوله
لا أعبد يعنى في المستقبل من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلمون فيه ما أطلبه منكم

من عبادة الهى ولا انا عابد ما عبدتم اى وما كنت عابدا قط فيما ساء ما عبدتم فيه
يعنى أنه لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فى وقت ما فكيف يرجى ذلك منى
فى الاسلام ولا أنتم عابدون فى الماضى فى وقت ما ما أنا على عبادته الآن
(ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فكثرة الرحمن الرحيم مرتين والفائدة فى ذلك أن
الاول يتعلق بأمر الدنيا والثانى يتعلق بأمر الآخرة فماتعلق بأمر الدنيا يرجع
الى خلق العالمين فى كونه خلقا منهم -م على أكمل صفة وأعطاه جميع ما يحتاج
اليه حتى البقرة والذباب وقد يرجع الى غير الخلق كادرار الارزاق وغيرها وأما
ماتعلق بأمر الآخرة فهو اشارة الى الرحمة الثانية فى يوم القيامة الذى هو يوم
الدين وبالجملة فاعلم أنه ليس فى القرآن مكررا لفائدة فى تكريره فان رأيت
شئ بأمنه ~~تكرر~~ من حيث الظاهر فأنم نظر فيه فانظر الى سوابقه ولو احته
لتنكشف لك الفائدة منه (ومما ورد فى القرآن الكريم مكررا) قوله تعالى كذب
قوم نوح المرسلين اذ قال لهم -م أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا
الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين فاتقوا الله
وأطيعون ~~ليؤكده~~ عندهم وية ترره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منها بعبارة
فجعل الله الاول كونه أمينا فيما بينهم وجعل الله الثانى حسم طمعه عنهم وخلقوه
من الاغراض فيما يدعوهم اليه (ومن هذا النوع) قوله تعالى كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد وعثود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب
ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب وانما كثر تكذيبهم ههنا لأنه لم يأت به
على أسلوب واحد بل تنوع فيه بضروب من الصنعة فذكره أولا فى الجملة
الخطرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه بان كل واحد من
الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم وفى
تكرير التكذيب وايضا حده بعد ايهامه والتنوع فى تكريره بالجملة الخطرية أولا
وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص
المبالغ فى المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه وهذا باب من تكرير
اللفظ والمعنى حسن غامض وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين
غيره فافهمه ان شاء الله تعالى (الفرع الثانى من الضرب الاول) اذا كان

التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد كقوله
 تعالى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر والتكرير دلالة التعجب من تقديره
 واصابته الغرض وهذا كما يقال قتله الله ما أشجعها أو ما أشعره وعليه ورد قول
 الشاعر أيا سلى ثم اسلى ثم اسلى • وهذا ما بالغت في ادعائه بالسلامة
 وكل • هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد واثباته (وعليه ورد الحديث النبوي)
 وذال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بني هشام بن المغيرة ما تأذوني
 أن ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يطلق علي ابنتي
 وينكح ابنتهم فقوله لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن من التكرير الذي هو أشد
 موقعا من الإيجاز لا نصيب العناية إلى تأكيد القول في منع علي رضي الله عنه
 من تزويج ابنته أبي جهل بن هشام وهذا مثل قوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى
 لك فأولى ومن أجل ذلك نقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له لأن قولنا لا إله
 إلا الله مثل قولنا وحده لا شريك له وهما في المعنى سواء وإنما كثرنا القول
 فيه لتقرير المعنى واثباته وذال لأن من الناس من يخالف فيه كالنصارى
 والنووية والتكرير في مثل هذا المقام أبلغ من الإيجاز وأحسن وأشد موقعا
 (ومما سمع في مثل هذا) قوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيه مطر
 في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به
 من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله
 لمبلىين فنقول من قبله بعد قوله من قبل فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد
 وتناولوا فتحكم بأسهم وتمدى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم
 بذلك (وعن ذلك ورد) قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
 ولا يحترمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فقوله لا يؤمنون بالله ولا
 باليوم الآخر يتوهم مقام قوله ولا يدينون دين الحق لأن من لا يؤمن بالله ولا
 باليوم الآخر لا يدين دين الحق وإنما كثره في الخطاب على المأمورين بتتالاهم
 والتسجيل عليهم بالذم ووجههم بالعظام لأن ذلك أدى لوجوب قتالهم
 وحربهم وقد قلنا إن التكرير أعيايا في أهم من الأمر الذي بصرف العناية
 إليه ينبت ويتقرر (وكذلك ورد) قوله تعالى وإن تعجب فحجب قولهم أننا كنا ترابا
 أو التني خلق جديد أولئك الذين كثروا برهم وأثارت الأغلال في أعناقهم

وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فتكرر لفظة أولئك من هذا الباب الذي
 أشرنا إليه لكان شدة النكير واغلاظ العذاب بسبب انكارهم البعث (وهذا
 هذا ورد) قوله تعالى أو تلك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الآخسرون
 فإنه انما تكررت لفظة هم للإيذان بتحقيق الخسار والاضل فيها وهم في الآخرة
 الآخسرون لكن لما أريد تأكيده ذلك جئ به بتكرير هذه اللفظة المشار إليها
 وكذلك قوله تعالى فكان عاقبتهم ما أنهما في الآخرة خالدين فيها وأمثال هذا في القرآن
 كثير (وكذلك ورد) قوله تعالى في سورة القصص فأصبح في المدينة خائفا يترقب
 فإذا الذي استنصره بالأمس يستنصره بالأمس يستنصره قال له موسى انك لغوى محسن فلما أن
 أراد أن يبطش بالذي هو وعدوا به ما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك
 بالأمس فقوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش بتكرير أن مرتين دليل على أن موسى
 عليه السلام لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل الأول بل
 كان عنده ابطاء في بسط يده إليه فمما قرآن عن ذلك في قوله تعالى فلما أن أراد أن
 يبطش (وجرت بيني وبين رجل من النحويين مفاوضة) في هذه الآية فقال ان
 أن الأولى زائدة ولو حذفته فقل فلما أراد أن يبطش لكان المعنى سواء ألا ترى إلى
 قوله تعالى فلما أن جاء البشر ألقاه على وجهه وقد اتفق النحاة على أن الواردة
 بعد ما وقبل الفعل زائدة فنقلت له النحاة لا فتيالهم في مواقع الفصاحة والبلاغة
 ولا عندهم معرفة بأسرارهم من حيث أنهم نحاة ولا شك أنهم وجدوا أن ترد بعد
 ما وقبل الفعل في القرآن الكريم وفي كلام فصحاء العرب فظنوا أن المعنى
 بوجودها كالمعنى إذا أسقطت فقالوا هذه زائدة وليس الأمر كذلك بل إذا وردت
 لما وورد الفعل بعدها باسقاط أن دل ذلك على الفور وإذا لم تسقط لم يدلنا ذلك
 على أن الفعل كان على الفور وإنما كان فيه تراخ وابطاء (وبيان ذلك من وجهين
 أحدهما) أني أقول فائدة وضع اللفظ أن تكون أدلة على المعاني فإذا أوردت
 لفظة من اللفاظ في كلام مشهور دلها بالفصاحة والبلاغة فالأولى أن تحمل تلك
 اللفظة على معنى فإن لم يوجد لها معنى بعد التنقيب والتنقيب والبحث الطويل قبل
 هذه زائدة دخولها في الكلام كخروجها منه ولما نظرت أنا في هذه الآية
 وجدت لفظة أن الواردة بعد ما وقبل الفعل دالة على معنى وإذا كانت دالة على
 معنى فكيف يسوغ أن يقال إنها زائدة (فإن قيل) انها إذا كانت دالة على معنى

فيجوز أن تكون دالة على غير ما أشرت أنت إليه (قلت في الجواب) إذا ثبت أنها
 دالة على معنى فالذي أشرت إليه معنى مناسب واقع في موقعه وإذا كان مناسباً
 واقعاً في موقعه فقد حصل المراد منه ودل الدليل حينئذ أنها ليست بزائدة
 (الوجه الآخر) أن هذه اللفظة لو كانت زائدة ~~لكان~~ ذلك قد حاق في كلام
 الله تعالى وذلك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه لا حاجة إليه والمعنى يتم
 بدونها وحينئذ لا يكون كلامه مبهجاً إذ من شرط الأفعال عدم التطويل
 الذي لا حاجة إليه وإن التطويل عيب في الكلام فكيف يكون ما هو عيب في
 الكلام من باب الأفعال هذا محال (وأما قوله تعالى) فلما أن جاء البشر ألقاه
 على وجهه فإنه إذا نظرت في قصة يوسف عليه السلام مع اخوته منذ ألقوه في الحب
 وإلى أن جاءه البشير إلى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم ابطاء بعيد وقد اختلف
 المفسرون في طول تلك المدة ولو لم يكن ثم مدة بعيدة وأمد تطاول لما جرى
 بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت تكون الآية فلما جاء البشير ألقاه على وجهه
 وهذه دقائق وره وزلات تؤخذ من النصيحة لأنها ليست من شأنهم (واعلم) أن من
 هذا النوع قسم ما يكون المعنى فيه مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ وذلك يأتي في
 الأناظ المترادفة وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام فإنه قوله
 تعالى والذين سعوا في آياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم والرجز هو
 العذاب وعليه ورد قوله أبي تمام

نموض بثقل العبء مضطرب به • وان عظمت فيه الخطوب ووجات
 والثقل هو العبء والعبء هو الثقل (وكذلك) ورد قول البحري
 ويوم تئنت للوداع وسلمت • بعينين وصول بالظهور السهر
 توهمتها ألوى بأجفانها الكرى • كرى النوم أو ماتت بأعطافها الخمر
 فإن الكرى هو النوم وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطي هذه
 الصناعة وظنوه مما لا فائدة فيه وليس كذلك بل الفائدة فيه هي التأكيدها بمعنى
 المقصود والمبالغة فيه أما الآية فالمراد بقوله تعالى عذاب من رجز أليم عذاب
 مضاعف من عذاب وأما بيت أبي تمام فإنه تضمن المبالغة في وصف الممدوح
 بحمله للإثقال وأما بيت البحري فإنه أراد أن يشبه طرفها الفتور بالناثم فكثرة
 المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف إليه تأكيداً وزيادة في بيانه وهذا

الموضع لم ينبه عليه أحد سوى ولربما أدخل في التكرير من هذا النوع
 ما ليس منه وهو موضع لم ينبه عليه أيضاً أحد سوى (فنه قوله تعالى) ثم إن
 ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو إن ربك من بعدها
 لغفور رحيم فلما تكررت ربك مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة وكذلك قوله
 تعالى ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما قاتلوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من
 بعدها لغفور رحيم ومثل هذا قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا
 ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وهذه الآيات
 يظن أنها من باب التكرير وليست كذلك وقد أنعمت نظري فيها فرأيتها
 خارجة عن حكم التكرير وذلك أنه إذا طال الفصل من الكلام وكان أقوله يقتدر
 إلى تمام لا يفهم الآية فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية
 ليكون مقارناً لتمام الفصل كي لا يجيء الكلام منثوراً لا سيما في إن وأخواتها
 فإذا وردت إن وصكان بين اسمها وخبرها فصحة طويلة من الكلام فأعادة إن
 أحسن في حكم البلاغة والفصاحة كالذي تقدم من هذه الآيات وعليه ورد
 قول بعضهم من شعراء الحنابلة

أعجاباً قد اواشدياً فاقا وغربة • ونأى حيب إن ذا العظيم

وإن امرأ دامت موافيق عهده • على مثل هذا أنه الكريم

فانه لما طال الكلام بين اسم إن وخبرها أعيدت إن مرة ثانية لأن تقدير
 الكلام وإن امرأ دامت موافيق عهده على مثل هذا الكريم لكن بين الاسم
 والخبر مدى طويل فاذا لم تعد إن مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق
 وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء أما طبعاً وأما عملاً (وكذلك يجري الأمر) إذا
 كان خبر إن عاملاً في معمول يطول ذكره فإن إعادة الخبر ثانية هو الأحسن وعلى
 هذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام إذ قال يوسف لأبيه يا أبت
 اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فلما قال اني
 رأيت ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول رأيتهم لي
 ساجدين وكذلك جاءت الآية المذكرة سورة هامة أقبل هذه وهي قوله تعالى
 لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا فإنه لما طال الفصل أعاد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من
 العذاب فاعلم ذلك وضع يدك عليه وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى ثم إن

ربك للذين عملوا السوء بجهالة وكذلك الآية الاخرى وهي ثم ان ربك للذين
 هاجروا من بعد ما فتنوا (ومن باب التكرير في اللفظ والمعنى) الدال على معنى
 واحد قوله عز وجل وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم
 انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار فانه انما كثر رداء قومه
 ههنا لزيادة التنبيه لهم والابقاظ عن سنة الغفلة ولانهم قوم وعشيرته وهم
 فيما يوجبهم من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو
 يقطن لهم ويلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره
 ونغمهم نغمه وان ينزلوا على نصيحتهم لهم وهذا من التكرير الذي هو ابلغ من
 الایجاز واشد موقعا من الاختصار فاعرفه ان شاء الله تعالى (وعلى نحو منه)
 جاء قوله تعالى في سورة القمر فذوقوا عذابي ونذروا قد يسرف القرآن لذلك
 فهل من متذكر فانه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا وفائدته ان يجتدوا عند
 استماع كل نبأ من انباء الاولين اذ كانوا ايقاظا وان يستأنقوا تنبها واستيقاظا
 اذا سمعوا الخث على ذلك والبعث اليه وان تفرح لهم العصامات ان تملأ بغيرهم
 السهوت وتستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة
 الرحمن فباي آلام ربك تكذبان وذلك عند كل نعمة عددناها على عباده وامثال
 هذا في القرآن الكريم كثير (ومما ورد) من هذا النوع شعرا قول بعض
 شعراء الحماسة

الى معدن العزم المؤئل والندی • هنالك هنالك الفضل والخلق الجزل
 فقوله هنالك هنالك من التكرير الذي هو ابلغ من الایجاز لانه في معرض مدح
 فهو يترقى في نفس السامع ما عند المدوح من هذه الاوصاف المذكورة مشيرا
 اليها كانه قال ادلكم على معدن كذا وكذا ومقره ومقاده (وكذلك) ورد قول
 المساور بن هند

جزى الله عنى غالباً من عشيرة • اذا حدثان الدهر نابت نواتيه
 فكم دافعوا من كربة قد تلاحت • على وموج قد دعتني غواربه
 فصدر البيت الثاني وعجزه يدلان على معنى واحد لان تلاحم الكرب عليه كعالي
 الموج من فوقه وانما سوغ ذلك لانه مقام مدح واطراء الا ترى انه يصف
 احسان هؤلاء القوم عند حدثان دهره في التكرير وفي قبائله لو كان القائل

هاجيا فان الهجاء في هذا كالمداخ والتكرير انما يحسن في كلا الطرفين لافي
الوسط (واعلم) أنه اذا وردت ان المكسورة المخففة بعدما كانت بجمعها سواء
ألا ترى الى قوله تعالى ان هم الا كالانعام فان وما بعني واحد واذا اوردت
من بعدما كانت من باب التكرير كقولنا ما ان يكون كذا وكذا أي ما ما يكون
كذا وكذا واذا اوردت في الكلام فانما ترد في مثل ما أشرنا اليه من التكرير
فان استعملت في غير ما يكون منها الفائدة ينتجها تكرريرها كان استعمالها لغوا
لا فائدة فيه وقد زعم قوم من مدعي هذه الصناعة أن أبا الطيب المتنبي أتى في هذا
البيت بتكرير لا حاجة به اليه وهو قوله

العارض الهمتن ابن العارض الهمتن ابن العارض الهمتن ابن العارض الهمتن
بوايس في هذا البيت من تكرير فاته كقولك الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف
كذا وكذا أي انه عريق النسب في هذا الوصف (وقد ورد) في الحديث النبوي
مثل ذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف يوسف الصديق عليه السلام
الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم (واقدم فواضني في هذا البيت المشار اليه) بعض علماء الادب وأخذ
يطعن فيه من جهة تكراره فوقفته على مواضع الصواب منه وعرفته أنه كان طبر
النبوي من جهة المعنى سواء بسواء لكن لفظه ليس بمرضى على هذا الوجه الذي
قد استعمل فيه فان الالفاظ اذا كانت حسنا في حال انفرادها فان استعمالها
في حال التركيب يزيد حسانا على حسنها أو يذهب ذلك الحسن عنها وقد تقدم
الكلام على ذلك في المقالة الاولى من الصناعة اللفظية ولو تم بأبي الطيب
المتنبي أن يبدل لفظه العارض بلفظة السهاب أو ما يجري مجراها لكان أحسن
وكذلك لفظه الهمتن فانها ليست بمرضية في هذا الموضع على هذا الوجه ولفظة
العارض وان كانت قد وردت في القرآن وهي لفظه حسنة فالفرق بين ورودها
في القرآن الكريم وورودها في هذا البيت الشعري ظاهر وقد تقدم الكلام
على مثلها من آية بيت لابي الطيب أيضا وهو في المقالة اللفظية عند الكلام على
الالفاظ المفردة فليؤخذ من هنالك وكثيرا ما يقع الجهال في مثل هذه المواضع
وهم الذين قيل فيهم وكذا كل أحمق حذلقه • ما مشى في يابس الازاق
فترى أحدهم قد جمع نفسه وظن على جهله أنه عالم فيسرع في وصف كلامه بالايجاز

قوله واعلم المتنبي من الزكاة ما لا يخفى والمعنى واضح

وكلام بالتطويل أو بالتكرير واذا طول بأن يبدى سبب الماذكوره لا يوجد
عنده من القول شيء الاتحكما محضا صادرا عن جهل محض (الضرب الثاني
من التكرير في اللفظ والمعنى) وهو غير المقيد فن ذلك قول مروان الاصغر
مضى الله نجدا والسلام على نجد * ويا حبيذا نجد على النأى والبعده
تظرت الى نجد وبغداد دونها * اعلى أرى نجدا وهيها من نجد
وهذا من العي الضعيف فانه كثر ذكر نجد في البيت الاول ثلاثا وفي البيت الثاني
ثلاثا ومراده في الاول الثناء على نجد وفي الثاني أنه تلفت اليها ناظرا من بغداد
وذلك مرعى بعيد وهذا المعنى لا يحتاج الى مثل هذا التكرير أما البيت الاول
فيصم على الجواز من التكرير لانه مقام تشويق وتحرق وموجده بفراق نجد
ولما كان كذلك أجزفيه التكرير على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى
الوارد في البيتين معا من غير أن ياتي به هذا التكرير المتتابع ست مرات (وعلى
هذا الاسلوب) ورد قول أبي نواس

أقنابها يوما ويوما وثالثا * ويوماله يوم الترحل خامس
ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ويا عجباله يأتي بمنزل هذا البيت
السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الايات العجيبة الحسن التي
تقدم ذكرها في باب الایجاز وهي * ودارندامى عطلوها وأدبلوها * (ومن هذا
الباب أيضا) ما أوردناه في صدر هذا النوع وهو قول أبي الطيب المتنبى
ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

فهذا هو التكرير الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصا ألا ترى أنه يقول لم أر
مثل جيرانى فى سوء الجوار ولا مثلى فى مصابرتهم ومقامى عندهم إلا أنه قد كثر
هذا المعنى فى البيت مرتين وعلى نحو من ذلك جاء قوله أيضا

وقلقت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل عيس كاهن قلاقل
(وأما القسم الثاني من التكرير) وهو الذى يوجد فى المعنى دون اللفظ (فذلك
ضربان) مفيد وغير مفيد (الضرب الاول المفيد وهو فرعان الاول) اذا كان
التكرير فى المعنى يدل على معنيين مختلفين وهو موضع من التكرير مشكل لانه
يسبق الى الوهم أنه تكرر يريد على معنى واحد (فما جاء منه) حديث حاطب بن
أبي بلتعنة فى غزوة الفتح وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر على بن أبى طالب

والزبير والمقداد رضی الله عنهم فقال اذهبوا الى روضة خاخ فان بها طعينة معها
 كتاب فأتوني به قال علي رضي الله عنه نخر جنات تعادي بنا خيلنا حتى أتينا
 الروضة واذا فيها الطعينة فأخذنا الكتاب من عقاصها وأتينا به رسول الله صلى
 الله عليه وسلم واذا هو من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم
 ببعض شان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما هذا يا حاطب فقال يا رسول
 الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من
 معك من المهاجرين لهم قرابة يحمونها أموالهم وأهلهم بمكة فأحببت اذفاتي
 ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمونها بقرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا
 ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم انه قد صدقكم فتقوله ما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا
 بالكفر بعد الاسلام من التكرير الحسن وبعض الجهال يظنه تكريرا لا فائدة فيه
 فان الكفر والارتداد عن الدين سواء وكذلك الرضا بالكفر بعد الاسلام
 وليس كذلك والذي يدل عليه اللفظ هو اني لم أفعل ذلك وأنا كافر أي باق على
 الكفر ولا مرتد أي اني كفرت بعد اسلامي ولا رضا بالكفر بعد الاسلام أي
 ولا ايشار الجانب الكفار على جانب المسلمين وهذا حسن في مكانه واقع في
 موقعه وقد يحمل التكرير فيه على غير هذا الفرع الذي نحن بصدد ذكره
 ههنا وهو الذي يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد وسيأتي بيانه في الفرع
 الثاني الذي يلي هذا الفرع الاول والذي يجوز ان هذا المقام هو مقام اعتذار
 وتنصل عما رمي به من تلك القارعة العظيمة التي هي نفاق وكفر فكرر المعنى
 في اعتذاره قصد الالتأكيد والتقرير لما يتقى عنه ما رمي به (وعما يتنظم به هذا
 السلك) انه اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والاخر
 عام كقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
 وينهون عن المنكر فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لان الامر
 بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمر بالمعروف
 وذلك ان الخير أنواع كثيرة من جملتها الامر بالمعروف ففائدة التكرير ههنا انه
 ذكر الخاص بعد العام للتنبية على فضله كقوله تعالى حافظوا على الصلوات
 والصلوة الوسطى وكقوله تعالى فيهم ما فاكهة ونخل وورمان وكقوله تعالى انا

عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها فان الجبال
داخلة في جملة الارض لكن لفظ الارض عام والجبال خاص وفائدته ههنا تعظيم
شان الامانة المشار اليها وتفضيم أمرها (وقد ورد) هذا في القرآن الكريم كثيرا
وعما ورد منه شعر اقول من آيات الحامسة

وان الذي بيني وبين بني أبي • وبين بني عمي لمختلف جدا

اذا اكلوا الحمي وفرت لحومهم • وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم • وان هم هو واغبي هويت لهم رشدا

فهذا من الخصاص والعام فان كل لحم يؤكل للانسان فهو تضييع لغيبه وليس
كل تضييع لغيبه اكل للحمه ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتيا ب وأما
تضييع الغيب فنه الاغتيا ب ومنه التخلي عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعي
في كل ما يعود بالنفع كأننا ما كان وعلى هذا فان هذين البيتين من الخصاص والعام
المشار اليه في الآية المقدم ذكرها وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن أنه
لا فائدة فيه (الفرع الثاني) اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد
لا غير وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب كقولك أظعني ولا تعصني فان الامر
بالطاعة نهى عن المعصية والفائدة في ذلك تثيت الطاعة في نفس مخاطب
والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى
اذا كان الغرض به شيئا واحدا ولا يجد شيئا من ذلك يأتي في الكلام الا انما كد
الغرض المقصود به كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فانه انما
كثر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد
عن ولده والزوج عن زوجته وهذا أو أمثاله ينظر في الغرض المقصود به وهو
موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الایجاز وأولى بالاستعمال (وقد
ورد) في القرآن الكريم كثيرا كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال انما
أشكروني وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون فان البت والحزن بمعنى واحد
وانما كثره ههنا لشدته الخطب النازل به وتصكك اثر سهامه النافذة في قلبه وهذا
المعنى كالذي قبله وكذلك ورد قوله تعالى تلك عشرة كاملة بعد ثلاثة وسبعة
تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين لان عشرة هي ثلاثة وسبعة ثم قال كاملة

وذلك تو كيد ثالث والمراد به ايجاب صوم الايام السبعة عند الرجوع في الطريق
 على القور لا عند الوصول الى البلد كما ذهب اليه بعض الفقهاء وبيانه أني أقول
 اذا صدر الامر من الامر على الأمور بلفظ التكرير مجردا من قرينة تخرجه
 عن وصفه ولم يكن موقتا بوقت معين كان ذلك حثا على المبادرة الى امتثال
 الامر على القور فانك اذا قلت ان تأمره بالقيام قم قم قائما تريد بهذا اللفظ
 المكرر ان يبادر الى القيام في تلك الحال الحاضرة (فان قلت) الغرض بتكرير
 الامر ان يتقرر في نفس المأمور أنه مراد منه وليس الغرض الحث على المبادرة
 الى امتثال الامر (قلت في الجواب) ان المرة الواحدة كافية في معرفة المأمور
 أن الذي أمر به مراد منه والزيادة على المرة الواحدة لا تخلوا ما أن تكون دالة
 على مادات عليه المرة الواحدة أو دالة على زيادة معنى لم تكن في المرة الواحدة
 فان كانت دالة على مادات عليه المرة الواحدة كان ذلك تطويلا في الكلام لا حاجة
 اليه وقد ورد مثله في القرآن الكريم كهذه الآية المشار اليها وغيرها من
 الآيات والتطويل في الكلام عيب فاحش عند البلغاء والفصحاء والقرآن مهجوز
 يلاغته وفصاحته فكيف يكون فيه تطويل لا حاجة اليه فينبغي أن تكون تلك
 الزيادة دالة على معنى زائد على مادات عليه المرة الواحدة واذا ثبت هذا فقلت
 الزيادة هي الحث على المبادرة الى امتثال الامر فان سلمت لي ذلك والافين معنى
 تلك الزيادة ببيان غير ما ذكرته أنا ولا أراك أن تستطيع ذلك (فان قلت) ان الواو
 في قوله تعالى وسبعة اذ ارجعتم لولا أن تؤكده بقوله تلك عشرة لظن أنها وردت
 بمعنى أو أي فتلاثة أيام في الحج أو سبعة اذ ارجعتم فلما قيل تلك عشرة زال هذا
 الظن وتحققت الواو أنها عاطفة وليست بمعنى أو (قلت في الجواب) هذا باطل
 من أربعة أوجه الوجه الاول أن الواو والعاطفة لا تجعل بمعنى أو أين وردت من
 الكلام وانما تجعل بمعنى أو حال ضرورة ترجيح جانبها على جانب جعلها عاطفة
 لان الاصل فيها أن تكون عاطفة فاذا عدل بها عن أصلها احتاج الى ترجيح
 ولا ترجيح ههنا الوجه الثاني بلاغي وذلك أن القرآن الكريم منتهى البلاغة
 والفصاحة كان مجازة فلو كان معنى الواو في هذه الآية بمعنى أو لقيت فتلاثة
 أيام في الحج وسبعة اذ ارجعتم ولم يحج الى هذا التطويل في قوله فتلاثة أيام في
 الحج وسبعة اذ ارجعتم تلك عشرة كاملة الوجه الثالث أن هذا الصوم حكم من

أحكام العبادات والعبادات يجب فيها الاحتياط أن تؤدى على أكمل صورة لئلا
 يدخلها النقص وإذا كان الأمر على ذلك فكيف يظن أن الواو في هذه الآية بمعنى
 أو الوجه الرابع أن السبعة ليست مماثلة للثلاثة حتى تجعل في قبالتها
 معنى الآية إذا كانت الواو فيها بمعنى أو أما أن تصوموا ثلاثة أيام في الحج أو
 سبعة إذا رجعت (فان قلت) هذا تعبد لا يعقل معناه كغيره من التعبدات التي
 لا يعقل معناها (قلت في الجواب) إن لنا من التعبدات ما لا يعقل معناه كعدد
 ركعات الصلوات وعدد الطواف والسعي وأشبهه ذلك ولنا ما يعقل معناه
 كهذه الآية فإنا نعقل التفاوت بين الصوم في الحضر والسفر ونعقل التفاوت
 بين العدد الكثير والعدد القليل وعلى هذا فلا يخلو ما أن يكون صوم الأيام
 السبعة عند الرجوع في الطريق أو عند الوصول إلى البلد فإن كان في الطريق
 فإنه أشق من الصوم بحكة لأن الصوم في السفر أشق من الصوم في الحضر فكيف
 يجعل صوم سبعة أيام في السفر في مقابلة صوم ثلاثة أيام بحكة وإن كان الصوم
 عند الوصول إلى البلد فلا فرق بين الصوم بحكة والصوم عند الوصول إلى البلد
 لأن كليهما صوم في المقام يبلى من البلاد لا تفارت بينهما حتى يجعل صوم ثلاثة
 أيام في مقابلة سبعة أيام على غير مثال ولا تساو فعلى كلال التقديرين لا يجوز أن
 تكون الواو في سبعة إذا رجعت بمعنى أو فصحق إذا تم اللطف خاصة وإذا كانت
 اللطف خاصة فتأكد كيدها بعشرة كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الأيام
 السبعة في الطريق قبل الوصول إلى البلد (فان قلت) إن الصوم بحكة أشق من
 الصوم في الطريق لأن الواجب عليه الصوم بحكة في نسب رتعب بتسريف زمانه
 في السعي والطواف والصلاة والهجرة وغير ذلك (قلت في الجواب) هذا لا يلزم
 إذا الواجب عليه سعي واحد وطواف واحد لا غير وما عدا ذلك ناقله لا يلزم ونحن
 في هذا المقام ناظرون إلى ما يجب لا إلى المسافة والذي يجب أدائه بحكة يفرغ
 منه في ساعة واحدة فكيف يجعل الزيادة على ذلك دليلا يورد في هذا المقام هذا
 غير وارد وهكذا ورد قوله تعالى فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على
 الكافرين غير يسير فقوله غير يسير بعد قوله عسير من هذا النوع المشار إليه وال
 فقد علم أن العسير لا يكون يسيرا وانما ذكره هنا على هذا الوجه لتعظيم شأن ذلك
 اليوم في عسره وشدته على الكافرين وكذلك ورد قوله تعالى قد كانت لكم أسوة

حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا القوم هم انا ابراهيم ومنكم ومما تعبدون من دون
الله كفرنا بكم وبيدنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابد احيى تؤمنوا بالله وحده فان
البغضاء والعداوة بمعنى واحد وانما احسن ايرادهما معاني معرض واحد لتأكيد
البراءة بين ابراهيم صلوات الله عليه والذين آمنوا به وبين الكفار من قومهم حيث
لم يؤمنوا بالله وحده وللمبالغة في اظهار القطيعة والمصارمة وورد مثل ذلك
في مثل هذا الموضع كالايجاز في موضعه وان ترى شيئا يرد في القرآن الكريم من
هذا القبيل الا وهو لامر اقتضاء وان خفي عنك موضع السرفيه فاسأل عنه أهله
العارفين به (ومما ورد منه شعرا) قول بعضهم في أبيات الحماسة

نزات على آل المهلب شاتيا • بعيدا عن الاوطان في زمن المهمل
فما زال بي اكرامهم وافتقارهم • واحسانهم حتى حسبتهم أهلى
فان الاكرام والافتقار داخلان تحت الاحسان وانما كثر ذلك للتنويه بذكر
الصنيع والايجاب لحقه وعلى هذا ورد قول الاعشى في قصيدته المشهورة التي
يدح بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال منها

فأليت لأرقي لها من كلاله • ولا من وجى حتى تلاقى محمدا
فان الوجى والكلاله معناه ما سواه وانما احسن تكريره ههنا للاشعار بيبعد
المسافة (الضرب الثاني من القسم الثاني) في تكرير المعنى دون اللفظ وهو غير
المفيد من ذلك قول أبي تمام

قسم الزمان ربوعها بين الصبا • وقبولها اود بورها أثلاثا
فان الصبا هي القبول وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى حافظوا على
الصلوات والصلوة الوسطى فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير
في قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فيما يرجع الى
تكرير المعنى دون اللفظ وقول أبي تمام الصبا والقبول لا يشتمل الاعلى معنى واحد
لا غير وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطا كثيرا والاكثر
منهم أجازوه فقالوا اذا كانت الالفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحدا فليس
استعمال ذلك بمعيب وهذا القول فيه نظر والذي عندي فيه أن الناثر يعاب على
استعماله مطلقا اذا أتى لغير فائدة وأما الناظم فانه يعاب عليه في موضع دون
موضع أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الايات الشهريا

وما والاها وأما الموضع الذي لا يعاب استعماله فيه فهو الابهام من الايات
لمكان القافية وانما جاز ذلك ولم يكن عيبا لانه قافية والشاعر مضطر اليها والمضطر
يجل له ما حرم عليه ~~كقول امرئ القيس~~ في قصيدته اللامية التي مطلعها
ألا انعم صبا حيا بها المائل البالي * فقال

وهل ينعم من الاسعد مخلد * قليل الهموم لا بيت بأوجال
وإذا كان قليل الهموم فإنه لا بيت بأوجال وهذا تكرير للمعنى الا أنه ليس
بعيب لانه قافية وكذلك ورد قول الخطيب

قالت أمامة لا تجزع فقلت لها * ان العزاء وان الصبر قد غلبا

هلا التمت لنا ان كنت صادقة * ما لانعيش به في الناس أو تشبا

فالبيت الاول معيب لانه كثر العزاء والصبر اذ معناهما واحد ولم يردا قافية لان
القافية هي الباء وأما البيت الثاني فليس بعيب لان التكرير جاء في النشوب وهو
قافية (وعما يجرى هذا الجرى) قول المنخل اليشكري

واقددخلت على الفتا * فالتدر في اليوم المطير

الكعاب الحسناء تر * قل في الدمقس وفي الحرير

فان الدمقس والحرير سواء وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك (فان قيل)
ان الحرير هو الابريسم المنسوج بدليل قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
فانه لم يرد خيوط ابريسم وانما أراد اثوابا من الابريسم وأما الدمقس فانه خيوط
الابريسم محلولة بدليل قول امرئ القيس * وشحم كهداب الدمقس المقتل
فانه لم يرد ابريسم منسوجا وانما أراد خيوط الابريسم (فالجواب عن ذلك) أنه
لو حل بيت المنخل على ذلك لفسد معناه لان المرأة لا ترفل في خيوط من الابريسم
وانما ترفل في الاثواب منه وأما قول امرئ القيس كهداب الدمقس فانه لو كان
الدمقس هو الخيوط المحلولة من الابريسم لما احتاج أن يقول كهداب فان
الهداب جمع هذب تم قال المقتل فدل بذلك على أن الدمقس يطلق على الابريسم
سواء كان منسوجا أو غير منسوج وكذلك الحرير أيضا وعند الاستعمال يفهم
المراد منه بالقرينة ألا ترى أنه لما قال المنخل ترفل في الدمقس وفي الحرير فهم
من ذلك أنه أراد اثوابا من الدمقس ومن الحرير لان الرفول لا يكون في خيوط من
الابريسم وانما يكون في أثوابه (وعما يجرى على هذا النهج) قول الآخر

من شعراء الحماسة

انى وان كان ابن عمى غائبا * لمقادف من خلفه وورائه
فان خاننا ووراءه عني واحدا وانما جازت تكرارهما لانهما قافية (وعلى هذا)
ورد قول أبي تمام

دمن كان الين أصبح طالبا * دمنالدى آثارنا وحقودا

فان الدمنة هي الحقد (وكذلك) قول أبي الطيب المتنبي

بجرتعود أن يذم لأهله * من دهره وطوارق الحدثنان

فتركته واذا أذم من الورى * راعاك واستثنى بنى جدان

فان الدهر وطوارق الحدثنان سواء وانما جازا استعمال ذلك لانه قافية (وأما
ما ورد في أثناء الابيات الشعرية) فكقول عنزة

حييت من طال تتادم عهد * أقوى وأقرب بعد أم الهيثم

فقوله أقوى وأقرب من المعيب لانهما اللفظان وردا بمعنى واحد لغير ضرورة اذ
الضرورة لا تكون الا في القافية كما أريتك (وأما ما ورد من صدور الابيات)

فكقول البحترى في قصيدته العينية

ألمت وهل الممامها بك نافع * وزارت خيالا والعيون هو اجمع

فان قوله ألمت وقوله وزارت خيالا سواء ولا فرق اذا بين صدر البيت وبجزءه
(فان قيل) انه أراد بالامام زيارة اليقظة ثم قال وزارت خيالا (فالجواب عن ذلك)

انه لم يرد الا زيارة المنام في الحالتين لانه قال ألمت وهل الممامها بك نافع ولو كان
الامام في اليقظة لما قال وهل الممامها بك نافع فانه لا تنفع أنفع من زيارة المهبوب في

اليقظة وهذا غير خاف لا يحتاج الى السؤال عنه (فان قيل) لم أجزت ذلك للناظم
وحظرتة على الناثر (قلت في الجواب) أما الناثر فانه اذا سمع كلامه فالغالب

أن يأتي به مزدوجا على فقرتين من الفقر ويمكنه ابدال تلك الفقرتين بغيرهما فيسلم
منه وأما الشاعر فانه يصوغ قصيد اذا أبيات متعددة على قافية من القوافي

فاذا تكثر رديده شئ من الكلام في آخر بيت من الابيات عسر ابداله من أجل
القافية وهذا غير خاف والسؤال عنه غير وارد وهذا الذي ذكرته اذا ورد في غير

القافية سمي اخلاء ويقال ان البحترى كان يفضي كثير في شعره وهو اعمرى
كذلك الا أن حسن سبكه ورونق ديباجته يغفر له ذلك (ويروى عنه) أنه

كان اذا مثل بين يدي الفتح بن خاقان وزير المتوكل مادح له احتمال بين يديه
 محبا بنفسه فتمت خطوات ثم تأخرو وقال أي شيء تسمعون فنقم عليه ذلك بعض
 حذنه وحمل الفتح بن خاقان عليه فقال له الفتح لورمانا بالجمارة لكان ذلك
 مغضورا له فيما يقوله (النوع الثامن عشر في الاعتراض) وبعضهم يسعيه الحشو
 وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقى الاقل على حاله مثال
 ذلك أن تقول زيد قائم فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر فاذا أدخلنا فيه لفظا
 مفردا قلنا زيد والله قائم ولو أزلنا القسم منه لبقى الاقل على حاله واذا أدخلنا
 في هذا الكلام لفظا مركبا قلنا زيد على ما به من المرض قائم فأدخلنا بين المبتدأ
 والخبر لفظا مركبا وهو قوائمه على ما به من المرض فهذا هو الاعتراض وهذا حده
 (واعلم) أن الجائز منه وغير الجائز انما يؤخذ من كتب العربية فانه يكون مستقصى
 فيها كالاختراض بين القسم وجوابه وبين الصفة والموصوف وبين المعطوف
 والمعطوف عليه وأشبه ذلك مما يحسن استعماله وكالاختراض بين المضاف
 والمضاف اليه وبين ان واسمها وبين حرف الجر ومجروره وأمثال ذلك مما يقع
 استعماله وليس هذا مكانه لان كتابنا هذا موضوع عن استكمال معرفة ذلك
 وغيره مما أشرنا اليه في صدر الكتاب وليس المراد ههنا من الاعتراض الا ما يفرق
 به بين الجيد والردى ولا ما يعلم به الجائز وغير الجائز لان كتابي هذا
 موضوع لذكر ما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفي الفصاحة
 والبلاغة فالذي أذكره في باب الاعتراض انما هو ما شتمت على شيء من هذين
 الوصفين المشار اليهما (واعلم أن الاعتراض ينقسم قسمين أحدهما) لا يأتي في
 الكلام الا لفائدة وهو جار مجرى التوكيد (والآخر) أن يأتي في الكلام لغیر فائدة
 فاما أن يكون دخوله فيه كخروج منه واقما أن يؤثر في تأليفه نقصا وفي معناه
 فسادا (فالقسم الاقل) وهو الذي يأتي في الكلام لفائدة كقوله تعالى فلا أقسم
 بمواقع النجوم وانه أقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون ففي هذا
 الكلام اعتراضان أحدهما قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اعتراض بين
 القسم الذي هو فلا أقسم بمواقع النجوم وبين جوابه الذي هو انه لقرآن كريم وفي
 نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذي هو قسم وبين صفتيه
 اني هي عظيم وهو قوله لو تعلمون فذلك اعتراضان كما ترى وفائدة هذا الاعتراض

بين القسم وجوابه انما هي تعظيم لشأن القسم به في نفس السامع ألا ترى الى قوله
 لو تعاون اعتراضا بين المرصوف والصفة وذلك الامر بحيث لو علم وفي حقه من
 التعظيم وهذا مثل قولنا ان هذا الامر اعظيم بحيث لو تعلم يا فلان عظمه اقدرته حق
 قدره فان ذلك يكبر في نفس المخاطب ويظل متطلعا الى معرفة عظمه (وكذلك)
 ورد قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه وله من ما يشتهون وتقديره ويجعلون لله
 البنات وله من ما يشتهون فاعتراض بين المفعولين بسبحانه وهو مصدر يدل على
 التنزيه فكأنه قال ويجعلون لله البنات وهو منزه عن ذلك وله من ما يشتهون وفائدة
 هذا الاعتراض ههنا ظاهرة (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام
 قالوا ان فقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا ان الله اقد علمتم ما جئنا
 لنفسد في الارض وما كنا سارقين فقوله اقد علمتم اعتراض بين القسم وجوابه
 وفائدته تقرير اثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة أي انكم
 قد علمتم هذا منا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه وقد ورد الاعتراض
 في القرآن كثيرا وذلك في كل موضع يتعلق بتوع من خصوصية المبالغة في المعنى
 المقصود (ومن هذا القسم) قوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل
 قالوا انما أنت مقتربل أكثرهم لا يعلمون فهذا الاعتراض بين اذا وجوابها الات
 تقدير الكلام واذا بدلنا آية مكان آية قالوا انما أنت مقتر فاعتراض بينه ما بقوله
 تعالى والله أعلم بما ينزل وهو مبتدأ وخبر وفائدته اعلام القائلين انه مقتر أن ذلك
 من الله وليس منه وأنه أعلم بذلك منهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى ووصينا
 الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولو اديت
 ألا ترى الى هذا الاعتراض الذي قد طبق مفصل البلاغة وفائدته انه لما وصي
 بالوالدين ذكر ما تكابده الام من المشاق في حمل الولد وفصاله ايجبا بالتوصية بها
 وتذكيرا بحقوقها وانما خصها بالذكور لانها تكلف من أمر الولد
 ما لا يتكلفه ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قال له من أبر فقل أمك ثم
 أمك ثم أمك ثم أبالك (ومما جاء على هذا الاسلوب) قوله عز وجل واذا قتلتهم نفسا
 فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله
 الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض بين
 المعطوف والمعطوف عليه وفائدته أن يعز في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين

أن تدارأبى اسرا تيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم في اخفائه وكتمانه لان
الله تعالى مظهر لذلك ولو جازوا الكلام غير معترض فيه لكان واذا قلتتم نفسا
فاذا رأتتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها ولا يخفى على اليلبع الفرق بين ذلك وبين
كونه معترض فيه (ومما ردد من ذلك شهرا) قول امرئ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثـل * وقد يدرك المجد المؤثـل أمثالي

تقديره كفاني قليل من المال فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله ولم أطلب
وقائده تحققير المعيشة وأنها تحصل بغير طلب ولا عناء وانما الذي يحتاج الى
الطلب هو المجد المؤثـل (وكذلك) قول جرير

واقدر أرائى والجديد الى بلى * في موكب طرف الحديث كرام

تقديره ولقد أرائى في موكب طرف الحديث فاعترض بين المفعولين وانما جاء به هذا
الاعتراض تعزيا عما مضى من تلك اللذة وذلك النعيم الذي فاز به من عشرة أولئك
الاحباب واقدم عهدنى في كذا وكذا من اللذة وذلك قدمضى وسلف وبلى جديده
وكذلك كل جديد فانه الى بلى والاعتراض اذا كان هكذا كسا الكلام لطفان
كان غزلا وهكسا أهبة وجلالان كان مديحا أو ما يجرى مجراه من أساليب
الكلام وان كان هجاء كساه تأكيدا واثباتا كقول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره وقائده ههنا التصريح بما هو المراد
وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض لو أن الباخلين رأوك فاعترض بين اسم ان
وهو الباخلين وبين خبرها وهو رأوك بالمبتدأ والخبر الذى هو وأنت منهم
(ومن محاسن ما جاء في هذا الباب) قول المضرب السعدى

فلوسأت سراة الحى سلى * على أن قد تلون بي زمانى
نظيرها ذروا حساب قومي * وأعدائى فكل قد بلانى

وهذا اعتراض بين لو وجوابها وهو من فائق الاعتراض ونادره وتقديره فلوسأت
سراة الحى سلى نظيرها ذروا حساب قومي وأعدائى وقائده قوله على أن قد تلون
بى زمانى أى أنهم يخبرون عنى على تلون الزمان بى يريد تنقل حالته من خير وشر
وليس من عجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يعجمه ولا أبان عنه (ومن ذلك)

قول أبي تمام

وان الغنى لي ان لحظت مطايبى * من الشعر الا في مديحك أطوع
 وهذا البيت فيه اعتراض الا قول بين اسم ان وخبرها تقديره وان الغنى أطوع لي
 من الشعر فاعتراض بين الاسم والخبر بقوله ان لحظت مطايبى وأما الاعتراض
 الثاني فقوله الا في مديحك فجاء بالجملة الاستثنائية مقدّمة وموضعها التأخير
 فاعتراض بها بين الجملة التي هي خبر ان وتقدير البيت بجملته وان الغنى أطوع لي من
 الشعر ان لحظت مطايبى الا في مديحك وفائدة قوله الا في مديحك من الاعتراض
 الذي اكتسب به الكلام رقة فائدة حسنة والمراد به وصف جود المدوح
 بالاسراع ووصف خاطر شعره بالاسراع اذا كان في مدحه خاصة دون غيره
 فهذا الاعتراض يتضمن مدح المدوح والمادح معا وهو من محاسن ما يجي
 في هذا الموضع وكذلك ورد قوله

رددت روثق وجهي في صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخدم
 وما أبالي وخير القول أصدقه * حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي
 فقوله وخير القول أصدقه اعتراض بين المفعول والفعل لان موضع حقنت
 نصب اذ هو مفعول أبالي وفائدته اثبات ما مائل به بين ماء الوجه والدم أي ان هذا
 القول صدق ليس بكذب (وأما القسم الثاني) وهو الذي يأتي في الكلام لغير
 فائدة (فهو ضربان الضرب الاول) يكون دخوله في الكلام كغير وجه منه
 لا يكتسب به حسنا ولا قبحا فمن ذلك قول النابغة

يقول رجال يجهلون خليقتي * لعل زيادا لأبالك عاقل
 فقوله لأبالك من الاعتراض الذي لفائدة فيه وليس مؤثرا في هذا البيت حسنا
 ولا قبحا ومثله جاء قول زهير

سئت تكاليف الحياة ومن يعش * ثم نزل حولي لأبالك يسأم
 وقد وردت هذه اللفظة وهي لأبالك في موضع آخر فكان للاعتراض بها فائدة
 حسنة كقول أبي تمام * عتابك عنى لأبالك واقصدى * فانه لما كره عتابها
 اعترض بين الامر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم (الضرب الثاني)
 وهو الذي يؤثر في الكلام نقصا وفي المعنى فسادا وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره
 في باب التقديم والتأخير وانما جيء بذكره ههنا مكثررا لان تمام التقسيم الاعتراض في

أفاد وفيما لا يفيد وقد ذكرت من ذلك مثلا واحدا أو مثالين فما ورد منه قول
 بعضهم • وقد والشك بين لي عناء • بوشك فراقهم صرد يصح
 فان في هذا البيت من ردى الاعتراض ما أذكره لك وهو الفصل بين قد والفعل
 الذى هو بين وذلك قبيح لقوة اتصال قديمتا تدخل عليه من الافعال الأتراها تمعد
 مع الفعل كالجزم منه ولذلك أدخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل كقوله
 تعالى واقدأوحى اليك والى الذين من قبلك وقوله تعالى واقدع - لموا من اشتراء
 وقول الشاعر ولقد أجمع رجلى بها • حذر الموت وانى لقرور
 الا ان فصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به فهو قولك قد والله كان ذلك
 وقد فصل في هذا البيت أيضا بين المبتدأ الذى هو الشك وبين الخبر الذى هو عناء
 بقوله بين لي وفصل بين الفعل الذى هو بين وبين فاعله الذى هو صرد بخبر المبتدأ
 الذى هو عناء فجاء معنى البيت كما تراه كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها
 بعضها الى مكان بهض (ومن هذا الضرب) قول الآخر
 نظرت وشخصى مطلع الشمس ظله • الى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل
 أراد نظرت مطلع الشمس وشخصى ظله الى الغرب حتى عقل الشمس أى حاذها
 وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذى هو شخصى وبين خبره
 الجملة وهو قوله ظله الى الغرب وأغفلت من ذلك أنه فصل بين الفعل وفاعله
 بالاجنبى وهذا وأمثاله مما يفسد المعانى ويورثها اختلالا (واعلم) أن الناثر فى
 استعمال ذلك أكثر ملامة من الناظم وذلك أن الناظم مضطرب الى إقامة ميزان
 الشعر وورعا كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلقيه طالب الوزن فى مثل هذه
 الورطات وأما الناثر فلا يضطر الى إقامة الميزان الشعرى بل يكون مجال
 الكلام عليه واسعاً وهذا اذا اعترض فى كلامه اعتراضا يفسده توجهه عليه
 الانكار وحق عليه الذم (النوع التاسع عشر فى الكناية والتعريض) وهذا النوع
 مقصور على المثل مع المعنى وترك اللفظ جابيا وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم
 قد خلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما ولا حذوا كلامهم ما يجتهد يفصله عن
 صاحبه بل أوردوا الهما أمثلة من النظم والنثر وأدخلوا أحدهما فى الآخر
 فذكروا الكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمن فعل ذلك
 الغامى وابن سنان الخفاجى والعسكري فأما ابن سنان فانه ذكر فى كتابه قول

الكناية والتعريض

امرئ القيس

فصرنا الى الحسناء وكلامها * ورضت فذلت صعبة أي اذلال
وهذا مثال ضربه للكناية عن المباذعة وهو مثال لتعريض ووجدت في كتاب
التذكرة لابن حمدون البغدادي وكان مشارا اليه عندهم بفضيلة ومعرفة لاسيما
فن الكناية فوجدت في كتابه ذلك بايام قصورا على ذكر الكناية والتعريض وما قيل
فيهما تطما وترا وهو محشوق بالخلط بين هذين القسمين من غير فصل بينهما وقد أورد
أيضا في بعضه أمثلة غثة باردة وسأذكر ما عندي في الفرق بينهما وأميز أحدهما
عن الآخر يعرف كل منهما على انفراده فأقول أما الكناية فقد حدثت بحذف قيل
هي اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكناية
عنه كاللحم والجماع فان الجماع اسم موضوع حقيقي واللحم كناية عنه وبينهما
الوصف الجامع اذا الجماع لمس وزيادة فكان دالاعليه بالوضع المجازي وهذا الحد
فاسد لانه يجوز ان يكون حدا للتشبيه فان التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع
الحقيقي لجامع بين المشبه والمشبه به وصفة من الاوصاف ألا ترى أننا اذا قلنا
زيد أسد كان ذلك اقظاد الال على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين زيد والاسد
وذلك الوصف هو الشجاعة ومن ههنا وقع الغلط لمن أشرت اليه في الذي ذكره
في حد الكناية وأما علماء أصول الفقه فانهم قالوا في حد الكناية انها اللفظ المحتمل
يريدون بذلك أنها اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه وهذا فاسد
أيضا فانه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية دليل ذلك قول النبي
صلى الله عليه وسلم اذا لم تسبح فافعل ما شئت فان هذا اللفظ يدل على المعنى
وعلى خلافه ويبان ذلك أنه يقول في أحد معنييه انك اذا لم يكن لك وازع يزعل
عن الحياء فافعل ما شئت وأما معناه الاخر فانه يقول اذا لم تفعل فعلا لا يمتحى
منه فافعل ما شئت وهذا ليس من الكناية في شيء فيبطل اذا هذا الحد ومثال
الذبيحة في قوله ان الكناية هي اللفظ المحتمل مثال من أراد ان يحدث الانسان فأتى
بحد الحيوان فعبر بالاعم عن الاخص فانه يقال كل انسان حيوان وليس كل
حيوان انسانا وكذلك يقال ههنا فان كل كناية لفظ محتمل وليس كل لفظ محتمل
كناية (والذي عندي في ذلك) أن الكناية اذا وردت تجازيها جانبيا حقيقة ومجاز
وجازها على الجانبين معا ألا ترى أن اللحم في قوله تعالى أو لا مستم النساء

يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل ولهذا ذهب
 الشافعي رحمه الله الى أن اللمس هو مصافحة الجسد بالجسد فوجب الوضوء على
 الرجل اذا لمس المرأة وذلك من حقيقة في اللمس وذهب غيره الى أن المراد
 باللمس هو الجماع وذلك مجاز فيه وهو الكناية وكل موضع ترد فيه الكناية فانه
 يتجاز به جانباً حقيقة ومجاز ويجوز حمله على كليهما معاً وأما التشبيه فليس
 كذلك ولا غيره من أقسام المجاز لانه لا يجوز حمله الاعلى جانب المجاز خاصة ولو حمل
 على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ألا ترى أننا اذا قلنا زيد أسد لا يصح الاعلى
 جانب المجاز خاصة وذلك أننا شبهنا زيدا بالاسد في شجاعته ولو حملناه على جانب
 الحقيقة لاستحال المعنى لان زيد ليس ذلك الحيوان ذا الاربع والذنب والوبر
 والانياب والخراب واذا كان الامر كذلك فقد الكناية الجماع اها هو أنها كل
 لفظ دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة
 والمجاز والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشئ وتريد غيره
 يقال كذبت بكذا عن كذا فهي تدل على ما تكلمت به وعلى ما أردته من غيره
 وعلى هذا فلا تخالو اما أن تكون في لفظ تجازيه جانباً حقيقة ومجازاً وفي لفظ
 تجازيه جانباً مجازاً وفي لفظ تجازيه جانباً حقيقة وحقيقة وليس لنا قسم
 رابع ولا يصح أن تكون في لفظ تجازيه جانباً حقيقة وحقيقة لان ذلك هو اللفظ
 المشترك واذا أطلق من غير قرينة تخصصه كان مبهماً غير مفهوم واذا أضيف اليه
 القرينة صار محتصاً بشئ بعينه والكناية أن تتكلم بشئ وتريد غيره وذلك مخالف
 للفظ المشترك اذا أضيف اليه القرينة لانه يختص بشئ واحد بعينه لا يتعداه الى
 غيره وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجازيه جانباً مجازاً ومجازاً لان المجاز
 لا يتدله من حقيقة نقل عنها لانه فرع عليها وذلك اللفظ الدال على المجازين اما
 أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة فان كان لها شركة
 في الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء أحدها الحقيقة وهذا
 مخالف لأصل الوضع لان أصل الوضع أن تتكلم بشئ وأنت تريد غيره وههنا
 تكون قد تكلمت بشئ وأنت تريد شيئاً غيره وان لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة
 كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً لان أصل الوضع أن تتكلم بشئ وأنت تريد غيره
 فيكون الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به وعلى غيره واذا أخرجت الحقيقة

عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به
 وهذا محال فحقق حينئذ أن الكتابة أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز وهذا
 الكلام في حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكتابة لم يكن لأحد فيه قول سابق
 (واعلم) أن الكتابة مشتقة من السريقال كنيته الشيء إذا سترته وأجرى هذا
 الحكم في اللفظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة فتكون دالة على الساتر وعلى
 المستور معاً ألا ترى إلى قوله تعالى أولاً مستم النساء فإنه انحل على الجامع
 كان كناية لأنه ستر الجامع بلفظ اللبس الذي حقيقته مصالحة الجسد الجسد وان
 حل على الملامسة التي هي مصالحة الجسد الجسد كان حقيقة ولم يكن كناية وكلاهما
 يتم به المعنى وقد تأولت الكناية بغير هذا وهي أنها مأخوذة من الكنية التي
 يقال فيها أبو فلان فإنا إذا نادينا رجلاً اسمه عبد الله وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد
 كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله فإن شئنا نادينا به هذا وإن شئنا نادينا به هذا وكلاهما
 واقع عليه وكذلك يجري الحكم في الكناية فإنا إذا شئنا حملناها على جانب المجاز
 وإذا شئنا حملناها على الحقيقة إلا أنه لا يتم الوصف الجامع بينهما مالم لا يلحق
 بالكناية ما ليس منها ألا ترى إلى قوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نجمة
 ولي نجمة واحدة فكفى بذلك عن النساء والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ولولا
 ذلك لقبل في مثل هذا الموضع إن أخي له تسع وتسعون كبشاً ولوليت كبشاً واحد
 وقبل هذه كناية عن النساء ومن أجل ذلك لم يلتفت إلى تأويل من تأول قوله
 تعالى وثيابي فظهر أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية لأنه ليس بين الثياب
 والقلب وصف جامع ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحاً (فإن قيل)
 فما الدليل على اشتقاق الكناية من كنية الشيء إذا سترته ومن الكنية (قلت)
 في الجواب أما اشتقاقها من كنية الشيء إذا سترته فإن المستور فيها هو المجاز لأن
 الحقيقة تفهم أولاً ويتسارع الفهم إليها قبل المجاز لأن دلالة اللفظ عليها دلالة
 وضعية وأما المجاز فإنه يفهم منه بعد فهم الحقيقة وإنما يفهم بالنظر والفكرة
 ولهذا يحتاج إلى دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى
 وهو مستور بالحقيقة ألا ترى إلى قوله تعالى أولاً مستم النساء فإن الفهم
 يتسارع فيه إلى الحقيقة التي هي مصالحة الجسد الجسد وأما المجاز الذي هو
 الجامع فإنه يفهم بالنظر والفكر ويحتاج الذهاب إليه إلى دليل لأنه عدول عن

ظاهر اللفظ وأما اشتقاقها من الكنية فلان محمد في هذه الصورة المذكورة هو
 حقيقة هذا الرجل أي الاسم الموضوع بأزائه أولاً وأماً أبو عبد الله فإنه طار
 عليه بعد محمد لأنه لم يكن له إلا بعد أن صار له ولداً اسمه عبد الله وكذلك الكناية
 فإن الحقيقة لها هو الاسم الموضوع بأزائها أولاً في أصل الوضع وأما المجاز فإنه
 طار عليها بعد ذلك لأنه فرع والفرع إنما يكون بعد الأصل وإنما يعدم إلى ذلك
 الفرع للمناسبة الجامعة بينه وبين الأصل على ما تقدم الكلام فيه وهذا القدر
 كاف في الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك المعنيين المشار إليهما (فان قيل)
 انك قد ذكرت أقسام المجاز في باب الاستعارة التي قدمت ذكرها في كتابك
 هذا وحصرتها في أقسام ثلاثة وهي التوسع في الكلام والاستعارة والتشبيه
 ونرا القدر ذكرت الكناية في المجاز أيضاً فهل هي قسم رابع لتلك الأقسام الثلاثة
 أم هي من جملتها فان كانت قسم رابعاً فذلك نقض للحصر الذي حصرته وان كانت
 من جملتها فقد أعدت ذكرها ههنا مرة ثانية وهذا ~~المكرر~~ لا حاجة إليه
 (فالجواب عن ذلك) أني أقول أما الحصر الذي حصرته في باب الاستعارة فهو
 ذلك ولا زيادة عليه وأما الكناية فانها جزء من الاستعارة ولا تأتي الاعلى حكم
 الاستعارة خاصة لان الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له
 وكذلك الكناية فانها لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه ونسبته إلى
 الاستعارة نسبة خاص إلى عام فيقال كل كناية استعارة وليس كل استعارة
 كناية ويفرق بينهما من وجه آخر وهو أن الاستعارة لفظها صريح والصريح
 هو ما دل عليه ظاهر لفظه والكناية ضد الصريح لانها عدول عن ظاهر اللفظ
 وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم والآخر الصريح والآخر
 الحمل على جانب الحقيقة والمجاز وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنها جزء
 من المجاز وعلى ذلك فتكون نسبة الكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص
 الخاص وكان ينبغي أن تذكر الكناية عند ذكر الاستعارة في النوع الأول من هذه
 الأنواع المذكورة في المقالة الثانية وإنما أفردتها بالذكر ههنا من أجل التعريض
 لان من العادة أن يذكر جميعاً في مكان واحد وقد يأتي في الكلام ما يجوز
 أن يكون كناية ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر إليه
 بمفرده والنظر إلى ما بعده كقول نصر بن سيار في أبياته المشهورة التي يحترق

بهاجى أمية عند خروج أبي مسلم

أرى خلال الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالزند ين توري * وان الحرب أوقاها كلام
أقول من التعجب ليت شعري * أبقاظ أمية أم نيام
فان هبوا فذلك بقاء ملك * وان رقدا واقاني لا الام

فالبيت الاول لو ورد بمفرده كان كناية لانه يجوز جملة على جانب الحقيقة وجملة على جانب المجاز أما الحقيقة فانه أخبر أنه رأى وميض جمر في خلال الرماد وأنه سيضطرم وأما المجاز فانه أراد أن هنالك ابتداء شر كما من ومثله بوميض جمر من خلال الرماد واذا نظرنا الى الايات بجلتها اختص البيت الاول منها بالاستعارة دون الكناية وكثيرا ما يرد مثل ذلك ويشكل لتجاذبه بين الكناية والاستعارة على أنه لا يشكك الاعلى غير العارف (وأما التعريض) فهو والنظ الدال على الشئ من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازى فانك اذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب والله انى لمحتاج وليس في يدي شئ وأنا عريان والبرد قد آذانى فان هذا وأشبههاه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لاحقيقة ولا مجازا انما يدل عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة اللبس على الجماع وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح كقولك للمرأة انك نخلية وانى اعزب فان هذا وأمثاله لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا والتعريض أخفى من الكناية لان دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازى وانما معنى التعريض تعريضا لان المعنى فيه يفهم من عرضه أى من جانيه وعرض كل شئ بجانبه (واعلم) أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فتأتى على هذا تارة وعلى هذا أخرى وأما التعريض فانه يختص باللفظ المركب ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز وانما يفهم من جهة التلويح والاشارة وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج في الدلالة عليه الى اللفظ المركب وعلى هذا فان بيت امرئ القيس الذى ذكره ابن سنان مثلا للكناية هو مثال للتعريض فان عرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لم يذكره بل ذكر كلاما آخر يفهم

الجماع من عرضه لان المصير الى الحسناء ورقة الكلام لا يفهم منهما ما اراده
 امرؤ القيس من المعنى لاحقيقة ولا مجازا وهذا الاخفاء به فاعرفه وحيث
 فرقنا بين الكناية والتعريض وميزنا أحدهما عن الآخر فلنقصلهما ونذكر
 أقسامهما ونبدأ أولاً بالكناية (فنقول اعلم أن الكناية تنقسم قسمين أحدهما)
 ما يحسن استعماله (والآخر) ما لا يحسن استعماله وهو عيب في الكلام فاحش
 وقد ذهب قوم الى أن الكناية تنقسم أقساما ثلاثة تمثيلا وارداقا ومجاورة
 (فأما التمثيل) فهو أن تراد الاشارة الى معنى في موضع لفظ لمعنى آخر ويكون
 ذلك مثلا لامعنى الذى أريدت الاشارة اليه كقولهم فلان نقي الثوب أى
 منزله من العيوب (وأما الارداف) فهو أن تراد الاشارة الى معنى في موضع لفظ
 لمعنى آخر ويكون ذلك اردافا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه ولازمه
 كقوله فلان طويل النجاد أى طويل القامة فطول النجاد ارداف لطول
 القامة ولازمه بخلاف نقاء الثوب فى الكناية عن التزاهة من العيوب لان
 نقاء الثوب لا يلزم منه التزاهة من العيوب كما يلزم من طول النجاد طول القامة
 (وأما المجاورة) فهي أن تريد ذكر الشئ فتتركه الى ما جاوره كتول عنتره
 بزجاجة صفراء ذات أسرّة * قرنت بأزهر فى الشمال مفقّم
 يريد بالزجاجة الخرفذ كرزجاجة وكفى به عن الخمر لانها مجاورة لها وهذا
 التقسيم غير صحيح لان من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة
 خاصة تفصله عن عموم الاصل كقولنا الحيوان ينقسم أقساما منها الانسان
 وحيقيقته كذا وكذا ومنها الاسد وحيقيقته كذا وكذا ومنها الفرس وحيقيقته
 كذا وكذا ومنها غير ذلك وههنا لم يكن التقسيم كذلك فان التمثيل على ما ذكر
 عبارة عن مجموع الكناية لان الكناية انما هي أن تراد الاشارة الى معنى في موضع لفظ
 لمعنى آخر ويكون ذلك اللفظ مثلا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه ألا ترى الى
 قوله تعالى إن هذا أخى له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة فإنه أراد الاشارة
 الى النساء فوضع لفظ المعنى آخر وهو النعاج ثم مثل به النساء وهكذا يجرى الحكم
 فى جميع ما يأتى من الكنايات لكن منهما ما يتضح التمثيل فيه وتكون الشبهية
 بين الكناية والمكفى عنهما شديدة المناسبة ومنه ما يكون دون ذلك فى الشبهية
 وقد تأملت ذلك وحققت النظر فيه فوجدت الكناية اذا وردت على طريق اللفظ

المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبيهة واذا وردت على طريق اللفظ المنفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة ألا ترى الى قوله -م فلان نقي الثوب وقولهم الامر كناية عن الجماع فان نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبيها لانا اذا قلنا نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ووجدت المناسبة بين الكناية والمكفي عنه شديدة الملازمة واذا قلنا الامر كالجوامع لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة وهذا الذي ذكر في أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا غير ساوغ ولا وارد بل الكناية كلها هي ذلك والذي قدمته من القول فيها هو الحاصر لها ولم يأت به أحد غيري كذلك (وأما الارداق) فانه ضرب من اللفظ المركب الا أنه اختص بصفة تخصه وهي أن تكون الكناية دليلا على المكفي عنه ولازمة له بخلاف غيرها من الكنايات ألا ترى أن طول النجاد دليل على طول القامة ولازم له وكذلك يقال فلان عظيم الرماد أي كثيرا طعام الطعام وعليه ورد قول الاعرابية في حديث أم زرع في وصف زوجها له ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمع من صوت المزهر أيقن أنهم ق هو الك وغرض الاعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم الا أنها لم تذكر ذلك بلفظه الصريح وانما ذكرته من طريق الكناية على وجه الارداق الذي هو لازم له (وكذلك) ورد في الاخبار النبوية أيضا وذلك أن امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأته عن غسلها من الحيض فأمرها أن تغتسل ثم قال خذي فرصة من مسك فتطهري بها قالت كيف أتطهر بها فقال تطهري بها قالت كيف أتطهر بها قال سبحان الله تطهري بها فاجتذبت بها عائشة رضي الله عنها اليها وقالت تتبعي بها أثر الدم فقولها أثر الدم كناية عن الفرج على طريق الارداق لان أثر الدم في الحيض لا يكون الا في الفرج فهو رادف له (ومما ورد من ذلك شعرا قول عمر بن أبي ربيعة

بعيدة مهوى القرط امل النوقل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

فان بعد مهوى القرط دليل على طول العنق ومن لطف هذا الموضع وحسنه ما يأتي بلفظة مثل كقول الرجل اذا نفي عن نفسه القبيح مثل لا يفعله هذا أي أنا لا أفعله فنفي ذلك عن مثله ويريد نفسه عن نفسه لانه اذا نفاه عن مثله ويشابهه فقد نفاه عن نفسه لا محالة اذ هو ينفي ذلك عنه أجدر وكذلك يقال

مثلا اذا سئل اعطى اى أنت اذا سئلت اعطيت وسبب ورود هذه اللفظة في هذا الموضوع انه يجعل من جماعة هذه اوصافهم تهيئة للامر وتوكيد اولو كان فيه وحده اتلق منه موضعه ولم يرس فيه قدمه وهذا مثل قول القائل اذا كان في مدح انسان أنت من التوم الكرام اى لك في هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلا فيه وقد ورد هذا في القرآن الكريم كقوله تعالى ليس كمثلته شئ وهو السميع البصير والفرق بين قوله ايس كمثلته شئ وبين قوله ليس كاقه شئ هو ما أشرت اليه وان كان الله سبحانه وتعالى لا مثل له حتى يكون لمثله مثل وانما ذكر ذلك على طريق المجاز قصد المبالغة وقد يأتي هذا الموضوع بغير اقلية مثل وهي مقصودة كقولك للعربي العرب لا تخفرا الذم اى أنت لا تخفرا الذم وهذا ابلغ من قولك أنت لا تخفرا الذم لما أشرت اليه وعلى نحو من هذا جاء قول أبي الطيب المتنبي

أنت من القوم الذي من رماحهم * نداهم ومن قتلهم مهجة البخل
(واذا فرغت) من ذكر الاصول التي قدمت ذكرها فاني أتبعها بضرب الامثلة
ثرا ونظما حتى يزداد ما ذكرته وضوحا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن الكريم
نحو قوله تعالى ايجب اءءكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فإنه كنى عن الغيبة
بأكل الانسان لحم انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا ثم جعل
ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه أربع دلالات واقعة على
ما قصدت له مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله فأما جعل الغيبة كأكل
الانسان لحم انسان آخر مثله فشديد المناسبة جدا لان الغيبة انما هي ذكر مثاب
الناس وتزريق أعراضهم وتزريق العرض مماثل لاأكل الانسان لحم من يغتابه
لان أكل اللحم تزريق على الحقيقة وأما جعله كلعن الأخ فلما في الغيبة
من الكراهة لان العقل والشرع مجتمعان على استكراهها أمران بتركها
والبعد عنها ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته ومن العلوم
أن لحم الانسان مستكروه عند انسان آخر الا أنه لا يكون مثل كراهته لحم أخيه
فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة وأما جعل اللعن ميتا فمن أجل
أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة
موصولا بالمحبة فلما جبت عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة اها مع

العلم بقبحها فانظر آية المتأمل الى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شيها
 لانك اذا نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا اليها وجدتها
 مناسبة لما قصدت له (وكذلك) ورد قوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم
 وأموالهم وأرضالم تطؤها والارض التي لم يطؤها كناية عن منافع النساء وذلك
 من حسن الكناية ونادره (وكذلك) ورد قوله تعالى أنزل من السماء ماء فالت
 أودية بقدرها فاحمل السيل زبدا راييا فكفى بالماء عن العلم وبالادية عن
 القلوب وبالزبد عن الضلال (وهذه الآية) قد ذكرها أبو حامد الغزالي رحمه الله
 في كتابه الموسوم بأحياء علوم الدين وفي كتابه الموسوم بالجوهر والاربعين وأشار
 به الى أن في القرآن الكريم اشارات وإيماءات لا تنكشف الا بعد الموت وهذا
 يدل على أن الغزالي رحمه الله لم يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات الذي لفظها
 يجوز له على جانب الحقيقة والجاز (وقد رأيت جماعة) من أئمة الفقه
 لا يحقون أمر الكناية واذا سئلوا عنها عبروا عنها بالجاز وليس الامر كذلك
 وبينهما وصف جامع كهذه الآية وما جرى مجراها فإنه يجوز حمل الماء على المطر
 النازل من السماء وعلى العلم وكذلك يجوز حمل الادية على مهابط الارض
 وعلى القلوب وهكذا يجوز حمل الزبد على الغشاء الرابي الذي تقذفه السيول
 وعلى الضلال وليس في أقسام الجواز شيء يجوز حمله على الطرفين معا سوى الكناية
 (وبلغني عن الفراء النحوي) أنه ذكر في نفسه آية وزعم أنها كناية وهي قوله
 تعالى وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وان كان مكروهم لتزول من الجبال
 فقال ان الجبال كناية عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من
 الآيات وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية لان الكناية
 لا تكون الا فيما جازم له على جانب الجواز والحقيقة والجبال هنا لا يصح بها
 المعنى الا اذا سمعت على جانب الجواز خاصة لان مكروا ولتلك لم يكن لتزول منه جبال
 الارض فان ذلك محال (واما ما ورد منها في الاخبار النبوية) فتقول النبي
 صلى الله عليه وسلم انه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا وكان لها ابن عم يحبها
 فراودها على نفسها فامتنعت عليه حتى اذا أصابتها شدة فجاءت اليه تسأله
 فراودها فكنته من نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له لا يحل لك
 أن تفرض الخاتم الا بحقه فقام عنها وتركها وهذه كناية واقعة في موقعها

(ومن ذلك) أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم رويدك سوقك بالقوارير يريد بذلك النساء فكفى عنهن بالقوارير وذلك أنه كان في بعض أسفاره وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وهذه كناية لطيفة (وكذلك) ورد حديث الحديبية وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الركبة جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من أهل تهامة فقال تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا عدا مياها الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون وصادول عن البيت وهذه كناية عن النساء والصبيان والعوذ جمع عائذ وهي الناقة التي وضعت وقوى ولدها وهذا يجوز حمله على طريق الحقيقة كما جازح له على طريق المجاز أي معهم الاموال من الابل وهي كانت جل أموال العرب أي أنهم قد أحضروا أموالهم ليقا تلوادونها ولما جازح حمل العوذ المطافيل على النساء والصبيان وعلى الاموال كان من باب الكناية (ومن ذلك) ما ورد في أقامة الحد على الزاني وهو أن يشهد عليه برؤية الميل في المكحلة وذلك كناية عن رؤية الفرج في الفرج (ومن لطيف الكناية) أن امرأة جاءت الى عائشة رضی الله عنها فقالت لها أقيد بجلي فقالت عائشة رضی الله عنها لا أرادت المرأة أنها تصنع لزوجها شيئا يمنعها عن غيرها أي تربطه أن ياتي غيرها قطا هذا اللفظ هو تشييد الجن وباطنه ما أرادت المرأة وفهمته عائشة منها (وكذلك) يروى عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه وذلك أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهكت قال حوت رحلى البارحة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أقبل وأدبر واتق الدبر والحبيضة (ويروى) أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضی الله عنه فمكنت المرأة عنده ثلاث ليل لم يدن منها وإنما كان ملتفتا الى صلاته فدخل عليها عمرو وبعد ثلاث فقال كيف ترين بعلك فقالت نعم البعل إلا أنه لم يفتش لنا كنفنا ولا قرب لنا مضجعا فقولها لم يفتش لنا كنفنا ولا قرب لنا مضجعا من الكناية الغراء الظاهرة (ومن أطف ما بلغني في هذا) قول عبد الله بن سلام فانه رأى على رجل ثوبا معصفا فقال لو أن ثوبك في تنورا هلك أو تحت قدرهم كان خيرا فذهب الرجل فأحرقه نظر الى حقيقة قول عبد الله وظاهر مفهومه وإنما أراد المجاز منه وهو أنك لو صرفت ثمنه الى دقيق تخبزه أو حطب تطبخ به كان خيرا

والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين قال رجل فهم منه الظاهر الحقيقي فحسى
فأحرق ثوبه ومراده سبحانه غيره (ومن هذا القسم ما ورد في أمثال العرب)
كقوله هم ايلك وعقيلة الملح وذلك كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء فان
عقيلة الملح هي الاواؤة تكون في البحر فهي حسنة وموضعها ملح وكذلك قوله هم
ليس له جلد انمركناية عن العداوة وقد يقاس على هذا ان يقال ليس له جلد الاسد
وليس له جلد الدب وليس له جلد الارقم لان هذا كله مثل قوله هم ليس له جلد
النمر اذا العداوة شحمله في الجميع وكذلك قوله هم قلب له ظهر الجحش كناية عن تغيير
المودة (ومما ورد في ذلك شعرا) قول أبي نواس

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المزمع ثمره

وهذا له حكاية وهو أنه كان لابي نواس صديقة تغشاه فقبل له انها تختلف الى آخر
من أهل الريب فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوما من الايام فراها تدخل منزل ذلك
الرجل ثم ان ذلك الرجل جاء وكان صديقه قاله فكلمه فصرف وجهه عنه ثم نظم
قصيدته المشهورة التي مطلعها * أيها المنتاب عن عقره * وهذا البيت من
جملة أبياتها (وكذلك) ورد قوله أيضا

وناظرة الى من النقاب * تلاحظني بطرف مستراب

كشفت قناعها فاذا عجوز * موهمة المفارق بالخصاب

فما زالت تحمسي طويلا * وتأخذ في أحاديث التصابي

تحاول أن يقوم أبو زياد * ودون قيامه شيب الغراب

أتت بجرباها تنكال فيه * فقامت وهي فارغة الجراب

فقوله أتت بجرباها تنكال فيه من باب الكناية اذا الجراب يجوز حمله على الحقيقة
والجواز وكذلك الكيل أيضا (ومما جاء من هذا الباب) قول أبي تمام في قصيدته
التي يستعطف بها مالك بن طوق على قومه ومطلعها * أرض مصر دة وأرض منجم
مالي رأيت ترايبكم ببس الثرى * مالي أرى أطوادكم تتهدم

فببس الثرى كناية عن تسكر ذات البين تقول ببس الثرى بيني وبين فلان اذا تسكر
الود الذي بينك وبينه وكذلك تهدم الاطواد فانه كناية عن خفة الخلوم وطيش
العقول ومن الكناية الحسننة قول أبي الطيب المتنبى في قصيدته التي يعاتب فيها
سيف الدولة بن حمدان التي مطلعها * واحترق قلباه من قلبه شيب

قوله مالي رأيت الخ في الديوان مالو رأيت ترايبكم منهالة * مالي رأيت جفاركم تهدم

وشر ما قنصته راحتي قنص * شهب البراة سواء فيه والرخم
يشير بذلك الى أن سيف الدولة يستوى في المنال منه هو وغيره فهو البازي وغيره
الرخمة وان حمل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزا وعلى هذا ورد قول الاقيس
الاسدي وكان عني لا يأتى النساء وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه فجلس اليه
يوما رجل من قيس فانشده الاقيس

واقدا روح بعشرف ذي مبيعة * عسر المكزة ماؤه يتقصده

صرح يطير من المزاح لعايه * ويكاد جلد اهايه يتقصد

ثم قال له أنبصر الشعر قال نعم قال فما وصفت قال فرسا قال أفكنت تركبه لورأيته
قال اى والله وأثنى عطفه فكشف له عن ايره وقال هذا وصفت فركبه فوثب
الرجل عن مكانه وقال قبحك الله من جليس سائر اليوم (وكذلك أيضا يحكى) أنه
وقد ساعد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك وكان جميل الوجه فاختلف الى
عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤتب الوليد بن يزيد فراوده عن نفسه فوثب من
عنده ودخل على هشام مغضبا وهو يقول

انه والله لولا أنت لم * ينج منى سالما عبد الصمد

فقال هشام ولم ذلك قال

انه قد رام منى حظة * لم يرمها قبله منى أحد

قال ما هي قال

راح جهلابي وجهلابي * يدخل الافعى على حبس الاسد

قال فضحك هشام وقال لو فعلت به شيئا لم أنكره عليك (ومن أطف ما سمعته
في هذا الباب) قول أبي نواس في الهجاء

اذا ما كنت جارأبي حسين * فتم ويد الذئب في طرف السلاح

فان له نساء سارقات * اذا ما بين أطراف الرماح

سرقن وقد نزلت عليه ابرى * فلم أظفر به حتى الصباح

فجاء وقد اتخذت جانيه * بين الى من ألم الجراح

فتعبيره عن العضو المشار اليه بأطراف الرماح تعبيرا في غاية اللطافة والحسن
(وقد أدخل في باب الكناية) ما ليس منه كقول نصيب

فما جوا فأنشروا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أننت عليك الحقائق

وهذا يروى عن الجاحظ وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالامرفة بفن الفصاحة
 والبلاغة فان الكناية هي ما جازم له على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب
 المجاز وهو هنا لا يصح ذلك ولا يستقيم لان الثناء للعقائب لا يكون الا مجازا وهذا
 من باب التشبيه المضمرا لاداة الخارج عن الكناية والمراد به أن في العقائب من
 عطايالك ما يعرب عن الثناء لو سكت أصحابها عنه (وأما القسم المختص بما يقبح
 ذكره من الكناية) فانه لا يحسن استعماله لانه عيب في الكلام فاحش وذلك لعدم
 الفائدة المرادة من الكناية فيه (فما جاء منه) قول الشريف الرضى يرقى
 امرأة * ان لم تكن نصلا فعمد نصال * وفي هذا من سوء الكناية ما لا يخفاه فان
 الوهم يسبق في هذا الموضوع الى ما يقبح ذكره وهذا المعنى أخذ من قول
 الفرزدق فسخره وشوه صورته فان الفرزدق رثى امرأته فقال

وجفن سلاح قدرزقت فلم أخ * عليه ولم أبعث اليه البوايكا

وفي جوفه في دارم ذو حفيظة * لو أن المنايا أمهلت له لباليا

وهذا حسن بديع في معناه وما كنى عن امرأة ماتت بجمع أحسن من هذه
 الكناية ولا أنخم شأنها فجاء الشريف الرضى فأخذ معناها وفضل به ما ترى وليس
 كل من تصرف في المعاني أحسن في تصرفها وأبقى هذه الرموز في تأليفها وقد
 عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبى فاحسن فيما أساء فيه أبو الطيب طريق
 الكناية فإخطأ حيث قال

اني على شغفي بما في خمرها * لا عفا عما في سراويلاتها

وهذه كناية عن الزاهة والعفة الا أن الفجور أحسن منها وقد أخذ الشريف
 الرضى هذا المعنى فأبرزه في أجل صورة حيث قال

أحسن الى ما تضمن الخمر والحلى * وأصدق عما في ضمان المآزر

وأمثال هذا كثير وفيما ذكرناه من هذين المثالين مقنع (وأما التعريض)
 فقد سبق الاعلام به وعرفنا الفرق بينه وبين الكناية (فما جاء منه) قوله تعالى
 قالوا أنت فعلت هذا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاستألوهم
 ان كانوا ينطقون وغرض ابراهيم صلوات الله عليه من هذا الكلام اقامة
 الحججة عليهم لانه قال فاستألوهم ان كانوا ينطقون وذلك على سبيل الاستهزاء
 وهذا من رموز الكلام والقول فيه أن قصد ابراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة

افعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته على أسلوب
 تعريض يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم وقد يقال في هذا
 غير ما أشرت اليه وهو أن كبر الاصنام غضب أن تعبد معه هذه الاصنام
 الصغار فكسرها. وغرض ابراهيم عليه السلام من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد مع
 الله تعالى من هو دونه قان من دونه مخلوق من مخلوقاته فجعل احالة القول الى
 كبر الاصنام مثالا لما أراد (ومن هذا القسم) أيضا قوله تعالى قال الملا
 الذين كفروا من قومه ما نزال الا بشرامنا وما نزال الا الذين هم ارادنا
 يادى الرأى وما ترى لكم علينا من فضل بل نظرناكم كاذبين فقوله ما نزال الا
 بشرامنا تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من
 البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملا ومواز لهم في المنزلة فما جعلك
 أحق منهم بها ألا ترى الى قوله هم وما ترى لكم علينا من فضل وكان مروان
 ابن الحكم والياعلى المدينة من قبل معاوية فعزله فلما قدم عليه قال له عزلتك
 لثلاث لولم تكن الا واحدا منهم لوجب عزلك احدا من أنى أمرتك على عبد
 الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتقي منه والثانية كراهتك أمر
 زياد والثالثة أن ابنتي رمله استعدت على زوجها عمر بن عثمان فلم تعدها
 فقال له مروان أما عبد الله بن عامر فاني لا انتصر منه في سلطاني ولكن اذا
 تساوت الاقدام لم أين موضعه وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بني أمية كرهوه
 وأما استعداء رمله على عمر بن عثمان والله انه لتأتى على سنة وأكثر وعندى
 بنت عثمان فمأ كسبها فو ياريد بذلك أن رمله بنت معاوية انما استعدت
 لطاب الجماع فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هناك فقال له مروان
 هوذاك وهذا من التعريضات اللطيفة (ومثله في اللطافة) ما يروى عن عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه وذلك أنه كان يحطاب يوم الجمعة فدخل عثمان بن عفان
 رضى الله عنه فقال عمر أية ساعة هذه فقال عثمان يا أمير المؤمنين انقلبت من
 أمر المسوق فسمعت النداء فمازدت على أن توضأت فقال عمر والوضوء أيضا
 وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل فقوله أية ساعة
 هذم تعريض بالانكار عليه لتأخره عن الجى الى الصلاة وترك المسبق اليها وهو
 من التعريض المعرب عن الادب (ووقفت في كتاب العقد) على حكاية تعريضة

حسنة الموقع وهي أن امرأة وقفت على قيس بن عباد فقلت أشكو إليك قلت
 الذأر في بيتي فقال ما أحسن ما ورتت عن حاجتها املؤاها بيتها خبزاً وسمناً ولحماً
 (ومن خفي التعريض وغامضه) ما ورد في الحديث النبوي وهو أن النبي صلى
 الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول والله إنكم لتجبنون
 وتبخلون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان آخر وطأة وطئتم الله بوجع لم
 أن وجا وادباً لطائف والمراد به غزاة حنين وحنين واد قبل وج لان غزاة حنين آخر
 غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأما غزوات اللطائف
 وتبوء اللتان كاتبا بعد حنين فلم يكن فيهما ما وطأة أي قتال وانما كاتبا مجرد
 خروج الى الغزو ومن غير ملاقاته عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله
 صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئتم الله بوجع على ما قبله من الحديث هو
 التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لان غزوة حنين كانت في شوال سنة
 ثمان ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الاوّل من سنة احدى عشرة
 وبينهما ما سنتان ونصف فكأنه قال وانكم لمن ريحان الله أي من رزقه وأنا
 مفارقكم عن قريب الا أنه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله وان
 آخر وطأة وطئتم الله بوجع وكان ذلك تعريضاً بما أراد وقصده من قرب وفاته
 صلى الله عليه وسلم (ومما ورد من هذا الباب شعرا) قول الشخير الحارثي

بنى عننا لا تذكروا الشعر بعدما * دقنتم بصحراء الغمير القوافيا

وايسر قصده ههنا الشعر بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور عليهم
 والغلبة الا أنه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر ووجهه تعريضاً بما قصده أي لا تفخروا
 بعد تلك الواقعة التي جرت اكم وانما بذلك المكان (ومن أحسن التعريضات)
 ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب الى المأمون في أمر بعض أصحابه وهو أما بعد
 فقد استشفع بي فلان الى أمير المؤمنين ليمتطول في الحاقه بنظرائه من الخاصة
 فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدي
 طاعته فوق المأمون في ظهر كتابه قد عرفت تصريحك له وتعريضك لنفسك وقد
 أجبناك اللهم (واعلم) أن هذين القسمين من الكفاية والتعريض قد وردا في غير
 اللغة العربية ووجدتهم ما كثيرا في اللغة السريانية فان الانجيل الذي في أيدي
 النصارى قد أتى منهم بالكثير (ومما وجدته من الكفاية في لغة الفرس) أنه كان

رجل من أساورة كسرى وخواصه فقبل ان الملك يختار الى امرأتك فهجرها
 لذلك وتركت فراشها فأخبرت كسرى فدعاه وقال له قد بلغنى أن لك عينا عذبة
 وأنت لا تشرب منها فما سبب ذلك قال أيها الملك بلغنى أن الاسد يرد لها نخفته
 فاستحسن كسرى منه هذا الكلام وأسقى عطائه (النوع العشرون في المغالطات
 المعنوية) وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام والطفه لما فيه من
 التورية وحقيقته أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض والنقيض
 أحسن موقعا وأطف مأخذا فالأول الذي يكون له مثل يقع في الالفاظ
 المشتركة (فمن ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

يشله هو بكل أقب تمه * لفارسه على الخليل الخيار
 وكل أصم يعسل جنباه * على الكهين دنه دم حمار
 يغادر كل ملتفت اليه * وليتبه لثعابه وجار

فالثعلب هو هذا الحيوان المعروف والوجار اسم بيته والثعلب أيضا هو طرف
 سنان الرمح فلما اتفق الاسمان بين الثعابين حسن ذكر الوجار في طرف السنان
 وهذا نقل المعنى من مثل الى مثله (وعليه ورد) قول المتنبي أيضا

برغم شبيب فارق السيف كنه * وكانا على العلات يصطعبان
 كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وأنت يمانى

فان شيبيا الخارجي الذي خرج على كافر الاخشيمدى وقصد دمشق
 وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات
 وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له يمانى في نسبته الى اليمن ومراد
 المتنبي من هذا البيت أن شيبيا المقاتل وفارق السيف كفه فكان الناس قالوا
 لسيفه أنت يمان وصاحبك قيسى وهذا جانب السيف وفارقه وهذه مخالطة
 حسنة وهى كالاولى الا أنها أدق وأغمض (وكذلك ورد قول بعضهم) من آيات
 يهجو بها شاعر اقباء من جملتها قوله

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء في الانعام

ومعنى ذلك أن الشعراء اسم سورة من القرآن الكريم والانعام اسم سورة أيضا
 والشعراء جمع شاعر والانعام ما كان من الابل والبقر (وكذلك) ورد قول
 بعض العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب أحمد بن حنبل رضى الله عنه ثم انتقل

الى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ثم انتقل الى مذهب الشافعي رضي الله عنه
 من مبلغ عني الوجيه رسالة * وان كان لا تجدي لديه الرسائل
 تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقتك اذا عوزتك الماكل
 وما اخترت رأي الشافعي تدينا * ولكنما هوى الذي منه حاصل
 وعما قلل أنت لاشك صائر * الى مالك فافطن لما أنا قائل
 ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضي الله عنه ومالك هو خازن النار
 وهذه مغالطة لطيفة (ومن أحسن ما سمعته) في هذا الباب قول أبي
 العلاء بن سليمان في الأبل

صلب العصا بالضرب قد دماها * توذ أن الله قد أفناها

إذا أرادت رشداً أغواها * محاله من رقة أياها

فالضرب انظمت ترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب في الأرض وهو
 المير فيها وكذلك دماها فانه انظمت ترك يطلق على شيئين أحدهما يقال دماها
 إذا أسال دمه ودماها إذا جعله كالدمية وهي الصورة وهكذا اللفظ انقناها فانه يطلق
 على عنب الثعلب وعلى اذهاب الشيء إذا لم يبق منه بقية يقال أفناها إذا ذهبه
 وأفناها إذا أطعمه القنأ وهو عنب الثعلب والرشد والغوى نبتان يقال اغواء إذا
 أضله وأغواء إذا أطعمه الغوى ويقال طلب رشداً إذا طلب ذلك النبت وطلب
 رشداً إذا طلب الهداية وبعض الناس يظن هذه الآيات من باب اللغز وليس
 كذلك لانها تشتمل على ألفاظ مشتركة وذلك معنى ظاهرياً يستخرج من دلالة
 اللفظ عليه واللغز هو الذي يستخرج من طريق الحزر والحسدس لامن دلالة
 اللفظ عليه وسأوضح ذلك ايضاً جايماً في النوع الحادى والعشرين وهو
 الذى يتلوهذا النوع فليؤخذ من هناك (ويروى) فى الاخبار الواردة
 فى غزاة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائراً بأصحابه يتعصبون
 فلقبهم رجل من العرب فقال من القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 من ماء فآخذ ذلك الرجل يذبحكرو ويقول من ماء من ماء اينظر رأى بطون
 العرب يقال لها ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم لوجهته وكان قومه
 أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المنثلية لانه يجوز أن يكون بعض بطون العرب
 يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أن خلقهم من ماء وقد جاءنى شئ من ذلك

في الكلام المنثور (خنده) ما كتبه في فصل من كتاب عند دخولي الى بلاد
الروم اصف فيه البرد والثلج فقلت ومن صفات هذا البرد انه يعقد الدر
في خلفه والدمع في طرفه وربما تعدى الى قلب المطر فأجفه أن يجري بومفه
فالشمس مأسورة والنار مرقرة والارض شهباء غير أنها حواية لم ترض
ومسيلات الجبال أنها غير أنها جامدة لم تخض ومكان المغالطة من هذا الكلام
في قولي والارض شهباء غير أنها حواية لم ترض فان الشهباء من الخليل يقال فيها
حواية أي اها حول ويقال انها مروضه أي ذلت للركوب وهذه الارض
مضى لثلج عليها حول فهي شهباء حواية وقولي لم ترض أي لم تذل بعد (ومن
ذلك ما ذكرته في وصف كريم فتات) واتعدت نبتة بهلبي الصنع أحسننى
الاخلاق واقبته فكأنى لم أرفع عن أحب بلوعة الفراق ولا كرامة للأهل
والوطن حتى أقول انى قد استبدلت به أهلا ووطنا وعهدى باريام وهي من
الاحسان فاطمة فاستولدتها بجواره حسنا وهذه تورية لطيفة فان فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن رضى الله عنهما ولها فاطمة هي
اسم فاعلة من الطعام يقال فطمت فهي فاطمة كما يقال فطم فهو فاطم والحسن
هو الشئ الحسن (ومن هذا الاسلوب) ما كتبه في فصل من كتاب الى بعض
الاخوان فقلت وعهدته يتلى وهو يتحلى من البيان بأسمائه وتبرز أنوار
المعاني من ظلماته وقد أصبحت يدي منه وهي جملة الخطب وأصبح خاطري
أباجهل بعد أن كان أبالهب وهذا أحسن من الاقول وأخاب عبارة فانظر
أيها المتأمل الى ما فيه من التورية اللطيفة ألا ترى أن الخطاطير يحمد فيوصف
بأنه وقادوم ملتب ويذم فيوصف بأنه بليد وجاهل وأبواه وأبوجهل هما
الرجلان المعروفان وكذلك جملة الخطب هي المرأة المعروفة واذا تم القلم
قيل انه خطب وان صاحبه حاطب فلما نقلت أنا هذا الى المعنى الذى قصدته
جئت به على ~~حسب~~ المغالطة ووريت فيه تورية والمسلك الى مثل هذه المعاني
وتصحيح المقصد فيها عسر جدا لاجرم أن الاجادة فيها قليلة (ومما يجرى هذا
البحرى) ما ذكرته في وصف شخص يعالى الامور وهو من أبرم ساعيه أنه
حاز قفل المكرمات ومفتاحها فاذا سئل منقبة كان مناعها واذا سئل
موهبة كان مناعها وأحسن أثر من ذلك أنه أخذ بأعنة الصعاب وألان

بجاحها فاذا شهد حومة حرب كان منصورها واذا اتى مهجبة خطب كان
 سفاحها والمغالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح فانهم ما لقب
 خلفتين من بنى العباس والسفاح اول خلفائهم والمنصور اخوه الذي ولي
 الخليفة من بعده وهم ما ايضاً من النصر في حومة الحرب والسفح الذي هو
 الاراقة والمهجة دم القلب فكأنى قلت هو منصور في حومة الحرب ومريق لدم
 الخطوب وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح
 وهذا من المغالطة المثلية لامن القبيضية ولاخفاء بما فيها من الحسن (ومن
 ذلك) ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان فقلت وقد علمت أن ذلك الانس
 بقربه يعقب ايحاشا وأن تلك النهلة من اثنائه تجعل الالكاد عطاشا فان من
 شعبة الدهر أن يبدل الصقوك درا ويوسع أيام عقوقه طولا وأيام بره قصرا
 وما أقول إلا أنه شمر بتلك المسرة المسروقة فأقام عليها الحد القطع ورأى
 العيش فيها خفضا فأزاله بعامل الرفع والمغالطة في هذا الكلام هي في ذكر
 الخفض والرفع فان الخفض هو بعة العيش والخفض هو أحد العوامل الخوية
 والرفع هو من قولنا رفعت الشيء اذا أزيته والرفع هو أحد العوامل الخوية
 أيضا وهذا من المغالطات الخفية (ومن ذلك) ما كتبه في فصل أصف فيه الحى
 وكنت اذ ذاك نجمن مهبساط وهو بلاد من بلاد الارمن فقلت ومما أكره
 في حال المرض بهذه الارض ان الحى خيمت بها فاستقرت ولم تقنع بأهلها حتى
 سرت الى تربتها فترى وقد أخذتها النافض فاقشمت ولم يشكل أمرها
 الا لانها حى أرمنية مستحجة اللسان وقد تشبهت بالامراض وأهل بلادها
 في الابان واذا كانت الحى كافر لم تزل للمسلم حربا وشكاتها لا تسمى شكاة
 وانما تسمى طعنا وضربا وهذا صارت الادوية في علاجها ليست بأدوية
 واصبحت أيام نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية وليس موضعها في فصل
 معلوم بل كل فصول العام من مواسمها ولو كانتها نصيبين أو ميا فارقين
 بكتاب لترجمته بعبدها وخادمها والمغالطة ههنا في نولي واصبحت أيام نحرها
 في الناس غير مبتدأة بأيام تروية والمراد بذلك أنها تقبل بفترة من غير تروية
 من غير تلبث ويوم النحر هو يوم عيد الاضحي وقبله يوم يسمى يوم التروية فالمغالطة
 حصلت بين نحر الحى للناس ونحر الضحايا الا أن يوم النحر مبتدأ بيوم تروية

ولا خفاء بما في هذه المغالطة من الحسن واللطافة (وأما القسم الآخر) وهو
النقيض فإنه أقل استعمالا من القسم الذي قبله لأنه لا يتهماً استعماله كثيرا
فإن جملته ما ورد شعر البعض وهو قوله

وما أشياء تشريحها بما * فان نفقت فأكد ما تكون

يقال نفقت السلعة إذا راجت وكنان لها سوق ونفقت الدابة إذا ماتت
وموضع المناقضة هي هنا في قوله أنها إذا نفقت كسدت فجاء بالشئ ونقيضه وجعل
هذا سببا لهذا وذلك من المغالطة الحسننة (ومن ذلك ما كتبت في جملة كتاب) إلى
ديوان الخليفة يتضمن فتوح بلده من بلاد الكفار فقلت في آخر الكتاب وقد
ارتاد الخادم من يبلغ عنه مساريح هذه الوقائع التي اختصرها ويمثل صورها
لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ويكون مكانه من النباهة كريما كمكانها
وهي عرائس المساعي فأحسن الناس بيانا مؤهل لابتداع حسانها والسائر بها
فلان وهو راوي أخبار نصرها التي صحتها في تجريح الرجال وعوالم اسنادها
مأخوذة من طرق العوال واللبالي والأيام لها رواة فالتحق برؤية الأيام
واللبالي في هذا الفصل مغالطة نقيضية ومغالطة مثلية أما المغالطة المثلية
فهى في قولى وعوالم اسنادها مأخوذة من طرق العوال وقد تقدم الكلام
على هذا وما يجرى مجراه في القسم الأول وأما المغالطة النقيضية فهى قولى
وهو راوي أخبار نصرها التي صحتها في تجريح الرجال وموضع المغالطة منه
أنه يقال في رواية الأخبار فلان عدل صحيح الرواية وفلان مجروح أى سقيم الرواية
غير موثوق به فأثبت بهذا المعنى على وجه النقيض فقلت صحة أخبار هذه الفتوح
في تجريح الرجال أى تجريحهم في الحرب وفي هذا من الحسن ما لا خفاء به
وقد أوردت من هذه الأمثلة ما فيه كفاية ومقتنع (فان قيل) إن الضرب الأول
من هذا النوع هو التجنيس الذى لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذى مثلته
وفي قول أبي الطيب المتنبي ثعلب ووجار فان الثعلب هو الحيوان المعروف وهو
أىضا طرف السنان وكذلك باقى الأمثلة (قلت في الجواب) إن الفرق بين
هذين النوعين ظاهر وذلك أن التجنيس يذكرفيه اللفظ الواحد مرتين فهو
يستوى في الصورة ويختلف في المعنى كقول أبي تمام

بكل فقى ضرب يعترض للقتال * محيا محلى عليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب هو الضرب بالسيف في القتال فاللفظ لا بد
من ذكره مرتين والمعنى فيه مختلف والمغالطة ليست كذلك بل يدكر فيها اللفظ
مرة واحدة ويدل به على مثله وليس بذكر (النوع الحادى والعشرون
في الاحاجي) وهي الاغاليط من الكلام وتسمى الاغزاز جمع اغز وهو الطريق
الذى يلتوى ويشكل على سالكه وقيل جمع اغز بفتح اللام وهو ميلك
بالشيء عن وجهه وقد يسمى هذا النوع أيضا المعنى وهو يشتبه بالكناية تارة
وبالتعريض أخرى ويشتهر أيضا بالمغالطات المعنوية ووقع في ذلك عامة أرباب
هذا الفن (من ذلك) أن أبا الفرج الاصفهاني ذكر يديتى الاقيس الاسدي
في جملة الاغزاز وهما

ولقد أروح بعشرف ذى مبيعة • عسر المكزة ماؤية تصعد

مرح يطير من المزاح لعابه • ويكاد جاد إهابه يتقد

وهذان البيتان من باب الكناية لانهما يحملان على الفرس وعلى العضو
المخصوص واذا حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فكيف يعد من جملة الاغزاز
وكذلك فعل الحريرى في مقاماته فانه ذكر في الاحاجي التي جعلها على حكم
الفتاوى كناية ومغالطة معنوية وظن أنهم من الاحاجي المغزاة كقوله أي حمل
لصائمه أن يأكل نهارا والنهار من الاسماء المشتركة بين النهار الذى هو ضد الليل
وبين فرخ الجبارى فانه يسمى نهارا واذا كان من الاسماء المشتركة صا من باب
المغالطات المعنوية لا من باب الاحاجي والالغاز شئ منقصل عن ذلك كله ولو كان
من جملة لما قيل لغز واجمية وانما قيل كناية وتعريض أو مغالطة ولكن وجد
من الكلام ما يطلق عليه الكناية ومنه ما يطلق عليه التعريض ومنه ما يطلق عليه
المغالطة ومنه شئ آخر خارج عن ذلك فجعل اغز واجمية (وكنتم قدمت القول)
بأن الكناية هي اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز فهو يحمل
عليها معا وأن التعريض هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالة عليه حقيقة
ولا مجازا وأن المغالطة هي التي تطلق ويراد بها شيان أحدهما دلالة اللفظ على
معنيين بالاشتراك الوضحي والاخر دلالة اللفظ على المعنى وتقيضه (وأما للغز
والاجمية) فانه شئ واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة
اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا ولا يفهم من عرضه لان قول القائل في الضرس

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى انفعي ويسمى سعى مجتهد
 ما ان رأيت له شخصا فذوقعت * عني عايه اقترقنا فرقة الابد
 لا يدل على أنه الضرم من لامن طريق الحقيقة ولا من طريق الهجاز ولا من طريق
 المفهوم وانما هو ثنى يحسدس ويحزروا الخواطر تختلف في الاسراع والابطاء
 وتمتد عنورها عليه (فان قيل) ان اللغز يعرف من طريق المفهوم وهذا ان
 البيتان يعلم - معناهما بالمفهوم (قلت في الجواب) ان الذي يعلم بالمفهوم وانما هو
 لتعريف كقول القائل اني افقير وانى لهتماج فان هذا القول لا يدل على المسئلة
 والطلب لاحقيقة ولا مجازا وانما فهم منه ان صاحبه متمرس للطلب وهذا ان
 البيتان ليسا كذلك فانهم لا يشتملان على ما يفهم منه شي الا بالخدم والحزر
 لا غير وكذلك كل اغزم الاغاز (واذا ثبت هذا فاعلم) ان هذا الباب الذي هو
 اللغز والاصحبة والمعنى يتنوع انواعا فنه المحصف ومنه المعكوس ومنه ما ينقل
 الى لغة من اللغات غير العربية كقول القائل اسمى اذا صحفته بالفارسية آخر
 وهذا اسمه اسم تركى وهو دنكر بالدال المهملة والنون وآخر بالفارسية ديكور
 بالدال المهملة والياء المجهمة ينتهز من تحت واذا صحفت هذه الكلمة صارت
 دنكور بالنون فانقلبت الياء نونا بالتحفيف وهذا غير مفهوم الا لبعض الناس
 دون بعض وانما وضع واستعمل لانه مما يشهد القرينة ويحد الخاطر لانه يشتمل
 على معان دقيقة يحتاج في استخراجها الى توفد الذهن والى لولا في معارج
 خفية من الفكر وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلا ثم جاء المحدثون فأكثروا
 منه وربما أتى منه بما يكون حسنا وعليه مسحة من البلاغة وذلك عندي بين بين
 فلا أعدته من الاحاجى ولا أعدته من فصيح الكلام فما جاء منه قول بعضهم
 قد سقيت آبالهم بالنار * والنار قد تشفى من الاوار
 ومعنى ذلك ان هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الابل ذوو وجهة وتقدم ولهم
 رسم معلوم فلما وردت ابلهم الماء عرفت بذلك الوسم فأفرج اهما الناس حتى
 شربت وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشيء وضده وجعل أحدهما سببا
 للآخر فصار غريبا عجيبا وذلك أنه قال سقيت بالنار وقال ان النار تشفى من
 الاوار وهو العطش وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب (ومما جرى على هذا
 النهج) قول أبي نواس في شجر الكرم

لنا هجمة لا يتدرى الذئب مغلها * ولا راعها غص الفمالة والمختر
اذا امتحنت ألوانها مال صفة وها * الى الحق الا أن أوبارها خضر
(ومن هذا القبيل) قول بعضهم

سبع رواحل ما ينخن من الونا * شيم تساق بسبعة زهر
متواصلات لا الدؤب عيها * باق تعاقبها على الدهر

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام الزمان وإياليه وهي الاسبوع فان الزمان
عبارة عنه وذلك من الالغاز الواقعة في موقعها (وعلى هذا الاسلوب) ورد
قول أبي الطيب المتنبى في السفن من جملة قصيدته التي مدح به سيف الدولة عند
ذكر عبوره الفرات وهي * الرأي قبل شجاعة الشجعان * فقال

وشاه عادية بغير قوائم * عقم البطون حوالك الانوار
تأق بماسبت الخبول كأنها * تحت الحسان مرايض الغزلان

وهذا حسر في بابه ومن ذلك قول بعضهم في حجر المحك

ومدرع من صنعة الليل برده * يفوق طوراً بالاضار ويطلب
اذا سأله عن عو يصير أشكلا * أجا ببناء صيا لورى وهو آخرس

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل زماننا
فأجاب عنه بييتين على وزنه وقافية وهما

سؤالك جلود من الصخر رأود * خفيف لطيف ناعم الجسم أطلس
أقيم بسوق الصرف حكما كأنه * من الزنج قاض بالخلوق مطلس

(وقد رأيت هذا الشاعر) وهو حائك يجزيرة ابن عمرو ليس عنده من أسباب
الادب شئ سوى أنه قد أصلح لسانه بطرف يسير من علم النحو لا غير وهو مع ذلك
يقول الشعر طبعاً وكان يجيد في الكثير منه (ومن الالغاز) ما يرد على حكم
المسائل الفقهية كالذى أورده الحريري في مقاماته وكنت سئلت عن مسألة منه

وهي
ولى خالة وأنا خالها * ولى عمه وأنا عمها
فأما التي أنعم لها * فان أبي أمه أمها
أبوها أخي وأخوها أبي * ولى خالة هكذا حكمها
فأين الفقيه الذي عنده * فنون الدراية أو علمها
يبين لنا نسباً خالصاً * ويكشف للنفس ما همها

فلما حجوسا ولا مشركين • شريعة أحمد نأتمها
 (وهذه المسئلة كتبت الى) فتأملتها تأمل غير ملجج في الفكر ولم ألبث
 أن انكشف لي ما تحتها من اللغز وهو أن الخالة التي الرجل خالها تصور على هذه
 الصورة وذلك أن رجلا تزوج امرأتين اسم احدها عايشة واسم الاخرى
 فاطمة فأولاد عايشة بنتا وأولاد فاطمة ابنا ثم تزوج بنته من أبي امرأته فاطمة
 فجاءت بنت فتلك البنت هي خالة ابنه وهو خالها لانه أخواتها وأما العممة التي
 هو عمها فصورتها أن رجلا ولد ولولده أخ من أمه فزوج أخاه من أمه أم أبيه
 فجاءت بنت فتلك البنت هي عمته لانها أخت أبيه وهو عمها لانه أخو أبيها وأما قوله
 ولي خالة ~~هذه~~ إذا حكمها فهو وأن تكون أمها أخته وأختها أمه كما قال أبوها
 أخي وأخوها أبي وصورتها أن رجلا ولد ولولده أخت من أمه فزوجها من أبي
 أمه فجاءت بنت فاختها أمه وأمتها أخته (وأحسن من ذلك كله وألطف
 وأحلى) قول بعضهم في الخلفاء

ومضروب بلا جرم • ملجج اللون معشوق
 له قد الهلال على • ملجج القدم معشوق
 وأكثر ما يرى أبدا • على الامشاط في السوق

وبلغني أن بعض الناس سمع هذه الايات فقال قد دخلت السوق فمأرايت
 على الامشاط شيئا ووطن أنها الامشاط التي يربط بها الشعر وأن السوق سوق
 البيع والشراء (واعلم) أنه قد يأتي من هذا النوع ما هو مضروب وألوان
 فنه الحسن الذي أوردت شيئا منه كإتراء ومنه المتوسط الذي هو دونه
 في الدرجة فلا يوصف بحسن ولا قبح كقول بعضهم

راحت ركائبهم وفي أكوارها • ألفان من عم الاثيل الواهد
 ما ان رأيت ولا ياركب هكذا • حلت حدائق كا انلام الراكد

وهذا يصف قوما وقد واعلى ملك من الملوك فأعطاهم فخلاو كتب لهم بها كتابا
 والاثيل الموضع الذي كتب لهم اليه والعم العظام الرأس من التخيل والواهد
 الاقناء من التخيل فلما حلوا الكتب في أكوارهم فكأنهم حلوا التخيل وهذا
 من متوسط الاغزاز وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج الا بمسائل
 الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القبض الداخل أو القبض الخارج والبياض

والحجرة وغيرها واثن كان معناه دقيقا يدل على فرط الذكاء فاني لأعده من اللغة
العربية فضلا عن أن يوصف بصفات الكلام المحموده ولا فرق بينه وبين اللغة
الفرس والروم وغيرها ما من اللغات في عدم الفهم (وأما ما ورد من الالفاز
نثرا) فقد ألفت الحريري في مقاماته ألفتها ذكر الأبره والمرود وذكر الديار
وهي أشهر كما يقال من قفانك فلا حاجة الى إيرادها في كتابي هذا وقد ورد
من الالفاز في كلام العرب المنشور غير أنه قليل بالنسبة الى ما ورد في أشعارها
وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئا منها ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئا
لأنه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالفاز (وأما ما ورد للعرب) فيروي
عن امرئ القيس وزوجته عتده من الالفاز وذلك أنه سأها قبل أن يتزوجها
فقال ما اثنان وأربعة وثمانية فقالت أما الاثنان فتديا المرأة وأما الأربعة
فاخلاف الأناقة وأما الثمانية فأطباء الكلبة ثم انه تزوجها وأرسل اليها هدية
على يد عبده وهي حلة من عصب اليمين ونحى من عسل ونحى من من قنزل العبد
بعض المياه وابس الحلة فعاق طرفها بسيرة فانشق وفتح النخيل وأطعم أهل الماء
ثم قدم على المرأة وأهلها اخلاف فسأل عن أيها وأتمها وأخبرها ودفع اليها الهدية
فقالت له أعلم ولأن أبي ذهب يقرب به يداو ويبعد قريبا وان أمي ذهبت
تشرق النفس نفسين وأن أخي يرقب الشمس وأخبره أن سماكم انشقت وأن
وعاء يكمن نضبا فعاد العبد الى امرئ القيس وأخبره بما قالت له فقال
أما أبوها فانه ذهب يحالف قوما على قومه وأما أمها فانه ذهبت تقبل امرأه
وأما أخوها فانه في سرح يرعاه الى أن تغرب الشمس وأما قواها ان سماكم
انشقت فان الحلة انشقت وأما قواها ان وعاء يكمن نضبا فان النخيل نقصا
ثم قال للعبد أصدق فقال له اني نزلت سما من مياه العرب ونعلت كذا وكذا
فهذا وأمثاله قد ورد عنهم الا أنه يسير (وكذلك يروي عن ش. بن أفضى) وكان
ألزم نفسه أن لا يتزوج الا امرأة تلامحه فصاح به رجل في بعض أسناره فلما أخذ
منه ما الس. قال له شن أتحماني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل
الراكب راجبا فأمسك عنه وسارا حتى أتيا على زرع فقال شن أتري هذا الزرع
قد أكل فقال له يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك عنه ثم سارا فاستقبلتهما
بجنازة فقال شن أتري صا. بها حيا فقال له الرجل ما رأيت أبهل منك أتراهم

حلوا الى القبر حيا ثم انهما وصلوا الى قرية الرجل فصاربه الى بيته وكانت له بنت
 وأخذ يطردها بحمد يثرفيقه فقالت ما نطق الابا صواب ولا استتفهم الاعما
 يستفهم عن مثله أما قوله أتحملي أم أحملك فانه أراد أتحدثني أم أحدثك - حق
 تقطع الطريق بالحديث وأما قوله أتري هذا الزرع قد أكل فانه أراد هل استسلف
 ربه عنه أم لا وأما استفهامه عن صاحب البطانة فانه أراد هل خلف له عقبا يحيا
 بذكره أم لا فلما سمع كلام ابنته خرج الى شئ وحديثه بتأويلها فخطبها فزوجته
 اياها (وأدق من هذا كله والطف) ما يحكي عن رجل من المناقذة أصحاب شيرز
 وهو أولهم الذي استنقذه من أيدي الروم بالذكور والخديعة ولذلك قصة ظريفة
 وليس هذا موضع ذكرها وكان قبل ملكه اياها في خدمة محمود بن صالح صاحب
 حلب وكان اذا نال يلقب بسيد الملك فنبأ به مكانه وحدثت له حادثة أوجبت له
 أن هرب ومضى الى مدينة تراپلس في زمن بنى عمار أصحاب البلد فأرسل اليه
 ابن صالح واستعطفه ليعود اليه فخافه ولم يعد فا - ضم ابن صالح رجلا من أهل
 حلب صديقا لابن منقذ وبينه وبينه لجة موقدة أكيدة وأجلسه بين يديه وأمره
 أن يكتب اليه كتابا عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح ليعود فاعطاه الا أن
 يكتب وهو يعلم أن باطن الامر في ذلك خلاف ظاهره وأنه متى عاد ابن منقذ الى
 حلب هلك فأنفكر وهو يكتب في اشارة عمياء لا تفهم لم يضعها فيه يحذرها
 ابن منقذ فاذاء فكره أن كتب في آخر الكتاب عند انهاءه إن شاء الله تعالى
 وشدت ان وكسرها ثم سلم الكتاب الى ابن صالح فوقف عليه وأرسله الى ابن منقذ
 فلما صار في يده وعلم ما فيه قال هذا كتاب صدقي وما يغشني ولولا أن يعلم صفا قاب
 ابن صالح لي لما كتب الي - ولا غرتني ثم عزم على العود وكان عنده ولد
 فأخذ الكتاب وكثر نظره فيه ثم قال له يا أبة مكانك فان صديقك قد حذرني وقال
 لا تعد فقال وكيف قال انه قد كتب ان شاء الله تعالى في آخر الكتاب وشدت ان
 وكسرها وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدر مثله عن سواه ومعنى ذلك أنه يقول ان
 الملائكة تأتمرون بك ليقبلك وان شككت في ذلك فأرسل الى صاحب وهذا من
 أعجب ما بلغني من حدة الذهن وقطانة الخاطر ولولا أنه صاحب الحادثة المخوفة
 لما تقطن الى مثل ذلك أبدا لانه ضرب من علم الغيب وانما الخوف دله على امتنباط
 ما استنبطه (ووجد بعض الادباء لغز في حمام) فنه ما أجاد فيه كتوله وقد أظلمتها

سماوات نجوم لاستراق لها ولا رجوم وهي مركبة في فلك صحت استدارته
وسكنت ادارته أهجب بها من أنجم * عند الصباح ظاهرة

لكنها اذا بدا * نجم الظلام غائرة

فهي على القياس جنة نهيم مبنية على لظى بحيم لاخـ لو فيها ولا مقام
ولا تراورين أهلها ولا سلام أنهارها متدفقة ومياهها مترقرة والاكواب
بها وضوعة والنمارق عنهما منزوعة

يطيبع بها المولى أو امر عبده * ويصبح طـوعا في يديه مقاتله
ويرفع عنه التاج عند دخوله * ويسلب من قبل الجلوس غلاته

التجمل بها معدوم والخدم فيها مخدوم ينكر بها التستر من البرد ويكره
حرها اذا جاز الخلد هذا اللغز من فصيح الالغاز ولا يقال ان صاحبه في العمى
صانع العكاز واذا تطرز غيره بلعة من الوشي فهذا كله طراز (ومما سمعته) من
الالغاز الحسان التي تجرى في المحاورات ما يحكى عن عمر بن هبيرة وشريك النخيري
وذال ان عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له والى جانبه شريك النخيري على بغلة
فتقدمه شريك في المسير فصاح به عمر اغضض من لجامها فقال أصلح الله الأمير
انها مكبوتة فتبسم عمر ثم قال له ويحك لم أرد هـ ذاق قال له شريك ولا أنا أردته
وكان هـ أراد قول جرير

فغض الطرف انك من غير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأجابه شريك بقول الآخر

لاتأمنن فزار يا نرات به * على قلوبك واكبتها باسيار

وهذا من الالغاز اللطيفة ودفطن كل من هـ ذين الرجلين امثله أطف وأحسن
(ومما يجرى هذا المجرى) أن رجلا من عميم قال لشريك النخيري ما في الجوارح
أحب الي من البازي فقال له شريك اذا كان يصيد القطا وكان التميمي أراد
قول جرير أنا البازي المطل على غير * أتبع من السماء لها انصبابا

وأراد شريك قول الطرماخ

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلت

واعلم أن خواطر الناس تتفاضل كفاضل الأشخاص ومن ههنا قيل سبحانه خالق
أبي موسى وعمر بن العاص (النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات)

هذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار إليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وحقبة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلك الكلام إن كان قصيداً أو نثراً وإن كان هنا فهنا أو كان عزاءً فـعـزاء وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولم هذا النوع والقاعدة التي يبنى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيداً أن يتطرق إن كانت مدحياً صرفاً لا يختص بمحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل بل يرتجل المدح ارتجالاً من أولها كقول القائل

ان حارت الاباب كيف تقول * في ذا المقام فعذرهما مقبول
سأح بفضلك مادحك فغالهم * أبدا الى ما تستحق سبيل
ان كان لا يرضيك الا محسن * فالمحسنون اذا ليدك قليل

فإن هذا الشاعر ارتجل المدح من أول القصيدة فأتى به كما ترى حسناً لا تقاوأما إذا كان القصيدة في حادثة من الحوادث كفتح مفضل أو هزيمة جيش أو غير ذلك فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بغزل وإن فعل ذلك دل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية أو على جهل بوضع الكلام في مواضعه (فإن قيل) انك قلت يجب على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك (قلت في الجواب) ان الغزل رقة محضة والالفاظ التي تنظم في الحوادث المشار إليها من فخل الكلام ومتمين القول وهي ضد الغزل وأيضا فان الاسماع تكون متعلقة الى ما يقال في تلك الحوادث والابتداء بالخوض في ذكرها لا الابتداء بالغزل إذ المهم واجب التقديم ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة بالمدح ما يظلم منه وهذا يرجع الى أدب النفس لا الى أدب الدرس فينبغي أن يحترز منه في مواضعه كوصف الديار بالدثور والمنازل بالعفاء وغير ذلك من تشققات الآلاف وذم الزمان لاسيما إذا كان في التهاني فإنه يكون أشد قبحاً وانما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنواب الحادثة ومتى كان الكلام في المدح مفتتحاً بشئ من ذلك تظلم منه سامعه وانما خصت الايتاء بالاختيار لانها أول ما يطرقت السمع من الكلام فإذا كان الابتداء لا تقا بالمعنى الوارد بعده توقرت الدواعي على استماعه ويكفيك من هذا الباب الايتاء آت الواردة في القرآن كالتحميدات المفتتح

بها أوائل السور وكذلك الإبتدآت بالبنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة القسا
 يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وكقوله تعالى في أول
 سورة الحج يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذا الإبتداء
 مما يوقظ السامعين للاصغاء اليه وكذلك الإبتدآت بالحروف كقوله تعالى
 ألم وطس وحم وغير ذلك فان هذا أيضا مما يبعث على الاستماع اليه لانه يقرع
 السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سبباً للتطلع نحووه والاصغاء اليه
 (ومن قبج الإبتدآت) قول ذى الرمة * ما بال عينك منها الماء ينسكب * لان
 مقابلة الممدوح بهذا الخطاب لا خفاء بقبحه وكرهته (ولما أنشد الاخطل)
 عبد الملك بن مروان قصيدته التي أولها * خف القطبين فراحوا منك أو بكروا
 قال له عند ذلك لابل منك وتطير من قوله فغيرها ذوالرمة وقال
 خف القطبين فراحوا اليوم أو بكروا * ومن شاء أن يذكر الديار والاطلال في شعره
 فليأتب بأدب القطامي على جفاء طبيعه وبعده عن فطانة الأدب فانه قال
 انا محيول فاسلم أيها الطلل * فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية والدعاء له
 بالسلامة وقد قيل ان امرأ القيس كان يجيد الإبتداء كقوله
 ألا انعم صبا حاط أيها الطلل البالي * وكقوله * قفائيك من ذكرى حبيب ومنزل
 (ومما يكره من الإبتدآت) قول أبي تمام * تجزع أسي قد أقفر الجرع الفرد
 وانما أتي أبا تمام في مثل هذا المذكور وتبعه للتجنيس بين تجزع والجرع وهذا
 دأب الرجل فانه كثيرا ما يقع في مثل ذلك وكذلك استقبح قول البحترى
 فواد ملاء الحزن حتى تصدعا * فان ابتداء المديح بمثل هذا طيرة ينبوعها
 السمع وهو أجدر بأن يكون ابتداء مرثية لامديح وما أعلم كيف يخفى هذا على
 منل البحترى وهو من مقلقي الشعراء (وحكى) أنه لما فرغ المعتصم من بناء
 قصره بالميدان جلس فيه وجميع أهله وأصحابه وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم
 فخار أي الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذن اسحق بن ابراهيم الموصلي في
 الانشاد فأذن له فأنشد شعرا حسنا أجاد فيه الا أنه استفح به ذكر الديار وعفاها
 فقال يادار غيرك البلي ومحال * باليت شعري ما الذي أبلاك
 فتطير المعتصم بذلك وتغاضى الناس على اسحق بن ابراهيم كيف ذهب عليه مثل
 ذلك مع معرفته وعلمه وطول خدمته للملوك ثم أقاموا يومهم وانصرفوا فاعاد

منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المقتصر الى سر من رأى وخرّب القصر فاذا
 اراد الشاعر أن يذ كر دارا في مديحه فليذ كر كما ذكر أشجع السلي حيث قال
 قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام
 وما أجاد هذا البيت بفتح شـ شعرا بحق بن ابراهيم الذي أنشده للمعتصم فانه
 لو ذكر هذا أو ماجرى مجراه لكان حسنا لاقفا (وسـ مثل) بعضهم عن أحدق
 الشعراء فقال من أجاد الابتداء والمطلع ألا ترى الى قصيدة أبي نواس التي أولها
 يادار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام
 فانهم من أشرف شعره وأعلامه منزلة وهي مع ذلك مستـ مكرهة الابتداء لانها
 في مدح الخليفة الامين وافتتاح المديح بذكر الديار وثورها بما يطير منه لاسيما
 في مشافهة الخلق والمملوك ولهذا يختار في ذكر الاماكن والمنازل ما رقى لفظه
 وحسن النطق به كالعذيب والغوير ورامة وبارق والعقيق وأشبهه ذلك
 ويختار أيضا أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأمير وفوز وما جرى هذا المجرى
 وقد عيب على الاخطل في تغزله بقذور هو اسم امرأة فانه مستقبح في الذكر وقد
 عيب على غيره التغزل باسم تماضر فانه وان لم يكن مستقبحا في معناه فانه ثقيل
 على اللسان ما قال البحري

ان لا بين منة لا تؤدى * ويداني تماضريضا

فتغزله بهذا الاسم مما يشوه رقة الغزل وينقل من خنته وأمثال هذه الاشياء يجب
 مراعاتها والتحرز منها (وقد استثنى من ذلك) ما كان اسم موضع تضمن وقعة
 من الوقائع فان ذكره لا يكره وان كان في اسم كراهة كما ذكر أبو تمام في شهره
 مواضع مكرهة الاسماء لضرورة ذكر الودع التي كانت بها كذكر الحشال
 وعقوقر وأمثالهما وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبي هنزيط وشعيب صاط وما جرى
 مجراهما وهذا العيب في ذكره لكان لضرورة التي تدعو اليه وهكذا يسامح
 الشاعر والكاتب أيضا في ذكر ما لا يذم من ذكره وان قبح ومهـ ما أمكنه من
 التورية في هذا المقام فليذكرها او ما لا يمكنه فانه معذور فيه (واعلم) أنه ليس
 من شرط الابتداء أن لا يكون مما يطير منه فقط فان من الابتداءات
 ما يستقبح وان لم يطير منه كقول أبي تمام * قبلنا ثوب أريبت في الغلواء
 وكقوله * تقي جماعتي استطارع وئبي * وكقول أبي الطيب المتنبي

أقل - فعالي بله أكثره مجد * وكقوله * كفى أراني وبك لومك ألوما * والعجب
أن هذين الشاعرين المفلقين يتبدقان بمثل ذلك ولهما من الابتدآت الحسنة
ما ذكره (أما أبو تمام) فإنه افتتح قصيدته التي مدح بها المعتصم عند فتحه
مدينة عمورية فقال

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حقه الحد بين الحد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب
وهذه الايات لها قصة وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل
النجاسة أنها لا تفتح في ذلك الوقت وأفاضوا في هذا حتى شاع وصار أحد وثة
بين الناس فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى وحمل السيف
أصدق من الكتب التي خبرت بابتداع البلاد واعتصامها ولذلك قال فيها
والعلم في شهب الأرماح لامعة * بين الخبيثين لافي السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما * صاغره من زخرف فيها ومن كذب
تخترصا وأعاديشا ملفة * ليست بنبع اذا عدت ولا غرب
وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب وكذلك قوله في أول قصيدة يدح بها
أيضا ويذكر فيها خروج بابك الخرمي عليه وظنره به وهي من أتهات شعره فقال
الحق أبلغ والسيوف عوار * فخذار من أسد العرين حذار
وكذلك قوله متغزلا

عسى وطن يدنو بهم ولعلما * وان تعتب الايام فيهم فرعما
وهذا من الاغزال الحلوة الرائقة وهو من محاسن أبي تمام المعروفة وكذلك قوله
في أول مرثية

أصم بك الناعي وان كان أسعيا * وأصبح مغنى الجود بعد ذلك بلقعا
(وأما أبو الطيب) فإنه أكثر من الابتدآت الحسنة في شعره كقوله في قصيدة
يدح بها كافورا وكان قد جرت بينه وبين ابن سيده نزعة فبدأ قصيدته بذكر
الغرض المقصود فقال

حسم الصلح ما اشتته الاعادي * وأذاعته ألسن الحساد
وهذا من بديع الابتداء ونادره وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان
ابن الشمشقيق حافا لبلقيته كما حافظنا التتيا لم يطق ذلك وولى هاربا فافتتح أبو

الطيب قصيدته يفحوى الامر فقال
 عقي اليمين على عقي الوغانم * ماذا يزيدك في اقدامك القسم
 وفي اليمين على ما أنت واعد * ما دل أنك في الميعاد متم
 (وكذلك) قوله وقد فارق سيف الدولة وسار الى مصر فجمع بين ذكر فراقه اياه
 ولقائه كافراني أول بيت من القصيدة فقال

فراق ومن فارقت غير مذم * وأتم ومن يمت خير ميم
 (ومن البديع النادر في هذا الباب) قوله متغزلا في مطلع قصيدته القافية وهي
 أتراها الكثرة العشاق * تحسب الدمع خالصة في الماتى

وله مواضع أخر كثيرة لا حاجة الى ذكرها (ومن محاسن الابتداءات) التي دلت
 على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأت في كتاب الروضة لأبي العباس
 المبرد فإنه ذكر غزوة غزاها الرشيد هرون رحمه الله في بلاد الروم وأن تقفور ملك
 الروم خضع له وبذل الجزية فلما عاد عنه واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض
 تقفور العهد فلم يجسر أحد على اعلام الرشيد كما كان هيئته في صدور الناس
 وبذل يحيى بن خالد للشعراء الاموال على أن يقولوا أشعارا في اعلامه فسلكهم
 أشفق من لقائه بمنزل ذلك الاشاعر من أهل جندة يكنى أبا محمد وكان شاعرا مفلحا
 فنظم قصيدا وأنشدها الرشيد أولها

نقض الذي أعطيت به تقفور * فعليه دائرة البوار تدور
 أبشر أمير المؤمنين فانه * فتح آتاك به الاله كبير
 تقفور أنك بين تغدران نأى * عنك الامام بل جاهل مغرور
 أظننت بين غدرت أنك مفلت * هيلتك أمك ما ظننت غرور

فلما أنهى الايات قال الرشيد أو قد فعل ثم غزا في بقية الثلج وفتح مدينة
 هرقل (وقرأت في كتاب الاغانى لأبي الفرج الاصبهاني) ما رواه من شعر سديف
 في تحريض الخليفة السفاح رحمه الله على بني أمية فقال قدم سديف من مكة
 الى الحيرة والسفاح بها ووافق قدومه جلوس السفاح للناس وكان بنو أمية
 يجلسون عنده على الكراسي تكريما لهم فلما دخل عليه سديف حبر لثامه
 وأنشده أبيتا من الشعر فاتفقت رجل من أولاد سليمان بن عبد الملك وقال
 لا آخر الى جانبه قتلنا والله العبيد فلما أنهى الايات أمر بهم السفاح فأخرجوا

من بين يديه وقتلوا عن آخرهم وكتب الى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل من وجدوه
منهم ومن الابيات

أصبح الدين ثابتاً في الاساس * باليه اليل من بنى العباس
أنت مهدي هاشم وهداها * كم أناس رجول ذبه داياس
لا تقبلن عهد شمس عناراً * واقطعن كل رقلة وغراس
أنز لوها بجيبت أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس
خوفهم أظهر التو ودفيهم * وبهم منكم كعزالمواسي
أقصهم أيها الخليفة واحسم * عندك بالسيف شافة الارجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب الهـرماس
واقدمسائي وسامسواني * قريبهم من منابر وكراسي

وهذه الابيات من فاخر الشعر ونادره اقتتاسا وابتداء وتحريراً وتالياً ولو
وصفتها من الاوصاف بما شاء الله وشاء الاسهاب والاطناب لمبايعة مقدمدار

مالها من الحسن (ومن لطيف الابدآت) ما ذكره مهيار وهو

أما وهو اعاذرة وتنصلا * لقد نقل الواثي اليها نأ محلا

سعي جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قلال

فانه أبرز الاعتذار في هيئة الغزل وأخرجته في عرض التسيب وكان وشى به
الى المدوح فافتتح قصيدته بهذا المعنى فأحسن (ومما جاء على نحو من ذلك) قول
بعض المتأخرين من العراقيين

وراءك أقوال الوشاة الفواجر * ودونك أحوال الغرام الخناصر

ولولا ولوعك بالصدما سعوا * ولولا الهوى لم أنتدب للمعادر

فسلك في هذا القول مسلك مهيار الا أنه زاد عليه زيادة حسنة وهي المعاتبة على
الاصغاء الى أقوال الوشاة والاستماع منهم وذلك من أعرب ما قيل في هذا المعنى
(ومن الحذاقة في هذا الباب) أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية
مناسبة لمعاني تلك الكتب وانما خصت الكتب السلطانية دون غيرها لان
التمام لا تصدر في غيرها فانها تكون قد تضمنت أمور الائمة بالتحديد كفتح
مقفل أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا الجرى (ووجدت أبا اسحق الصابي) على
تقدمه في فن الكتابة قد أدخل بهذا الركن الذي هو من أركان الكتابة فاذا أتى

بتحميده في كتاب من هذه الكتب لا تكون مناسبة لمعنى ذلك الكتاب وانما
 تكون في واد الكتاب في واد الا ما قل من كتبه (فما خالف فيه مطلع عناه) انه
 كتب كتابا يتضمن فتح بغداد وهزيمة الاتراك عنها وكان ذلك فتحا عظيما فابتدأ
 بالحميدة فقال الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الوحيد الفريد العلي
 الجيد الذي لا يوصف الاسباب الصفات ولا يبعث الابرغ النعوت الازلي
 بلا ابتداء الابدى بلا انتهاء القديم لا منذ امد محدود الدائم لا الى اجل
 معدود الفاعل لا من مادة استمدها ولا با لة استعملها الذي لا تدركه الاعين
 يلحظها ولا تحته الالسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا يهرمه
 الدهور بمرورها ولا تضارعه الاجسام بافطارها ولا تجانسه الصور بأعراضها
 ولا تجاربه أقدام النظر والأشكال ولا تراجمه مناكب القرناء والامثال بل
 هو الصمد الذي لا كفؤ له والقد الذي لا توأم معه والحي الذي لا تخزمه المنون
 والقيوم الذي لا تشغله الشؤون والقدير الذي لا تؤده العضلات والخبير
 الذي لا تعسه المشكلات وهذه الحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتح بها
 ولكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب
 الشامل للجويني أو كتاب الاقتصاد أو ما جرى مجراها وما أن توضع
 في صدر كتاب فتح فلا وهو وان أساء في هذا الموضع فقد أحسن في مواضع أخر
 وذلك أنه كتب كتابا عن الخليفة الطائع رحمه الله تعالى الى الاطراف عند عوده
 الى كرسى ملكه وزوال ما نزل به وبأبيه المطيع رحمه الله من فادحة الاتراك فقال
 الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبل بعد شتاته وجابر الوهن اذا ألم
 وكاشف الخطب اذا أظلم والقاضي للمسلمين بما يرضى نشرهم ويشد أزهرهم
 ويصلح ذات بينهم ويحفظ الالفه عليهم وان شابت ذلك في الاحيان شوائب من
 الحدثان فلن تتجاوز بهم الحد الذي يوقظ غافلهم وينبه ذاهلهم ثم انهم عائدون
 الى فضل ما أولاهم الله وعودهم ووثق لهم ووعدهم من ايمان سر بهم واعذاب
 شربهم واعزاز جانبهم واذلال مجانبهم واطهار دينهم على الدين كله ولو كره
 المشركون وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب وان كانت المعاني فيها مكررة
 كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب وقدمت القول فيه في باب السجع
 فليؤخذ من هناك (ومن المبادئ التي قد أخذت وصارت مزدراة) أن يقال

في أوائل التقليدات ان أحق الخدم بأن ترضى خدمة كذا وكذا وان أحق من
 قلد الاعمال من اجتمع فيه كذا وكذا فان هذا ليس من المبادئ المستحسنة ومن
 استعمله أو لافقد ضعف فككرته عن اقتراح ما يحسن استعماله من المبادئ
 والذي تبعه في ذلك امام مقلد ليس عنده قوة على أن يختار لنفسه واما جاهل
 لا يفرق بين الحسن والقبیح والبيد والردى وأهل زماننا هذا من الكتاب
 قد قصر وامبادئ تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها وان أتوا بجملة من
 التحاميد كانت مباينة لما في التقليد الذي وضعت في صدره وكذلك قد كان
 الكتاب يستعملون في التقليدات مبدأ واحد الا يتجاوزونه الى غيره وهو هذا
 ما عهد فلان الى فلان والتحميد خير ما افتتح به التقليدات وكتب الفتوح وما
 جرى مجراها وما وقد أنكرت ذلك على مستعمله في مفتتح تقليد أنشأته بولاية وال
 فقلت كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس بذى شان ولا يوضع في ميزان ولا يجتفى
 من أفنان وغاية ما يقال هذا ما عهد فلان الى فلان وتلك فاتحة لم تكن جديدة
 فتخلق بتداول الايام ولا حسنة النظم فيضاهى عنلها من ذوات النظام وهذا
 التقليد مفتتح بحمد الله الذي تكفل لحامده بالزيادة وبدأ النعمة ثم قرنها من فضله
 بالاعادة وهو الذي بلغ بنا من ما آرب الدنيا منتهى الارادة وسلم اليها مقاده فذل
 لنا بهما كل عقادة ووسد الامر منا الى أهله فاستوطأت الرعايا منه على وسادة
 ونرجوا أن يجمع لنا بين سعادة الأولى والاخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك
 السعادة ثم نصلى على نبيه محمد الذي ميزه الله على الانبياء بشرف السيادة وجعل
 انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق الايوان من آيات الولادة وعلى آله
 وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا في الاشادة وبسطت عليهم
 الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة أتابعه كذا
 وكذا ثم أنهيت التقليد الى آخره (ومن الخداقة في هذا الباب) أن يجعل الدعاء في
 أول الكتاب من السلطانيات والاخوانيات وغيرها مضمنا من المعنى ما بنى عليه
 ذلك الكتاب وهذا شئ انفردت بابتداعه وتراه كثيرا في ما أنشأته من المكتبات
 فاني توخيت فيها وقصدته (فمن ذلك) ما كتبت في الهناء بفتح وهو هذا الكتاب
 مشافه بخدمة الهناء للعجاس السامى الفلانى جدد الله له في كل يوم فتحا وبدل
 عرش كل ذى سلطان لديه صرحا وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه

يوم فمار يوم أضحي وكتب له على لسان الاسلام ولسان الايام ثناء خالدا
 ومدحا وأسكنه بعد العمر الطويل دارا لا يظمأ فيها ولا يضحى ثم أخذت بعد
 ذلك في انشاء الكتاب المتضمن ما يقتضيه معاني ذلك الفتح (ومن ذلك) ما ذكرته
 في الهناء ببولود وهو جسد الله مسرات المجلس السامى الفلانى ووصل صبروح
 هنائه بغبوقه وأمتعه بسليمة المبشر بطروقه وأبقاه حتى يستضى بنوره
 ويرى عن فوقه وسرته أبكار المعانى حتى تتخلق أعطافها بخلوقة وجعله كزراع
 أخرج شطأه فأزره فاستغلاظ فاستوى على سوقه ثم أخذت في انعام الكتاب
 بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى فتأمل ما أوردته ههنا من هذين
 المثالين وانسج على منوالهما فيما تقصده من المعانى التى تبنى عليها كتبك فان
 ذلك من دقائق هذه الصناعة (وأما فواتح الكتب التى أنشأتها) فمنها
 ما اخترعته اختراعا ولم أسبق اليه وهى عدة كثيرة وقد أوردت ههنا بعضها (ومن
 ذلك) مفتاح كتاب الى ديوان الخلافة وهو نشأت سحابة من سماء الديوان العزيز
 النبوى جعل الله الخلود لدولته وأوطانا والحدود لها أركاناً ونصب أيامها فى
 أيام الدهر أحيانا وصورها فى وجهه عينا وفى عينه انسانا ومدظلاها على الناس
 عدلا واحسانا وجمع الامم على دين طاعتها وان تفرقوا أديانا وأتانا من معجزات
 سلطانه ما لم ينزل به لغبرها سلطانا فارتاح الخادم لالتقائها وبسط يده لاستسقائها
 وقال رحمة مرسله لا تخشى رعودها ولا تخلف وعودها ومن شأنها ترويض
 الصنائع التى يبنى آثارها لانها تل التى تذوى أزهارها وقد يعبر عن الكتاب ونائله
 بالسحاب ووابله فان صدر عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه موقع
 الصواب وصدق حينئذ قول القائل ان البحر عنصر السحاب لكن فرق بين
 ما يجود بمائه وما يجود بنعمائه وبين ما يسم الارض الماحلة وبين ما يسمى
 الاقدار الخاملة وما زالت كتب الديوان العزيز تضرب اها الامثال وتصرف
 نحوها الآمال ويرى الحسد فيها حسنا وان عدت فى غيرها من سبب الاعمال
 وهذا فصل من اول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتبه الى
 بعض الاخوان وأرسلته اليه من الموصل الى أرض الشمال من بلاد الروم وهو
 طلع كوكب من أفق المجلس السامى لاخت سيادته من عدو وحاسد ولا شينت
 بتوأم يخرجها عنكم الواحد ولا عدت صحبة الجدد والمتيقظه فى

الزمن الراقد ولا أوحشت الدنيا من ذكره الخالد الذي هو عمر خالد ولا زال
 صر فوعا الى المهل الذي يعلم به أن الدهر لا بأس ناقد والكواكب تختلف مطالعها
 في الشمال والجنوب ففهما ما يطلع دائما في أحدهما وهو في الآخر دائم الغروب
 وكأب المجاس كوكب لم يربهم هذه الارض مطلععه وان علم من السماء أين موضعه
 ولما ظهر الآن للخادم سجع له حامدا وخر له ساجدا وقال قد عبدت الكواكب
 من قبلي فلا عجب أن أكون لهذا الكوكب عبدا وهما أنا قد أصبحت بالعكوف
 على عبادته مغري وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لابن أبي كبشة الشعري
 وهذا مطاع غريب والسياسة التالية لمطلععه أغرب ومن أغرب ما فيها قولي وهما أنا
 قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغري وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب
 لابن أبي كبشة الشعري والمراد بذلك أن ابن كبشة كان رجلا في الجاهلية
 يعبد الشعري فخالف بذلك دين قومه ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
 قالت قريش هذا قد خالف ديننا وموهبه ابن أبي كبشة أي أنه قد خالفنا كما خالف
 أبو كبشة قومه في عبادة الشعري فأخذت أنها هذا المعنى وأودعته كتابي هذا فجاء
 كما تراهم مبتدعا مغريبا (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبه
 الى بعض الاخوان بالشام وهو طلعت من الغرب شمس فقبل قد آذنت أشراط
 الساعة بالاقتراب ولم يهلم أن تلك الانوار انما هي أنوار الكتاب لم تألف
 الابصار من قبله أن تطلع الشمس من المغرب وليس ذلك الا كتاب المجاس لاسلبه
 الله منزية هذا الوصف الكريم واتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذي علم
 عليم وأحيى النفوس من كلمه ابروح كلمه كاشفي غليلها من أقلامه بسقيا
 الكليم ولما ورد عن الخادم صار له نهارا وأصبح الناس في الحديث به
 أطوارا والمنصف منهم يقول قد جرت الشمس الى مسمة قرها والشمس لا تجد
 فرارا وهذا الكتاب في الحسن والغراية كالذي قبله (ومن جملة الكتب المشار
 اليها) مفتتح كتاب كتبه الى بعض الاخوان وهو تاوب زور من جانب المجاس
 السامح أدنى الله داره وجعل كلماته النامة جاره وأشهد أفعال التقوى له
 وأفعال المكارم نهاره ووجهه من أعوام العمر طواله ومن أعوام العيش
 قصاره ولا أقدر السابقين الى المعالي أن يجروا معه ولا أن يشقوا غباره
 وليس ذلك الزور الا سطورا في قرطاس ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله في

ملاطفة الايناس والله لا يصغر معنى هذا الزائر و قد عزعيني برؤيته - حق لا أزال
 به قدير الناظر ومع هذا فاني عاتب لتأخره وههنا ظنة العتاب ومن تأخر عنه
 كتاب صديقه فلا بد أن يخطر له خاطر الارتباب والظنين بالموثقة لا يرى
 الاظنيننا وقد قيل انها ودبعة وقيل لا ما تجدد على الودائع أمينا وهذا فصل من
 أقل الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتبه الهى بهض
 الاخوان وهو نسخة روضة من يازب المجلس السامى جعل الله المعالى له رداء
 ونهايات المسامى له ابتداء وفداء بمن يهصر عن درجته - حق تكون الاكارم له
 فداء وهدى المحامد لافعاله وأهدى البقاء لا يامه - حق يجمع له الامر ان هدى
 واهداء وانه من السيادة ما يجعل أعداءه أصدقاء ومن السعادة ما يجعل
 أصدقاءه أعداء فاستنشق الخادم رباها وتلقى بالتحية محياها واستمتع
 بازهارها التي أنبتت سقيا الاقلام لاسقى الغمام وقال هذا ربيع الارواح لا ربيع
 الاجسام ولورام الاطاحة بوصفها كانت الاقوال المطولة فيها مختصرة
 ولكنه كتبتى بأن رفعها على رأسه - حق يتمثل أن الجنة في شجرة ومن
 أوصافها أنها جاءت رائدة ومن شأن الروض أن يرتاد وحلت محاسنها التي
 هي في غيرها من حظ البصر وفيها من حظ السمع والبصر والفؤاد ولما سرح
 فيها نظره وجد شوقه حامية تغرد في أكافها وتردد الشجى لبعده أليفها اذا
 رددته الحمام اقرب ألافها وهذا قول له عند اخوان الصفاء علامة واذا تمثل كتاب
 الحبيب روضة فهل يتمثل شوق محبه الاحمامة وأي فرق بين هذه وبين أخواتها
 من ذوات الاطواق لولا أنها تملى شجوهنا على صفحات القلوب وتلك تلميه
 على عذبات الاوراق وهذا فصل من الكتاب وهو ضرب عجيب وفيه معنيان
 مبتدغان وأعجبهما وأغربهما فولى - حق يتمثل أن الجنة في شجرة وهذا مستخرج
 من الحديث النبوى (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتبه الهى
 بهض الاخوان وهو تضوعت نعمة من تلقاء المجلس السامى رعى الله عهده
 وسقاه وصان وده ووقاه ويسرلى القاء العصا بلقاء فعطرت الطريق التي سايرتها
 والريح التي جاورتها وأنت فأفرشتها خدى وضمت عليها ودى وجعلتها
 ردا على يبي ولطمة لردنى وهما بالعقدى وعلمت أنم اليست بنفعة طبيب ولكنها
 كتاب حبيب فان مناشق الارواح غير مناشق الاجسام ولا يستوى عرف

الطيب وعرف الاقلام ثم مدت يدي الى الكتاب بعد ان صاحفت يدي موصلة كما
صاحفت عبقة منده وقلت أهلا بمن أدنى من الحبيب منارا وأهدى لعيني فترة
ولقبي قرارا وهذا في الغرابة كاخواته التي تقدمت ولم أستقص ما اخترته
من هذا الباب في مطالع الكتب (وأما ما أتيت فيه بالحسن) من المعاني والكنه
غير مخترع (فمن ذلك) مطلع كتاب كتبه عن الملك نور الدين ارسلان بن مسعود
صاحب الموصل الى الملك الافضل علي بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة أما
التعزية فبوفاة أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وأما التهنئة فبوراثة
الملك من بعده وهو لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التهنئة لك
جمعهما جعافا في جماع على حكم التثنية وفي مثل هذا الخط بطل القلم حائرا
وقد وقف موقف السخط والرضا فسخط أولا ثم رضى آخرا وهذا البيت
الناصرى يتداول درجات العلى فما تفضى الا واليه ترجع وشعوسه وأقماره
تتناقل مطالع السعد فما يغيب منها غائب الا وآخر يطلع والناس ان
يجمعوا بما جدد رده من بعده ما جدد وان قيل ان الماضي كان واحدا قبل
بل الاتي هو الواحد وهذا فصل من أول الكتاب ثم كتبت في هذا المعنى
كأين آخرين وفي الذي أوردته من هذا الفصل مقنع (ومن هذا الاسلوب)
ما كتبه الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وكانت الكتب قد انقطعت بيني
وبينه زمانا وهو لقاء كتب الاحباب كلقاء الاحباب وقد تأتى به دياس
منها في شتبه لها مع السرور بدمع الاكتئاب ومن أحسنها كتاب المجلس
السامي الفلاني جعل الله الليالي له حبا والمعاني له عقبا ورفع مجده فوق
كل ما جدد حتى تكون حسناهم لم لى حسناته ذنبا ولا زال اسمه في الافواه
عذبا وذكره في الالسنه رطبا ووده لكل انسان انسانا وكل قلب قلبا ثم
انتهيت الى آخر الكتاب على هذا النسق وانما ذكرت ههنا مبدءا له الغرض
المقصود في هذا الموضع (ومن ذلك) ما كتبه الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه
وهو البشرى تعطى للكتاب كما تعطى لمرسله وكل منهما يوفى حق قدره وينزل في
منزله وكذلك فعل انما دم بكتاب المجلس السامي الفلاني لا زال محله أنيسا وذكره
للفرقدين جليسا وسعيه على المكارم حبيسا ومجده جديد الملايس اذا كان
المجد انيسا وههنا ذكرت في هذا الكتاب كما ذكرت من الذي قبله فاني لم أذكر الا

مبدأه الذي هو الغرض (وما ينتظم في هذا السلك) ما كتبه في صدر كتاب يتضمن
 تعزية وهو لو لم يلبس قلبي ثوب الحداد لهدم دمه ونضى عنه سواده وبعد عن
 قرينه وعاد الى طينته وحرم على نفسه أن يمتطي يدا أو يجري الى مدى لكنه
 أحرق قلبه وبكى فسكب وسطر هذا الكتاب من دموعه وضممه ما حملته أحشاء
 ضلوعه وانما استعار ذلك من صاحبه الذي أعدها وأبدى اليه من حزنه
 ما أبداه وهو نائب عنه في تعزية سيدنا أحسن الله صبره ويسر أمره وأرضى عنه
 دهره ثم انتهت الكتاب الى آخره (ومن محاسن هذا الباب) أن يفتح الكتاب
 بآية من القرآن الكريم أو بخبر من الاخبار النبوية أو بيت من الشعر ثم يبي
 الكتاب عليه (فمن ذلك) ما كتبه في ابتداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو
 ومن طلب الفتح الجليل فافقا * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
 وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم وجعلنا السيف وسيلة الى استنجاج
 الملك العقيم وراية المجد لا تنصب الاعلى النصب والراحة الكبرى لا تنال
 الاعلى جسر من التعب وكأبنا هذا وقد استولى بنا على ممسكة فلانة رهي المملوكة
 التي تسمى الآمال دونها صرعى واذ قيس اليها غيرهما من المماتك كانت أصلا
 وكان غيرهما فرعا وهذا أصل من أول الكتاب (ومن ذلك) ما كتبه في بفتح
 تقليد بالحسبة وهو ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
 وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص
 دون العموم ولا يختص به الاذووالاوامر المطاعة وذووالعلوم وقرجع
 الله لنا هذين الوصفين كليهما وجعلنا من المستخافين عليهما فتبدأ أولا
 بحمده الذي هو سبب للمزيد ثم لناخذ في القيام بأمره الذي هو على كل
 نفس منه رقيب عتيد ولا ريب أن اصلاح العباد يسرى الى الارض حتى
 تزكو بطونها وتنام عيونها - بشرى في ركاب السماء كنها ومسكونها
 والامر يثبت من نمته زعماء كفت ثقل على الرقاب واذا انتشرت اطراف
 البلاد فانهم اتفقوا الى مساعدتهم مستتب مستتاب وقد اخترنا المدينة فلانة
 رجبنا في اختياره جهدا رقدت منافية خيرة الله التي اذا صدقت نيتها صادقت
 رشدا بهوانت أيها الشيخ فلان قابض يدك بقوة الى أخذ هذا الكتاب وكن
 كسنة من حسناتنا التي يرجع بها ميزان الثواب وحقق نظرا نافع فانه من نور

الله الذي ليس دونه هجاب فتأمل كيف فعلت في هذه الآية التي بنيت التقليد
عليها وهو من محاسن المبادئ والافتتاحات (وكذلك فعلت في موضع آخر)
وهو مفتتح كتاب كتيبه الى شخص كاتبه السفارة الى محمد دومه في حاجة عرضت
وهو ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا وهذا
القول تتبع آثاره وتحمل عليه أنظاره وأولى الناس بسيدنا من شاركه في الحجة
أدبه وان لم يشاركه في الحجة نسيه فان المناقب أقارب والمآثر أواصر
وليس يعرف لي فضلي ولا أدبي • الامر و كان ذا فضل و ذا أدب

ونتيجة هذه المقدمة بعث خالقه الكريم على عوارف افضاله واسمه ارضية
جاءه التي هي أكرم من ضيعة ماله ولا تجارة أربح من هذه التجارة والساعي
فيها شريك في الكسب برى من الطسارة وأما الاخبار النبوية) فيسلك بها هذا
المسلك بان يذكر الخبر في صدر الكتاب ثم يبين عليه ولتذكر منها ولو مثالا واحدا
وهو توقيع كتيبه لولد رجل من أصحاب الساطان توفى والده وتقل ما كان
باسمه اليه فقالت قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا اولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم
مات وترك ما لا فلورثته ومن ترك ديننا أو كلا أوضيا عافى وعلى وهذا خلق
من الاخلاق النبوية لا مزيد على حسنه وأسايب المكارم بأسرها ووضوعة
في ضمنه ونحن نرجو أن نمشى على اثره فنتنزل نزلة رديفه أو ان تشبهه به
فنباغ مبلغ مده أو نصيفه وقد أرانا الله ذلك في قوم صحبونا فافاهم عناهم عباغى
الانعام وأحداهم صحبة الياى والايام وتكفلنا أيتامهم من بعدهم حتى
ودوا أن يكونوا هم اليتام وهو ذافلان بن فلان رحمه الله ممن كان له في خدمة
الدولة قدم صق وأولية سبق وحفظ كتاب المحافظة عليه اقبل له في تلاوته
أقرأ وأرق ثم أنهيت التوقيع الى آخره فتأمل مفتتح هذا التوقيع فانه تضمن
نص الخبر من غير تغيير وقد ضمنته بعض خبر آخر من الاخبار النبوية وهو
قوله أقرأ وأرق قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن أقرأ وأرق
ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان نزلت عند آية تقرأها (وقدم مثلت لك)
ههنا أمثالا يقتدى بها فاحذوها واض على نهجها والله الموفق للصواب
(النوع الثالث والعشرون في التخاص والقتضاب) وهذا النوع أيضا كالذى
قبله في أنه أحد الاركان الخمسة التي تقدمت الاشارة اليها في الفصل الثاني

من مقدمة الكتاب وينبغي لك أيها المتوسخ اه هذه الضيلة أن تصرف اليه جل
 همتك فانه مهم عظيم من مهمات البلاغة (أما لتخصر) وهو أن يأخذ مؤلف
 الكلام في معنى من المعاني فيبدأ وفيه إذا أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول
 سبباً إليه فيكون بعضه آخذاً بآخر قاب بهض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف
 كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه كأنه أفرغ أفراناً وذلك مما يدل على حذق
 الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متبعاً للوزن
 والقافية فلا تواتبه الافاظ على حسب ارادته وأما الناثر فانه مطلق العنان
 يعرض حيث شاء فلذلك يشق التخصر على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر (وأما
 الاقتضاب) فانه ضد التخصر وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه
 ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة
 بالأول وهو مذهب العرب ومن يليه من من الخضرين وأما المحمدون فانهم
 تصرفوا في التخصر فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة (فمن ذلك) قول أبي تمام
 يقول في قوم سحبي وقد أخذت * من السرى وخطا المهريه القود
 أمطاع الشمس تبغى أن تؤتمينا * فقات كلارك كن مطاع الجود
 وهذا البيتان من يدبغ ما يأتي في هذا الباب ونادره وكذلك قوله أيضاً في
 وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكر الربيع وما وصفه به من الاوصاف فقال
 خلق أطل من الربيع مكانه * خلق الامام وهديه المتيسر
 في الارض من عدل الامام وجوده * ومن النبات الغض سرج تزهـر
 تنسى الرياض وما يروض جوده * أبدأ على ستر الزمان ويذكر
 وهذا من أطف التخصرات وأحسنها وكذلك قوله في قصيدته الفائية التي
 أولها * أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا * فقال فيها
 غمد أجادولى الحسن سنتها * فصاغها بيديه روضة أنفا
 يضخى العذول على تأنيبه كلفا * بعدر من كان مشعوقا بها كانا
 ودع فؤادك توديع الفراق فنا * أراه من سفر التوديع منصرفا
 تجاهد الشوق طوراً ثم تجذبه * جهاده للقوافي في أبي دافعا
 وهذا أحسن من الذي قبله وأدخل في باب الصنعة وكذلك جاء قوله
 زعت هوالك عننا الغداة كما عفت * منها طاول باللو اورسوم

قوله تبغى في الديوان تنوي وقوله تنسى الرياض الخ في الديوان تنسى الرياض وما يروض نغله * أبدأ على طوبى اللبالي يذكر

قوله أجزل في الديوان صبر وقوله ما حات في الديوان ما زالت وقوله كيف إذا لم يجعل الخ في الديوان على حاله لم يجعل الكف ساعدا

لا والذي هو عالم أن النسوى • أجزل وأن أبا الحسين كريم
ما حات عن سنن الوداد ولا غدت • نفسي على النفس والنعوم
وهذا خروج من غزل إلى مديح أفزل منه (ومن البديع في هذا الباب) قول
أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة التي أولها • أجارة بيتنا أبو بكر غير
فقال عند الخروج إلى ذكر الممدوح

تقول التي من بيننا خف مركبي • عزيز علينا أن نزال التسير
أما دون مصر للغنى متطلب • بلي أن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بواد • جرت فجري في جريهن عبر
ذريتي أكثر حاسد يك برحلة • إلى بلاد فيها الخصب أمير
ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الدالية التي
أولها • عواذل ذات الخصال في حواسد •

وأورد نفسي والمهند في يدي • موارد لا يصدرن من لا يجال
ولكن إذا لم يحمل القلب كفه • فكيف إذا لم يحمل الكف ساعدا
خليلى أنى لأرى غير شاعر • فكلم منهم الدعوى ومنى القصائد
فلا تعجبا أن السيوف كثيرة • وليكن سيف الدولة اليوم واحد
وهذا هو الكلام إلا أخذ بعضه برقاب بعض ألا ترى إلى الخروج إلى مدح
الممدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ثم أن أبا الطيب جمع بين مدح
نفسه ومدح سيف الدولة في بيت واحد وهو من بدائع المشهورة (وكذلك)
قوله أيضا وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات وهو في قصيدته الثانية التي
أولها • سرب محاسنه حرمت ذواتها • فقال في اثنتيها

ومطالب فيها الهلاك أيتها • ثبت الجنان ككأنى لم آتها
ومقانب بمناقب غادرتها • أقوات وحش كن من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد ككأنما • أيدي بنى عمران في جبهاتها
الثابتين فروسة ككأنها • في ظهرها والطمع في لباتها
فكأنها نتجت قياما فتحتم • وكانهم ولدوا على صهواتها
تلك النفوس الغالبات على العلا • والمجد يغلبها على شهواتها
سقيت منابها التي سقت الورى • يدي أبي أيوب خير نباتها

ة نظر الى هـ الذين التخلصين البديعين فالاول خرج به الى مدح قوم المدوح
والثاني خرج به الى نفس المدوح وكلاهما قد اُغرب فيه ~~ك~~ كل الاغراب
وعلى هذا جاء قوله

اذا صلت لم أترك مصالا فانك * وان قلت لم أترك مقالا لعالم
والانخافني القوار وعاقني * عن ابن عميد الله ضعف العزائم
والشعراء متفاوتون في هـ ذا الباب وقد يقصر عنه الشاعر المذاق المشهور
بالاجادة في ايراد اللفاظ واختيار المعاني كالبحرئى فان مكانه من الشعر لا يجهل
وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريبا ضروها بعيدا مكانها وكالقناة
لبنامها خشبها سنانها وهو على الحقيقة قيمة الشعراء في الاطراب وعندنا وهم
في الاغراب ومع هـ مذاقانه لم يوفق في التخلص من الغزل الى المدح بحبل اقتضبه
اقتضابا واقد - فظت شعره فلم أجده من ذلك شيئا مرضيا الا اليه - برأ قوله في
قافية الباء من قصيدة

وكذاني اذا الحوادث أظلمت منها يا بغزة ابن شهاب

وكتوله في قافية الدال من قصيدة

قصدت انجران العراق ركابنا * فظللان ازجيهما محلة ماجد

آلمت لاتلقين جدا صاعدا * في مطلب حتى تناخ بصاعد

وكتوله في قصيدته التي أولها * حلفت اهبها لله يوم التدرق * فانه تشوق فيها
الى العراق من الشام ووصف العراق ومشاره ورياضه فأحسن في ذلك
ككله ثم خرج الى مدح الفتح بن خاقان بسياقة أخذت بعضها برقاب بعض

فقال

رباع من الفتح بن خاقان لم تزل * غنى اهديم او فكا كالوثق

ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني وكذلك ورد قوله في قصيدته التي
أولها * ميلوا الى الدار من ليلى نجيها * فانه وصف البركة فأبدع في أوصافها ثم
خرج منها الى مدح الخليفة المتوكل فقال

كأنما حين بلت في تدفقها * يد الخليفة لسانا وادبها

وأحسن ما وجدته له وهو مما لطف فيه كل التلطف قوله في قصيدته التي مدح
بها ابن بسطام ومطلعها * نصيب عينك من سحر وتسهام * فقال عند تخلصه الى

المديح هل الشباب ملتم بي فراجعة • أيامه لي في أعقاب أيام
 لو أنه بابل عم — ريجاذبه • اذا طلبته عند ابن بسطام
 وهذا من الملائح في هذا الباب وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة الى كثرة شعره
 وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي ان كتاب الله خال من التلخيص وهذا
 اقول فاسد لان حقيقة التلخيص انما هي الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بالطفيفة
 فلا تم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه وفي القرآن الكريم
 مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير بالانذار والبشارة بالجنة الى
 أمر ونهي ووعود ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لنبى مرسل وملاك
 نزل الى ذم شيطان مرید وجبار عنيد بلطافة دقيقة ومعان أخذ بعضها برقاب
 بعض (فما جاء من التلخيص في القرآن الكريم) قوله تعالى واطل عليهم نبأ إبراهيم
 اذ قال لا يه وقومه ما تعبدون قوا وابعاد أصنامنا فنظن لها عاكفين قال هل
 يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آياتنا كذلك
 يفعلون قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الا قدمون فانهم صدقوا الا
 رب العالمين الذي خلقتني فهو يمدني والذي هو يطعمني ويسقني واذا مرضت
 فهو يشفين والذي عيبتني ثم يحيين والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين
 رب هب لي ~~حسبكم~~ ما رأيتني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين
 واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم
 يبعثون يوم لا يتم مع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزفت الجنة
 للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل
 ينصرونكم أو يفتخرون فككبوا فيها هم والغاوين وجنود ابليس أجمعون
 قالوا وهم فيها يحتصمون تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسوا يوم يكلم رب العالمين
 وما أضلوا الا المجرمون فمالا من شافعين ولا صديق حميم فلوا أن لا تكره فتكون
 من المؤمنين هذا كلام يسكر العقول ويسهر الالباب وفيه كفاية لطالب البلاغة
 فانه متى أنعم فيه نظره وتدبر أثناءه ومطاوى حكمته علم أن في ذلك غنى عن تصفح
 الكتب الموافقة في هذا الفن ألا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه
 مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون وقال مقتررا لسؤال مستنهم ثم أنجى على
 آلهتهم فأبطل أمرها بأنهم لا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليد آياتهم

الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد
 الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذي لا يجب العبادة الاله ولا ينبغي الرجوع
 والانابة الا اليه فهو المسئلة في نفسه دونهم بقوله فانهم عدوا لي معني اني
 فكرت في أمرى فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبتها وآثرت
 عبادة من الخير كما في يده وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظر وافية ولو
 ما نصحننا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى لهم الى القبول لقوله
 وأبعت على الاستماع منه ولو قال فانهم عدوا لكم لم يكن بتلك المثابة فتخلص عند
 تصويره المسئلة في نفسه الى ذكر الله تعالى فأجرى عليه تلك الصفات العظام من
 تفخيم شأنه وتعدد نعمه من لدن خلقه وأنشأه الى حين وفاته مع ما يربح في الآخرة
 من رحمة الله لم من ذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة واجب على الخلق
 الخضوع له والاستكانة له نظمته ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله
 بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهالاء واين لان الطالب من مولاه اذا قدم
 قبل مواله وتضرعه الاعتراف بالنعمة كان ذلك أسرع للاجابة وأنتج لمحصل
 الطلبة ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله تعالى من
 آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب في طاعته
 والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سؤالا ثانيا عند
 معاينة الجزاء وهو سؤال موجب لهم مستهزئ بهم وذكر ما يدعون اليه عند ذلك
 من الدم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتغنى العودة ليؤمنوا فانظر أيها
 المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بذهنه برقاب بعض مع احتوائه على
 ضروب من المعاني فيخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطفقة ملائمة حتى كأنه
 أفرغ في قالب واحد فخرج من ذكر الاصنام وتنفير آييه وقومه عن عبادتهم اياها
 مع ما هي فيه من التعزى عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
 ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية فمعظم شأنه وعدد نعمه
 ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه اياه وخضوعه له
 ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه فتدبر هذه التخصصات اللطيفة
 المودعة في أثناء هذا الكلام وفي القرآن مواضع كثيرة من التخصصات كالذي ورد
 في سورة الاعراف فانه ذكر فيها قصص الانبياء والامم الخالصة من آدم الى نوح

عليه ما السلام وكذلك الى قصة موسى عليه السلام حتى انتهى الى آخرها الذي هو واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتم من الرجفة قال رب لو شئت أهلكم هم من قبل واياي أتم الكتاب فعمل السفهاء من ان هي الافتتن تضل بها من تشاء وتمهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة اناهدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامني الذي يجب عليه مكاتبوا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون هذا تخلص من التخلصات الحسان فان الله تعالى ذكر الانبياء والقرون الماضية الى عهد موسى عليه السلام فلما أراد ذكر نبينا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض الا ترى أنه قال موسى عليه السلام واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة فأجيب بقوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين من حالهم كذا وكذا ومن صفتهم كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبي الامني ثم وصفه صلوات الله عليه بصفاته الى آخر الكلام وبالله العجب كيف يزعم الغامضي أن القرآن خال من التخلص ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام فانها قصة برأسها وهي مضممة شرح حاله مع اخوته من أول أمره الى آخره وفيها عدة تخلصات في الخروج من معني الى معني وكذلك الى آخرها ولو أخذت في ذكر ما في القرآن الكريم من هذا النوع لا طلت ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة (وقد جاني من التخلصات في الكلام المنثور أشياء كثيرة) وسأذكرها هنا بذة يسيرة منها (فمن ذلك) ما أوردته في كتابي الى بعض الاخوان أصف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك الى ذكر الاشواق فقلت وكما أن هذه الاوصاف في شأنها بدیعة فكذلك شوقی فی شأنه بدیع غیر أنه لحزه فصل مصیف وهذا فعل ربیع فأنا أملي أحاديثه العجيبة على النوى وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أسستغض حديث من قتله الهوى (ومن هذا الاسلوب) ما كتبه في كتابي الى بعض الاخوان أيضا وأرسلته

اليه من بلاد الروم وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لا يقبته منه ثم خرجت من ذلك الى ذكر الشوق فقلت ومما أشكوه مربر هأت الفرو لا يابس الا في شهر ناجر وهو قائم مقام الظل الذي يتبرديه من لفتح الهواجر ولفرط شدته لم أجد ما يخففه فضلا عما يذهب به فان النار المدة له تطاب من الدفء أيضا ما أطلبه لكن وجدت نار أشواق أشد حرا فاصطليت بجمرها التي لا تذكي بزناد ولا تؤل الى رماد ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأثد من حتر القواد غير أني كنت في ذلك كمن سدت خلة بجحلة واستشفى من علة به علة وأقتل ما أعلاك ماشفاك فما ظنك بمن يصطلي نار الاشواق وقد قنع من أخيه بالاوراق فضن عليه بالاوراق (ومما ينظام في هذا المقدر) ما ذكرته في مفتاح كتاب يتضمن عناية ببعض المتعلمين فاستطردت فيه المعنى الى ذكر المكتوب اليه وهو هدايا المكارم أنفس من هدايا الاموال وأبقى على تماقب الايام والليال وقد حمل هذا الكتاب منها هدية تورث حداوة ككب مجدا وهي خير ثوابا وخير مردا ولا يسير بها الا بحجة طبعت على المكارم وخلق من عنصر الديم كسجينة مولانا علاء الله علوات فخر به الارض على السماء وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ولا زالت أباديه منجولة صوب الغمام معدية على نوب الايام مغنية بشرف فضلها على شرف الاخوار والاهام وتلك الهدية هي تجريد الشفاعة في أمر فلان ومن ايمان المرء سعيه في حاجة أخيه وان لم يمس به شيء من أسباب أو أخيه فان المؤمنين اخوة وان تباينت مناسبتهم وتفاوتت مراتبهم ومن صفتهم أن يسعي بذمتهم أدناهم وخيرهم من عناهم من الامر ما عناهم ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن ذلك) ما كتبه من كتاب الى صديق استحدثت مودته وهو من أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ثم سار عني فسكنت اليه أستهديه رطبا فتأت هذه المكاتبة ناطقة بلسان الشوق الذي تزف كلمة زفيف الاوراق وتجميع جميع ذوات الاطواق وتهتف وهي مقيمة بالموصل فتسمع من هو قيم بالعراق وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد وودا استحدثت حلتها واللذة مقترنة بكل شيء جديد وأرجو أن لا يبلى قدم الايام لهذه الجدة اباسا وأن يعاذه من نظرة الجن والانس حتى لا يخشى جنة ولا باسا وقد قيل ان لاه وودات طعما كما أن لها وما وان ذال لب يصادق نفسه سابقيل أن يصادق جسمها وان لا يجد اوداة

سيدنا حلاوة يستلذ دواؤها ولا يعمل استطهاتها وقد أذكرتني الآن بحلاوة
 الرطب الذي هو من أرضها وغير عجيب لنا. بة الاشياء أن يذكر بعضها يبهضها
 الآن هذه الحلاوة تنال بالافواه وتلك تنال بالاسرار وفرق بين ما يغترس
 بالارض وما يغترس بالقلب في شرف الثمار فلا يتظر سيدنا على في هذا التمثيل
 وإنما كان ذلك تعريضا ينوب مناب التفضيل وهذا من التخصصات البدئية
 فانظر أربح المتوهم كيف سقت الكلام الى استهداء الرطب وجعلت بعضه
 آخذ برقاب بعض حتى كأنه أفرغ في قالب واحد وكذلك فليست كمن التخاص
 من معنى الى معنى وهذا القدر من الامثلة كاف للاطلاع (ومما استظرف من هذا
 لنوع في الشعر) قول ابن الزمكرم الموصل وهو

وايل كوجه البرق عيدي تمظلم • وبرد أغانيه وطول قدرونه
 - ريت ونوى فيه نوم مشرد • كعقل سليمان بن فهد ودنيه
 - على أواق فيه التفات كأنه • أبو جابر في خبطه وجنونه
 الى أن بدأ ضوء الصباح كأنه • سنارجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الايات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش ملك
 العرب وكان صاحب الموصل فاتفق أنه كان جالسا مع ندماه في ليلة من ليالي
 الشتاء وفي جاتهم هؤلاء الذين هجأهم الشاعر وكان البرقيدي مغنيا وسليمان
 ابن فهد وزيره وأبو جابر حاجبا فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجو
 لمدح كورين ويدهحه فأنشده هذه الايات ارتجلا وهي غريبة في بابها لم
 يسمع بمثلا ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها حتى رقى في معانيه المقصودة
 الى أعلى منزلة فابتدأ البيت الاقول بهجوا البرقيدي فجاءه في ضمن مراده
 ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها وهي الظلمة والبرد والطول ثم ان هذه
 الاوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له وكذلك البيت الثاني
 والثالث ثم خرج الى المديح بأطف وجه وأدق صنعة وهذا يسمى الاستطراد وما
 سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الايات (ومما يجري على هذا الاسلوب)
 ماورد لابن الجلاح البغدادي وهي آيات لطيفة جدا

ألا ياماه دجلة لست تدري • بأبي حاسد لك طول عمري
 ولو أني استطعت سكرت سكرًا • عابك فلم تكن ياماه تجري

فقال الماء ما هذا عجيب * بما استوجبته يا ليت شعري
 فقات له لانك لكل يوم * تمز على أبي الفضل بن بشر
 تراه ولا أراه وذلك شيء * يضيق عن احتمالك فيه صبري
 وما علمت معنى في هذا المقصد اللفظ ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ
 ويكنى ابن الجراح من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات ولا تظن أن هذا شيء
 انفرديه المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة وقات من تقدمهم لما عندهم من
 قشف العيش وغلظ الطبع بل قد تقدم أوائل إلى هذا الأسلوب وان أقلوا منه
 وأكثر منه المحدثون وأي حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا
 اليه وكيف لا وهم أهل علم وعلمهم أخذ (من ذلك) ما جاء للفرزدق وهو
 وركب كان الريح تطاب عندها * لها قوة من جذبه بالعصائب
 سروا يخطبون الليل وهي تلافهم * إلى شعب الاكوار من كل جانب
 اذا آنس وانارا يقولون ليها * وقد خصرت أيديهم نار غاب
 فانتظر إلى هذا الاستطراد ما أغلظه وأنغمه (واعلم) أنه قد يقصد الشاعر التخلص
 فيأتي به قبيحا كما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي أولها
 ملئت القطر أعطشها ربوعا * فقال عند الخروج من الغزل إلى المديح
 غدا بك كل خلوم - تمام * وأصبح كل مستور خابعا
 أحبك أو يقولوا جرتل * ثبير أو ابن ابراهيم ريعا
 وهذا تخلص كما تراه بارد ليس عليه من مسحة الجبال شيء وههنا يكون الاقتضاب
 أحسن من التخلص فيذني لسالك هذه الطاريز أن يتطر إلى ما يصبوغه فان واتاه
 التخلص حسنا كما ينبغي والافايدعه ولا يستكرهه - حتى يكون مثل هذا كما فعل
 أبو الطيب ولهذا انظار وأشباه وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي
 أولها * أحيا وأيسر ما قابت ما قتلا * فقال
 هل الامير يري ذلي فيشفع لي * إلى التي تركتني في الهوى مثلا
 والاضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره وما ألقاه في هذه الهوة الا أبو
 نواس فانه قال

سأذكر إلى الفضل بن يحيى بن خالد * هو الذليل الفضل يجمع بيننا
 على أن أبان نواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح لكنه أفسده ولم يأت به كما أتى به

قيس ولذلك حكاية وهو أنه لما هام بلبني في كل واحد وجن به ارق له الناس ورجوه
فسمى له ابن ابي عتيق الى أن طلقها من زوجها وأعادها الى قيس فزوجها اياه فقال
عند ذلك

جزى الرحمن أفضل ما يجازي * على الاحسان خيرا من صديق
وقد جرت اخواني جميعا * فما ألفت كإبن أبي عتيق
سعى في جمع شملى بعد صدع * ورأى حرت فيه عن طريق
وأطنى لوعة كانت بقاى * أغصتني حرارتها برقي

وبين هذا الكلام وبين كلام أبي نواس بون بعيد وقد حكى عن ابن أبي عتيق أنه
قال يا حبيبي أمسك عن هذا المديح فإيسعه أحد الاطننى قوادا (وأما
الاقتضاب) فهو الذي أشرنا اليه في صدر هذا النوع وهو قطع الكلام واستئناف
كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه (فمن ذلك) ما يقرب من التخلص وهو
فصل الخطاب والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعد لان المتكلم
يفتح كلامه في كل أمر ذي شأن يذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى
الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد (ومن
الفصل الذي هو أحسن من الوصل لفظة هذا) وهي علاقة وكيدة بين الخروج
من كلام الى كلام آخر غيره كقوله تعالى واذا كرهنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى
الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخبار واذا كرا سمعيل واليسع وهذا الكفل وكل من الاخبار هذا ذكر وان
للمتقين لحسن ماآب جنات عدن مفصلة لهم الابواب ألا ترى الى ما ذكر قبل
هذا ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره
وهو ذكر الجنة وأهلها فقال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين لحسن ماآب ثم لما تم
ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للمطاعين لشر ماآب
وذلك من فصل الخطاب الذي هو أطف موقعا من التخلص وقد وردت لفظة هذا
في الشعر الآن ورودها فيه قليل بالنسبة الى الكلام المنشور (فمن ذلك) قول
الشاعر المعروف بالخباز البلدي في قصيدة أولها * العيش غض والزمان غزير
اني ليحجبني الزمانى محبرة * ويروق لي بالجناس ثرية ذير
وأكاد من فرح السرور اذ ابدا * ضوء الصباح من الستور أطير

واذا رأيت الجوفى قضية * للغيم في جنباتها كـبير
 منقوشة صدر البراة كأنه * في رोज قد زانه بلور
 نادى بي اللذات ويحك فانهز * فرض المنى يا أيها المغرور
 مل بي الى جور السقاء فاني * أهوى سقاء الكاس حين تجور
 هذا وكلى بالحنينة سكرة * أنا من بقايا شربها مخـور
 باكرتها وغصونها مغـرورة * والماء بين مرورها مـذهور
 في ستة أنا والنديم وقينة * والكاس والمزمار والطنبور

هذه الايات حسنة وخروجها من شدة هذا الرجل الخباز عجيب ولوجاهت
 في شعر أبي نواس لانت ديوانه * والاقضاب الوارد في الشعر كثير لا يحصى
 والتخلص بالنسبة اليه قطرة من بحر ولا يكاد يوجد التخلص في شعر الشاعر المجيد
 الا قليلا بالنسبة الى المقتضب من شعره (فن الاقضاء) قول أبي نواس
 في قصيدته النونية التي أولها يا كثير النوح في الدمن * وهذه القصيدة هي عين
 شعره والملاحمة لاهيون وهي تنزل منه منزلة الالف لانه نزل النون الا أنه لم
 يكمل حسنها بالتخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضابا فيينا هو يصف
 الخمر ويقول فاسقني كأسا على عدل * كرهت مسموعه أذني
 من كبت اللون صافية * خير ما سلسلت في بدني
 ما استقرت في فؤادتي * فدرى ما لوعة الحزن
 حتى قال تفحك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن
 سن للناس الندي فندوا * فكأن الخجل لم يكن

فأكثر مدائح أبي نواس ممتضية هكذا والتخلص غير مكر في كل الاحوال وهو
 من مستصحيات علم البيان (ومن هذا الباب) الذي نحن بصدد ذكره قول
 البصري في قصيدته المشهورة بالجوذة التي مدح بها الفتح بن خاقان وذكر اقامه
 الاسد وقتله اياه وأولها أجدك ما ينقك يسرى زينبا * وهي من أتهات شعره
 ومع ذلك لم يوفق فيها للتخلص من الغزل الى المديح فانه بينما هو في تغزله وهو يقول
 عهدتك ان منيت منيت موعدا * جهاما وان أبرقت أبرقت خلبا
 وكنت أرى أن الصدود الذي مضى * دلال فما ان كان الاتجنيا
 فوا أسفا حننا أسقل مانعا * وآمن خوافا وأعب متذنيا

حتى قال في اثر ذلك

أقول لركب معنفين تدرّ عوا • على جهل قطعاً من الليل غمها
ردوانا بل الفتح بن خاقان انه • أعتم تدي فيكم وأيسر مطلباً
نخرج الى المديح بغير وصله ولا سبب وكذلك قوله في قصيدته المشهورة بالجودة
التي مدح بها الفتح بن خاقان أيضاً وذكر نجاته عند انخساف الجسريه وقد أغرب
فيها كل الاغراب وأحسن كل الاحسان وأولها • متى لاح برق أوبدا طلال قفر
فبيناهو في غزلها حتى قال

أعمر كما الدنيا بنا قصة الجدى • اذ ابقى الفتح بن خاقان والقطر

نخرج الى المديح مقابلة لامتعاقيه وأمثال هذا في شعره كثيره (النوع الرابع
والعشرون في التناسب بين المعاني) • وينقسم الى ثلاثة أقسام (القسم الاول
في المطابقة) وهذا النوع يسمى البديع أيضاً وهو في المعاني ضد التجنيس
في الالفاظ لان التجنيس هو أن يهد اللفظ مع اختلاف المعنى وهذا هو أن يكون
المعنيان ضدتين وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام
هي الجمع بين الشيء وضده كالأسود والبياض والليل والنهار وخالفهم
في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة يراد لفظين متساويين في البناء
والصيغة مختلفين في المعنى وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء
لا مشاحة فيها الا اذا كانت مشتقة ولنتظر نحن في ذلك وهو أن نكشف
عن أصل المطابقة في وضع اللغة وقد وجدنا الطباقي في اللغة من طابق البعير
في سيره اذا وضع رجله موضع يده وهذا يؤيد ما ذكره قدامة لان البدع غير الرجل
لاضدتها والموضع الذي يقعان فيه واحد وكذلك المعنيان يكونان مختلفين
واللفظ الذي يجمعهما واحد قدامة سمي هذا النوع من الكلام مطابقا حيث
كان الاسم مشتقا مما سمي به وذلك مناسب وواقع في موقعه الا أنه جعل للتجنيس
اسما آخر وهو المطابقة ولا بأس به الا ان كان مثله بالضدين كالأسود والبياض
فانه يكون قد خالف الأصل الذي أصله بالمثال الذي مثله واتاغيره من أرباب
هذه الصناعة فانهم سمو هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق
ولامناسبة بينه وبين معناه هذا الظاهر لنا من هذا القول الا أن يكونوا قد علموا
لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن ولترجع الى ذكر هذا القسم من التأليف وایضاح

النوع الرابع

حقيقته فنقول الالقي من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة لأنه لا يخلو
الحال فيه من وجهين أما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده وليس أما
وجه ثالث (فأما الأول) وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى
مجراهما فإنه يتقسم قسمين أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى والآخر مقابلة في
المعنى دون اللفظ (أما المتابعة في اللفظ والمعنى) نكح قوله تعالى فليضضكوا قليلا
وايبكوا كثيرا فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير وكذلك قوله تعالى
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهذا من أحسن ما يعنى في هذا
الباب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير المال عين ساهرة لعين نائمة (ومن
الحسن المطبوع الذي ليس ينسكف) قول علي رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه
إن الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى وأنت رجل إن صدقت سقطت وإن
كذبت رضيت فقابل الحق بالباطل والثقل بالمرى بالخفيف الوبي والصدق
بالكذب والسخط بالرضا وهذه خمس مقابلات في هذه الكلمات القصار
وكذلك ورد قوله رضي الله عنه لما قال الخوارج لا حكم الا لله تعالى هذه كلمة حق
أريد بها باطل (وقال الخجاج بن يوسف لسعيد بن جبير رضي الله عنه) وقد أحضره
بين يديه ليقته فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال بل أنت شقي بن كبير وقد
كان الخجاج من الفصحاء المدرودين وفي كلامه هذا مطابقة حسنة فإنه نقل
الاسمين الى ضدهما فقال في سعيد بن جبير وفي جبير كبير وهذا النوع من الكلام
لم يختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات (ومما وجدته في لغة الفرس) انه
لما مات قباد أحد ملوكهم قال وزيره - تركابسكونه وأول كتاب الفصول لا بقراط
في الطب قوله العمرة قصير والصناعة طويلة وهذا الكتاب على لغة اليونان
(ومن كلامي في هذا الباب) ما كتبت في صدر مكتوب الى بعض الاخوان وهو
صدر هذا الكتاب عن قلب مقيم وجسد سائر وصبر مليم وجزع عاذر وخاطر
أدهشته لوعة الفراق فليس بخاطر (وكذلك) كتبت الى بعض الاخوان أيضا
فقلت صدر هذا الكتاب عن قلب مأنوس باقائه وطرف مستوحش لفراقه
فهذا مرقع بكآبة اظلامه وهذا تمتنع بهجة اشراقه غير أن لقاء القلوب لقاء
عنيت بعثله خواطر الافكار وتتناجى به من وراء الاستار وذلك أخو الطيف
الملم في المنام الذي يعوقه بلقاء الارواح على لقاء الاجسام (ومن هذا النوع)

ما ذكرته في كتاب أصناف المساءير من دمشق الى الموصل على طريق المناظر
قلت من جلته ثم نزلت أرض النابور فغربت الارواح وشرقت الجسوم
يحل الاعدام من المسار والانزال من الهوم وطالبتني النفس بالعود والقدرة
فلسة واويت الى نخل الآمال والآمال مشمسة (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة
كتاب الى بعض الاخوان وعرضت فيه بذكر جماعة من أهل الادب فقلت وهم
مسؤلون أن لا ينو في نادى فضلهم الذي هو منبع الآمال وماتقط اللآل
نوجوه الفاظه مشرقة بأيدي الاقلام المتسودة وقلوب معانيه مستقبطة
نار الخواطر المتوقدة والواغل اليه يسكر من خمره التي تنبسه العقول من
اغنائها ولا يشربها أحد غيرا كفاؤها وهذه الفصول المذكورة لا خفاء بما
ضمنته من محاسن المقابلة (ومما ورد) من هذا النوع شعر اقول جرير
وأعور من تبهان أمانهاره * فاعنى وأماليله قبصير
وهكذا ورد قول الفرزدق

فبح الاله بنى ككليب انهم • لا يغدرون ولا يفون بجبار
يستيقظون الى نبيق حمارهم • وتنام أعينهم عن الاوتار
فقابل بين الغدر والوفاء وبين التيقظ والنوم وفي البيت الاول معنى يسأل عنه
وكذلك ورد قول بعضهم
فلا الجود يفي المال والجدم قبل • ولا البخل يبيق المال والجدم دبر
وقد أكثر أبو تمام من هذا في شعره فأحسن في موضع وأساء في موضع فن احسانه
قوله ما ان ترى الاحباب يضاوضا • الابحيت ترى المنايا سودا
وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا
سوف على أولى الزمان وانما • خلق المناسب ما يكون جديدا
وعلى هذا النهج ورد قوله

اذا كانت النعمى سلوبا من امرئ • غدت من خالجي كفه وهو منبع
وان عثرت ييض اليبالى وسودها • بوحدته أفتيتها وهى مجمع
ويوم يظلل العز يحفظ وسطه • بسمرا العوالى والنفوس تضيع
مصيف من الهيجاء ومن حاجم الوغى • ولكنسه من وابل الدم صربع
(ومن هذا الاسلوب) قوله أيضا

تقرب الشقة القصوى اذا أخذت • سلاحها وهو الارقال والربل
 اذا تطلت من أرض فصارت بها • وكانت هي العزلا أنتم اذا نل
 أرضيانتك ما أرغمت آنفها • والهاديانك وهي الشرذ الضلال
 وعلى هذا النحو ورد قوله

وناضرة الصبا حين اسبكرت • طلاع المرط والدرع الندى
 تشكي الاين من نصف سريع • اذا قامت ومن نصف بطى
 وقد جاء لابي نواس ذلك فقال

أقلق قد ندمت على الذنوب • وبالأقرار عدت من الجحود
 أنا استهديت عفوك من قريب • كما استعفيت سخطك من بعيد
 فقابل بين الاضداد من الجحود والقرار والعفو والسخط والقرب والبعد وعلى
 نحو من ذلك ورد قول علي بن جبلة في أبي دافع العجل وهو
 أيم المهير ونكاح الایم • يومك يوم أبوس وأنعم • وجع مجد وندي مقسم
 وكذلك قوله أيضا

هو الامل المبسوط والاجل الذي • يترعى ايامه الدهر أو يحالو
 ولا تحسن الايام تفعل فعله • وان كان في تصرفها النقض والفعل
 فحش واحدا أما الشراء فلم • مباح وأما الجار فهو وحى بسـل
 ومما جاء من هذا القسم قول البحتری

أحسن الله في ثوابك عن ثغره ضاع أحسنت فيه البلاء
 كان مستضعفا فعز و محرو • ما فأجدى وظلما فأضاه
 ومن أحسن ما ورد له في هذا الباب قوله

أشكو اليك أنا ملاما تنطوي • بخلا واملقاته صفةها اليد
 أرضيهم قولاً ولا يرضوني • فعلا وتلك قضية لا تقصد
 فأذتم مني ما يذم ورجعا • ساحتهم فخدمت ما لا يحمد
 وعلى هذا النهج ورد قوله

وتوقى منك الاساءة جاهدا • والعدل أن أوقع الاحسانا
 وكما يسرك اين مسمى راضيا • فكذلك فاخش خشوتني غضبانا
 (وأما أبو الطيب المتنبي) فإنه استعمل هذا النوع قليلا في شعره فمن ذلك قوله

تقال اذا لا قوا خفاف اذا دعوا • كثيرا اذا شدوا قليل اذا اعدوا
وكذلك قوله الى رب مال كليات شمله • تجمع في تشبته للعلاجل
(ومما) استعذبتهم من قوله في هذا الباب

كانت سهام الليل يعشق مقلتي • فبينهما في كل هجر لنا وصل
(ومما) جاء من هذا الباب

لما اعتنقنا للوداع وأعربت • عبرتنا عنا بدمع ناطق

فترقن بين معابر ومحابر • وجهن بين بنفسج وشقائق

وهذا تحتها • معنى يسئل عنه غير المقابلة • وذهب بعض أهل العلم الى أن
المراد بالبنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخذ المرأة لان من العادة ان يشبه
العارض بالبنفسج وهذا قول غير سائغ لان العارض انما يشبه بالبنفسج عند اول
ظهوره فاذا طر وتظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شبه بالبنفسج لانه يكون
بين الاخضر والاسود وليس في الشعر ما يدل على أن المودع كان شابا قد طر
عارضه والذي يقتضيه المعنى أن المرأة قامت للوداع فزقت خاها واطمت
خدها فجمعت بين أثر اللطم وهو شبيه بالبنفسج وبين لون الخد وهو شبيه الشقائق
ونزقت بين خاها وبين وجهها بالتمزيق ولها وجه وجدة على الوداع هذا هو معنى
البيت لا ما ذهب اليه هذا الرجل (واما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الاضداد
فما جاء منه قول المقنع الكندي) من شعراء الحماسة

اهم جل مالي ان تتابع لي غني • وان قل مالي لم أكفه ورقدنا

فقوله تتابع لي غني بمعنى قوله كثر مالي فهو اذا مقابلة من جهة المعنى لامن جهة
اللفظ لان حقيقة الاضداد الانظمية انما هي في المفردات من الالفاظ نحو قام
وقعد وحل وعقد وحل وكثرتان القيام ضد القه ودوالحل ضد القه والقليل
ضد الكثير فاذا ترك المفرد من الالفاظ وتوصل الى مقابله بافظ مركب كان ذلك
مقابله من جهة المعنى لامن جهة اللفظ كقول هذا الشاعر تتابع لي غني في معنى
كثرت مالي وهذه مقابلة معنوية لانظمية فاعرف ذلك (واما مقابلة الشيء بما ليس
بضده فهي ضربان) أحدهما أن لا يكون مثلا والاخر أن يكون مثلا
(فما ضرب الاقل) يتفرع الى فرعين (الاول) ما كان بين المقابل والمقابل نوع
مناسبة وتقارب كقول قريظ بن أئيف

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن أساء أهل السوء أحسانا
 فتقابل الظلم بالمغفرة وليس ضدها وانما هو ضد العدل لأنه لما كانت المغفرة
 قريبة من العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وعلى هذا جاء قوله تعالى أشداء
 على الكفار رحماء بينهم فان الرحمة ليست ضد الشدة وانما ضد الشدة اللين
 لأنه لما كانت الرحمة من مسيئات اللين حسنت المقابلة بينها وبين الشدة وكذلك
 ورد قوله تعالى ان تصيبك حسنة فاعلم ان تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا
 أمرا من قبل فان المصيبة سيئة لأن كل مصيبة سيئة وليس كل سيئة مصيبة
 فالتقابل ههنا من جهة العام والخاص (الفرع الثاني) ما كان بين المقابل
 والمقابل به بعد وذلك كما لا يحسن استعماله كقول أم المخنف وهو سعد بن قرظ
 وقد تزوج امرأة كانت نهمته عنها فتألت من آيات تذكها فيها

تربص بها الايام على صروفها * سترحى بها في جاحم متعمر
 فكلم من كريم قدمناه الله * بدمومة الاخلاق واسعة الحر

فقولها بدمومة الاخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة بل الاولى
 أن كانت قالت بضيقه الاخلاق واسعة الحر حتى تصح المقابلة وهذا مما يدل على
 ان العربي غير مهتم الى استعمال ذلك بدمومة وانما يجي له منه ما يجي بطبعه
 لا يتكلفه وإذا أخطأ فانه لا يعلم الخطأ ولا يشعر به والدليل على ذلك أنه لو أبدلت
 لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة وانما يعذر من يعذر
 في ترك المقابلة في مثل هذا المقام اذا كان الوزن لا يواتيه (وأما المحدثون
 من الشعراء) فانهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه لاجرم أنهم أشد
 ملامة من العرب (فمن ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

لمن يطلب الدنيا اذا لم يرد بها * سرور محب أو مساءة مجرم

فان المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض لا بين المحب والمجرم ولا بين متوسطة
 أيضا حتى يقرب الحال فيها وانما هي بعيدة فانه ليس كل من أجرم اليك كان
 مبغضا لك (ومما يتصل به هذا الضرب) ضرب من الكلام يسمى المواخاة بين
 المعاني والمواخاة بين المياني وكان ينبغي أن نعقد له بابا منفردا للكلام رأينا
 يتطرق الى التقابل من وجه وصلة انما به (أما المواخاة بين المعاني) فهو أن يذكر
 المعنى مع أخيه لامع الاجنبي مثاله أن تذكر وصفنا من الاوصاف وتقرنه بما

بقرب منه ويلتزم به فان ذكرته مع ما يبعد عنه كان ذلك قد حاق بالصناعة
وان كان جائزا (فمن ذلك) قول الكميت

أم هل طعائن بالعليا رافعة • وان تكامل فيها الدل والشب

ان الدل يذكر مع الغنج وما أشبهه والشب يذكر مع اللعس وما أشبهه وهذا
وضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا وهو مظنة الغلط لانه يحتاج الى نائب
فكرة وحذق بحيث توضع المعاني مع أخواتها لا مع الاجنبي منها (وقرأت
في كتاب الاغانى لابي الريح) انه اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة فأنشد
الكميت أم هل طعائن البيت فعد نصيب واحدة فقال له الكميت ماذا تخصني
قال خطأ فانك تباعدت في القول أين الدل من الشب ألا قلت كما قال ذو الرمة

لباء في شفتيها - وتلعس • وفي اللثات وفي أنيابها شب

و آيت أبانواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الديك

له اعتدال واتصاب قد • وجلده يشبه وثى البرد

كانها الهداب في القرن • محدودب الظهر كريم الجذ

فانه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجذ وهذا لا يناسب هذا لأن الظهر من جملة الخلق
والجذ من النسب وكان ينبغى أن يذكر مع الظهر ما يقرب منه ويواخيه أيضا
وكذلك أخطأ أبانواس في قوله

وقد حلفت يمينا • مبرورة لا تكذب • برب زعزم والحوض والصفاء والمحصب

فان ذكر الحوض مع زعزم والصفاء والمحصب غير مناسب وانما يذكر الحوض

مع الصراط والميزان وما جرى مجراهما وأما زعزم والصفاء والمحصب فيذكر

معها الركن والحطيم وما جرى مجراهما (وعلى هذا الايلوت) ورد قوله أيضا

أحسن من منزل بذي قار • منزل نخارة ونخار

وشم ريحانة ورجسة • أحسن من أيتق بأكوار

فالبيت الثاني لا مقارنة بين صدره وعجزه وأين شم الريحان من الايتق بالاكوار

وكان ينبغى له أن يقول شم الريحان أحسن من شم الشيخ والقيصوم وركوب

الفتيات الرود أحسن من ركوب الايتق بالاكوار وكل هذا لا يتفطن لوضعه

في مواضعه في كل الاوقات وقد كان يغاب على السهوف في بعض الاحوال حتى

أسلمت هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها وأقاربها ثم انى كنت

أما قل ما صنعته بعد حين فأصلح ما سموت عنه (وأما المرواحاة بين المباني) فإنه يتعلق بمباني الالفاظ (فمن ذلك) قول أبي تمام في وصف الرماح

مشققات سلين العرب سمرتها * والروم زرقتها والعاشق القضا

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الافراد غير أن فيه نظرا وهو قوله العرب والروم ثم قال العاشق ولو صح أن يقول العاشق لكان أحسن إذ كانت الاوصاف تجري على واحد ~~وصح~~ كذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال القضا وكان ينبغي أن يقول قضاها وأودقتها (وعلى هذا) ورد قول مسلم بن الوليد

تفضت بك الاحلاس تفض اقامة * واسترجعت نزاعها الامصار

فاذهب كما ذهبت غواصي منته * ينثني عليها السهل والاعوار

والاحسن أن يقال السهل والوعر أو السهول والاعوار ليكون البناء اللفظي واحدا أي أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع أو الافراد ولا يكون أحدهما مجموعا والآخر مفردا وكذلك ورد قول أبي نواس في الخمر صفراء مجدها صرازيها * جئت عن النظراء والمثل

لجمع وأفرد في معنى واحد وهو أنه قال النظراء مجموعا ثم قال المثل مفردا وكان الاحسن أن يقول النظير والمثل أو النظراء والامثال وعلى ذلك ورد قوله أيضا والانكار يتوجه فيه أكثر من الاول وهو

الايابن الذين فنوا فاقوا * أما والله ما ما نوال تبتقي

ومالك فاعلمن فيهما مقام * اذا استكملت آجالا ورزقا

وموضع الانكار هنا أنه قال آجالا ورزقا وكان ينبغي أن يقول أرزاقا وأن يقول آجالا ورزقا وقد زاده انكارا أنه جمع الاجل فقال آجالا والانسان ليس له الا أجل واحد ولو قال آجالا وأرزاقا لما عيب لان الاجل واحد والارزاق كثيرة لاختلاف ضروريتها وأجناسها وإذا أنصفتنا في هذا الموضع وجدنا النثر مطالب بابه دون الناظم لكان امكانه من التصرف (وقد كنت) أرى هذا الضرب من الكلام واجبا في الاستعمال وأنه لا يحسن المحيد عنه حتى ترين في القرآن الكريم ما يخالفه كقوله تعالى في سورة النحل أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفقا بظلاله عن اليمين والشمال ولو كان الاحسن لزوم البناء اللفظي على سبيل واحد بل جمع اليمين كما جمع الشمال أو أفرد الشمال كما أفرد

المبين وكذلك ورد قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وأبصارهم
 وأبصارهم وأولئك هم الفاسقون فجمع القلوب والأبصار وأورد السمع
 وكذلك ورد قوله تعالى حتى إذا ما جاؤوها شهدها عليهم سمعهم وأبصارهم وولودهم
 فذكر السمع بلافظ الافراد وذكر الابصار والولود باقظ الجمع وفي القرآن الكريم
 مواضع كثيرة هكذا ولو كان هذا معتبرا في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى
 الذي هو أفصح من كل كلام والاخذ في مقام الفصاحة والبلاغة انما يكون
 منه والمعول عليه وما ينبغي أن يقاس على هذا قوله تعالى وأوحينا إلى موسى
 وأخيه أن تبوأ القوم كتابا بصريونا وواجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة
 وبشر المؤمنين وربما قيل ان هذه الآية اشتملت على تثنية وجمع وافراد
 وطلق أنها من هذا الباب وليس كذلك لانها اشتملت على خطاب موسى
 وهرون عليهم السلام أولا في اتخاذ المساجد لقومهما ثم نفي الخطاب لهما
 ولقومهما جميعا ثم أفرد موسى عليه السلام ببشارة المؤمنين لانه صاحب
 الرسالة (الضرب الثاني في مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع الى فرعين أحدهما)
 مقابلة المفرد بالمفرد (والآخر) مقابلة الجملة بالجملة (الفرع الاول) كقوله تعالى
 نسوا الله فنسيهم وكقوله تعالى ومكروا مكروا مكروا مكروا وقد روي هذا
 الموضع في القرآن الكريم كثيرا فاذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج
 الى جواب كان جوابه مما لا كقوله تعالى من كفر فعليه كفره وكقوله تعالى
 وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا هو الاحسن والافلوقيل من كفر فعليه ذنبه
 كان ذلك جائزا لکن الاحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى وعليه مدار
 الاستعمال وهذا الحكم يجري في النظم والنثر من الإيجاع والايات الشعرية
 فأما ان كان ذلك غير جواب فانه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية الا ترى أنه
 قد قوبلت الكلمة بكلمة هي في معناها وان لم تكن مساوية لها في اللفظ وهذا يقع
 في الالفاظ المترادفة ولذا يستعمل ذلك في الموضع الذي ترد فيه الكلمة غير
 جواب (فما جاء منه) قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون
 ولو كان لا تورد الكلمة الامثلا قبل وهو أعلم بما عملون وكذلك قوله تعالى
 وهل أتاك نيا الطهم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففرع منهم قالوا
 لا تخف خصمان بنى بعضنا على بعض فقال لا تخف بعد قوله ففرع ولما كان هذا

في معنى هذا قول أحدهما بالآخر ولم يقابل اللفظ بنفسه وكذلك جاء قوله تعالى وأن سألهم ليقولوا إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فذكر الاستهزاء الذي هو في معنى الخوض واللعب وقابل به الخوض واللعب ولو ذكره على حد المماثلة والمساواة لقال أفى الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلهبون (فان قيل) انك قد احتجبت بالقرآن الكريم فيما ذكرته وزى قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها لم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها (الجواب عن ذلك) أني أقول أردت أن تنقض على ما ذكرته فلم تنقضه ولكنك شيدته والذي ذكرته هو دليل على لاك الأثرى أنه لا فرق بين قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها أو يزرقره جزاء سيئة سيئة مثلها إذا المعنى واحد لا يختلف ولو جاء موضوع عن السيئة لفظة أخرى في معناه كما لاذى والسوء أو ما جرى مجراه ما لصح لك ما ذهبت إليه وقد ذهب بعض المتصدين في علم البيان أنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام وان لم يكن جوابا كما لاذى تقدم فينبغي أن تعاد به في آخره ومعنى عدل عن ذلك كان معينا ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب المتنبي فقال ان أباتم أخطأ في قوله

بسط الرجا لنا برغم نواب * كثرتهن مصارع الآمال

فحيث ذكر الرجا في صدر البيت فكان ينبغي أن يعيد ذكره أيضا في عجزه أو كان ذكر الآمال في صدر البيت وعجزه وكذلك أخطأ أبو الطيب المتنبي في قوله
انى لا علم واللييب خبير * ان الحياة وان حرمست غرور

فانه قال انى لا علم واللييب خبير وكان ينبغي أن يقول انى لا علم واللييب ايم ليكون ذلك تقابلا صحيحا وهذا الذى ذكره هذا الرجل ايم بشئ بل المعتمد عليه في هذا الباب أنه إذا كانت اللفظة في معنى أختها جازا استعمالها في المقابلة بينهما والدليل على ذلك ما تقدمنا من آيات القرآن الكريم وكفى به دايلا وهذه الرموز التي هي أسرار الكلام لا يتفطن لاستعمالها إلا أحد درجلين أحما فقيه في علم البيان قد مارسه وألمشقوق اللسان في الفصاحة قد خلق عارفا بلطائفها مستغنيا عن مطالعة صحائفها وهذا لا يكون الا عروى الفطرية يقول ما يقوله طبعها على أنه لا يستدنى جميع أقواله ما لم تكن معرفته الفطرية موزوجة بمرفته العرفية

(الفرع الثاني في مقابلة الجملة بالجملة) اعلم أنه اذا كانت الجملة من الكلام
 مستقبلة قوبلت بمستقبلة وان كانت ماضية قوبلت بماضية وربما قوبلت
 الماضية بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية اذا كانت احدهما في معنى الاخرى
 (فن ذلك) قوله تعالى قل ان ضللت فاعلم ان ضل على نفسي وان اهتديت
 فبما يوحى الي ربي فان هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ
 لقال وان اهتديت فاعلم اهتديها وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى
 هو ان النفس كل ما عليها فهو بها اعنى أن كل ما هو وبال عليها وشار لها فهو
 بسببها ومنها لانها الامارة بالسوء وكل ما هو راعا عما يتقها فهم - دابة ربه او توفيقه
 اياها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يند
 ذلك الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحت مع عاؤه وسداد طريقته كان غيره
 أولى به (ومن هذا الضرب) قوله تعالى ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكسوا فيه والنهار
 مبصرا فانه لم يراع التقابل في قوله ليكسوا فيه وبصرا لان القياس يقتضى
 أن يكون والنهار تبصر وافية وانما هو مراعى من جهة المعنى لان
 جهة اللفظ وهذا النظم المطبوع غير المتكاف لان معنى قوله مبصر التبصروا
 فيه طرق القلب في الحاجات (واعلم) أن في تقابل المعاني بابا عجيب الامر
 يحتاج الى فضل تأمل وزيادة نظره وهو يختص بالقواصل من الكلام المنثور
 وبالايجاز من الابيات الشعرية (فاما جاء من ذلك) قوله تعالى في ذم المنافقين
 واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون
 ولكن لا يشعرون وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن
 كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون الا ترى كيف فصل
 الآية الاخرى يعلمون والآية التي قبلها يشعرون وانما فصل ذلك لان امر
 الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر
 واستدلال حتى يكسب الناظر العلم والمعرفة بذلك وأما التناقض وما فيه من
 البغي المؤدى الى الفتنة والفساد في الارض فأمر دينوى مبقى على العادات
 معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التحارب والتغاور فهو
 كالمجوس عندهم فلذلك قال فيه يشعرون وأيضا فانه لما ذكر الله
 في الآية الاخيرة رهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقا فقال لا يعلمون وآيات

القرآن جميعها فصارت هكذا كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح
 الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير وكقوله له ما في السموات وما في الأرض
 وإن الله لَهُ والغنى الحميد وكقوله ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري
 في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف
 رحيم فإنه إنما فصلت الآية الأولى بلطيف خبير لأن ذلك في موضع الرحمة نطقه
 بإنزال الغيث وغيره وأما الآية الثانية فأنما فصلت بغنى حميد لأنه قال له
 ما في السموات وما في الأرض له الحاجة بل هو غنى عنها جواديبها لأنه ليس
 كل غنى نافعاً بغناه إلا إذا كان جواديبه من نعمه وإذا جاد وأنعم حده المنعم عليه
 واستحق عليه الحمد فذكر الحميد ليبدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه وأما
 الآية الثالثة فأنما فصلت برؤف رحيم لأنه لما عد دلالة ما أنعم به عليهم من
 تسخير ما في الأرض لهم وإجراء الفلك في البحر بهم وتسييرهم في ذلك الهول
 العظيم وخلقهم السما فوقهم وأمسكها كما يراها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك
 بقوله رؤف رحيم أي إن هذا الفعل فعل رؤف بكم رحيم لكم (واعلم)
 أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه كلما توجد هذه الملائمة والمناسبة في كلام ناظم
 أو ناثر ومن الآيات ما يشك كل فاصلة فيحتاج إلى فكرة وتأمل كقوله تعالى
 والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادا إلا أنفسهم فشهادة أحدهم
 أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من
 الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين
 والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم
 ورحمته وأن الله تواب حكيم فإنه قد وردت الفاصلة في غير هذا الموضع
 بتوابع رحيم وينطق النطق أن هذا كذلك ويقول إن التوبة مع الرحمة
 لا مع الحكمة وليس كما ينطق بل الفاصلة بتوابع حكيم أولى من توابع رحيم لأن
 الله عز وجل حكيم بالتسلا عن على الصورة التي أمر بها وأراد بذلك ستر هذه
 الفاحشة على عباده وذلك حكمة منه فقصلت الآية الواردة في آخر الآيات
 بتوابع حكيم فجاء فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين
 الحكمة في سترها على تلك الصورة وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه
 نفعا ولا أعظم فائدة (ومما جاء من هذا الباب) قول أبي الطيب المتنبي

وقفت وما في الموت شك لو اوقف * كأنك في جفن الردى وهونانم
 تمزيبك الابطال كلى هزيمة * ووجهك وضاح وثغر لك باسم
 وقد أخذ على ذلك وقيل لو جعل آخر البيت الاول آخر البيت الثاني وآخر
 البيت الثاني آخر البيت الاول لكان أولى ولذلك حكاية وهي أنه لما استنشد
 سيف الدولة يوماً قصيدته التي أولها * على قدر أهل العزم تأتي العزائم * فلما بلغ
 إلى هذين البيتين قال قد اتت قد اتت معاً عليك كما اتت قد على امرئ القيس قوله
 كأننى لم أركب جواد اللذة * ولم اتبطن كعباً ذات خطنال
 ولم أسبال زق الروى ولم أقل * نليلي كترى كتره بعد اجفانال
 فبيتاك لم يلتئم شماراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس وكان ينبغي لك أن تقول
 وقفت وما في الموت شك لو اوقف * ووجهك وضاح وثغر لك باسم
 تمزيبك الابطال كلى هزيمة * كأنك في جفن الردى وهونانم
 فقال المنبى ان صبح أن الذى استدرك على امرئ القيس هذا أعلم بالبحر منه
 فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلم البراز كما يعلمه
 الحائك لأن البراز يعرف بجلته والحائك يعرف تفاصيله وانما قرن امرؤ القيس
 النساء بلذة الكوب للصد يد وقرن السماء بسبب انجر للاضـياف بالشجاعة
 في منازلة الاعداء وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الاول أتبعته
 بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ولما كان وجه المنهـ زم الجريح
 عبوساً وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغر لك باسم لاجمع بين الاضـداد
 (القسم الثاني في صحة التقسيم وفساده) ولست أريد بذلك هنا ما تقتضيه القسمة
 العقلية كما يذهب إليه المتكلمون فان ذلك يقتضى أشياء مستحيلة كقولهم
 الجواهر لا تخلو اما أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لا مجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة
 ومفترقة معاً أو بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة
 من حيث العقل لاستيفاء الاقسام جميعها وان كان من جملتها ما يستحيل وجوده
 وانما تريد بالتقسيم هنا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك
 منها قسم واحد واذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ولم يشارك غيره فتارة يكون
 التقسيم بلفظة اما وتارة بلفظة بين كقولنا بين كذا وكذا وتارة منهم كقولنا
 منهم كذا ومنهم كذا وتارة بأن يذكر المراد أولاً بالذكر ثم يقسم كقولنا

فان شعب القوم شعبا أربعة فشعبة ذهبت يميننا وشعبة ذهبت شمالا وشعبة وقفت
بمكانها وشعبة رجعت الى ورائها (فما جاء من هذا القسم) قوله تعالى ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات وهذه قصة صحيحة فانه لا يخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة فاما عاص
ظالم لنفسه واما مطيع مبادر الى الخيرات واقامة مقتصد بينهما (ومن ذلك)
أيضا قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب
المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وهذه الآية منطبقة المعنى
على الآية التي قبلها فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم وأصحاب الميمنة
هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات (وعلى نحو من ذلك) جاء قوله
تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فان الناس عند رؤية البرق بين خائف
وطامع وليس لنا قسم ثالث (فان قيل) ان استيفاء الاقسام ليس شرطاً وترك
بعض الاقسام لا يقدح في الكلام وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى
لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون فذكر أصحاب
الجنة دون أصحاب النار (فالجواب عن ذلك) أني أقول هذا لا ينقض على
ما ذكرته فان استيفاء الاقسام يلزم فيما استقيم الاجمال فيه ألا ترى الى قوله
تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم فانه حيث قال فتم لهم
استيفاء الاقسام الثلاثة ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز وأما هذه الآية
التي هي لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة فانه انما خص أصحاب الجنة
بالذكر للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ولو خص أصحاب النار بالذكر لم أيضا
ملا أصحاب الجنة وكذلك كل ما يجري هذا المجرى فانه انما يظرفيه الى المستقيم
وغير المستقيم فاعرفه وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يحبون بقول
بعض الاعراب وينعون أن ذلك من أصح التقسيمات وهو قولهم انهم ثلاثة نعمة
في حال كونها ونعمة ترجى مستقبلة ونعمة تأتي غير محسوبة فأبقى الله عليك
ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه وهذا القول
فاسد فان في أقسام النعم التي قسمها نعتا لا بد من زيادة لاحاجة اليها
فأما النقص فاعف عن النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد المستقبلة
ونعمة تأتي غير محسوبة لان النعمة التي تأتي غير محسوبة داخل في قسم النعمة

المستقبلة وذلك ان النعمة المستقبلة تنقسم قسمين أحدهما يرجي حصوله
والآخر لا يحسب فقوله ونعمة تأتي غير محتسبة بوجههم أن هذا القسم غير
المستقبل وهو داخل فيه وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول النعم ثلاث
نعمة ماضية ونعمة في حال كونها ونعمة تأتي مستقبلة فأحسن الله آثار
النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ووفر حظك من النعمة التي
تستقبلها ألا تراها لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الصواب وقد استوفى
أبو تمام هذا المعنى في قوله

جئت اذا فوق الاماني منكم * بابر من روح الحياة وأوصل
قصيدة في يومها رصينة * قد أحولت وصنيعة لم تحول
كالمزن من ماضي الرباب ومقبل * منتظر روح مخيم متاهل
(ووقف أعرابي) على مجلس الحسن البصري رضى الله عنه فقال رحم الله عبدا
أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو أثر من قلة فقال الحسن البصري ما ترك
لأحد عذرا (وقد عاب) أبو هلال العسكري على جميل قوله
لو كان في قلبي كقدر قلامة * حبا واصلتك أو أتت رسائلي
فقال أبو هلال ان اتيان الرسائل داخل في جملة الوصل وليس الامر كما وقع له
فان جميل انما أراد بقوله واصلتك أى أتيتك زائرا وفاضدا أو كنت راسلتك
مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين الوصنين اما زيارة واما رسالة (ومن
أعجب ما وجدته في هذا الباب) ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي
وهو قول العباس بن الاحنف

وصالكم هجرو حبيكم قلا * وعطفكم صدوسا لكم حرب
ثم قال الغانمي هذا والله أصح من تقسيمات اقليدس وبالله العجب أين التقسيم
من هذا البيت هذا والله في واد والتقسيم في واد ألا ترى أنه لم يذكر شيئا يحصره
المقسمة وانما ذم أحبابه في سوء صنيعهم به فذكر بعض أحوالهم ولوقال أيضا
وليسنكم عنف وقر بكم نوى * واعطائكم منع وصدقكم كذب
اكان هذا جائزا وكذلك لو زاد بيتنا آخر لجاز ولو أنه تقسيم لما احتمل زيادة
والاولى أن يضاف هذا البيت الذي ذكره الغانمي الى باب المقابلة فانه أولى به
لانه قابل الوصل بالهجر والعطف بالصد والسلم بالحرب (ومن فساد التقسيم)

قول الجعري في قسده التي مطلعها * ذات وادي الاران فاحبس قلبا بلا * فقال
قف مشوقا ومعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو مذولا
فإن المشوق يكون حزينا والمعد يكون معينا وكذلك يكون المعذرا عاذرا
وكثيرا ما يقع الجعري في مثل ذلك وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي وهو
فانخرق أن الناس فيك ثلاثة * مستعظم أو حاسد أو جاهل
فإن المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما (ومن شرط التقسيم)
أن لا تدخل أقسامه بعضها في بعض (ومن هذا الأسلوب) ما ورد في آيات
الجماسة وهو

وكنتم امرأ أتما تفتنك خاليا * نخت واتما قلت قول بلا علم
فأنت من الامر الذي قد أنته * بمنزلة بين الخيانة والاثم

فإن الخيانة من الاثم وهذا تقسيم فاسد (ومما جاء من ذلك نثرا) قول بعضهم
في ذكر من هم من فن جريح متضرب بدمانه وهارب لا يلتفت الى ورائه فإن
الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا ولو قال فن بين قتيل ومأسور
وناج لصح له التقسيم أو لو قال فن بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا لعدم
الناجى بينهم ما وقد أحسن الجعري في هذا المعنى حيث قال

غارتهم أيدي المنية صبها * بالقتال بن ركع وموجود
فهم فرقان بين قتيل * فنصت نفسه بحد الحديد
أو أسير غدا له السجن لحدا * فهو حى في حالة الملود
فرقة لا يوف يتخذ فيها السهم قصدا وفرقة للتمود

(ومن فساد التقسيم) قول أبي تمام

وموقف بينكم الذل منقطع * صالحه أو بحيال الموت متصل

فانه جعل صالحا هذا الموقف أما لبلاعنه أو الكافية وههنا قسم ثالث وهو
أن لا يكون ذليلا ولا هالكابل يكون مقدا فيه ناجيا وفي هذا قطر على من ادعى
فساد تقسيمه فإن أبا تمام قصد الغلو في وصف هذا الموقف فقال إن الناس فيه
أحد رجلين أما دليل عن مورده وأما عالك فيه أى أنه لا ينجم منه أحد يرد
وهذا تقسيم صحيح لافساد فيه (القسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصح
من ذلك وما يفسد) اعلم أن صحة الترتيب في ذلك أن يذكر في الكلام معان مختلفة

فاذا عبد اليها بالذکر تفسر قدم المقدم وأخر المؤخر وهو الاحسن الا أنه قد ورد
 في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ولم يراع فيه تقديم المقدم ولا تأخير
 المؤخر كقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض
 ان نشأ نخس فبهم الارض أو نزق قط عليهم كقوله فامان السماء ان في ذلك لا آية
 لكل عبد منيب ولو قدم تفسيروا المقدم في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقبل
 ان يشأ ريق قط عليهم كقوله فامان السماء أو يخسف بهم الارض وكذلك ورد قوله
 تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرة تم
 بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كسبتكم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم هم
 فقدم المؤخر وأخر المقدم والقسمان قد وردا جميعا في القرآن الكريم
 (فما روي فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر) قوله تعالى وما يؤخره الا آيات
 معدودة يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه فتم شقي وسعيد فأما الذين شقوا
 ففي النار اهلهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء
 ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت
 السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير محذوذ (ومن ذلك) قوله تعالى
 وجعلنا الليل والنهار آيتين فحمرنا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة (وكذلك)
 قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل تسكنوا فيه والنهار مبصرا ولتبتغوا من
 فضله فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على
 سبب النهار وهو التعيش (ومن ذلك) ما كتبه في كتاب تعزية وهو فصل منه
 فقلت واقعد أو حشمت منه المعالي كما اوحشت المنازل وآمت المكارم
 كما آمت الحلائل وحث لوعة خطبه فاشتكى ثكلى الا الى تاكل وما أقول
 فبين عدمت الارض منه حياها والمحامد مهيأها فلو نطق الجباد بلسان أو
 تصور المعنى لعيان لا عربت تلك عن ظمأ صعيدها وبرزت هذه طامرة حول
 فقيدها (ومن ذلك) ما كتبه في فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت
 وما رالت أبادى سيدنا متنوعة في زيادة جودها وكآبها فهذه متطولة بترقية
 وردها وهذه آخذة بسنة اغيابها وأحسن ما في الأولى أنها تأتي متحلية
 بفواضل الاكثار وفي الثانية أنها تأتي متحلية بفواضل الاختصار فاختصار
 هذه في فوائد أقلها ~~ك~~ تطويل تلك في عوائد انعامها وقد أصحبت

خواطريه مسـ تغرقة بانشاء القول المبتكر في شكر الفضل المطول وجواب
البيان المختصر وما جعل الله لها من سلطان البلاغة ما يستقل باداء حقوق
تنقل على الرقاب ومقابلته بلاغات تنقل على الالباب (ومما جاء من ذلك) شعرا
قول ابراهيم بن العباس

لما ابل كرم يضيق بها الفضا * ويفترعها أرضها وسمائها
فمن دونها أن تستباح دماؤها * ومن دونها أن تستباح دماؤها
حتى وقرى فالوت دون مرامها * وأيسر خطب يوم - وفناؤها
وهذه الايات من نادر ما يجي في هذا الباب معنى وترتيب تفسير ومما جاء منه
أيضا قول أبي تمام

وما هو الا الوحي أو حد مرهف * تميل ظباها أخذعي كل مائل
فهو - ذاد واء الداء من كل عالم * وهذا دواء الداء من كل جاهل
وكذلك قوله أيضا

وكان لهم غميا وعلما فعدم * فيدأله أو باحث فبدائه
وهذا من بديع ما يأتي في هذا الباب ومما ورد منه قول علي بن جبلة
ففي وقف الايام بالسخط والرضا * على بذل عرف أو علي - تدمنصل
ومن الحسن في هذا الباب قول أبي نواس

يرجو ويخشى حالتيك الوري * كأنك الجنة والنار
وكذلك ورد قول بعض المتأخرين وهو القاضي الارجاني

يوم المقيم فيك حول كامل * يتعاقب الفصلان فيه اذا أتى
ما بين - رجوى رماء مدامع * ان حن صاف وان بكى وجداشنا
ومما أخذ على الفرزدق في هذا الباب قوله

لقد جئت قوما لولجأت اليهم * طريددم أو طاملا نقل مغرم
لا لفت منهم معطيا أو مطاعنا * وراء لشزرا بالوشح المقوم

لانه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب وذلك أنه أتى بنفسه - بر ما هو أول
في البيت الاول ثانيا في البيت الثاني والاولى أن كان أتى بنفسه - بر ذلك مرتبا
ففسر ما هو أول في البيت الاول بما هو ثمان في البيت الثاني واعلم أن المناظم
لا يشكر عليه مثل هذا ما يشكر على الزائر لان المناظم يضطره الوزن والقافية

الى ترك الاولى (وأما فساد التفسير) فانه أقبح من فساد ترتيبه وذلك لأن بؤس
 بكلام ثم يفسر تفسيراً لا يناسبه وهو عيب لا تسامح فيه بحال وذلك كقول بعضهم
 في أيها الخيران في ظلمة الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغي من العدا
 تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء * ومن كفيه بحرام من الندى
 وكان يجب لهذا الشاعر أن يقول بإزاء بغي العدا ما يناسبه من النصرة والاعانة
 أو ما جرى مجراها ليكون ذلك تفسيراً له كما جعل بإزاء الظلمة الضياء وفسر هابه
 فأما أن جعل بإزاء ما يتخوف منه مجراً من الندى فان ذلك غير لائق (النوع
 الخامس والعشرون في الاقتصاد والتقريب والافراط) اعلم أن هذه المعاني
 الثلاثة من الاقتصاد والتقريب والافراط توجد في كل شيء من علم وصناعة
 وخلق ولا بد لنا من ذكر حقيقة في أصل اللغة حتى يتبين نقلها الى هذا النوع
 من الكلام فأما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على
 الوسط الذي لا يميل الى أحد الطرفين قال الله تعالى فمن ظالم لنفسه ومنهم
 مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فألم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد
 وسط بينهما وقال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
 قواماً فالاسراف والاقتار طرفان والقوام وسط بينهما وقال الشاعر
 عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق
 وأما التقريب فهو التقصير والتضييع ولهذا قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب
 من شيء أي ما أهملنا ولا ضيعنا وأما الافراط فهو الاسراف وتجاوز الحد
 يقال أفرط في الشيء اذا أسرف وتجاوز الحد والتقريب والافراط هما الطرفان
 البعيدان والاقتصاد هو الوسط المعتدل وقد نقلت هذه المعاني الثلاثة الى هذا
 النوع من علم البيان وأما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى المضمرة في العبارة
 على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته وأما التقريب والافراط فهما ضدان
 أحدهما أن يكون المعنى المضمرة في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه
 والاخر أن يكون المعنى فوق منزلته والتقريب في ايراد المعاني الخطايبية قبيح
 لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه والافراط يجوز استعماله في الحسن
 ومنه دون ذلك (فما اجاب من التقريب) قول الاعشى
 وما ميزب من خليج القرا * تجون غواربه تلتطم

بأجود منه بما عونه * اذا ما سماؤهم لم تنم
فانه مدح ما كابد بالجوذ بما عونه والماعون كل ما يستعان من قدوم أو قصعة
أوقدراً وما أشبه ذلك وليس للملوك في بذله مدح ولا لأوساط الناس أيضاً
وفي مدح السوقة به قولان ومدح الملوك به عيب وذم فاحش وهذا من أقبح
التفريط ومما يجرى هذا المجرى قول الفرزدق

ألا ليتنا كنا بهيرين لانزد * على حاضر الانثى - ونق - ذف
كلانا به عز مجاف قرانه * على الناس مطلى المشاعر أخشف
هـ - ذا رجل ذهب عقله - بين نظم هذين البيتين فان مراده منهما التغزل بمحبوبه
وقد قصر عنه على أن يكون هو ومحبوبه كبهيرين أجرين لا يقربهما أحد
ولا يقربان أحدا الا طردهما - وهذا من الاماني السخيفة وله في غيرها - هذه
الامنية منذوحات كثيرة وما أشبه هذا بقول القائل

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللا قداح أو لا كؤس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * في الدهر رفلتلك من عبون الترجس
فانظر كم بين هاتين الامنيتين (ومما أخذ على أبي نواس) في قصيدته المبيحة -
الموصوفة التي مدح بها الامين محمد بن الرشيد وهو قوله

أصحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر * أملا لعقد - باله استهكام
فان ذكر أم الخليفة في مثل هذا الموضع قبيح وكذلك قوله في موضع آخر
وليس بكذتبه أم - موسى * اذا نبت ولا كالتيزران

وهذا الغوم من الحديث لا فائدة فيه فان شرف الانساب انما هو الى الرجال
لا الى النساء وباليث شعري أما سمع أبو نواس قول قيس له بنت النضر في النبي
صلى الله عليه وسلم

أحم - دولانت فجل كريمة * من قومها والفعل فجل معرق
ما كان ضرراً لو مننت وربما * من الفقى وهو المغيظ المحقق
فانها ذكرت الام بغير اسم الام وأبرزت هذا الكلام في هذا اللباس الانثوي
وكذلك فليكن المادح اذا مدح وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكاؤه وما كان
يوصف به من الفطنة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره وليس لقائل
أن يعترض على ما ذكرته بقوله تعالى - حكاية عن موسى وأخيه هرون عليهما

السلام قال يا ابن امة لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي فان الفرق بين الموضوعين ظاهر لان المنكر على ابي نواس انما هو التلقظ باسم الامة وهي زبيدة وكذلك اسم الجدة وهي الخيزران وليس كذلك ما ورد في الآية (فان قيل) قد ورد في القرآن الكريم ما يردح لابي نواس مقالته وهو قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين من دون الله فناداه باسم امة قلت الجواب عن ذلك من وجهين أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فتودي باسم امة ضرورة اذ لو كان له أب انودي باسم أبيه الوجه الآخر أن هذا النداء انما هو من الاعلى الى الادنى اذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده وهذا لا يكون تفريطاً لانه لم يعبر عنه بما هو دون منزلته على أن ابا نواس لم يوقعه في هذه العثرة الا ما سمعه عن جرير في مدح عمر بن عبد العزيز كقوله

وتبني المجديا عمر بن ابي * وتكفي المعمل السنة الجادا

وكذلك قال فيه كثير عزة أيضا وليس المعيب من هذا بخلاف فان العرب قد كان يعبر بعضها ببعضاً بنسبته الى امة دون أبيه ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقال له ابن حنمة وانما كان يقول ذلك من بغض منه وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لا زبير بن صفية بشرقائل ابن صفية بالنار فان صفية كانت عممة النبي صلى الله عليه وسلم وانما نسبته اليها رفة القدره في قرب نسبه منه وأنه ابن عمته وليس هذا كالأول في الغض من عمر رضي الله عنه في نسبه الى امة (وقد عاب بعض من يتهم نفسه بالمعرفة) قول ابي نواس في قصيدته السينية التي أولها * نيه نديك قد نعس * فقال من جعلها

ورث الخلافة خامسا * وبخبر سادسهم سدس

قال وفي ذكر السادس نظروا يا عجباً له مع معرفته بالشعر كيف ذهب عليه هذا الموضوع أما قرأ سورة الكهف يريد قوله تعالى ويقولون خمسة سادسهم كلهم - وهذا ليس بشيء لانه قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه وهو قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من شيءي ثلثة الا هو وابعههم ولا خمسة الا هو سادسهم (ومعابته على الجعثري) قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة عند لقائه الاسد التي مطلعها

أجلك ما ينفك يسرى لزينبا * فقال
شهدت لقد أنصفته حين تبتري * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم أرضر غامض أصـ صدق منكما * هـ را كما إذا الهياية النكس كذبا
قوله إذا الهياية النكس تفريطاً في المدح بل كان الأولى أن يقول إذا البطل كذب
والأفأى مدح في إقدام المقدم في الموضع الذي يفتر منه الجبان والأجمل أبو
تمام فتى كلما ارتادا الشجوع من الردى * مفتر اغداة المارق ارتاد مصرعا
وعلى أسلوب البحري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة
وانى لاقـ وقال لعاني مرحباً * وللطالب المعروف انك واجده
وانى لمن أبسط الكف بالندى * إذا شجبت كف الجبيل وساعده
وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد الجبيل وإنما الفضيلة
في بسطها عند قبض الكرام أيديهم ومن هذا الباب قول أبي تمام
يقظ وهو أكثر الناس اغضا * على نائل له مسروق
فانه أراد أن يمدح فذم وعما هو أقبح من ذلك قوله أيضا
ينقى الحرب منه حين تغلى * مرأجاها بشيطان رجيم
وقد استعمل هذا في شعره حتى أغض كقوله
أنت دلو وذو السماح أبو مو * سقى قلب وأنت دلوا القلب
ومراد من ذلك أنه جعله سبباً للعطاء المشار إليه كما أن الدلو سبب في امتياح الماء
من القلب ولم يبلغ هذا المعنى من الاغراب الى حد يدندن أبو تمام حوله هذه
الذخنة ويلقيه في هذا المثال السخيف على أنه لم يقنع بهذه السقطعة القبيحة
في شعره بل أورد هاهنا في مواضع أخرى منه في ذلك قوله
ما زال يهذى بالمكارم والعلـ * حتى ظننا أنه محوم
فانه أراد أن يبالغ في ذكر المدوح باللهمج بالمكارم والعلا فقال ما زال يهذى
وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين
ويلحقه عند المكارم هزة * كما اتفص الجهود من أم ملدم
وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله وان كان المعنى المقصود به حسنا وكمن
يتأول معنى كرمافاساء في التعبير عنه حتى صار مذموما كهذا وأمثاله
ومن أحسن ما قيل في مثل هذا الموضع قول ابن الرومي

ذهب الذين تهزهم متداحهم * هزال الحكاة عوالى المتران
 كانوا اذا مدحوا رأو اوما فيهم * فالاريجية منهم بمكان
 ومن شاء أن يدح فليدح هكذا والافليسكت (ووجدت) أبابكر محمد بن يحيى
 المعروف بالصولي قد عاب على حسان بن ثابت رضى الله عنه قوله
 لنا الجففات الغريبان فى الضمى * وأسيفنا يقطرن من فجدة دما
 وقال انه جمع الجففات والاسياف جمع قلة وهو فى مقام نخر وهذا مما يحط
 من المعنى ويضع منه وقد ذهب الى هذا غيره أيضا وليس بشئ لان الغرض انما
 هو الجمع فسواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة ويدل على ذلك قوله تعالى ان ابراهيم
 كان أمة قاتل الله حنيفا ولم يك من المشركين شاكر الانعمه اجتباه وهداه الى
 صراط مستقيم أفترى نعم الله أكانت قليلة على ابراهيم صلوات الله عليه وكذلك
 ورد قوله عز وجل فى سورة النمل وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضا من غير سوء
 فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة
 قالوا هذا صر مبین وجمدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعاورا فانظر كيف كان
 عاقبة المفسدين فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة وما كان
 قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة بل كانوا اثنين ألوقا وهذا
 أيضا مما يطيل قول الصولى وغيره فى مثل هذا الموضع وكذلك ورد قوله عز
 وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها والنفوس المتوفاة
 والنائمة لا ينتهى الى كثرتها كثرة لانها نفوس كل من فى العالم (واعلم) أن
 للمدح ألفاظا تخصه وللذم ألفاظا تخصه وقد تعمق قوم فى ذلك حتى قالوا من
 الأدب أن لا تخاطب الملوک ومن يعارجهم بكاف الخطاب وهذا غلط بارد
 فان الله الذى هو ملك الملوک قد خوطب بالكاف فى أول كتابه العزيز فقبيل اياك
 نعبد وایالك نستعين وقد ورد أمثال هذا فى مواضع من القرآن غير محصورة
 الا أنى قد راجعت نظرى فى ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبهه منهم بأيامهم
 والعوائد لا حاكم لها ولا شك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التعمق
 فى ترك الخطاب بالكاف لكنى تأملت أدب الشعراء والكتاب فى هذا الموضع
 فوجدت الخطاب لا يعاب فى الشعر ويعاب فى الكتابة اذا كان الخطاب دون
 الخطاب درجة وأما ان كان فوقه فلا يعيب فى خطابه اياه بالكاف لانه ليس

من التفريط في شيء فمن خطاب الكاف قول الزابغة
وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع
(وكذلك قوله أيضا)

حلفت فلم أترك لنفسك ريمة * وليس وراء الله للمرء مذهب
وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضا فقال أبو نواس
الملك أبا المنصور عذبت ناقتي * زيارة خلت وامتحان كريم
لأنه لم ما يأتي وان كنت عالما * بأنك مهـ ما تأت غير ملوم
وكذلك ورد قول السلاوي

الملك طوى عرض البسيطة جاعل * قصار المطايا أن يوح لها القصر
وبشرت آمالي بملك هو الوري * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر
وعليه ورد قول البصري

واقداً أتيتك طالبا فبسطت من * أملي وأطلب جودك فكفك مطالي
وجعل خطاب الشعراء لهم مدوحين انما هو بالكاف وذلك محذور على الكتاب
فانه ليس من الادب عندهم أن يخاطب الادنى الاعلى بالكاف وانما يخاطبه
مخاطبة الغائب لا مخاطبة الحاضر على أن هذا الباب بجملة يוכל النظر فيه
الى فطانة الخطيب والشاعر وليس مما يوقف فيه على المسبوع خاصة (ومن أطف
ما وجدته) أنك اذا خاطبت المدوح أن تترك الخطاب بالامر بأن تقول افعـل
كذا وكذا وتخرجه مخرج الاستفهام وهذا الاسلوب حسن جدا وعليه
مسحة من جمال بل عليه الجمال كله (فما جاء منه) قول البصري في قصيدة
أولها بودى لويهموى العذول ويعشق * فقال منها

فهل أنت يا ابن الراشدين مختمى * بياقوتة تبهي على وتشرق
وهذا من الادب الحسن في خطاب الخليفة فانه لم يخاطبه بأن قال ختمى بياقوتة
على سبيل الامر بل خاطبه على سبيل الاستفهام وقد أعجبني هذا المذهب وحسن
عندي وقد حدثنا أبو بصري شاعر من شعراء عصرنا فقال في مدح الخليفة
الناصر لدين الله أبي العباس أحمد من قصيدته على قافية الدال فقال من أبيات
يصف بها قصيده

أمة بوله يا ابن الخـلافة من قتي * لديك بوصفي عادة الشعر رودة

فقوله أمقبولة من الادب الحسن الذي نسج فيه على منوال الجحري وهذا باب مفرد وهو باب الاستفهام في الخطاب وإذا كان الشاعر فطنا عالما بما يضعه من الالفاظ والمعاني تصرف في هذا الباب بضروب التصرفات واستخرج من ذات نفسه شيئا لم يسبقه اليه أحد (واعلم) أن من المعاني ما يعبر عنه بالفاظ متعددة ويكون المعنى المندرج تحتها واحدا فمن تلك الالفاظ ما يليق استعماله بالمدح ومنها ما يليق استعماله بالذم ولو كان هذا الامر يرجع الى المعنى فقط لكانت جميع الالفاظ الدالة عليه سواء في الاستعمال وانما يرجع في ذلك الى العرف دون الاصل ولنضرب له مثلا لا نقول هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له وحق دماغك قياسا على وحق رأسك وهذا يرجع الى أدب النفس دون أدب المدرس فاذا أراد مؤلف الكلام أن يمدح ~~ذكر~~ الرأس والهامة والكاهل وما جرى هذا المجرى فاذا أراد أن يهجو ذكر الدماغ والقفا والقذال وما جرى هذا المجرى وان كانت معاني الجميع متقاربة ومن أجل ذلك حسنت الكتابة في الموضوع الذي يقع فيه التصريح (ومن أحسن ما بلغني) من أدب النفس في الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قباث بن أشيم فقال له أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أقدم منه في الميلاد فانظر الى أدب هذا العربي الذي من شأنه وشأن أمثاله جفاء الاخلاق والبعد عن فطنة الآداب (وأما الافراط) فقد ذمته قوم من أهل هذه الصناعة وحده آخرون والمذهب عندي استعماله فان أحسن الشعراء كذبه بل أصدقه أ كذبه لكنه تتفاوت درجاته فنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى لانه مهم ما ذكر به من المعاملات في صفاته فانه دون ما يستحقه واما ورد من ذلك في الشعر قول عنتره وأنا المنبئة في المواطن كلها • والطعن منى سابق الآجال وقد يروى بالياء وكلا المعنيين حسن الآن الياء ~~كك~~ غلوا وما جاء على نحو من ذلك قول بشار

إذا ما غضبنا غضبة مضرية • هت كخايب الشمس أو قطرت دما
ومنه ما يستحسن كقول النابغة الذبياني
إذا ارتعنت خاف الجبان رعائها • ومن يتعاق حيث علق يفرق

وهذا يصف طول قامتها لكنه من الاوصاف المنكرة التي خرجت به المغالاة
 عن حيز الاستحسان وكذلك ورد قول أبي نواس
 وأخفت أهل الشرك حق انه * لتخافك النطف التي لم تخلق
 وهذا أشد افراطا من قول النابغة ويروي أن العتابي لقي أبا نواس فقال له أما
 استحييت الله حيث تقول وأنشده البيت فقال له وأنت ما راقت الله حيث قلت
 ما زلت في غمرات الموت مطرعا * يضيّق عني وسيع الرأي من حيلي
 فلم تزل داتبا تسمى باطنك لي * حتى اختلست حياتي من يدي أجلي
 فقال له العتابي قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك وإنما قد أعددت
 لكل ناصح جوابا وقد أراد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال
 كدت منادمة الدماء سيوفه * فلعلما تتمازها الاجفان
 حتى الذي في الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان
 وما يجي في هذا الباب ما يجري هذا المجرى وقد استعمل أبو الطيب المتنبى هذا
 القسم في شعره كثيرا فاحسن في مواضع منه فن ذلك قوله
 بما جات عن العقبان فيه * كان الجوع عثا وخيار
 ثم أعاد هذا المعنى في موضع آخر فقال
 عقدت سنا بكها عليها عشرها * لو تبتغي عنقا عليه لا ممكا
 وهذا أكثر مغالاة من الاول ومن ذلك قوله أيضا
 كأنما اتلقاهم لتسلكهم * فالطعن يفتح في الاجواف ما يوسع
 وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم
 لمكت بها كفى فأنهزمت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها
 لكن أبو الطيب أكثر غلوا في هذا المعنى وقيس بن الخطيم أحسن لأنه قريب
 من الممكن فإن الطهنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء وإنما أن يجعل المطعون مسلكا
 يسلك كما قال أبو الطيب فإن ذلك مستحيل ولا يقال فيه بعيب (وأما الاقتصاد)
 فهو وسط بين المتزتين والامثلة به كثيرة لا تحصى إذ كل ما خرج عن الطرفين من
 الافراط والتفريط فهو اقتصاد ومن أحسنه أن يجعل الافراط مثلا ثم يستثنى
 فيه بلوا ويكاد وما جرى مجراها من ذلك قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم
 وكذلك قوله عز وجل وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقد

ورد هذا في القرآن الكريم كثيرا وما ورد منه شعر اقول الفرزدق
 يكاد يـكـه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
 وكذلك ورد قول الجعفي

لو ان مشتاقا تكاف فوق ما • في وسعه اسمي اليك المنبر

الاشتقاق

وهذا هو المذهب المتوسط (النوع السادس والعشرون في الاشتقاق) اعلم
 ان جماعة علماء البيان يفتنون الاشتقاق عن التجنيس وليس الامر كذلك
 بل التجنيس امر عام لهذين النوعين من الكلام وذلك ان التجنيس في اصل
 الوضع من قولهم جانس الشيء الشيء اذا ما ناله وشابهه ولما كانت الحال كذلك
 ووجدنا من الالفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبنائه علمنا ان ذلك يطلق عليه
 اسم التجنيس وكذلك لما وجدنا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا ان ذلك يطلق
 عليه اسم التجنيس ايضا فالتجنيس اذن ينقسم قسمين احدهما التجنيس في اللفظ
 والاخر تجنيس في المعنى فاما الذي يتعلق باللفظ فانه لم ينقل عن بابه ولا غير اسمه
 وقد تقدم ذكره في باب الصناعة اللفظية واما الذي يتعلق بالمعنى فانه نقل عن بابه
 في التجنيس وسمى الاشتقاق اى احد المعنيين مشتق من الاخر (وهو على ضربين)
 صغير وكبير فالصغير ان تاخذ اصلا من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت
 صيغته ومبانيه كتركيب س ل م فانك تاخذ منه معنى السلامة في تصرفه
 نحو سلم وسالم وسلمان وسلمى والسليم اللديغ اطلق عليه ذلك تفتاؤلا بالسلامة
 والاصل في ذلك ان يضع واضع اللغة اسما اوليا يسمى اول ثم يجرد مسمى آخر
 ومسميات شبيهة بالمسمى الاول فيضع لها اسما كالاسم الاول كقوله ضرير اسم
 للاعشى والضرر ضد النفع والضرر الشدة من الامر والضرر بالضم الهزال
 وسوء الحال والضرر الضيق والضررة احدى الزوجتين فان هذه المسميات كلها
 تدل على الاذى والشرر واسماؤها متشابهة لم تخرج عن الضاد والراء الا انما
 الا ان لا نعلم ما هو الاول منها حتى نتحكم على الثاني انه مشتق منه لكن نعلم
 في السليم اللديغ انه مشتق من السلامة لانه ضدها قبل من اجل التفتاؤل
 بالسلامة وعلى هذا جاء غيره من الاصول كقوانا هشمك هاشم وحاربك محارب
 وسالمك سالم واصاب الارض صيب فهذه الالفاظ كلها لفظها واحد ومعناها
 واحد اما هاشم فانه لم يسم بهذا الاسم الا لانه هشم التريدي في عام محل فسمى

بذلك وأما محارب فانه اسم فاعل من حارب فهو محارب وأما سلم فمن السلامة وهو اسم فاعل من سلم وأما الصيب فهو المطر الذي يشتم تصويبه أى وقعه على الارض ولا يقاس على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سألها الله وغفار غفرا لله لها وعصية عصت الله فان أسلم وغفار وعصية أسماء قبائل ولم تسم أسلم من المسالمة ولا غفار من المغفرة ولا عصية من تصغير عصا وهذا هو التجنيس وليس بالاشتقاق والمظرفى مثل ذلك يحتاج الى فكرة وتدبر كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق ومما جاء من ذلك شعر اقول البهترى * أمحاطى سلمى بكاطمة اسلمها وكذلك قول الآخر

وما زال معقولا عقال من الندى * وما زال محبوسا عن الخير حابس
وربما ظن أن هذا البيت وما يجرى مجراه تجنيس حيث قيل فيه معقول وعقال
ومحبوس وحابس وليس الامر كذلك وهذا الموضع يقع فيه الاشتباه كثيرا
على من لم يتقن معرفته وقد تقدم القول أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ
واختلاف المعنى وعقال ومعقول وحابس ومحبوس اللفظ فيهما واحد والمعنى
أيضا واحد فهذا مشتق من هذا أى قد شق منه وكذلك ورد قول عنتره
لقد علم القبائل أن قومي * لهم حد اذا بس الحديد

فان حدا وحديد اللفظهما واحد ومعناها واحد (وأما الاشتقاق الكبير) فهو
أن تأخذ أصلا من الاصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك
التراكيب وما تصرف منها وان تباعدت شي من ذلك عنها ردت بلطف الصنعة
والتأويل اليها ولنضرب لذلك مثلا لفظ قول ان لفظه قمر من الثلاثي اها
ست تراكيب وهي قمر قمر رقم رقم قمر مرق فهذه التراكيب
الست يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة فالقمر شدة شهوة اللحم وقر
الرجل اذا غلب من يقامره والرقم الداهية وهي الشدة التي تلحق الانسان من
دهره وعيشه مرق أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضا والمقر شبه الصبر يقال
امقر الشيء اذا أمرت وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة وهرق السهم اذا ندم من
الرمية وذلك اشدة مضائه وقوته (واعلم) أنه اذا سقط من تراكيب الكلمة شي
بخلاف ذلك في الاشتقاق لان الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة بل
من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تعدد حروفها وتأخيرها

أدت الى معنى واحد يجمعها فنال ما سقط من تركيب الثلاثى افضة و س ق
فان اها خمس ترا كيب وهى وس ق وق س س وق ق س و ق وس وسقط
من جملة الترا كيب قسم واحد وهو س ق وجميع الخمسة المذكورة تدل
على القوة والشدة أيضا فالوسق من قواهم استوسق الامرأى اجتمع وقوى
والوقس ابتداء الطرب وفى ذلك شدة على من يصيبه وبلاء والسوق متابعة
السير وفى هذا عناء وشدة على السائق والمسوق والقسوة شدة القلب وغلظه
والقوس معروفه وفيها نوع من الشدة والقوة لنزعها السهم واخراجها الى ذلك
المرمى المتباعدا (واعلم) أنا لا ندعى أن هذا يطردي جميع الالفة بل قد جاء شئ منها
كذلك وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها لان الكلمة الواحدة تتقلب على
ضروب من التقابل وهى مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب
الاسرار التى توجد فى لغة العرب وأعجيب ما عارفه الآن الاستعمال فى النظم
والنثر انما يقع فى الاشتقاق الصغير دون الكبير وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير
تكثر الالفاظ الواردة عليه والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد فى اللغة الا قليلا
وأىضا فان الحسن اللفظى الذى هو الفصاحة انما يقع فى الاشتقاق الصغير ولا يقع
فى الاشتقاق الكبير ألا ترى الى هذين الاصلين الواردين ههنا وهما ق ر م
و وس ق اذا نظرنا الى ترا كيبهما وأردنا أن نسبكهما فى الاستعمال لم يأت منهما
مثل ما يأتى فى الاشتقاق الصغير حسنا ورونا لان ذلك لفظه لفظ تجنيس ومعناه
معنى اشتقاق والاشتقاق الكبير ليس كذلك (النوع السابع والعشرون
فى التضمن) وهذا النوع فيه نظرين حسن يكتب به الكلام طلاوة وبين
معيب عند قوم وهو عندهم معدود من عيوب الشعر ~~واكل~~ من هذين
القسمين مقام (فأما الحسن) الذى يكتب به الكلام طلاوة فهو أن يضم
الآيات والاخبار النبوية وذلك يرد على وجهين أحدهما تضمين كل والآخر
تضمين جزئى فأما التضمن الكلى فهو أن تذكر الآية وان لم يجرى مجملها
وأما التضمن الجزئى فهو أن تدرج بعض الآية والخبر فى ضمن كلام فيكون
جزأ منه كالذى أوردته فى حل الآيات والاخبار فى الفصل العاشر من مقدمة
الكتاب وقد قيل انه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم فى غصون الكلام
من غير تبين كى لا يشبهه وهذا القول لا أقول به فان القرآن الكريم أبين من

التضمن

أن يحتاج الى بيان وكيف يخفى وهو المجهول الذي لو اجتمعت الانس والجن على
 أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله فان كانت المقابلة في التفرقة بينه وبين غيره من
 الكلام اذا أدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذلك الكلام معه وان كان
 الكلام مع عالم بذلك فذلك لا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره ومذهبي
 في هذا هو ما تقدم ذكره في الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وهو أحسن
 الوجهين عندي وذلك أنه لا تؤخذ الآية بكالها بل يؤخذ جزء منها ويجعل
 أول الكلام أو آخرها اذا لم يقصد به التضمن فأما اذا قصد التضمن فتؤخذ
 الآية بكالها وتدرج درجاً وهو هذا ينكره من لم يذق مذاقته من طعم البلاغة
 ولا رأى ما رأته (وأما المعيب عند قوم) فهو تضمن الاسناد وذلك يقع
 في بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنشور على أن يكون الأول منهما
 مستمداً الى الثاني فلا يقوم الأول بنفسه ولا يتم عناء الا بالثاني وهذا هو
 المدود من عيوب الشعر وهو عندي غير معيب لانه ان كان سبب عيبه أن
 يعلق البيت الاول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيباً اذ لا فرق بين البيتين
 من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المنشور في تعلق
 احدهما بالآخرى لان الشعر هو كل لفظ موزون متقن دل على معنى والكلام
 المسجوع هو كل لفظ متقن دل على معنى فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير والفقر
 المسجوعة التي يرتبط بعضها ببعض قد وردت في القرآن الكريم في مواضع منه
 فمن ذلك قوله عز وجل في سورة الصافات فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال
 قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين انذا متنا وكنا ترابا
 وعظاما اننا لمدينون فهذه الفقرات الثلاث الاخيرة مرتبطة بعضها ببعض فلا تفهم
 كل واحدة منها من الابا التي قبلها وهذا كالايات الشعرية في ارتباط بعضها
 ببعض ولو كان عيباً ما ورد في كتاب الله عز وجل وكذلك ورد قوله تعالى في سورة
 الصافات أيضاً فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الامن هو صال الجحيم
 فالآيتان الاوليان لا تفهم احدهما الا بالآخرى وهكذا ورد قوله عز وجل
 في سورة الشعراء أفرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى
 عنهم ما كانوا يمتعون فهذه ثلاث آيات لا تفهم الاولى ولا الثانية الا بالثالثة
 ألا ترى أن الاولى والثانية في معرض استقها م يفتقر الى جواب والجواب هو

في الثالثة وعمار من ذلك شعرا قول بعضهم

ومن البلى التي لبسها في الناس كنه

أن من يعرف شيئا * يدعى أكثر منه

ألا ترى أن البيت الأول لم يقيم بنفسه ولا تم معناه إلا بالبيت الثاني وقد استعملته

العرب كثيرا وورد في شعر فحول شعرائهم فمن ذلك قول امرئ القيس

فقلت له لما تطى بصلبـه * وأردف أبحازا ونا بكلكل

الأيام الليل الطويل الأقبلي * بصبح وما الاصبح منك بأمثل

وكذلك ورد قول الفرزدق

وما أحد من الاقوام عدوا * عروف الاكرم من الى التراب

بجته نظـين ان فضلتونا * عليهم في القديم ولا غضاب

وكذلك ورد قول بعض شعراء الجاهلية

اهـ مري لرحط المرء خير تقيـة * عليه وان عالوا به كل مركب

من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى * جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

(الضرب الثاني من التضمن) وهو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما آخر

اغيره قصد اللاسـتـعانة على تأكيـد المعنى المقصود ولولم يذكـر ذلك التضمن لكان

المعنى تاما وورد بما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال بحظة

قم فاسقنيها يا غلام وغنى * ذهب الذين يعاش في أكافهم

ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت ذهب الذين يعاش في أكافهم لكان المعنى تاما

لا يحتاج الى شيء آخر فان قوله قم فاسقنيها يا غلام وغنى فيه كفاية اذا حاجته له

لي تعين الغناء لان في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لاعلى الغرض المقصود وقد

ورد هذا في عدة مواضع من شعرا أبي نواس في الجربيات كقوله في مخاطبة بعض

خلطاته على مجلس الشراب

فقلت هل لك في الصهباء تأخذها * من كف ذات حرف العيش مقبل

حـبرية كشعاع الشمس مافية * تطير بالكأس من لا لها شعل

فقال هات وغنينا على طرب * ودع هريرة ان الـكب مرتحل

وكذلك قوله أيضا

وظبي خلوب اللفظ حلوكلامه * مقبل له سهل وجانبه وعـر

فحلت له منها فخر لوجهه * وأمكن منه ما يحيط به الأزر
 فقامت اليه والكبرى لكل عينه * فقبلته والصب ليس له صبر
 الى أن تجلى نوره عن جفونه * وقال كسبت الذنب قلت لي العذر
 فأعرض مزورا كأن بوجهه * تفقأ رمان وقد برد الصدر
 فمازات أرقبه والتم خذته * الى أن تغنى راضيا وبه سكر
 ألافاسل وبادارحى على البلى * ولا زال منه لا يجرع عاتك القطر
 وقد استعمل هذا الضرب كثير الخطيب عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله فن ذلك قوله
 في بعض خطبه وهو في أيها الغفلة المطرقون أما أنتم به هذا الحديث مصدقون
 فما لكم منه لا تشفقون فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون
 وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة وهو في يومئذ تغدوا الخ لا تلق على الله به ما
 فيحاسبهم على ما أحاط به علما وينفذ في كل عامل بعمله حكما وعنت الوجوه للحي
 القيوم وقد خاب من حل ظلما الأترى الى براعة هذا التضمين الذي كأنه قد رصع
 في هذا الموضع رصعا وعلى نحو من ذلك جاء قوله في ذكر يوم القيامة وهو هناك
 يقع الحساب على ما أحصاه الله كتابا وتكون الأعمال المشوبة بالنفاق سرايا
 يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا
 وما ينظّمهم هذا السلك قوله في خطبة أخرى وهو أسكتهم الله الذي أنطقهم
 وأبادهم الذي خلقهم وسيجتهدهم كما خلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوم يعيد الله
 العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونون شهداء
 على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم تجسد كل نفس ما عملت من خير
 محضرا وما عملت من سوء فود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (ومن هذا الباب) قوله
 أيضا هنالك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب ومن حق
 عليه العقاب فيضرب بينهم بسورة له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
 وأمثال هذه التضمينات في خطبه كثيرة وهي من محاسن ما يجي في هذا النوع
 (النوع الثامن والعشرون في الارصاد) و- حقيقة أنه يبنى الشاعر البيت من
 شعره على قافية قد أرصدها له أي أعدها في نفسه فاذا أنشد صدر البيت عرف
 ما يأتي به في قافيته وذلك من محمود الصنعة فان خير الكلام ما دل بعضه على بعض
 وفي الاقتضاب بذلك يقول ابن نباتة السعدي

خذها اذا انشدت في القوم من طرب * صدورها عرفت منها قوافيها
ينسب لها الراكب العجلان حاجته * ويصبح الحاسد الغضبان يطويها
فن هذا الباب قول النابغة

فدا لامرئى سارت اليه * بعد ذرة ربه اعمى وخالى
ولو كفى اليمين نقتك خوفا * لا فردت اليمين عن الشمال
الأتري أنه يعلم اذا عرفت القافية في البيت الاقل أن في البيت الثاني ذكر الشمال
وكذلك جاء قول البحتري

ألمت دحى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلاي
فليس الذي حلته بحمل * وليس الذي حرّمته بحرام

فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الاقل وصدور البيت الثاني أن هجزه
هو ما قاله البحتري (وقد جاء الارصاد في الكلام المنتور كما جاء في الشعر) فن ذلك
قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم فيما فيه يختلفون فاذا وقف السامع على قوله تعالى لقضى بينهم فيما
فيه عرف أن بعده يختلفون لما تقدم من الدلالة عليه (ومن ذلك أيضا) قوله عز
وجل فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
وعلى نحو منه جاء قوله تعالى مثل الذين اتخذا من دون الله آولياء كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت فاذا وقف السامع
على قوله عز وجل وان أوهن البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت (ورأيت
أيا هلال العسكري) قد سمي هذا النوع التوشيح وليس كذلك بل تسميته بالارصاد
أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاقيه وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم
البيان وسيأتي ذكره بعد هذا النوع ان شاء الله تعالى (واعلم) أنه قد اختلف جماعة
من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع انواع
واحد منه اسمين اعتقادا منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان وليس الامر كذلك
بل هما نوع واحد فمن غلط في ذلك الغامض فانه ذكر بابا من أبواب علم البيان وسماه
التبليغ وقال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية
فيما ذكره صنع ثم يأتي بها الحاجة الشعر إليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى

في الجودة كقول امرئ القيس
 كان عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم ينقب
 فانه أتى بالتشبيه تاما قبل القافية ثم لما جاء بها بلغ الامد الاقصى في المبالغة ثم ان
 الغامبي ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال هو أن يأتي الشاعر بالبيت
 معاق القافية على آخر اجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الا حذاق الشعراء وذلك ان
 الشاعر اذا كان بارعا جاب بقدرته وذكائه وفانته الى البيت وقدعت معانيه
 واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لا عار يرضه ووزنه فجعلها اعتيالا مذكور كقول
 ذي الرمة

قف العيس في أطلال مية فاسأل * رسوما كما خلاق التراء المسلسل
 هذا كلام الغامبي بعينه والبيان المذكور ان سوا لا فرق بينهم بحال والدليل على
 ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يوفق بقافيته وكذلك بيت ذي الرمة
 الاترى أن امرأ القيس لما قال **سكان عيون الوحش حول خبائنا**
 وأرحلنا الجزع أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي
 قوله لم تنقب وهكذا ذوالرمة فانه لما قال قف العيس في أطلال مية قال
 رسوما كما خلاق الرداء أتى بالتشبيه أيضا قبل أن يأتي بالقافية ولما احتاج اليها جاء
 بزيادة حسنة وهي قوله المسلسل واعلم أن أباهلال العكري قد سمى هذين
 القسمين بعينهما الا يغال وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ الى
 مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد فيه معنى آخر وأصل الا يغال من أوغل في الامر اذا
 أبعده الذهاب فيه ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذي الرمة قف العيس في أطلال مية
 فاءل البيت وهذا أقرب أمر من الغامبي لانه ذكره في باب واحد وسماه باسم
 واحد ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغامبي وليس الاخذ على الغامبي في ذلك
 مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن يتعصب لاراد علم البيان وتفصيل
 أبوابه ويكون أحد الابواب التي ذكرها داخل في الاخر فيذهب عليه ويحني عنه
 وهو أشهر من فلق الصباح (وههنا ما هو أغرب من ذلك) وذلك أنه قد سلك قوم
 في منشور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان وهي بنجوة عنه
 لانها في وادع علم البيان في وادع من فعل ذلك الحريري صاحب المقامات فانه
 ذكر تلك الرسالة التي هي كلمة مبهمة وكلمة موهمة والرسالة التي حرف من حروف

ألفاظها معجم والآخر غير معجم ونظم غيره شعر الآخر كل بيت منه أول لا بيت الذي
 يليه وكل هذا وان تضمن شقة من الصناعة فانه خارج عن باب الفصاحة
 والبلاغة لان الفصاحة هي ظهور الالفاظ مع حسنها على ما أشرت اليه في
 مقدمة كتابي هذا وكذلك البلاغة فانها الانتها في محاسن الالفاظ والمعاني من
 قولنا بلغت المكان اذا انتهيت اليه وهذا الكلام المصوغ بما أتى به الحريري
 في رسالته وأورده ذلك الشاعر في شعره لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة وانما يأتي
 ومعانيه غثة باردة وسبب ذلك أنها استكره استكرها وتوضع في غير مواضعها
 وكذلك ألفاظه فانها تنجي من كرهه أيضا غير ملاحظة لاختواتها وعلم البيان
 انما هو الفصاحة والبلاغة في الالفاظ والمعاني فاذا خرج عنه شيء من هذه
 الاوضاع المشار اليها لا يكون معدودا منه ولا داخلا في بابها ولو كان ذلك مما
 يوصف بحسن في ألفاظه ومعانيه لورث في كتاب الله عز وجل الذي هو معدن
 الفصاحة والبلاغة أو ورد في كلام العرب الفصحاء ولم نره في شيء من أشعارهم ولا
 خطبهم - م واقدر أيت رجلا أديبا من أهل المغرب وقد تغفل في شيء عجيب وذلك
 أنه شجر شجرة ونظمها شعرا وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضرب من
 الاساليب اتباعا لشعب تلك الشجرة وأغصانها فمقتارة تقرأ كذا وتارة تقرأ كذا
 وتارة يكون جزء منه ههنا وتارة ههنا وتارة يقرأ مقلوبا وكل ذلك الشعر وان كان
 له معنى يفهم إلا أنه ضرب من الهذيان والاولى به وبأمثاله أن يلحق بالشعبذة
 والمعالجة والمصارعة لا بدرجة النصاحة والبلاغة (ورأيت أبا محمد) بن عبد الله
 ابن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الابواب في كتابه فقال ينبغي أن لا تستعمل
 في الكلام المنظوم والتمثورا ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم
 ولا الالفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم لان الانسان اذا خاض في علم
 وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك
 الصناعة ثم مثل ذلك بقول أبي تمام

مودة ذهب أثمار حاشبه * وهمة جواهر معروفها عرض

ويقوله أيضا خرقا يلعب بالعقول حبا بها * كتعب الالعمال بالاسماء

وهذا الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة

ان الذي تنكرهون منه * هو الذي يشتهيه قلبي

وسأبين فساد ما ذهب اليه فأقول أما قوله انه يجب على الانسان اذا خاض في علم
أو تكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة فهذا
مسلم اليه ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل
صناعة لانها موضوعة على الخوض في كل معنى وهذا الاضابط له يضبطه
ولا حاصر يحصره فاذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من
المعاني وأداء ذلك الى استعمال معنى فقهى أو نحوى أو حسابى أو غير ذلك فليس
له أن يتركه ويحيد عنه لانه من مقتضيات ذلك المعنى الذى قصده الأثرى
الى قول أبي تمام فى الاعتذار

فان يك جرم عن أوتك هفوة * على خطا منى فعزرى على عدى

فان هذا من أحسن ما يجيى فى باب الاعتذار عن الذنب وكان ينبغى له على ما ذكره
ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظتا الخطا والعمد اللتان هما
من أخص ألفاظ الفقهاء وكذلك قول أبي الطيب المتنبى

واقبت كل الفاضل كأنا * رد الاله نفوسهم والاعصرا

نسوة والناذق والحساب مقدا * وأتى فذلا اذا أتيت مؤخرًا

وهذا من المعانى البديعة وما كان ينبغى لأبي الطيب أن يأتي فى مثل هذا الموضوع
بلفظة فذلك التى هى من ألفاظ الحساب بل كان يترك هذا المعنى الشريف الذى
لا يتم الا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيما رآه وذهب اليه وهذا محض الخطا
وعين الغلط وأما ما أنكره على أبي تمام فى قوله

مودة ذهب آثارها شبيه * وهمة جوهر معروفها عرض

فان هذا البيت ليس منكر الما استعمال فيه من لفظتى الجوهر والعرض اللتين
هما من خصائص ألفاظ المتكلمين بل لانه فى نفسه ركيك لتضمنه لفظة الشبيه
فانها لفظة عامية ركيكة وهى التى أسخفت بالبيت بجملة ريب قليل أفسد كثيرا
وأما لفظتا الجوهر والعرض فلا عيب فيهما ولأركانتهما وأما البيت الآخر
وهو نرقاء يلعب بالعقول حبايها * كتاعب الأفعال بالاسماء

فليس بمنكر وهل يشك فى أن التشبيه الذى تضمنه واقع فى موقعه الأثرى أن
الفعل ينقل الاسم من حال الى حال وكذلك يفعل النحر بالعقول فى تنقل حالاتها
فما الذى أنكره ابن سنان من ذلك وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الاسلوب

ملا يذافع في حسنه وهو قوله

عوامل رزق أعربت لغة الردي * نجسم له خنض ورأمر له نصب
فانه لما حصل له المشابهة في الاسمية بين عوامل الرياح والعوامل النورية حسن
موقع ما ذكره من الخفض والنصب وعلى ما ذكره ابن سنان فان ذلك غير جائز
وهو من مستحسنات المعاني هذا من أعجب الاشياء وعلى هذا الاسلوب ورد قول
بعضهم
وفى من مازن * فاق أهل البصره
أتمه معرفة * وأبوه نكره
وهل يشك في حسن هذا المعنى واطافته وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض

العراقيين هجوطيبا فقال

قال سمار الطيب يوما * لو أنصفوني لكنت أركب

لاني جاءني بسبب * وراكبي جهله مركب

وهذا من المعنى الذي أعرب في الملاحظة وجمع بين خفة السخرية وقار الفصاحة
وقد تقدم القول في صدر كتابي هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعاقب
بكل علم وكل صناعة ويخوض في كل فن من الفنون لانه مكلف بأن يخوض في كل
معنى من المعاني فاضمم بذلك على ما ذكرته ونصت عليه واترك ما سواه فليس
القاتل بعلمه واجتهاده كالقاتل بغلته وتقليده وهذا النوع اذا استعمل على
لوجه المرضى كان حسنا واذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحا كما جاء في كلام
أبي العلاء بن سليمان المعزى وهو قوله في رسالة كتبها الى بعض اخوانه حرس
الله سعادته ما أدغمت التاء في الظاء وتلك سعادة بغير انتهاء وهذا من الغث
البارد لكن قد جاء في الشعر ما هو حسن فائق كقوله

فدونكم خفض الحياة فائنا * نصبتا المطايا في الفلاة على القطع

والخفض والنصب من الاعراب النحوى والخفض رفاهة العيش والقطع من
منصوبات النحو والقطع قطع الشيء يقال قطعته اذا بترته (النوع التاسع
والعشرون في التوشيح) وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحر من مختلفين
فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض
واذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الاخرى كان أيضا شعرا
مستقيما من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت

والله

كلوشاح وكذلك يجري الامر في الفترتين من الكلام المنثور فان كل فترة
منها تصاغ من سبعين وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا وليس من الحسن في شئ
وانه عماله في الشعر احسن منه في الكلام المنثور فمن ذلك قول بعضهم
اسلم ودمت على الحوادث مارسا * وكذا تبيروا هضاب سراء
ونل المراد كنا منه على * رغم الدهور ووزن يطول بقاء
وهذا من الجيد الذي ياتي في هذا النوع الا ان اثر التكلف عليه بادنا هو اذا
قطر الى هذين البيتين وجدا وهو ما يذكر ان على قافية اخرى وبجر آخر واذ ان
يقال اسلم ودمت على الحوا * دث ما وسار كما تبيرو
ونل المراد كنا منه على رغم الدهور

وقد استعمل ذلك البريرى في مقاماته فهو قوله

يا خاطب الدنيا الدينية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دارمق ما انضكت في يومها * ابكت غدا بعد الهامن دار
واذا اظلم صحابها لم يفتوح * منه صدى بلهامة الغزار

(واعلم) ان هذا النوع لا يستعمل الا متسكنا عند تعاطي المتكلم من صناعة النظم
وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة الا ترى انه لو نظم عليه
قصيد من اوله الى آخره يتضمن غزلا ومدح يحال على ما جرت به عادة القصائد ليس
انه كان يجي باردا غنالا يسلم منه على محك النظر عشره والعشر كثير وما كان على
هذه الصورة من الكلام فانما يستعمل احيانا على الطبع لا على التكلف وهو
وامثاله لا يحسن الا اذا كان يسيرا كالرقم في الثوب او الشية في الجلد (النوع
الثلاثون في السرقات الشعرية) ولربما عترض معترض في هذا الموضع فقال
قد تقدم نثر الشعر في اول الكتاب وهو اخذ الناظم من الناظم ولا فرق بينه وبين
أخذ الناظم من الناظم فيمكن الى ذكر السرقات الشعرية اذن حاجة ولو انتم هذا
المعترض نظره اظهر له الفرق وعلم ان نثر الشعر لم يعترض فيه الى وجوه المأخذ
وكيفية التوصل الى مداخل السرقات وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلا
(واعلم) ان الفائدة من هذا النوع انك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني اذ
لا يستغنى الاخر عن الاستعارة من الاول لكن لا ينبغي لك ان تجعل في سبك اللفظ
على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقة فكثيرا ما رأينا من يجعل في ذلك فحتم

السرقات الشعرية

وتعالى فيه البديهة فحقر والاصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء
 بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب وأظرف من عنقاء مغرب في الاغراب
 وقد ذهب طائفة من العلماء الى أنه ليس اقائل أن يقول ان لاحد من المتأخرين
 معنى مبتدعا فان قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية وأنه لم يبق معنى من
 المعاني الا وقد طرقت مرارا وهذا القول وان دخل في - غير الا مكان الآه
 لا يلتفت اليه لان الشعر من الامور المتناقلة والذي نقلته الاخبار وتواردت
 عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الابيات فيما بين لها من الحاجات
 ولم يزل الحال على هذه الصورة الى عهد امرئ القيس وهو قبل الاسلام بمائة سنة
 زائد اذ افتنا قصائد القصائد وهو اول من قصد ولو لم يكن له معنى اختص به سوى
 أنه اول من قصد القصائد اكان في ذلك كفاية وأي فضيلة أكبر من هذه
 الفضيلة ثم تتابع المقصدون واختير من القصائد تلك السبع التي علقت على
 البيت وانفخ للشعراء هذا الباب في التقصيد وكثرت المعاني المقولة بسببه ولم
 يزل الامر ينفى ويزيد ويؤتى بالمعاني الغريبة واستمر ذلك الى عهد الدولة العباسية
 وما بعد ها الى الدولة الحمدانية فمظم الشعر وكثرت أساليبه ونشعت طرقه وكان
 ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام - حبيب بن أوس وأبو عبادة الوائلي
 ابن عبيد البختري وأبو الطيب المتنبي فاذا قيل ان المعاني المبتدعة سبق اليها
 ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته والصحيح أن باب الابتداع للمعاني
 مفتوح الى يوم القيامة ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لانهاية له
 الا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع لا قول
 قبل آخر لان الخواطر تأتي به من غير حاجة الى اتباع الاخر الا قول كقوله -
 في الغزل عفت الديار وما عفت * آثارهن من القلوب

وكقوله - م ان الطيف يجود بما يجزل به صاحبه وان الواشي لو علم بزار الطيف
 لساءه وكقوله في المديح ان عطاه كالجبروك والصحاب وانه لا يمنع عطا اليوم
 عطاه غد وانه يجود ابتداء من غير مثله وأشياء ذلك وكقوله في المراتي
 ان هذا الرزء اول حادث وانه استوى فيه الا باعد والاقارب وان الذاه -
 لم يكن واحدا وانما كان قبيلة وان بعد هذا الذاهب لا يعد لامنية ذنب وأشياء
 ذلك وكذلك يجري الامر في غير ما أشرت اليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر

عليها من غير كافة وتستوى في ايرادها ومثل ذلك لا يطلق على الاخر فيه اسم
السرقه من الاقول وانما يطلق اسم السرقه في معنى مخصوص كقول أبي تمام
لا تنكروا ضربا له من دونه * مثلا شرودا في الندي والبايس
فانته قد ضرب الاقل لتوره * مثلا من المشكاة والنبراس
فان هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام وكان لا بداعه سبب والحكاية فيه
مشهورة وهي انما أنتدأ جـد بن المعتصم قصيدته السينية التي مطلعها
ما في وقوفك ساعة من باس * انتهى الى قوله

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اياس
فقال الحكيم الكندي وأي تخير في تشبيهه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب
فأطرق أبو تمام ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيهه اياه بعمر ووحاتم واياس
وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه من أي من يمد به هذا المعنى أو يجزه منه فانه
يكون سارقاله وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة وولديه
وأنت الشمس تبهر كل عين * فكيف وقد بدت معها اثنتان
فعاشاعيشة القمرين يحيي * بضوئهم ما ولا يتهاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادى * ولا ورثا سوى من يقتلان
وصكان ابناء عدو كآراه * له ياءى حروف أنيسيان
وهذا معنى لا يبي الطيب وهو الذي ابتدعه أي أن زيادة أولاد عدوك زيادة
التصغير فانها زيادة نقص وما ينبغي أن يقال ان ابن الرومي ابتدع هذا المعنى
الذي هو

يشكى المحب ويلقى الدهر شاكبه * كالتوس تعمي الرمايا وهي صرمان
فان علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي وليس كذلك ولكنه
ما أخذ من المثل المضروب وهو قولهم يلدغ ويصى ويضرب ذلك لمن يتعدى
بالأذى ثم يشكو وانما ابن الرومي قد ابتدع معاني أخر غير ما ذكرته وليس الغرض
أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المبتدعة بل الغرض أن يبين
المعنى المبتدع من غيره والذي عندي في السرقات أنه متى أورد الاخر شيئا
من ألفاظ الاقول في معنى من المعاني ولولفظ واحدة فان ذلك من أدل الدليل
على سرقته (واعلم) أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثر وا

وكنت ألفت فيه كتابا وقسمته ثلاثة أقسام نسخا وطلعا ومسحا أما النسخ فهو أخذ
اللفظ والمعنى برمتيه من غير زيادة عليه. وأخذ ذلك من نسخ الكتاب وأما السخ
فهو أخذ بهض المعنى مأخوذ ذلك من سسخ الجلد الذي هو بهض الجسم المسوخ
وأما المسخ فهو حالة المعنى إلى مادونه. مأخوذ ذلك من مسخ الأدميين قرده
(وهنا قسمان آخران) أخلت يذكرهما في الكتاب الذي ألفته (فأحدهما)
أخذ المعنى مع الزيادة عليه (والآخر) عكس المعنى إلى ضده وهذا القسمان أيضا
ينسخ ولا سسخ ولا مسخ وكل قسم من هذه الأقسام يتنوع ويتفرع وتفرع به
القسم إلى مسائل دقيقة وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب والله
الموفق للصواب ومن العلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ
الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد فن رام الأخذ بنواصيها والاشتمال
على قواصيها بأن يتصفح الأشعار تصفعا ويقتنع بتاملها فانظر أفانه لا يظفر منها
إلا بالحواشي والأطراف وكنت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين
وخمس مائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدباها يلهجون بيت
من شعر ابن الخياط في قصيدته أقواها * خذامن صبا نجدأمانا قلبه * ويزعمون
أنه من المعاني الغربية وهو

أغار إذا آنت في الحى آنة * حذارا عليه أن تكون عليه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي في قوله

لوقلت للدنف المشوق قديته * مما به لا أختره بقـدانه

وقول أبي الطيب أدق معنى وإن كان قول ابن الخياط أرق لفظا ثم إنى وقفتهم
على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من شعر المتنبي وسافرت إلى
الديار المصرية في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يلهجون بيت من الشعر
يعزونه إلى شاعر من أهل اليمن يقال له عمارة وكان حديث عهد بزماننا هذا
في آخر الدولة العلوية بمصر وذلك البيت من جملة قصيدته يدح به بعض خلفائها
عند قدومه عليه من اليمن وهو

فهل درى البيت أنى بعد فرقته * ما سرت من حرم إلا إلى حرم

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله مادح البعض الخلفاء في حجة
حجها وذلك بيت من جملة أبيات حسنة

يا من رأى حرم ما يسرى الى حرم * طوبى لمن لم يأتى وملتزم
ثم قلت في نفسي يا لله العجب ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء الذين درست
أشعارهم ولا هما ممن لم يعرف ولا أشتهر أمره بل هما كما يقال أشهر من الشمس
والقمر وشعرهما دائر في أيدي الناس بخلاف غيرهما فكيف خفي على أهل مصر
ودمشق بينا ابن الخياط وعمارة الأخوذان من شعرهما وعلت حينئذ أن سبب
ذلك عدم الحفظ للأشعار والافتقار بالنظر في دواوينهما وإنما ثبتت نفسي
للمغرض في علم البيان وورمت أن أكون معدودا من علمائه علمت أن هذه الدرجة
لا تتناول الأئمة بل ما في الكتب الى الصدور والاكتفاء بالمحفوظ عن المطور

ليس بعلم ما حوى القمطر * ما العلم الا ما حواه الصدر
واقدمت من الشعر على كل ديوان ومجموع وأنفدت شطرا من العمر في المحفوظ
منه والمسموع فألفيته بجزال يوقف على ساحله وكيف ينتهي الى احصاء قول
لم يخص أسماء قائله فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثرت فوائده وتتشعب
مقاصده ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر
القديم اذ المراد من الشعر انما هو ابداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل
واللطيف فتي وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل وقد اكتفيت في هذا شعر
أبي تمام حبيب بن أوس وأبي عبادة الوليد وأبي الطيب المتنبي وهؤلاء الثلاثة
هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته
وقد حوت أشعارهم غرابية المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الامثال
السائرة وحكمة الحكماء أما أبو تمام فانه رب معان وصيقل ألباب وأذهان
وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الاغراب
الذي برز فيه على الاضراب ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ولم اقل
ما أقول فيه الا عن تنقيب وتنقيب فن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه
ورامن فكره برأيه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في البلاغة
ما قال حذام نخدمني في ذلك قول حكيم وتعلم ففوق كل ذي علم عليم وأما
أبو عبادة البصري فانه أحسن في سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعرفني
واقدمت في الرقة والجزالة على الاطلاق فيينا يكون في شطف فجداد
تثبت بريف العراق وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه

فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر الجدي تروى واحد - مري انه أنصف في حكمه
 وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فان أبا عبيدة أتى في شعره بالمعنى المقدر ومن
 الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ - من سلاسة الماء فأدرنا بذلك بعد المرام مع
 قربه الى الافهام وما أقول الا أنه أتى في معانيه بأخلاق الغالية ورقى في ديباجة
 انظاه الى الدرجة العالية . وأما أبو الطيب المتنبى فانه أراد أن يملك ملك أبي
 تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قيادته ما أعطاه لكنه حنق في شعره
 بالحكم والامثال واختص بالابداع في وصف مواقف القتال وأنا أقول قولاً
 أنت فيه متأثراً ولامته متثلماً وذلك أنه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه
 أدهى من نصالها وأتبع من أبطالها وقامت أقواله للاسمع مقام أفعالها
 حتى تطن القريتين قد تقابلا واللاحين قد توأصلا فطريقه في ذلك تضل
 بسالكه وتقوم بعذرتاركة ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة
 ابن حمدان فيصف لسانه ما أدى اليه عيانه ومع هذا فاني رأيت الناس عادلين
 فيه عن سنن التوسط فاما فخرط في وصفه واما فخرط وهو وان انفرد بطريق
 صار أبا عذره فان سعادة الرجل كانت أكبر من شعره وعلى الحقيقة فانه خاتم
 الشعراء ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الامراء واقد صدق في قوله
 من أبيات يروح بها سيف الدولة

لا تطلبن كرمي بعد روثيه * ان الكرام باسها هم يداخقوا
 ولا تبال بشعر بعد شاعره * قد أفسد القول حتى أحمد العم

ولما تأملت شعره بعين المادلة البعيدة عن الهوى وعين المعرفة التي ماضل
 صاحبها وما غوى وجدته أقساماً خمسة خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره
 وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره وخمس من متوسط الشعر وخمس
 دون ذلك وخمس في الغاية المتفوهرة التي لا يعبأ بها وعدمها خير من وجودها
 ولو لم يلقها أبو الطيب لوقاه الله شرها فاسها هي التي ألبسته لباس الملام
 وجعلت عرضه شارة لسهام الاقوام واسائل ههنا أن يسأل ويقول لم عدلت
 الى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم فأقول اني لم أعدل اليهم اتفاقاً وانما عدلت
 اليهم نظراً واجتهاداً وذلك أني وقفت على أشعار الشعراء قديماً واحداً يثما حتى
 لم أترك ديوانا لشاعر فملىق يثبت شعره على المحك الا وعرضته على نظري فلم أجد

أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ولا أكثر استخراجا
 منهم ما لللطيف الأغراض والمقاصد ولم أجدا أحسن تهذيبا للالفاظ من
 أبي عبادة ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكا فاخترت حينئذ دواوينهم
 لأشتمها على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ ولما حفظتها ألغيت
 ما سواها مع ما بقى على خاطري من غيرها (وقد أوردت) في هذا الموضع من
 السرقات الشعرية ما لم يورده غيره ونبتت على غوامض منها وكنت قد تمت
 القول أني قسمتها إلى خمسة أقسام منها الثلاثة الأولى وهي النسخ والسلم والمسخ
 ومنها القسمان الآخران وهما أنا وبين ما تنقسم إليه هذه الأقسام من تشعبها
 وتفرعها فأقول (أما النسخ) فإنه لا يكون إلا في أخذ المعنى واللفظ جميعا أو
 في أخذ المعنى وأكثر اللفظ لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فإنه ضربان
 (الأول) يسمى وقوع الحافر على الحافر كقول امرئ القيس

وقوقاها هجي على مطيهم * يقولون لاتهلك أمي وتحمل
 وكقول طرفة وقوقاها هجي على مطيهم * يقولون لاتهلك أمي وتحمل
 وقد أكثر الفرزدق ويرير من هذا في شعرهما (فنه) ما ورد فيه مورد امرئ
 القيس وطرفة في تخالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق
 أتعدل أحسابا كما حاتمها * بأحسابنا في الله راجع

وكقول جرير

أتعدل أحسابا كما حاتمها * بأحسابكم في الله راجع

(ومنه) ما تساوى فيه لفظا بلفظ كقول الفرزدق

وغرزد وسقت مشرات * طوالح لا تطيق لها جوابا
 بكل ثنية وبكل نغر * غراتهن تتسب اتسابا
 بلغن الشمس حين تكون شرقا * ومقطر أسها من حيث غابا

وكذلك قال جرير من غير أن يزيد وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلى
 كان يتحدث إليها الشباب فدخل الفرزدق إليها وجعل يحادثها وأقبل في
 من قومها كانت تألفه فدخل إليها فأقبلت عليه وتركت الفرزدق فغاضبه ذلك
 فقال لافتي أتصارعني فقال ذلك إليك فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق
 فصرعه وجلس على صدره فوضرط فوثب الفتى عنه وقال يا أبا فراس هذا مقام

العائد بك والله ما أردت ما جرى فقال ويحك والله ما بي أنك صرعتني ولكن
 كاتي بأبن الاتان يعني جريرا وقد بلغه خبري فقال بهجوني
 جلست الى ابلي لتهنئ بقربها * فخافك دبر لا يزال يخون
 فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه * كما شد جربان الدلاص قيون
 قال فواقه ما مضى الا أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من
 أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه ويقال ان الفرزدق وجريرا كانا
 ينطقان في بعض الاحوال عن ضمير واحد وهو هذا عندي مستبعد فان ظاهر
 الامر يدل على خلافه والباطن لا يعلمه الا الله تعالى والا فاذا رأينا شاعرا متقدما
 الزمان قد قال قولاً ثم سمعناه من شاعر أتي من بعده علمنا بشهادة الحال أنه
 أخذ منه وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة فكيف
 تتفق الالسنمة أيضا في صوغها الالفاظ (ومما كنت أستحسنه) من شعر أبي
 نواس قوله من قصيدته التي أولها * دع عنك لومي فان اللوم اغراء
 دارت على قتيبة ذل الزمان لهم * فما يصيبهم الا بما شاؤا
 وهذا من عالي الشعر ثم وقعت في كتاب الاغانى لابى الفرج على هذا البيت
 في أصوات المعبد وهو
 له في على قتيبة ذل الزمان لهم * فما أصابهم الا بما شاؤا
 وما أعلم كيف هذا (الضرب الثاني من النسخ) وهو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكث
 اللفظ كقول بعض المتقدمين مدح معبد اصحاب الغناء
 أجاد طويس والسريجي بعده * وما قصبات السبق الا المعبد
 ثم قال أبو تمام
 محاسن أصناف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا المعبد
 وهذه قصيدة أولها * غدت تستجير الدمع خوف نوى غد * فقال
 وقائع أصل النصر فيها وفرعه * اذا تعدد الاحسان أولم يعدد
 فمما تكن من وقعة بعدلاتكن * سوى حسن مما فعلت مردد
 محاسن أصناف المغنين جمة * البيت (وأما السليخ) فانه ينقسم الى اثني عشر ضربا
 وهذا تقسيم أوجبته القصة واذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه (فالاول)
 أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو اياه وهذا

من أدق السرقات مذهبا واحدا - منها مودة ولا يأتي الا قليلا (فمن ذلك) قول
بعض شعراء الحجازة

لقد زادتني حبا بالنفسي أنتي * بغيض الى كل امرئ غير طائل
أخذ الممتني - هذا المعنى واستخرج منه معنى آخر غيره الا أنه شبيه به فقال
واذا أتت مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

والمعرفة بأن - هذا المعنى أصله من ذات المعنى عسر عامض وهو غير متبين الا لمن
أعرق في ممارسة الاشعار ونعاص في استخراج المعاني وبيانه أن الاول يقول
ان بغض الذي هو غير طائل اي مما زاد نفسي حبا الى أي جملها في عيني
وحسبنا عندى كون الذي هو غير طائل مبعوضي والممتني يقول ان ذم
الناقص اي اي شاهد بفضلي وذم الناقص اياه كبغض الذي هو غير طائل ذلك
الرجل وشهادة ذم الناقص اياه بفضله كخصين بنض الذي هو غير طائل نفس
ذلك الرجل عنده (ومن هذا المرب) ما هو أظهر مما ذكرته وأبين كقول أبي تمام
وعنه الفيافي بعدما كان - قبة * رعاها وما الروض ينزل ساكبه

أخذ البهتري هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه كقوله في قصيدة يفخر فيها بقومه
شيطان قد نزل السلاح عليهم * وعداهما رأى السميع المبصر
وكبا القنا من بعدما حلا القنا * في عسكر متحامل في عسكر

فأبو تمام ذكر أن الجبل رعى الارض ثم سار فيها فرعته أي أهزاته فكأنها فعلت
به مثل ما فعل بها والبهتري نقل - هذا الى وصف الرجل بعاق السن والهزم فقال
انه كان يسهل الرمح في القتال ثم صار يركب عليه أي يتوكأ منه على عصا كما يفعل
الشيخ الكبير وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام
لا أظلم النأي قد كانت خلافتها * من قبل وشك النوى عندي نوى قد فا
أخذ البهتري فقال

أعاتك ما كان الشيب مقربى * اليك فالحي الشيب اذ هو مبعدي
وهذا أوضح من الذي تقدمه وأكثر بيانا (الضرب الثاني من السلخ)
أن يؤخذ المعنى مجرّدا من اللفظ وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتي الا قليلا
(فمنه) قول عروة بن الورد من شعراء الحجازة

ومن يك مثلي ذاعبال ومقتر * من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال

فتى مات بين الضرب والطمع ميتة * تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
فمروءة بن الورد جعل اجتهاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام
جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد المجتهد في لقاء العدو قائما مقام
التصارع وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف وهذا الضرب في سرقات
المعاني من أشكلها وأدقها وأغرر بها وأبعدها مذهبها ولا يتفطن له ويستخرج
من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض وقد يحى منه ما هو ظاهر لا يبلغ في الدقة
مبلغ هذه الآيات المشار إليها كقول ابن المقفع في باب الرثاء من كتاب الحماصة
فقد جرت نفاقة - دنالك اثنا * أمناعلى كل الرزايا من الجزع
وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال

وقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود
وهذا من البديع النادر وههنا ما هو أشد تظهروا من هذين البيتين في هذا
الضرب من السرقات الشعرية وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة التي يقوم بعضها
مقام بعض وذلك لا اعتمادا بهما كان وضوحه ~~ال~~كن قديحي منه ما هو صفة
من صفات الترادف لا الاسم نفسه فيكون حسنا كقول جرير
ولا يمنعك من أرب طاهم * سواء ذو العمامة والخمار
أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى فقال

ومن في كفه منهم قساة * كن في كفه منهم خضاب
(الضرب الثالث من السخ) وهو أخذ المعنى ويبر من اللفظ وذلك من أقبح
السرقات وأظهرها شناعة على السارق فن ذلك قول البحتري في غلام
فرق ضعف الصغيران وكل الامم * را اليه ودون كيد الكبار

سبقة أبو نواس فقال

لم يخف من كبر عماير ادبه * من الامور ولا أزرى من الصغر
وكذلك قوله أيضا

كل عيد له انقضاء وكفى * كل يوم من جوده في عيد
أخذه من علي بن جبلة

للعيد يوم من الايام منتظر * والناس في كل يوم منك في عيد
وكذلك قوله جاد حتى أفنى السؤال فلما * باد منا السؤال جاد ابتداء
أخذه من علي بن جبلة

أعطيت حتى لم تدع لك سائلا * وبدأت اذ قطع العفاة سؤالاها
وقد افتضح البهتري في هذه الما أخذ غاية الافتضاح هذا على بسطة باعه في الشعر
وغناه عن مثلها (وقد سلك هذه الطريق في قول الشعراء) ولم يستنكفوا من
ساو كها فمن فعل ذلك أبو تمام فانه قال

قد قلصت شففتاه من حفيظته * نخيل من شدة التعيس مبتسما

سبقة عبد السلام بن رعيان المعروف بديك الجن فقال

واذا شئت أن ترى الموت في صو * رة ليث في لبدتي ريبال

فالفه غير أنما البدناه * أبيض صارم وأسمه سرعال

تلق ليثا قد قلصت شففتاه * فيرى ضاحكا لبس الصيال

وكذلك قال أبو تمام

فلم أمدحك تفخيما بشعري * ولكني مدحت بك المديحا

أخذه من حسان بن ثابت في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال

ما ان مدحت محمد ايمقالي * لكن مدحت مقالتي بجمد

ولاشك أن أبا بكر رضي الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضي الله

عنه فقال له عمر استخلف غيري فقال أبو بكر رضي الله عنه ما أحبوناك بها وانما

حبوناها بك وهكذا فعل ابن الرومي فيما جاء له قوله

جرحتة العيون فاقتص منها * بجوى في القلوب دامي الندوب

سبقة أبو تمام فقال

ادميت باللحظات وجنته * فاقتص ناظره من القلب

وكذلك قول ابن الرومي

وكلت مجدلي في اقتضائك حاجتي * وكفى به متقاضيا ووكيلا

سبقة أبو تمام فقال

واذا الجد كان عوني على المر * تقاضيته بترك التقاضى

وكذلك قال ابن الرومي

ومالى عزاء عن شبابي علمته * سوى أنقى من بعده لا أخذ
سبقة منصور النمرى فقال

قد كدت أقضى على قوت الشباب أسا * لولا تغزى ان العيش منقطع
وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فما جاء منه قوله

قدى نفسه بضم النضار * وأعطى صدور القنا الذابل
أخذه من قول الفرزدق

كان الفداء له صدور ما حنا * والخيل اذ هج الغبار مثار
وكذلك قوله أيضا

أين ازمنت أي هذا الهمام * نحن نبت الربا وأنت الغمام
أخذه من بشار حيث قال

كان الناس حين تغيب عنهم * نبات الارض أخطأه القطار
وكذلك قوله فلا زلت ديارك مشرقات * ولادانيت يا شمس الغروب

لا صبح آمن فيك الزايا * كما أنا آمن فيك العيوب
أخذه من ابن الرومي حيث قال

أسالم قد سلمت من العيوب * الا فاسلم كذلك من الخطوب
والذي عندي في الضرب المشار اليه أنه لا بد من مخالفة المتأخر المتقدم اما بان

ياخذ المعنى فيزيده معنى آخر أو يوجز في افظه أو يكسوه عبارة أحسن من عبارته
(ومن هذا الضرب) ما يستعمل على وجه يزداد قبحه وتكثر البشاعة به وهو أن

ياخذ أحد الشاعرين معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية فيودعه قصيدة
له على ذلك الوزن وتلك القافية ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من طوق

أو نطاق ثم صاغها في مثل ما سرقها منه والاولى به أن كان نظم تلك الجوهرة
في عقد أو صاغها في سوار أو خنخال ليكون أصح لامرها وعن فعل

ذلك من الشعراء فافتضح أبو الطيب المتنبي حيث قال في قصيدته التي أولها
غيرى يا كثر هذا الناس يتخذ

لم يسلم الكثر في الاغقاب مهجته * ان كان أسلمها الاصباب والشيخ
وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لأبي تمام في وزنها وقافيتها أولها

أي القلوب عليكم ايس يصدع * وهذا المعنى الذي أورده أبو الطيب

أخوذ من بيت منها وهو
 ما غاب عنكم من الأقدام أكرمه • في الروع اذا غابت الانصار والشيع
 وايسر في السرقات الشعرية أقبح من هـ هذه السرقة فانه لم يكتب الشاعر فيها بيان
 يسرق المعنى حتى ينادى على نفسه انه قد سرقه (الضرب الرابع من السلخ)
 وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس وذلك حسن يكاد يخرج منه عن حد السرقة
 فمن ذلك قول أبي نواس

قالوا عشقت مغيرة فأجبتهم • أشهى المطى الى ما لم يركب
 كم بين حبة لؤلؤ ومثوبة • ليست وحببة لؤلؤ لم تنقب
 فقال مسلم بن الوليد في عكس ذلك

ان المطية لا يلدركوبها • حتى تدلل بالزمام وترجها
 والحب ليس بنافع أربابه • حتى يفصل في النظام وينتقبا
 ومن هذا الباب قول ابن جعفر

ولما بد الى أنها لا تريدني • وأن هواها ليس عني بمجلى
 تمنيت أن تهوى سواي اعلاها • تذوق صبايات الهوى فترقلى
 وقال غيره ولقد سرتني صدودك عني • في طلائيك وامتناعك مني
 حذرا أن أكون مفتاح غيري • واذا ما خلوت كنت التمني
 أما ابن جعفر فانه تداهب وأتى عن منسكبه رداء الغيرة وأما الآخر فجاء بالضد
 من ذلك وتعالى به غاية الغلو وكذلك ورد قول أبي الشيص
 أجد الملامة في هوذا لذينة • شغفا بذكرك فليباي اللوم
 أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى وعكسه فقال

أأحبه وأحب فيه ملامة • ان الملامة فيه من أعدائه
 وهذا من السرقات الخفية جدا ولا ينبغي ابتداء أولي من أن يسمى سرقة
 وقد توخيت في شيء من شعري فجاء حسنا فن ذلك قولي
 لولا الكرام وما سنوه من كرم • لم يدركا نل شعرك كيف يمدح
 أخذته من قول أبي تمام

ولولا خلال سنها الشعر ما درى • بناء العلي من أين توفى المكارم
 (الضرب الخامس من السلخ) وهو أن يؤخذ بعض المعنى فن ذلك قول أمية

ابن أبي الصلت يدح عبد الله بن جدعان
 عطاؤك زين لامرئى ان حبوته • يبذل وما كل العطاء يزين
 وامن بشين لامرئى بذل وجهه • اليك كما بعض السوال يشين
 أخذه أبو تمام فقال

تدعى عطاياها وفرا وهي ان شهرت • كانت نغارا لمن يعفوه مؤتثفا
 مازات منتظرا أجمه وبة زمنا • حتى رأيت سؤالا يجتنى شرفا
 فأمة بن أبي الصلت أتى بمعنيين اثنين أحدهما أن عطاء لوزين والآخر أن عطاء
 غيرك شين وأما أبو تمام فانه أتى بالمعنى الاول لا غير (ومن هذا الضرب) قول
 علي بن جبلة وآئل مالم يحوه متقدم • وان نال منه آخر فهو تابع
 فقال أبو الطيب المتنبي

ترفع عن عون المكارم قدره • فما يفعل الفعلات الاعذار
 فعلى بن جبلة اشتمل ما قاله على معنيين أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد ممن
 تقدمه وان نال منه الآخر شيئا فاعناه وهو مقتدي به وتابع له وأما أبو الطيب المتنبي
 فانه لم يأت الا بالمعنى الواحد وهو أنه يفعل مالا يفعله غيره غير أنه أبرزه في صورة
 حسنة ومن ذلك قول أبي تمام
 كاف برب المجد يعلم أنه • لم يبتدأ عرف اذا لم يتم

فقال البصري
 ومثلك ان أبدى الفعال أعاده • وان صنع المعروف زاد وتمام
 فأبو تمام قال ان الممدوح يرب صنيعه أى يستدعيه ويعلم أنه اذا لم يستدعيه
 فما ابتدأه والبصري قال انه يستدعيه صنيعه لا غير وذلك بعض ما ذكره أبو تمام
 وكذلك قال البصري

ادفع بامثال أبي غالب • عادية العدم أو استعفف

أخذه عن تقدمه حيث قال

انفج الفضل أو تغفل عن الدنيا فيافها تان غاية الهيم
 فالبصري أخذ بهض هذا المعنى ولم يستوفه وكذلك ورد قول ابن الرومي
 نزاهة على هام المعالي اذا ارتقى • اليها أناس غيركم بالسلام
 أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

فوق السماء وفوق ما طلبوا * فاذا أرادوا غاية نزولوا
وهذا بعض المعنى الذي تضمنه قول ابن الرومي لانه قال انكم نزلتم على هام المعالي
وان غيركم يرقى اليها رقبيا * وأما المتنبي فانه قال انكم اذا أردتم غاية نزلتم
ها ما قوله فوق السماء فانه يغنى عنه قول ابن الرومي نزلتم على هام المعالي
اذ المعالي فوق كل شيء لانها مختصة بالعلو مطلقا (الضرب السادس من
السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيزداد عليه معنى آخر فما جاء منه قول الاخضر
ابن شهاب

اذا قصرت أسيفا فانا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب
أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله
ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو قرد السيف لم يهجم بتفريد
وكذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعره
غرائب آلافا اذا حازوردها * أخذن طريقا لقصائد معلا
أخذه أبو تمام فزاد عليه اذ قال في وصف قصيدته وقرن ذلك بالمدوح
غرائب لاقت في فنائك أنسها * من الجهد فهي الآن غير غرائب
وكذلك ورد قول ولد مسلمة بن عبد الملك
أذل الحياة وكره الممات * وكلا أراء طعاما ويسلا
فان لم يكن غير احداهما * فسير الى الموت سيرا بجيلا
أخذه أبو تمام فقال

مثل الموت بين عينييه والذل ~~وكلا~~ آه خطبا عظيما
ثم صارت به الحية قديما * فأما العدا ومات كريما
فزاد عليه بقوله * فأما العدا ومات كريما * ويروى أنه نظر عبد الله بن علي
رضي الله عنه عند قتال مروانية الى فتى عليه أبهة الشرف وهو يبلى في القتال
بلاء حسنا فناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد فقال الا أكنه
فلمست بدونه قال فلك الامان ولو كنت من كنت فأطرق ثم تمثل بهذين البيتين
المذكورين وكذلك ورد قول أبي تمام
يصد عن الدنيا اذا عن سودد * ولو برزت في زى عذراء ناهد
أخذه من قول المعذل بن غيلان

ولست ينظر الى جانب العلاء * اذا كانت العلياء في جانب الفقر
الا انه زاده زيادة حسنة بقوله * ولو برزت في زى عذرا ناهد * ومما يجرى هذا
الجرى قول البحترى خل عناقنا انت فينا * واوعروا وكال حديث المعاد
أخذه من قول أبي نواس

قل لمن يدعى سليمانها * انت منها ولا قلامة ظفر
انما انت ملصق مثل واو * ألقت في الهجاء ظمما به مرو
الا ان البحترى زاد على أبي نواس في قوله أو كال حديث المعاد ~~وهو~~ كذا ورد
قول البحترى أيضا

ركبوا الفرات الى الفرات وأملوا * جذلان يبدع في السماح ويغرب
أخذه من مسلم بن الوليد في قوله

ركبت اليه البحر في موخراته * فأوقت بنا من بعد بحر الى بحر
الا ان البحترى زاد عليه بقوله جذلان يبدع في السماح ويغرب وكذلك ورد
قول أبي نواس وليس لله يستنكر * أن يجمع العالم في واحد
وهذا البيت قد لهج به الناس لهجا كثيرا ومنهم من ظنه مبتدعا لأبي نواس ويحكي
عن أبي تمام أنه دخل على ابن أبي دؤاد فقال له أحسبك عاتبا يا أبا تمام فقال انما
يعتب على واحد وانت الناس جميعا قال من أين هذه يا أبا تمام قال من قول
الحاذق أبي نواس وأنشده البيت وهذه الحكاية عندي موضوعة لان أبا تمام
كان عارفا بالشعر حتى انه قال لم انظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا
للنساء خاصة دون الرجال وما كان يخفى عنه أن هذا المعنى ليس لأبي نواس
وانما هو مأخوذ من قول جرير

اذا غضبت عليك بنو عيم * حسبت الناس كلهم غضابا

الا ان أبا نواس زاده زيادة حسنة وذلك ان جريرا جعل الناس كلهم بنو عيم وأبا
نواس جعل العالم كله في واحد وذلك أبلغ * ومما ينتظم في هذا السلك قول
الفرزدق علام تلفتين وأنت تحقى * وخير الناس كلهم أم أمي
متى تأتي الرصافة تستريحى * من الانساع والدير الدوامي

أخذه أبو نواس فصار أملك به وأحسن فيه غاية الاحسان فقال

واذا المظى بنا ببلغن محمدا * قطع ورهق على الرجال حرام

فانفرزدق قال تستريحى من الانساع والدير الدوامى وليست استراحتها بما نعمة
من معاودة اتعابها مرة أخرى وأما أبو نواس فانه حرم ظهوره - بن على الرجال
أى أنهم اتعنى من السفر اعفاء مس - تمرز اولاشك أن أبو نواس لم يتنبه لهذه الزيادة
الامن فعل العرب فى السائبة والبحيرة وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبي
وملومة زرد ثوبها * واسكنه بالقناخيل

أخذه من أبي نواس فى قوله

امام خيس أرجوان كانه * قيص محول من قنا ووجياد
فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس به - هذا المعنى وكذلك قال
أبو الطيب المتنبي

وان جاد قبلك قوم مضوا * فانك فى الكرم الاقل

فأخذته أنا وزدت عليه فتلت

أنت فى الجود أول وقصى الله بأن لا يرى لك الدهر ثمانى
وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره (الضرب السابع من
السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيكسب عبارة أحسن من العبارة الأولى وهذا هو
المهود الذى يخرج به حسنه عن باب السرقة فن ذلك قول أبي تمام
جدلان من ظفر حران ان رجعت * مخضوبة منكم وأطفاره بدم
أخذه البهترى فقال

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

ومن هذا الاسلوب قواهما أيضا فقال أبو تمام

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا
وقال البهترى قل الكرام فصار يكثروا * ولقد يعل الشئ حتى يكثر
وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس

يدل على ما فى الضمير من الفتى * تقاب عينيه الى شخص من يموى
أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

وإذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

ومما ينتظم فى هذا السلك قول أبي الطيب المتنبي
إذا ما ازددت من بعد التناهى * فقد وقع انتقاضى فى ازدياد

أخذه ابن تينة السعدي فقال

إذا كان نقصان الفتي من تمامه * فكل صحيح في الانام عليل
وكذلك ورد قول أبي العلاء بن سليمان في مرثية

وما كلفة البدر المنير قدية * ولكنه في وجهه أثر اللطم

أخذه الشاعر المعروف بالقيصري فقال

وأهوى التي أهوى لها البدر ساجدا * ألت ترى في وجهه أثر الترب
وكذلك قول ابن الرومي

إذا شئت عين امرئ شيب نفسه * فعين سواه بالشناوة أجدر

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال

إذا كان شبي بغياض الى * فكيف يكون اليها حبيبا

وما ينخرط في هذا السلك قول بعضهم

محصرة الاوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها

أخذه أبو تمام فقال

كان عليها كل عقد ملاحمة * وحسن اوان أضحت وأمست بلا عقد

ثم أخذه العتري فقال

إذا أطقأ الياقوت اشراق وجهها * فان عناء ما بوخت عقودها

وأمثال هذا كثيرة وفيما أوردناه مقنع (الضرب الثامن من السبع) وهو أن

يؤخذ المعنى ويسبك سبكاً موجزاً وذلك من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة

على بسطة الناظم في القول وسعة بآءه في البلاغة فمن ذلك قول بشار

من راقب الناس لم ينظر بجماعته * وقاز بالطيبات الفاتك اللهمج

أخذه سليم الخاسر وكان تليذه فقال

من راقب الناس مات غما * وقاز باللذة الجسور

فبين البيتين انظمتان في التأليف ومن هذا الاسلوب قول أبي تمام

برزت في طلب المعالي واحدا * فيها تسيير مغرور ومجنون

عجب بأنك سالم في وحشة * في غاية ما زلت فيها مفردا

أخذه ابن الرومي فقال

غزبه الخلاق الزهر في النا * س وما أوحشته بالتغريب

وكذلك ورد قول أبي نواس
 وكنت بالدهر عينا غير فافلة * من جودك فأسوكل ما جرحا
 أخذته ابن الرومي فقال
 الدهر يفسد ما استطاع وأحمد * يتتبع الفساد بالاصلاح
 وعلى هذا ورد قول ابن الرومي
 كأنني أستدني بك ابن حنية * اذا النزغ أدناه من الصدر أبعدا
 أخذته بعض شعراء الشام وهو ابن قسيم الحموي فقال
 فهو كالسهم كلما زدت منه شك دقوا بالنزع زادك بعدا
 واقبت جماعة من الادباء بالشام ووجدتهم يزعمون أن ابن قسيم هو الذي ابتدع
 هذا المعنى وليس كذلك وإنما هو لابن الرومي وما يجري هذا الجري قول أبي
 العتاهية واني لعذور على فرط حبها * لان لها وجه ايدل على عذري
 أخذته أبو تمام فقال
 له وجهه اذا أبصر * نهنا جالك عن عذري
 فأوجزني هذا المعنى غاية الایجاز وما يجري على هذا النهج قول أبي تمام
 كانت مساهلة الركبان تخبرني * عن أحمد بن سعيد أطيب الطبر
 حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني يا حسن مما قدر أرى بصري
 أخذته أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال
 وأستكبر الاخبار قبل لقاءه * فلما التقينا صغرا الطبر انطبر
 وكذلك قوله ما في موضع آخر فقال أبو تمام
 كم صار ما عضبا أناف على قفا * منهم لآعباء الوغى جمال
 سبق المشيب اليه حتى ابتزه * وطن النهي من مفرق وقدال
 أخذته أبو الطيب فزادوا حسن حيث قال
 يسابق القتل فيهم كل حادثة * فلما يصيبهم موت ولا هرم
 ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء
 أمن خوف فقصر نجلته * وأخرت انفاق ما تجمع
 فصرت الفقير وأنت الغني * وما كنت تعدو الذي تصنع
 أخذته أبو الطيب المتنبي فقال

قولهم لآعباء الوغى جمال
 كم صار ما عضب الدبران
 قوله

ومن يتفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر
(الضرب التاسع من السلخ) وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا
فيجعل عاما وهو من السرقات التي يسامح صاحبها فمن ذلك قول الاخطل
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
أخذه أبو تمام فقال

أ ألوم من بخلت يدها واغتمدى * للبخل تر باساءة ذا لصنيعا
وهذا من العام الذي جعل خاصا ألا ترى أن الأول نهي عن الاتيان بما ينهي
عنه مطلقا وجاء بالخلق منكر الجعله شائعا في بابه وأما أبو تمام فإنه خصص
ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الاخلاق وأما جعل الخاص عاما فكقول
أبي تمام ولو حاربت شول عذرت لقاها * ولكن منعت الدر والاضرع حافل
أخذه أبو الطيب المتنبي فجعله عاما اذ يقول

وما يؤلم الحرمان من كف حارم * كما يؤلم الحرمان من كف رازق
(الضرب العاشر من السلخ) وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى وذلك
بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فمما جاء منه قول أبي تمام
هو الصنع ان يعجل فننقع وان يرث * فلارث في بعض المواطن أنفع
أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضرب له وذلك قوله

ومن الخير بقاء سبيك عنى * أسرع السهب في المسير بالجهايم
وهذا من المبتدع لامن المسروق وما أحسن ما أتى به هذا المعنى في المثال
المناسب له وكذلك قولهما في موضع آخر فقال أبو تمام
قد قلصت شفتاه من حفيظته * نجيل من شدة التعبيس مبتسما
أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

وجاهل مده في جهله ضحكي * حتى أتته يد قراسة وفم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظن أن الليث مبتسم
ومما ينخرط في هذا السلك قول أبي تمام
وكذا لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بهمال
أخذه أبو عبادة البهتري فقال

وقد زادها افراط حسن جوارها * لا خلاق اصغار من المجد خيب

قوله وما يؤلم مع قوله كما يؤلم في الدعوان يوجع بدهما اه

وحسن درارى الكواكب أن ترى * طوالع في داج من الليل غيب
فانه أتى بالمعنى مضروبا له هذا المثال الذى أروضه وزاده حسنا (الضرب
الحادى عشر من السليخ) وهو ايجاد الطريق واختلاف المقصد ومثاله أن يسلك
الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهم الى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل
أحدهما على الآخر فما جاء من ذلك قول أبي تمام في مرثية بولدين صغيرين

مجدتاؤب طارفا حتى اذا * قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
فجمان شاء الله أن لا يطلعها * الا ارتداد الطرف حتى يافلا
ان الفجيرة بالرياض نواضرا * لا جل منها بالرياض ذوابلا
لهنى على تلك الشواهد فهما * لو أنرت حتى تكون شماتلا
ان الهلال اذا رأيت غوه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
قل للامير وان لقيت وقرا * منه يربى الحاديات حلاحلا
ان ترزنى طرفى نهار واحد * رزأين هاجبا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لطية * الا اذا ما كان وهما بازلا
لاغروان فننان من عيادته * لقيما حاما للبرية آكلا
ان الاشياء اذا أصاب مشذب * منه اتهمل ذراوات أسافلا
سمعت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الامواء ظفادها لك سمحة * اصباح ليك سامعا أو قاتلا
هل تكلف الايدي به زمهذ * الا اذا كان الحسام القاصلا

(وقال) أبو الطيب في مرثية بطفل صغير

فان تك فى قبر فانك فى الحشا * وان تك طفلا فالاسى ليس بالطفل
وملك لا يبكى على قدر سنه * ولكن على قدر الفراسة والاصل
ألت من القوم الذى من رماحهم * نداءهم ومن قتلهم مهجة الخجل
بولودهم صمت اللسان كغيره * وليكن فى أعطافه منطق الفصل
تسليمهم عليا وهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
مزاول سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدة أند للنصل
تخون المنايا عهده فى سليله * وتنصره بين الفوارس والرجل
بنفسى وليد عاهد من بعد حمله * الى بطن أم لا تطرق بالجل

قوله مجدتاؤب الخ تركنا كثيرا كثيرة في خلال الايات المذكورة حتى افترقت بيني وبينها لو أنرت وهما لغدا اسكر من صباهما * حمل
وتلك الاربعية تافلا * ولا يصح النجم الرديمة * واماز ذلك اطل جود ابلا * وكذلك الايات بعد اه

بداوله وعبد السجاية بالروي * وصدوفينا غلة البلد المحل
وقدمت الخيل العتاق عيونها * الى وقت تبديل الركاب من النعل
وربيع له جيش العدو وما مشى * وجاشت له الحرب الضروس وما تغلى
فتأمل أيها الناظر الى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد وكيف
هام كل واحد منهما في واد منه مع اتفاقهما في بعض معانيه وسأبين لك ما اتفقا
فيه وما اختلفا وأذكر الفاضل من المفضول فأقول أما الذي اتفقا فيه
فان أبا تمام قال لهني على تلك الشواهد فهمما * لو أنرت حتى تكون شماتلا
وأما أبو الطيب فانه قال

بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن في أعطافه منطق الفصل
فأني بالمعنى الذي أتى به أبو تمام وزاد عليه بالصناعة اللظنية وهي المطابقة في قوله
صمت اللسان ومنطق الفصل وقال أبو تمام
فجمان شاء الله أن لا يطاعا * الا ارتدادا الطرف حتى يأفلا
وقال أبو الطيب

بداوله وعبد السجاية بالروي * وصدوفينا غلة البلد المحل
فوافق في المعنى وزاد عليه بقوله * وصدوفينا غلة البلد المحل * لانه بين
قدر حاجتهم الى وجوده واتقاعهم بهيأته (وأما ما اختلفا فيه) فان أبا
الطيب أشعر فيه من أبي تمام أيضا وذلك أن معناه أمتن من معناه ومبناه
أحكم من مبناه وربما ~~كبر~~ هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون
مع شبهة الزمان وقدمه لامع فضيلة القول وتقدمه وأبو تمام وان كان أشعر
عندي من أبي الطيب فان أبا الطيب أشعر منه في هذا الموضع وبيان ذلك أنه قد
تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى وأما الذي اختلفا فيه فان أبا الطيب قال
عز أول سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدايد للنصل

وهذا البيت يفرد خير من يبقى أبي تمام اللذين هما
ان ترزني طرفي نهار واحد * رزأين هاجالوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهو ما بازلا
فان قول أبي الطيب والشدايد للنصل أكرم اقفا ومعنى من قول أبي تمام
ان الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا وقوله أيضا

تخون المنايا عهده في سلبه * وتنصره بين الفوارس والرجل
 وهذا أشرف من بيتي أبي تمام اللذين هما
 لاغروا ن فنتان من عيدانه * لقياسا مالا لبرية آه كلا
 ان الاشياء اذا اصاب مشذب * منه اتهمل ذراوات أسافلا
 وهكذا قال أبو الطيب

ألت من القوم الذي من رماحهم * ندهم ومن قتلاهم مهجة الخجل
 تسليهم عليا وهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
 وهذان البيتان خير من بيتي أبي تمام اللذين هما
 شجعت خلا لآ أن يوأسيك امرؤ * أو أن تذكرنا سيبا أو غافلا
 الامواعظ فادها لك سحمة * اسبحاح لبيك سامعا أو قافلا

(واعلم) أن التفضيل بين المعنيين المتدقيقين أيسر خطبا من التفضيل بين المعنيين
 المختلفين وقد ذهب قوم الى منع المناضلة بين المعنيين المختلفين واحتجوا على ذلك
 بأن قالوا المناضلة بين الكلامين لا تكون الا باشتراكهما في المعنى فان اعتبار
 التأليف في نظم الالفاظ لا يكون الا باعتبار المعاني المندرجة تحتها فيقال يمكن
 بين الكلامين اشتراك في المعنى حتى يعلم مواقع النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه
 واتساق ذلك اللفظ أو اضطرابه والافضل كلام له تأليف يخصه بحسب المعنى
 المندرج تحته وهذا مثل قولنا العسل أحلى من الخلل فإنه ليس في الخلل حلاوة
 حتى تقاس حلاوة العسل عليها وهذا القول فاسد فإنه لو كان ما ذهب اليه هؤلاء
 من منع المناضلة حقا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام وورديته وحسنه
 وقبيحه وهذا محال وانما خفي عليهم ذلك لانهم لم ينظروا الى الاصل الذي تقع
 المناضلة فيه سواء اتفقت المعاني أو اختلفت ومن ههنا وقع لهم الغلط وسأبين
 ذلك فاقول من المعلوم أن الكلام لا يختص بعزية من الحسن حتى تتصف الفاظه
 ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة فثبت بهذا أن النظر انما هو في هذين
 الوصفين اللذين هما الاصل في المناضلة بين الالفاظ والمعاني على اتفاقهما
 واختلافهما فمغنى وجداني أحد الكلامين دون الآخر أو كانا أنص به
 من الآخر حكم له بالفضل (وقرأت في كتاب الاغانى) لابي الفرج في تفضيل
 الشعر أشياء تتضمن خبطا كثيرا وهو مروى عن علماء العربية لىكن عذرهم

في ذلك فأت معرفة الفصاحة والبلاغة شيء خاف معرفة النحو والاعراب (فما
وقفت عليه) أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن الاخطل فقال لو أدركت يوماً واحداً
من الجاهلية ما قدمت عليه أحد أو هذا تفضيل بالأعصار لا بالأشعار وفيه ما فيه
ولو أن أبا عمرو وعندي بالمكان العليّ أبسطت لساني في هذا الموضع (وسئل جرير)
عن نفسه وعن الفرزدق والاختل فقال أما الفرزدق ففي يده نعمة من الشعر
وهو قابض عليها وأما الاختل فأشدتنا اجترأ وأرمانا للقرائن وأما أنا فدينونة
الشعر وهذا القول في التفضيل قول اقتماحي لا يحصل منه على تحقيق لكنه أقرب
حالا يروى عن أبي عمرو بن العلاء (وسئل الاختل) عن أشعر الناس فقال الذي
إذا مدح رفع وإذا هجا وضع فقيل فن ذلك قال الأعشى قيل ثم من قال طرفة
وهذا قول فيه بعض التحقيق إذ ليس كل من رفع بدمحه ووضع بهجائه كان أشعر
الناس لأن المعاني الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها (وسئل الشريف الرضي)
عن أبي تمام وعن البحتري وعن أبي الطيب فقال أما أبو تمام فخطيب منبر وأما
البحتري فواصف جوذر وأما المتنبي فقاتل عسكر وهذا كلام حسن واقع في
موقعه فإنه وصف كلامهم بما فيه من غير تفصيل (ويروى عن بشار) أنه وصف
نفسه بجودة الشعر والتقدم على غيره فقيل له ولم ذلك فقال لاني نظمت اثني عشر
ألف قصيدة وما تخلوا واحدة ممن من بيت واحد جيد فيكون لي حينئذ ثمان عشر
ألف بيت وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لانه لا يتأقلا الذي يضرب
به المثل في العي لو نظم قصيد الماخلام من بيت واحد جيد ومن الذي يتظم قصيداً
واحد من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد لكن كان الأولى بشار أن قال لي
ثمان عشر ألف قصيدة ليس واحدة ممن الاوجيدها أكثر من رديتها وليس
في واحدة ممن ما يسقط فإنه لو قال ذلك وكان محققاً لاسحق التقدم على الشعراء
ومع هذا فقد وصل إلى ما في أيدي الناس من شعره مقصداً ومقطعاً فما وجدته
بتلك الغاية التي ادعاهم لكن وجدت جيده قليلاً بالنسبة إلى رديته وتندرله الآيات
اليسيرة (وبلغني) عن الأصمعيّ وأبي عبيد وغيرهما أنهم قالوا هو أشعر الشعراء
المحدثين قاطبة وهم عندي معذورون لأنهم ما رقفوا على معاني أبي تمام ولا على
معاني أبي الطيب ولا وقفوا على ديباجة أبي عبادة البحتري وهذا الموضع
لا يستفي فيه علماء العربية وإنما يستفي فيه كاتب بلخي أو شاعر مفلق فان أهل

كل علم أعلم به وكما لا يسأل الفقيه عن مسألة حساسية فكذلك لا يسأل الحاسب
 عن مسألة فقهية وكما لا يسأل أيضا النحوي عن مسألة طبيعية فكذلك لا يسأل
 الطبيب عن مسألة نحوية ولا يعلم كل علم الا صاحبه الذي قلب ظهروه لبطنه
 و بطنه لظهوره على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب الى الناس قاطبة
 وما من أحد الا ويحب أن يتكلم فيه حتى اني رأيت أجلاف العامة ممن لم يحظ
 بسده ورأيت أعتام الاجناس ممن لا ينطق بالكلمة صحيحة كاهم يخوض في فن
 الكتابة والشعروا يتون فيه بكل مضحكة وهم يظنون أنهم عالمون به ولا لوم عليهم
 فانه بلغني عن ابن الاعرابي وكان من مشاهير العلماء أنه عرض عليه أرجوزة أبي
 تمام اللامية التي مطلعها * وعاذل عداته في عدله * وقيل له هذه لغلان من شعراء
 العرب فاستحسنها غاية الاستحسان وقال هذا هو الديباج الحسرواني ثم استكتبها
 فلما أنهاها قيل له هذه لا بي تمام فقال من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة ثم ألقى
 الورقة من يده وقال يا غلام خرق خرق فاذا كان ابن الاعرابي مع علمه وفضله
 لا يدري أي طرفيه أطول في هذا الفن ولا يعلم أين يضع يده فيه ويبلغ به الجهل الى
 أن يقف مع التقليد الشنيع الذي هذا غاية مما الذي يقول غيره وما الذي يتكلم
 فيه سواء (والمذهب عندي في تفضيل الشعراء) أن القرزدي وجريروا الاخطل
 أشعر العرب أقولا وآخر ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء
 الثلاثة علم ما أشرت اليه ولا ينبغي أن يوقف مع شعرا مري القيس وزهير
 والنايفة والاعشى فان كلام أولئك أجاد في معنى اختص به حتى قيل في
 وصفهم امرؤ القيس اذا ركب والنايفة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا
 شرب وأما الفرزدي وجريروا الاخطل فانهم أجادوا في كل ما أتوا به من المعاني
 المختلفة وأشعر منهم عندي الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة البحرى
 وأبو الطيب المتنبي فان هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء أما أبو
 تمام وأبو الطيب فربا المعاني وأما أبو عبادة فرب الالفاظ في ديوانها وسبكها
 (وبلغني) أن أبا عبادة البحرى سال ولده أبا الغوث عن الفرزدي وجريروا
 أشعر فقال جريروا أشعر قال وبم ذلك قال لان حوكه شبيه بجوكان قال ثكلتك أمك
 أوفى الحسب عصبية قال يا أبت فمن أشعر قال الفرزدي قال وبم ذلك قال لان
 أهاجى جريروا كلها تدر على أربعة أشياء هي القين والزنا وضرب الرومي بالسيف

والنبي من المسجد ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك وأما الفرزدق فإنه يهجو جريرا
بأنه جاه مختلفه ففى كل قصيد يرميه بسهام غير السهام التى يرميه بها فى القصيد
الآخر وأنا أستكذب راوى هذه الحكاية ولا أصدقها فان البحرى عندى ألب
من ذلك وهو عارف بأسرار الكلام خبير بأوساطه وأطرافه وجيده ورديته
وكيف يدعى على جرير أنه لم يهجو الفرزدق الا بتلك المعانى الاربعه التى ذكره
وهو القائل

لما وضعت على الفرزدق منسى * وعلى البهيت جدعت أنف الاخطل
بجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة فى بيت واحد (واقدمت كتاب النقائض)
فوجدت جريرا رب تغزل ومدح وهجاء واقفاخار وقد كسا كل معنى من هذه
المعانى ألفاظا لا ثقة به ويكفيه من ذلك قوله

وعاوعوى من غير شئ رميته * بقافية انقادها يقطر الدما
وانى اقوال اكل غريبة * وروداذا السارى بليل ترغما
تجروح بأفواه الرواة كأنها * شباهندوانى اذا هز صمصما
غرائب آلاف اذا حان وريها * أخذن طريقا لقصائد معلما

ولولم يكن لجرير سوى هذه الابيات لتقدم بها الشعراء وسأذكر من هجائه
الفرزدق ما ليس فيه شئ من تلك المعانى الاربعه التى أشار اليه
فمن ذلك قوله

وقد زعموا أن الفرزدق حية * وما قتل الحيات من أحد قبلى
ألم تر أنى لا أتبى لرميتى * فن أرم لا تخطى مقاتله تبلى
وأيتك لا تحمى عقالا ولم ترد * قتالا فالاقتت شر من القتل
وقوله أباغ هديتى الفرزدق انها * عبه تزد على حسيه من قتل
انى انصيت من السماء عليكم * حتى اختطفتمك يا فرزدق من عل
وقوله

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً * فأبشر بطول سلامة بامر بع
ورأيت نبالك يا فرزدق قصرت * ورأيت قوسك ليس فيها منزع
ان الفرزدق قد تبين أوامره * حيث التقت خشاؤه والاخرع
وقوله أحارث خدم من شئت منا ومنهم * ودعنا نقس بحمدنا قعد فضائله

لمست صلاحى والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرج وجلاجله
 فمست بنى عز ولاذى أرومة * وما تعط من ضميم فانك قابله
 لا يخفين عليك ان مجاشعا * لو ينفخون من الخوورة طاروا
 قديوسرون فلايفك أسيرهم * وبقته سلون فتعلم الا نار
 بنى مالك ان الفرزدق لم يزل * يلقى الهغازى من لدن أن يتقعا
 مددت له الغايات حتى تركته * قعود القوافى ذاعلوب موقعا
 الا انما كان الفرزدق ثعلبا * ضناوهى فى أشداق لبت ضبارم
 مهلا فرزدق ان قومك فيهم * خورا القلوب وخفة الاحلام
 الطاعنون على العمى بجميعهم * والنازلون بشر دار مقام
 اذا سفرت يوما نساء مجاشع * بدت سوءة مما تجتج البراقع
 مباشيم من عب الهريركا نعا * تصوت فى أعفاجهن الضفادع
 رأت ملام مثل الفرزدق قصرت * عن العلولا بأبى عن العلوبارع
 تعدل احسابا كراما حاتها * بأحسابكم انى الى الله راجع
 اذا قيل أى الناس شر قبيلة * وأعظم عارا قيل تلك مجاشع
 علق الاخيطل فى حبالى بعدما * عن الفرزدق لالعالماتر
 لقي الفرزدق مالقيت وقبله * طاح التعيس بغير عرض وافر
 واذا رجوا أن ينقضوا الى مرة * مرست قواى عليهم ومر انرى
 وبلير مواضع كثيرة فى هجاء الفرزدق غير هذه ولولا خوف الاطالة
 لاسمته قصيتها جميعها ولو سلمت الى البحرى مازعم من أن جرير ليس له فى هجاء
 الفرزدق الا تلك المعانى الاربعة لا عترضت عليه بأنه قد أقر بلير بالفضيلة
 وذلك أن الشاعر الملقق أو الكاتب البليغ هو الذى اذا أخدمته فى واحد
 تصرف فيه بوجوه التصرفات وأخرجه فى صروف الاساليب وكذلك فعل جرير
 فانه أبرز من هجاء الفرزدق بالعين كل غريبة وتصرف فيه تصرفا مختلف الانحاء
 فمن ذلك قوله

الهى أبالعن المكارم والعلا * لى الكائف وارتفاع المرجل
 وجد الكنيف ذخيرة فى قبره * والكابيتين بهن والمنشار
 يبكى صدها اذا تصدع مرجل * أو أن تفاق برمة أعشار

قال الفرزدق رقي أكارنا * قالت وكيف ترقع الأكار
 وقوله إذا أبأونا وأبوك جدوا * بأن المفرقات من الغراب
 فأورثك العملاء وأورثوني * رباط الخيل أفنية القباب
 وسيف أبي الفرزدق فاعلموه * قدوم غير ثابتة النصاب
 (فاتنظر) أيها الواقف على كتابي هذا إلى هذه الأساليب التي تصرف فيها جرير
 وأدارها على هجاء الفرزدق بالقين فقال أولان أباه شغل عن المكارم بصناعة
 القيون ثم قال ثانيا أنه يبكي عليه ويندبه بعد الموت المرجل والبرمة الأعشار التي
 يصلحها ثم قال ثالثا إن أباك أورثك آلة القيون وأورثني أبي رباط الخيل وقد
 أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الأساليب التي ذكرتها ولا حاجة إلى التطويل
 بذلك ههنا وهذا قدر فيه كفاية وحيث انتهى بنا القول إلى ههنا فلنرجع إلى
 النوع الذي نحن بصدده ذكره وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فاجاء منه
 قول النابغة

إذا ما غزا بالجيش خلق فوقه * عصائب طيرتهم تدي بعصائب
 جوائح قد أيقن أن قبيلة * إذا ما التقى الجمعان أول غالب
 وهذا المعنى قد توارده عليه الشعراء قديما وحديثا وأوردوه بضروب من
 العبارات فقال أبو نواس

تمنى الطير غزوته * ثقة باللحم من جزره

وقال أبو مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرتحل

وقال أبو تمام

وقد ظلت أعناق أعلامه ضحى * بهقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش إلا أنهم لم تقا تل

(وقد ذكر) في هذا المعنى غير هؤلاء إلا أنهم جاؤا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه

الامن جهة حسن السبك أو من جهة الإيجاز في اللفظ ولم أر أحدا غرّب في هذا

المعنى فسلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده إليها الامسالم ابن الوليد فقال

أشربت أرواح العدا وقلوبها * خوفا فأنفسها إليك تطير

لوحا كتك فطالبتك بدحلبها * شهدت عليك ثعالب ونسور

(فهذا) من المlij البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى * وكذلك فعل
أبو الطيب المتنبي فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق التي سلكها من
تقدمه إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصدوه فأغرب وأبدع وحاز
الاحسان بجملة وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره (فما جاء منه) قوله
تفتدي أتم الطير عرا سلاحه * نسورا للملا أحداثها والقشاع
وما نمرها خلق بغير محالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه
وهذا معنى قد حوى طرفي الاغراب والاعجاب وقال في موضع آخر

وذي لجب لاذ والجنح أمامه * بناج ولا الوحش المنار بسالم

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة * تطالعهم من بين ريش القشاع

إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم

(وهذا) من اعجاز أبي الطيب المشهور ولولم يكن له من الاحسان في شعره
الاهذه الايات لاستحق بها فضيلة التقدم (ومما ينظم بهذا النوع) ما توارده عليه
أبو عبادة الجعفي وأبو الطيب المتنبي في وصف الاسد وقصيدتهما مشهورتان
فأول احدهما * أجدك ما يملك يسرى زينا * وأول الاخرى

في الخدان عزم الخليل طر حبالا * أما الجعفي فإنه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة
في آياته الرائبة التي آواها

أفاطم لو شهدت بيطن خبت * وقد لاقى الهزير بأخاك بشرا

وهذه الايات من النظم العالي الذي لم يأت أحد بمثلهما وكل الشعراء لم تسم
قرايحهم إلى استخراج معنى ليس بمذكور فيها ولولا خوف الاطالة لاوردتها
بجملتها لكن الغرض انما هو المفاضلة بين الجعفي وأبي الطيب فيما أورداه من
المعاني في هذا المقصد المشار إليه فمما جاء للجعفي من قصيدته

وما تنقم الحساد الاصاله * لديك وعز ما أرى حيا مهنيا

وقر جربوا بالامس منك عزيمة * فصلت بها السيف الحسام الجعريا

غداة لقت اللث والذيث محدر * يجددنا باللقاء ومخليا

إذا شاء غادي عانة أو وعدا على * عتائل سرب أو تقنص وربيا

شهدت لقد أنصفته حين ينبري * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
 فلم أرضر غامين أصدق منكبا * عرا كاذبا الهيا به النعس كذبا
 هزبرامشي ببغي هزبرا وأغلبا * من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
 أذل بشعب ثم هالته صولة * رأك لها أمضى جنانا وأشغبا
 فاجهم لما لم يجد فيك طمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
 فلم يغنه أن كثر نحوك مقبلا * ولم ينجه أن حاد عنك منه كبا
 حملت عليه السيف لا عزمك انثني * ولا يدك ارتدت ولا حده نيا
 ومما جاء لأبي الطيب المتنبي في قصيدته

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا
 ورد اذا ورد البحيرة شاربا * ورد الفصوات زئيره والنبلا
 متخضب بدم الفوارس لا بس * في غيبه من لبدتيه غيبلا
 ما قوبلت عيناه الاظنتا * تحت الدجى نار القريق حولا
 في وحدة الرهبان الا أنه * لا يعرف التحريم والتجلبلا
 يطأ البرى مترقا من تبهه * فكأنه آس يجس عابلا
 ويرد عقرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسه اكبلا
 قصرت مخافته الخطاف كما نجا * ركب الكعبي جواده مشكولا
 ألقى فريسته وزجج ردونها * وقربت قريبا خاله تظفلا
 قشابه القربان في اقدامه * وقحالفاني بذلك الماء كولا
 أسديري عضويه فيك كهمما * متنا أزل وساءد ما مفتولا
 ما زال يجمع نفسه في زورة * حتى حسبت العرض منه الطولا
 وكأنا غرته عين فادني * لا يبصر الخطب الجليل جبلا
 أنف الكريم من الدنية تارك * في عينه العدد الكثير قلبلا
 والعار مضاض وايس بخائف * من حقه من خاف مما قبللا
 خذلته قوته وقد كاخته * فاستنصر التسليم والتجدلا
 سمع ابن عمته به وبجالة * فغضى بهرول أمس منك مهولا
 وأمر مما نثر منه فراره * وكقتله أن لا يموت قتلا
 تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خبلا

قوله أمعفر الليث الخ تزك في خلال الآيات المذكورة آياتا أخر كثيرة اه

(وسأحكم) بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتثقيبه العصية
أذكره وهوان معاني أبي الطيب أكثر - ددا وأسد مقصدا ألا ترى أن البحترى
قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة المدوح في تشبيهه بالأسد مرة وتفضيله
عليه أخرى ولم يأت بشئ سوى ذلك وأما أبو الطيب فإنه أتى بذلك في بيت واحد
وهو قوله أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن أذخرت الصارم المصقولا
ثم إنه تنبأ في ذكر الأسد فوصف صورته وهيمته ووصف أحواله في انفراده
في جنسه وفي هيمته مشبه واختياله ووصف خلق نجله مع شجاعته وشبهه المدوح
به في الشجاعة وفضله عليه بالسحابة ثم أنه عطف بعد ذلك على ذكر الانفة والحية
التي بعثت الأسد على قتل نفسه بقاء المدوح وأخرج ذلك في أحسن مخرج
وأبرزه في أشرف معني وإذا تأمل العارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف
بديهة النظر ما أثرت اليه والبحترى وإن كان أفضل من المتنبي في صوغ الالفاظ
وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه في الفوص على المعاني وما يدل على ذلك
أنه لم يعرض لما ذكره في أبياته الرائية لعله أن بشرائه ملك رقاب تلك المعاني
واسهوا ذعابها ولم يترك غيره شيئا بقوله فيها وانه طانة أبي الطيب لم يقع فيما وقع فيه
البحترى من الانسحاب على ذيل بشرائه قصر عنه تقصيرا كثيرا ولما كان الامر
كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فيما أورد مبرزاً
(واعلم) أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنان
منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحترى والمتنبي ههنا
على وصف الأسد وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه
هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ويصوغه الآخر في مثل ذلك فإن بعد المدى
يظهر ما في السوابق من الجواهر وعنده يتبين ربح الرابع وخسر الخامس فإذا
شدت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر إلى قصيدتيهما في مرأى النساء
التي مفتتح احدهما يا أخت خيرا خيرا يا بنت خيرا * كناية بهما عن أكرم العرب
وهي لأبي الطيب ومفتتح الاخرى

غروب دمع من الاجقان ينهمل * وحرقة بغليل الحزن تشتعل
وهي للبحترى فان أبا الطيب انفرديا بتداع ما أتى به في معاني قصيدته والبحترى أتى
بما أكثره غث بارد والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء امرأة أو رجل (ومن

الواجب) أنه اذا سلك الناظم أو الناثر مسلوكا في عرض من الاغراض أن لا يخرج عنه كالذي سلكه هذان الرجلان في الرثاء باصرأة فان من حذاقة الصنعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل وهذا الموضوع لم يأت فيه أحديهما يثبت على المحك إلا أبو الطيب وحده وأما غيره من مطلق الشعراء قديما وحديثا فانهم قصروا عنه وله في هذا المعنى قصيدة أخرى مفتحتها

نعدا المشرفية والعوالي • وتقتلنا المنون بلا قتال

وكفي به ما شاهد اعلى ما ذكرته من انفراده بالابداع فيما أتى به والفتيا عندي بينه وبين البهتري أن أبا الطيب أنه في المضيق وأعرف باستخراج المعنى الدقيق وأما البهتري فانه أعرف بصوغ الالفاظ وحولك ديباحتها وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين في اتساقه - ما في المعنى أبين من الحكم بينهما - ما في اختلافه لانه - ما مع الاتفاق في المعنى يقين قولاهما ويظهر ان ظهورا يعلم يديه التفرقة ويتسارع اليه فهم من ليس بتأق الفهم وأما اختلافه - ما في المعنى فانه يحتاج في الحكم بينهما - ما فيه الى كلام طويل يعزفه - ما ولا يتفطن له الا بعض الناس دون بعض بل لا يتفطن له الا الالف ذالوا - ما من الناس ولي في هذا مقالة مفردة ضمنها الحكم بين المعنيين المختلفين وتكلمت عليه كلاما طويلا مر يضا وأقت الدليل على ما نصت عليه وما معنى من ارادها في كتابي هذا الا أنها صنعت لي به - ما تصنيفه وشياعه في أيدي الناس وتناقل النسخ به وعلى هذا الاسلوب فوارد البهتري والشريف الرضي على ذكر الذئب في قصيدة للبهتري دالية أولها • سلام عليكم لا وفاء ولا عهد • ومتطوعة للشريف الرضي أولها

وعارى الشوى والمنكبين من الطوى • أتيج له بالليل عارى الاشاجع وقد أجاد البهتري في وصف حاله مع الذئب والشريف أجاد في وصف الذئب نفسه (وأما المسخ) فهو قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة والقسمة تفتضى أن يقرن اليه ضده وهو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة (فالاول) كقول أبي تمام فقي لا يرى أن الفريضة مقتل • ولكن يرى أن العيوب مقاتل وقول أبي الطيب المتنبي

يرى أن ما ما بان منك لضارب • بأقتل مما بان منك لهائب

فهو وان لم يشقوا المعنى فقد شوه الصورة ومثاله في ذلك كمن أودع الوشي شـمـلا
 وأعطى الورد جعلاً وهذا من أرذل السرقات وعلى نحو منـه جاء قول عبد
 السلام بن ربـعـبان

نحن نعزيزك ومنك الهدى • مستخرج والصبر مستقبل
 نقول بالعقل وأنت الذي • نأوى إليه وبه نعقل
 إذا عفا عنك وأودى بنا الدهر فذاك المحسن المحمل

أخذه أبو الطيب فقلب أعلاه أسفله فقال

إن يكن صبرذي الرزية قضا • تكن الأفضل الاعزالا جـلا
 أنت يافوق أن تعزى عن الاحـتـباب فوق الذي يعزىك عقلا
 وبألفاظك اهتدى فإذا عزالك قال الذي له قات قبـلا

والبيت الأخير من هذه الايات هو الآخر قد راوه والمخصوص بالمسخ (وأما قلب
 الصورة القبيحة الى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة بل يسمى اصلاحا وتم ذيبا
 (من ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

لو كان ما تعطيهـم من قبل أن • تعطيهـم لم يعرفوا التامـيـلا

وقول ابن نباتة السعدي

لم يبق جودك لي شـيـأ أو مله • تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل

وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس في أرجوزة يصف فيها اللعب بالكرة
 والمبولجان فقال من جعلتها

جن على جن وان كانوا بشر • كانوا خيطوا عليها بالابر

ثم جاء المتنبي فقال

فكانها تجت قيا ما تحتمهم • وكانهم ولدوا على صهواتها

وبين القوا بين السماء والارض فانه يقال ليس للارض الى السماء نسبة
 محسوسة وكذلك يقال ههنا أيضا فان بقدر ما في قول أبي نواس من النزول
 والضعف فكذلك في قول أبي الطيب من العلو والقوة وربما ظن بعض الجهال
 أن قول الشماخ

إذا بلغتني وحلت رحلي • عرابية فاسر لي بدم الوتين

وقول أبي نواس

واذا الملقى بنا بغير محمدا * فظهوره في الرجال حرام
 من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة وايس كذلك
 فان قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسب
 عبارتين احدها قبيحة والاخرى حسنة فالحسن والقبح انما يرجع الى التعبير
 لا الى المعنى نفسه وقول أبي نواس هو عكس قول الشماخ وقد تقدم مثل ذلك فيما
 مضى من ضروب السرقات الا ترى الى قول أبي الطيب المتنبى وقول الشريف
 الرضي فقال أبو الطيب

اني على شغفي بما في خمرها * لا عفا عما في سراويلها

وقول الشريف الرضي

أحن الى ما تضمن الخمر والحلي * وأصدق مما في ضمان المآزر

فالمعنى واحد والعبارة مختلفة في الحسن والقبح وهذه السرقات وهي ستة عشر
 نوعا لا يكاد يخرج عنها شيء واذا أنصف الناظر في الذي أتيت به ههنا علم ان قد
 ذكرت ما لم يذكره غيره وأنا أسأل الله التوفيق لان أكون افضله شكورا وأن
 لا أكون مختالا نفورا (واذا فرغت من تصنيف هذا الكتاب) وحررت القول
 في تنصيل أقسام النصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقها ووجاهة ما
 فينبغي أن أختمه بذكر فضليه ما فأقول (اعلم) أن هذا الفن هو أشرف الفضائل
 وأعلاها درجة ولولا ذلك لما خبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة مواقف
 فقال تارة أنا أفصح من نطق بالضاد وقال تارة أعطيت خصالا يعطهن أحد قبلي
 كان كل نبي يبعث في قومه وبعثت الى كل أحر وأسود وأحلت لي الغنائم وبعثت
 لي الارض طيبة وطهورا ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأوتيت جوامع
 الحكم وما سمع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتخر بشيء من العلوم سوى علم
 النصاحة والبلاغة فلم يقل انه أفقه الناس ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب
 ولا بغير ذلك كما قال أنا أفصح من نطق بالضاد وأيضا لم يولم تكن هذه الفضيلة من
 أعلى الفضائل درجة لما اتصل الاجازة بغيرها فان كتاب الله تعالى نزل
 عليهم ولم ينزل بمجزم من مسائل الفقه ولا من مسائل الحساب ولا من مسائل
 الطب ولا غير ذلك من العلوم ولما كانت هذه الفضيلة بهم هذه المكانة صارت
 في الدرجة العالية والمنشور منها أنشرف من المنظوم لاسباب من جملتها أن الاجازة

لم يتصل بالمنظوم وإنما اتصل بالمنثور الآخر أن أسباب النظم أكثر ولهذا نجد
 المهيديين منهم أكثر من المهيديين من الكتاب بل لانسبة لهؤلاء إلى هؤلاء ولو شئت
 أن تخصي أرباب الكتابة من أول الدولة الإسلامية إلى الآن لما وجدت منهم
 من يستحق اسم الكتاب عشرة وإذا أحصيت الشعراء في تلك المدة وجدتهم
 عددا كثيرا حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر
 مقلق وهذا لا نجد في الكتاب بل ربما ندر الفرد الواحد في زمن الطويل وليس
 ذلك إلا لوعورة المسلك من الترويع منه والكتاب هو أحد دعواتي الدولة
 فان كل دولة لا تقوم إلا على دعامين من السيف والقلم وربما لا يفتقر الملك في
 السكك إلى السيف إلا مرة أو مرتين وإنما القلم فإنه يفتقر إليه على الأيام وكثيرا
 ما يستغنى به عن السيف وإذا سئل عن الملوك الذين غيرت أيامهم لا يوجد منهم من
 حسن اسمه من بعده إلا من حظى بكتاب خطب عنه ونظم أمر دولته وجعل
 ذكرها خالدا يتذوقه الناس رغبة في فصل خطابه واستقصاها بالدعاة كلامه فيكون
 خلود ذكرها في خفارة مادونه قلبه ورقته أساطيريه وليس الكتاب بكتاب حتى
 يضطر عدو الدولة أن يروي أخبار مناقبها في حقه ويصبح لسانه حامدا لمساعيها
 وبقائه ما به من غلته واقدأحسن أبو تمام في هذا المعنى حيث قال

سأجهد حتى أبلغ الشعر شأوه * وإن كان طوعا لي ولست يجاهد
 فان أنال بحمد لذي عني ما غرا * عدوك فاعلم أنني غير حامد

وهذا الذي ذكرته حق وصدق لا ينكره إلا جاهل به وأنا أسأل الله أن يزيده من فضله
 وان لم أكن أهلا له فإنه هو من أهله (ووقفت على كلام لابي اسحق الصابي)
 في الفرق بين الكتابة والشعر وهو جواب لسائل سأله فقال ان طريق الاحسان
 في منشور الكلام يخالف طريق الاحسان في منظومه لان الترسل هو
 ما وضع معناه وأطلق اسماءه في أول وهله ما تضمنته ألفاظه وأنقر الشعر ما غمض
 فلم يعطك غرضه إلا بعد مما طله منه ثم قال به ذلك ولست أتل أن يدأل فيقول من
 أية جهة صار الاحسن في معنى الشعر الغموض وفي معاني الترسل الوضوح
 فالجواب أن الشعر يبنى على حدود مقتررة وأوزان مقتررة وفصلت آياته فكان كل
 بيت منها قائما بذاته وغير محتاج إلى غيره إلا ما جاء على وجه التضمين وهو هيب
 فلما كان النفس لا يعتد في البيت الواحد أكثر من مقدار عرضه وضربه وكلاهما

قابل احتياج الى أن يكون الفصل في المعنى فاعتمد أن ياطف ويدق والترسل مبني
 على مخالفة هذه الطريق اذ كان كلاما واحدا لا يتجزى ولا يتفصل الاصولا طوالا
 وهو موضوع وضع ما يهذهذا ويمر به على أسمع شتى من خاصة ورعية وذوى
 افهام ذكية وأفهام غبية فاذا كان متسلسلا ساغ فيها وقرب فجميع ما يستحب
 في الاول يكره في الثاني حتى ان التضمن عيب في الشعر وهو فاضل في الترسل
 ثم قال بعد ذلك والفرق بين المترسلين والشعراء ان الشعراء انما أغراضهم التي
 يرتعون اليها وصف الاثار والحنين الى الالهواء والاطوار والتشبيب
 بالنساء والطلب والاجتهاد والمدح والهجاء وأما المترسلون فانما يترسلون في
 أمر سداد تغروا ملاح فساد أو تصريض على جهاد أو احتجاج على قننة أو
 مجادلة مستله أو دعاء الى الفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية
 أو ما شاكل ذلك هذا ما انتهى اليه كلام أبي اسحق في الفرق بين الترسل والشعر
 ولقد هجت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان كيف
 بمدر عنه مثل هذا القول الناكب عن الصواب الذي هو في باب ونصي النظر في
 باب اللهم غفرا وما ذكر ما عندي في ذلك لا ارادة للاطن عليه بل تحقيقا لمحل
 النزاع فأقول أما قوله ان الترسل هو ما وضع معناه والشعر ما غمض معناه فان
 هذه دعوى لا مستند لها بل الاحس في الامرين معانها هو الوضوح والبيان
 على ان اطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يدل على الغرض الصحيح بل
 صواب القول في هذا ان يقال كل كلام من منشور ومنظوم فينبغي أن تكون
 مفردات ألفاظه مفهومة لانها ان لم تكن مفهومة فلا تكون فصيحة لكن اذا
 صارت مركبة نقلها التركيب عن تلك الحال في فهم معانيها في المركب منها
 ما يفهمه الخاصة والعامة ومنه ما لا يفهمه الا الخاصة وتتناوت درجات فهمه
 ويكفي من ذلك كتاب الله تعالى فانه أفصح الكلام وقد خوطب به الناس كافة من
 خاص وعام ومع هذا فغنه ما يتسارع الفهم الى معانيه ومنه ما يفهم في عرفه
 والالفاظ المفردة ينبغي أن تكون مفهومة سواء كان الكلام نظما أو نثرا واذا
 تركبت فلا يلزم فيها ذلك وقد تقدم في كتابي هذا أدلة كثيرة على هذا فتؤخذ من
 مواضعها وأما الجواب الذي أجاب به في الدلالة على غموض الشعر ووضوح
 الكلام المنثور فليس ذلك بجواب وهب أن الشعر كان كل بيت منه قائما بذاته فلم

كان مع ذلك غامضا وذهب أن الكلام المنشور كان واحدا لا يتجزى فلم كان مع ذلك
واضحاً ثم لو سلمت اليه هذا فماذا يقول في الكلام المسجوع الذي كل فترة منه
بمنزلة بيت من شعر وأما قوله في الفرق بين الشاعر والكاتب ان الشاعر من شأنه
وصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاطوار والتشبيب بالنساء والطلب
والاجتهاد والمدح والهجاء وأن الكاتب من شأنه الاقضية في سداد ثغراً أو
اصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئة أو مجادلة لئمة أو دعاء
الى الفة أو نهى عن فرقة أو تمثية بعبية أو تعزية برزية فان هذا نصكم محض
لا يستند الى شبهة فضلا عن بينة وأى فرق بين الشاعر والكاتب في هذا المقام
فكما يصف الشاعر الديار والآثار ويحن الى الاهواء والاطوار فكذلك يكتب
الكاتب في الاشتماق الى الاوطان ومنازل الاحباب والاخوان ويحن الى
الاهواء والاطوار وله هذا كانت الكتب الاخرى انما بمنزلة الغزل والنسيب من
الشعر وكما يكتب الكاتب في اصلاح فساد أو سداد ثغراً أو دعاء الى الفة أو نهى
عن فرقة أو تمثية أو تعزية فكذلك الشاعر فان شذ عن الصابي قصائد الشعراء
في أمثال هذه الممانى فكيف خفي عنه قصيدة أبي تمام في استعطاف مالك بن
طروق على قومه التي مطلعها * لو أن دهر ارتد رجع جوابي * أم كيف أدخل بالناظر
في ديوان أبي الطيب المتنبى وهم في زمن واحد فتأمل قصيدته في الاصلاح بين
كافور الاخشيدي وبين مولا الذي مطلعها * حسم الصلح ما شتمته الاعادي
وكذلك لا شك أنه لم يقف على قصيدة أبي عبادة البهتري في غزوالبحر التي مطلعها
ألم ترتفيس الربيع المبكر * ولو أخذت في تعدد قصائد الشعراء في الاغراض
التي أشار اليها وخص بها الكاتب لا طلت وذكرت الكثير الذي يحتاج الى أوراق
كثيرة وكل هذه الفروق التي نص عليها وعددها قايسة بشئ ولا فرق بين الكتابة
والشعر فيها (والذي عندي في الفرق بينهما هو من ثلاثة أوجه الاول) من جهة
نظم أحدهما ونثر الاخر وهذا فرق ظاهر (الثاني) أن من الالفاظ ما يعاب
استعماله نثراً ولا يعاب نظماً وذلك شئ استخرجته ونهت عليه في القسم الاول
المختص باللفظة المفردة في المقالة الاولى من هذا الكتاب وأعيدتها منه شيئاً
فأقول قد ورد في شعر أبي تمام قوله

هي العرمس الوجناء وابن ملة * وجاش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد في شعر أبي الطيب المتنبي كقوله

ومهمه جيبته - لي قدى * تعجز عنه العرامس الذال

فلقطة المهمة والعرامس لا يعاب استعمالها في الشعر ولو استعمل في كتاب أو خطبة كان استعمالها معيبا وكذلك ما يشاكلها ما ويناسبها من الالفاظ وكل ذلك قد ضبطته بضوابط وحددته بمحددات فصله من غيره من الالفاظ فليؤخذ من المقالة الأولى ولولا خوف التكرار لاعدته ههنا (الثالث) أن الشاعر اذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة في شعره واحتاج الى الاطالة بأن ينظم مائتي بيت أو ثلثمائة أو أكثر من ذلك فانه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه بل يجيد في جزء قليل والكثير من ذلك ردى غير مرضى والسكاك لا يوثق من ذلك بل يطيل في الكتاب الواحد اطالة واسعة تباع عشر طبقات من القراطيس أو أكثر وتكون مشتملة على ثلثمائة سطر أو أربع مائة أو خمسمائة وهو يجيد في ذلك كله وهذا النزاع فيه لا تشارأيناه وسمناه وقلناه (وعلى هذا) فاني وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة المشار اليها فاق شاعرهم يذكر كتابا من نظم من أوله الى آخره شعرا وهو شرح قصص وأحوال ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بشاهنامه وهو مستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس وهو قرآن القوم وقد أجمع فصحاءهم على أنه ليس في لغتهم أفصح منه وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها وعلى أن لغة العجم بالنسبة اليها كقطرة من بحر اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(قال منبهي تصحيح دار الطبايعه * جعل الله بالكمال طباعه) *

الله المثل الاعلى ولنبيه من التحية الاعلى وآله الذين انتهى اليهم الكمال وصحابته الذين بلغوا غاية الجلال وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب الباهر الذي هو في حقه المثل السائر محلي بحولية البيان والمعاني مشيدا بجواهر التركيب والمباني اذا امتحنت محاسنه أتته * غرائب جمعة من كل باب بالمطبعة العامرة التي يولاق مصر القاهرة ذات الشهرة العالية والمناقب ازاهية البالغة كمال الشرف بنسبتها للدائرة السنوية لازالت محاسنها جبهة

في ظل صاحب السعادة الأكرم الخديو الأعظم سامي حتى الامصار مفيض
العدل في الاقطار محي رفات المكارم تانزلوا العلوم فوق المعالم عزيز مصر
ووحيد العصر سعادة أمة ديننا المحروس بعناية ربه العلي اسمعيل بن ابراهيم
ابن محمد علي حفظ الله سبحانه دولته كما حفظ رعيته وأدام مجده وخلده
وحرس أشبه الكرام وجعلهم غرة في جبين الأيام ملحوظة دار الطباغة
المذكورة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجهد والاجتهاد في تدبير نضارتها من
لاتزال عليه اخلاقه باللاطف تثني حضرة حسين بك حسني والملتزم له هذا
الطبع الظريف والوضع اللطيف من يطبعه أحيا الدارس من كتب الاوائل
وكساها حلة اتقان مالها مماثل ففازت ببهجة التكميل حتى وصلت اليها يد
الغنى والفقر المهمل بالعلوم والمعارف حضرة محمد باشا عارف أفاض الله
عليه سبحانه التمام ومنحه غيوث الاماني ثم ان التصحيح بعد التنقيح كان
بعرفة الفقير الى الله سبحانه محمد الصباغ أسبغت عليه النعم اتم اسباغ فجاه
بجهد الله على اتم نظام يفوق بحسنه بدور التمام واذ بلغ بدره الكمال انشا
مؤرخه لسان الحال

راق الشراب ورقته نغمة الاسل • وطاب أنسى وعن لاسي لم أسل
وبت أجبني طلاء بدر عيسى به • غصن علي كتب يهتز عن كسل
في روضة رققت فيها الفصون وقد • غنى الهزار وطابت نشوة المثل
غناء قد وردت فيها الطباة علي • نهر اللجين فصاغت معدن العسل
ورصفت من عقيق خاتمها وضعت • بالترجس الورد عن جان من الخول
ان شمتها همت من عقد هلي رقة • من سحرها أوبجيد صبغ من خضل
كأنها شاهدت عينناك أسطرذى • كنز ذخائره من صائب الجمل
سفر به رائد السحر الحلال علي • لب المشوق أتى بالثقث والخصل
حوى من القول ما ساهت منها له • وجل معنى وعن عيب الملال خلي
وحاز من رقة الطبع البهي سنا • منه ترى أنجم الزهراء في خجل
واذ تناهى جميل الطبع أرخ لي • بدر الكمال زها في دارة المثل

٢٠ ٢٠٦ ١٢٢ ١٣ ٩٠ ٢١٠ ٢٠١

• (فهرسة المثل السائر) •

	صفحة
الفصل الاوّل في موضوع علم البيان	٤
الفصل الثاني في آلات علم البيان وأدواته	٤
الفصل الثالث في الحكم على المعاني	٢٠
الفصل الرابع في الترجيح بين المعاني	٢٦
الفصل الخامس في جوامع الكلام	٣١
الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن	٣٣
الفصل السابع في الحقيقة والجماز	٣٦
الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة	٤٠
الفصل التاسع في أركان الكتابة	٤٤
الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة	٤٦
(المقالة الأولى في الصناعة اللفظية)	٨٦
القسم الاوّل في اللفظة المفردة	٨٦
القسم الثاني في الالفاظ المركبة	١١٤
النوع الاوّل المسبب	١١٤
النوع الثاني في التجنيس	١٥٣
النوع الثالث في الترصيع	١٦١
النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم	١٦٣
النوع الخامس في الموازنة	١٦٩
النوع السادس في اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها	١٧٠
النوع السابع في المعانلة اللفظية	١٧٧
النوع الثامن في المنافرة بين الالفاظ في السبب	١٨٣
(المقالة الثانية في الصناعة المعنوية)	١٨٦
النوع الاوّل في الاستعارة	٢١٤
النوع الثاني في التشبيه	٢٣٢
النوع الثالث في التجريد	٢٥٠

النوع الرابع في الالتفات	٢٥٤
النوع الخامس في توكيد الضميرين	٢٦٣
النوع السادس في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده	٢٦٧
النوع السابع في التفسير بعد الابهام	٢٦٨
النوع الثامن في استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات	٢٧٢
النوع التاسع في التقديم والتأخير	٢٧٥
النوع العاشر في الحروف العاطفة والجملة	٢٨٣
النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق	٢٨٦

بينهما

النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى	٢٩٠
النوع الثالث عشر في عكس الظاهر	٢٩٣
النوع الرابع عشر في الاستدراج	٢٩٤
النوع الخامس عشر في الایجاز	٢٩٧
النوع السادس عشر في الاطناب	٣٣١
النوع السابع عشر في التكرير	٣٥٤
النوع الثامن عشر في الاعتراض	٣٧٢
النوع التاسع عشر في الكناية والتعريض	٣٧٦
النوع العشرون في المغالطات المعنوية	٣٩٢
النوع الحادي والعشرون في الاحاجي	٣٩٧
النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات	٤٠٣
النوع الثالث والعشرون في التخلص والاقتضاب	٤١٧
النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعاني	٤٢٩
النوع الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط	٤٤٧
النوع السادس والعشرون في الاشتقاق	٤٥٥
النوع السابع والعشرون في التضمين	٤٥٧
النوع الثامن والعشرون في الارصاد	٤٦٠

صفحة

٤٦٥ النوع التاسع والعشرون في التوشيح

٤٦٦ النوع الثلاثون في السرقات الشعرية